

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

تخصص: فقه اللغة

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه

بعنوان:

أسلوب القصر بين النحو والبلاغة

إعداد الطالب:

عبد النور حميدي

إشراف الأستاذ:

أ.د. عبد القادر سلامي

أعضاء لجنة المناقشة:

أ.د. عبد الجليل

مصطفى

أستاذ التعليم العالي

جامعة تلمسان

رئيساً

أ.د. عبد القادر سلامي

أستاذ التعليم العالي

جامعة تلمسان

مشرفاً

د. وهيبة بن حدو

أستاذة محاضرة - أ -

جامعة تلمسان

عضواً

أ.د. بوشاقور علي

أستاذ التعليم العالي

جامعة الشلف

عضواً

أ.د. محمد زعراط

أستاذ التعليم العالي

جامعة وهران 1

عضواً

أ.د. جلال مصطفى

أستاذ التعليم العالي

جامعة عين تموشنت

عضواً

السنة الجامعية: 1442-1443هـ/2021-2022م



إهداء

أهدي هذا العمل إلى روح والدي رحمه الله
تعالى وأسكنه فسيح جنانه.

إلى والدتي الكريمة أعزّ الناس على قلبي
وأقربهم إلى روحي؛ أمي قلب الحياة
وحياة القلب.

إلى كلّ محبّ للغة الضّاد الشّريفة
الغالية الجميلة.

إلى كلّ من شدّ علي يدي ودعمني
بالكلمة الطّيبة، والنّصح،
والتّوجيه، والتّشجيع.



شكر

أَتَقَدَّمُ بِالشُّكْرِ لِكُلِّ مَنْ شَجَّعَنِي،
وَدَعَمَنِي،
وَوَقَفَ إِلَيَّ جَانِبِي بِكَلَامِهِ الطَّيِّبِ.



المقدمة

حمداً لمن خلق الإنسان وخصّه بالعقل والبيان، وصلاةً وسلاماً على نبيّنا محمد أفصح العرب لساناً، وأوضحهم بياناً، وأسلمهم لغةً، وأجودهم مثلاً، وبعد،

فلا مبالغة في القول: إنّ اللّغة العربيّة هي لغة الأعاجيب في وضعها المحكم وتنسيقها الدقيق. فمن استطاع أن يستجلي غوامضها، ويقف على دقائقها، ويحيط بما فيها من حكّم وبيان؛ عرف يقيناً أنّها قد وُضعت بإلهام من المبدع الحكيم -جلّت قدرته وتقدّست أسماؤه-.

ومن هذا المنطلق، تعمّق حبّ العربيّة في نفسي؛ فاخترت التّخصّص في درسها من بين كثير من العلوم الأخرى، وبخاصّةٍ منها قواعدُها المُحكّمة، وقوانينها الحكيمة، والتي جعلتها سبيلي في دراساتي العليا؛ أملاً وطمعاً في الارتواء من معين هذه اللّغة الشّريفة المتميّزة عن غيرها من اللّغات بجزالة ألفاظها، وحيويّة تراكيبيها، وجمال أساليبيها، والتي شَرُفت بأن تكون وعاءً لآخر رسالات الله السّماوية إلى أهل الأرض جميعاً؛ فأصبحت بذلك الحاملة لمعاني القرآن العظيم من جهة، والمحمولة والمحافظة من الموت والاندثار بكرامة كلام الله جلّ في علاه من جهة أخرى.

ومعلوم، أنّ هناك ارتباطاً وثيقاً بين التّراكيب النّحويّة والدّلالات في التّحليل؛ إذ يتلاقى علم النّحو وعلم المعاني في عدد من المسائل، كالتعريف والتّنكير، والذّكر والحذف، والتّقديم والتّأخير، والفصل والوصل، والقصر. كما عُرف عن نحاة العرب القدامى اهتمامهم بالأساليب وبتأليف الجمل، وهو موضوع بحث علم المعاني، ثالث فروع علم البلاغة العربيّة، ثمّ إنّ سيّوبه (ت180هـ) وأستاذه الخليل (ت175هـ) -رحمهما الله تعالى- قد كان لهما الفضل على هذا العلم، كما أنّ العلامة عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) صاحب نظريّة النّظم الشّهيرة كان يرى أنّ معنى الكلام لا يستقيم إلّا بشرط مراعاته للأحكام النّحويّة، وبناءً على أنّ التّلاقي بين علم النّحو وعلم المعاني يحتاج إلى دراسة تطبيقية تُظهِرُهُ وتُجَلِّيه؛ فقد بدا لي أن أحلّل شعر الشّاعر أحمد شوقي (ت1932م)، حاولنا فيه إظهار ذلك التّلاقي من خلال تخصيص هذا البحث لدراسة ظاهرة القصر اللّغويّة التي يشترك في بحثها ومعالجة جوانبها كلّ من النّحويّ باعتبارها إحدى حالات الاستثناء الأربع من جهة، وهو ما يُعرَفُ بالاستثناء المفرّغ، وكذلك رجلُ البلاغة أيضاً لأنّها تُعدُّ إحدى مباحث علم المعاني كما سبق، ساعين إلى تأكيد أحد أهداف البحث الرئيسيّة وهو التّوصُّلُ إلى أنّ علم المعاني لا ينزل عن التّراكيب والأساليب النّحويّة (بربط معطيات النّحو بعلم المعاني)، وأنّ علم النّحو هو علمٌ تندمج فيه المنهجية التّعليميّة بالمنهجية الدّلاليّة. هذا، وإنّ النّاظر في شعر أمير الشّعراء ليجدُ المادّة الغنيّة التي يتلاقى فيها علما النّحو والمعاني - كالتعريف والتّنكير، والذّكر والحذف، والتّقديم والتّأخير، والفصل والوصل،

والقصر - ويخُدم فيه الأولُ الثاني بما يقدّمه له من مادةٍ علميّةٍ يبنى عليها أحكامه، ويستند عليها في تحليل التراكيب وفهم الأساليب المختلفة وسببِ أغوار معانيها القريبة والبعيدة، والظاهرة والخفية على حدٍّ سواء.

ولا شكّ في أنّ أسلوبَ القصرِ يُعدُّ من مظاهر تفرّد لغتنا الجميلة عن سائر اللّغات - في بعض النّواحي على الأقلّ - باشتغالها على تراكيب لغويّةٍ خاصّةٍ كهاته الظّاهرة ذاتِ المزيّتين. إحداها: تحقيقُها اقتصاداً لغوياً رائعاً إذ إنّ جملة أسلوب القصر تؤدّي حُكمين مقصودين مختلفين، ومفادُ ذلك أنّه يُحكّم فيها بثوت شيءٍ لشيءٍ آخر على جهة الاختصاص سواءً أكان ذلك بوساطة تصدير الجملة بنفيٍ أو شبهه لِيُنقَضَ بأداة الاستثناء "إلا" أو بما يقوم مقامها مُتضمّناً عملها كـ "غير وسوى". ومثال ذلك قولنا: "ما أتاني إلا زيدٌ" على سبيل التّمثيل لا الحصر، أو عن طريق الأداة "إنّما" نحو: "إنّما أتاني زيدٌ"، ومعناه: قصرُ صفة الإتيان أو القدوم في شخصٍ واحدٍ فقط وهو زيدٌ من دون أن يتعدّاه إلى غيره من النّاس من ناحية، والأخرى: أنّنا لو ربّنا أساليب التّوكيد وأدواته العديدة ترتيباً تصاعدياً حسب قوّة التّوكيد؛ لكان القصر قمتّها ومنتهى غايته، وذلك لأنّه توكيدٌ فوق توكيد بالنظر إلى أنّه يضغَط جملتين في جملةٍ واحدةٍ، أي أنّه تركيزٌ شديدٌ في الأسلوب، وإنّ كان واجباً علينا الإشارةُ هاهنا إلى أنّه إذا اقتضى المقام أو النّسق العامّ للجملة لوناً معيّناً من أساليب التّوكيد كان هو الأبلغ دون سواه، وإنّ تفاوتَ قوّة لأنّ البلاغة ما هي في أبسط تعريفاتها إلاّ مطابقةُ الكلام لمقتضى الحال، أي مراعاة المتكلّم حالَ المخاطب حينَ إلقاء الكلام عليه من حيث علمه بالخبر من عدمه، أو قوّة تردّده في قبوله، أو نفيه، أو إنكاره؛ إذ إنّ بناءً على إحدى هذه الأحوال التي قد يكون المخاطب عليها يبنى المتكلّم كلامه أو جملته الموجهة إلى محدّثه هذا من ناحيةٍ أخرى.

هذا، وبعد بحثنا عن مظانّ هذا الموضوع اللّغويّ الدّقيق جدّاً في بطون أمّهات المصادر والمراجع المختلفة المتوافرة في مكتبتنا العربيّة من مراجع ورقية وإلكترونية؛ فإنّه يمكننا القول مبدئياً بأنّ عدد البحوث والدّراسات التي أقامها أصحابها لمعالجة هذه الظّاهرة اللّغويّة الفريدة بشكل مباشر ومقصود قليلة إلى حدٍّ ما، ولعلّ أهمّها على الإطلاق الآتي ذكره:

أ- كتاب: "أساليبُ القصر في القرآن الكريم وأسراؤها البلاغيّة"، للدكتور صباح عبيد، وكتاب "الاستثناء في التّراث التّحويّ والبلاغيّ"، لصاحبه كاظم إبراهيم كاظم. وسيأتي الحديث عنهما بنوع من التّفصيل في موضعه من هذا البحث.

ب-رسالة جامعيّة موسومة: "أساليب الاختصاص والاستغراق في اللّسان العربيّ" ماجستير من إعداد سميرة مسلم محمّد الجهني، بإشراف: د/ السيد رزق الطّويل.

وأما عن المراجع التي عرضت لجوانب جزئية فقط من هذه الظاهرة اللّغويّة، فهي حسب ما أمكننا جمعه ما يأتي ذكره تباعاً:

أ- كتاب: "دلالات التّقديم والتّأخير في القرآن الكريم- دراسة تحليليّة لمنير محمود المسيري. تقديم: عبد العظيم المطعني وعلي جمعة.

ب- رسالة ماجستير موسومة: "لكنّ" في القرآن الكريم- دراسة تركيبية دلالية" لصاحبها فتيحة عبدة، أشرف عليها أ.د/ الحوّاس مسعودي.

ج-هذا كلّهُ إضافة إلى رسالة جامعيّة موسومة: " الحصرُ والقصرُ في القرآن الكريم-دراسة بلاغيّة" من إعداد الباحث سمير محسن مثني أحمد، جامعة الإيمان-اليمن 2009، لم نتمكن من الحصول عليها على الرّغم من محاولتنا العديدة والمتكرّرة عبر الشّابكة، اللهم ملخص لها متوافر على الشّابكة.

وبعد الاطلاع على مجموع هذه المراجع التي صُنّفت أساساً لبحث موضوع القصر لذاته، أو لامست جوانب منه كما رأينا؛ فالواضح هنا بأننا سنعمد في إنجاز رسالتنا هذه على ما سنلاقيه ممّا قد كُتب من:

1-بحوثٍ نحويّة قصيرة أدرجها علماء النّحو واللّغة عموماً في دراساتهم التي خصّصوها لمبحث الاستثناء باعتبار أنّ أسلوب القصر هو رابع حالات الاستثناء؛ لأنّهم لم يُفردوا له قسماً مستقلاً قائماً برأسه ضبطاً لأصوله وتبييناً لأحكامه؛

2-مباحث بلاغيّة أفرّد علماء البلاغة العربيّة أقساماً مستقلةً من مصنّفاتهم ضمن فصول علم المعاني، هذا كلّ إضافة إلى ما يمكننا جمعه والتّقيب عنه في مختلف المصادر الممكن الاحتكاك بها ومصادفتها في طريق بحثنا عن مظانّ هذا الموضوع من متفرّقات متناثرة هنا وهناك في ثنايا كتب علمائنا قديمهم وحديثهم من تفاسير للقرآن العظيم، وشروح دواوين شعريّة، وغيرها من مظانّ البحث المختلفة التي سنعمل على جمع شتاتها، سعياً منّا إلى تحليلها، وترتيبها حسب أقسامها؛ بقصد إعادة قراءتها وتفحصها من أجل فهم مضامينها، ومن ثمّ تبويبها ثانية بغية تنسيقها وصياغتها في شكل بحثٍ علميٍّ رصين يسلس المتصفّحه مضمونه، ويروق لقارئه أسلوبه.

أما عن دوافع اختيارنا هذا الموضوع مضماراً للبحث، فهي كما يأتي ذكره:

أ-أهميته: لأنَّ أسلوب القصر من الظواهر البلاغية التي يشترك في دراستها النحوي-بعده إحدى حالات الاستثناء الأربع- والبلاغي معاً بوصفه واحداً من مباحث علم المعاني؛ فقد ارتأينا أن نُخصَّ هذا الموضوع اللغويِّ بمعالجةٍ لأقسامها ومضامينها من تينك الوجهتين؛ وهو ما يفتح المجال على مصراعيه من أجل استنطاق أهم أوجه الشبه والاختلاف بين الدّراستين من جهة، وكذا بقصد تأكيد الصّلة المتينة التي تربط علم المعاني بالنحو، وذلك مزجاً لقواعد الأخير وأصوله بنظرة علم المعاني التحليليّة للتراكيب، والجمالية لمختلف التعابير والأساليب من جهة أخرى؛

ب-ندرة الدراسات المتناولة لهذا الموضوع اللغوي: كما أشرنا إلى ذلك سابقاً، فعلى الرّغم من غنى مكتبتنا العربيّة ورقيةً كانت أو إلكترونيةً بكمّ هائلٍ من المؤلّفات والبحوث اللّغوية الطويلة والقصيرة، غير أنّ اللافت للنظر هو ندرة المراجع أو البحوث التي عالجت جوانب أسلوب القصر دفعةً واحدة في كتاب واحد. ولعلّه بالنظر إلى أنّ لغتنا العربيّة تمتاز بهذا النوع الفريد من الأساليب من ناحية، وارتكازاً على مسألة تقاطع عدّة مستويات لغويّة في دراسته من نحو، وبلاغة، ودلالةٍ من ناحية أخرى؛ قد تكون هذه بعضاً من الأسباب المباشرة التي دفعتنا إلى اختياره مجالاً خصباً للبحث والتحليل، والمناقشة، فنفيد ونستفيد. ومن يدري قد يكون بحثنا هذا فاتحةً لمزيد من البحوث والدراسات الأخرى قد يُوفّق فيها أصحابها إلى معالجة هذا الموضوع من زوايا أخرى قد تغيب عنيّ حتماً، وبرؤى لغويّة وفكريّة مغايرة قد يُلهمون فيه أكثر دقّة، وأجمل بياناً، وأمتع إبداعاً في طرح أفكارهم، وتناولها، وتحليلها؛

ج-ميلنا إلى عموم ما يمتّ للمواضيع اللّغويّة بصلة على مختلف مستوياتها الصّوتيّة، والصّرفيّة، والنحويّة، والبلاغيّة، والدلالية؛

د-على الرّغم من قلة البحوث المتناولة لموضوع القصر بطرقه المعروفة في كتاب واحد كما سبق، غير أنّ ثراء المكتبة العربيّة بما لدّ وطاب من مراجع في مختلف علوم اللّغة العربيّة من نحو وبلاغةٍ ودلالةٍ شجّعنا على المضىّ قدماً في إنجازهِ أملاً في إغناء مكتبتنا العربيّة ببحثٍ آمل أن يكون وافياً وشافياً في هذا الباب على الرّغم ممّا يجب فيه من بذل الجهد الكبير في جمع مادّته العلميّة، والصّبر صبراً جميلاً على قراءتها، وتصنيفها، وتوضييحها، وتوظيفها بالدقّة والحسن الممكنين ضماناً لإخراج علميٍّ رائقٍ شكلاً ومضموناً.

وسنسعى من خلال هذا العمل أن نسلط الضوء على الجوانب الممكنة المحيطة بموضوع القصر، محاولين الإجابة عن الأسئلة الآتي ذكرها:

* ما معالم التلاقي بين علم النحو وعلم المعاني عموماً ؟

* ما هي أبرز تلك المعالم الماثورة في شعر أحمد شوقي من خلال أساليب القصر المثبتة في ديوانه الشوقيات ؟

* ما هي أشكال البناء اللغوي للجملة العربية التي تفيد معنى القصر، وما أبرز الفروق التركيبية والبلاغية والدلالية والجمالية الناتجة عن كل طريق من طرق القصر التي يتحقق بها في الكلام؟

* ما موقع مجموع القواعد التي أحكم وضعها علماء النحو والبلاغة واللغة عموماً من الواقع اللغوي، أي من المستوى الوظيفي للغة من خلال التطبيق على ديوان أحمد شوقي، وذلك برصد التراكيب التي تضمنها ومقابلتها بما رصدته من ضوابط وقوانين في دراستنا النظرية؟

ونشير هنا، أن الهدف من هذه الدراسة ليس محاولة إثبات العلاقة بين علمي النحو والمعاني، لأنها صلة وثيقة أكيدة أثبتت صحتها وكُنْهها علماءنا اللغويون الأجلاء بما يُعني عن الحديث بخصوصها بعدهم، ولكن نيتنا من خلال هذا البحث هي تطبيق تلك العلاقة على ديوان "الشوقيات" للشاعر أحمد شوقي، محاولاً إبراز معالم التلاقي بين علمي النحو والمعاني وصلة أحدهما بالآخر في فهم بعض النماذج الشعرية لأسلوب القصر المضمّنة في ثناياه. وعليه يمكن حصر أهم أهداف البحث في:

* المعاينة المتفحّصة لأهم جوانب أسلوب القصر في مظائرها وأصولها، بتتبّع آراء علماء العربية القدامى منهم والمحدثين؛

* تلمُّس أبرز معالم الصلة القائمة بين علم النحو وعلم المعاني من خلال التراكيب النحوية لأساليب القصر الماثورة في شعر أحمد شوقي ودلالاتها؛

* محاولة إخراج موضوع القصر من حيز الدراسة النظرية إلى مجال التطبيق الواسع من خلال تحليل شعر أحمد شوقي تحليلاً نحوياً مرتبطاً بعلم المعاني.

وبخصوص منهج البحث المعتمد، فمتمنّوعٌ حسب طبيعة كلّ جزء منه. فهو في البابَيْن الأول والثاني يكاد يكون وصفيّاً في معظمهما لمناسبته مقام بسط الكلام حول طريقة تناول علماء النحو والبلاغة لهذه الظاهرة اللغوية، وأمّا البابُ الثالث -وزيادة إلى بعض جوانب البحث الأخرى - فنستعين ببعض الأدوات المنهجية المتنوعة الأخرى المساعدة كالإحصاء، والتحليل والاستنتاج،

بالغوص في أعماق الأساليب والتراكيب المتضمنة أساليب القصر في ديوان الشوقيات من أجل استنتاج مضامينها، والتوصل إلى إدراك المعنى المراد منها.

هذا، ولا بد أن طريق البحث غالباً ما يكون مخفوفاً بالصعوبات والعوائق. ولعلّ أهم ما واجهناه في طريق إنجاز الأمور الآتي ذكرها:

أ- قلة الدراسات المتخصصة في المجال المدروس، بالخصوص ما تعلق منها بالشقّ النحوي من دراستنا هذه؛

ب- ضرورة الاحتراز في إيراد وجوه التأويل والفهم لمختلف النصوص الشرعية من آيات كريمة وأحاديث نبوية باعتبارها شواهد نحوية وبلاغية يعتمدها الدارسون في بحوثهم اللغوية؛

ج- ضرورة قراءة كلّ صفحات المدونة المرصودة للتطبيق عليها؛ بقصد تسجيل نسبة حضور أسلوب القصر فيها، ومحاولة منا التمييز إلى أيّ درجة اقترب صاحبها من مجمل القواعد والضوابط اللغوية نحوية كانت أو بلاغية، والتي حاولنا جمع شتاتها في دراستنا النظرية من هذا البحث.

د- الصعوبة البالغة في فهم بعض أشعار أحمد شوقي المتضمنة أساليب قصر واستنتاج المعنى الدقيق المقصود بها بسبب استطراد الشاعر في بعض قصائده الطويلة التي يبتعد فيها أحياناً صلب موضوع الغرض الشعري الذي ينظم فيه عن موضع إقامه جملة القصر التي لا يتبدى لنا المغزى منها، ولا تتبين دلالة القصر بشكل دقيق فيها إلا بالرجوع في القراءة بضع فقرات حيناً وبضع صفحات أحياناً أخرى لمحاولة استجماع أفكار الشاعر، ومقاصد معانيه الظاهرة والخفية لربطها أخيراً بالشاهد الشعري الذي نريد التطبيق عليه بربط معطيات النحو بعلم المعاني من ناحية، وبمحاولة الغوص في سياقات الكلام المختلفة وما أحاط بها من قرائن ودلالات من ناحية أخرى. هذا، إضافة إلى احتمال بعض النماذج النحوية - من أشعار شوقي طبعاً - على تراكيب تحوي في طياتها نموذجين لأسلوب القصر في بيت شعري واحد كالتقديم و"لا" العاطفة أحياناً؛ فذلك، وإن كان يُكسب العبارة المدروسة قوة في لفظها وجزالة في نسجها، ومتانة في معناها ودلالاتها، إلا أن تحقيق الأمر في مسألة القصد الكامن وراء دلالات القصر فيها ليس بالشيء السهل ولا البسيط، وهو ما يتطلب قراءة النموذج النحوي المدروس عدّة مرّات، بل وقراءة الأبيات السابقة له طلباً للتساوق الفكري الحاصل بينها، وربطاً لمعاني الأبيات بعضها ببعض، هذا زيادة على عناء الرجوع إلى شروح الديوان المتوافرة من ناحية، التي تتسم، في عمومها، بأنها كثيراً ما تُغفل النظر في مسألة الغوص في سياقات

العبارات اللغوية، أو شرح معانيها، أو بيان مراد الشاعر من تضمين هذا البيت أو ذاك لواحد من أساليب القصر المدروسة في بحثي هذا.

وإذا انتقلنا إلى مراحل هذا البحث، فهو مقسم في عمومته بعد المقدمة، إلى مدخل، وثلاثة أبواب وخاتمة.

- فأمّا المقدمة، فقد تحدّثنا فيها عن أهميّة الموضوع، ومنهجنا فيه، وخُطّته التي سِرنا عليها في سبيل إنجازها.

- كما تناولنا في مدخل هذا البحث مسألة موقع أسلوب القصر من الدّراسات النّحويّة والبلاغيّة، مُفتّحين ذلك بالتّوطئة له بالحديث عن علاقة علم النّحو العربيّ بالبلاغة عموماً، وبعلم المعاني بخاصّة، مُعرّجين على مسألة أهمّ منابع القصر في تراثنا العربيّ بإيجاز، لنختّمه بوقفٍ على حظّ هذه الظّاهرة اللّغويّة من الدّراسات اللّغويّة الحديثة.

- وأمّا الباب الأوّل، وهو في فصلين اثنين، فقد عالجنا فيه الطّريقة التي درس بها رجال النّحو هذا الموضوع في مصنّفاتهم قديمةً كانت أو حديثة.

هذا، وقد خصّصنا موضوع مصطلح الاستثناء: نشأته، وتطوّره، وأدواته، وأنواعه، وأحكامه بالدّراسة في الفصل الأوّل، لننتقل في الفصل الثّاني إلى دراسة مسألة الطّرق الاصطلاحية المشهورة التي يتحقّق بها أسلوب القصر في لغتنا العربيّة، وهي النّفي والاستثناء، وإثما، وطريق العطف، وبتقديم ما حقّه التّأخير.

- وأمّا في الباب الثّاني، ويقع في فصلين، فأفرّدناه لبسط الكلام في طريقة دراسة علماء البلاغة لأسلوب القصر، إذ حاولنا التّركيز على تمييز أهمّ ما تجلّى لنا في دراساتهم البلاغيّة محاولين تأصيل المصطلحات التي شاعت عندهم كالقصر والحصر والتّخصيص أو الاختصاص، مع شرحها وبيان أهمّ الفروق الكامنة بينها، هذا زيادةً على سعيّنا إلى إبراز أهمّ ما تميّزت به بحوثهم بمن إضافاتٍ بدءاً بشيخ البلاغة العربيّة الإمام عبد القاهر الجرجاني، ومروراً بمن خلفوه في مقام الدّراسات البلاغيّة سواءً أكانوا ممن انتهجوا نهجَه الأدبيّ الأسلوبيّ الرّائق القائمة على تذوّق النّصوص والأساليب المدروسة، والغوص في أعماق سياقاتها اللّغويّة، والموازنة بين طرق تحقّق القصر في تناوله لهذه الظّاهرة اللّغويّة، أم تعلّق الأمر بأصحاب المذهب التّفصيديّ كالسّكاكي (ت 626هـ)، ومن جاء بعده وسار على نهجه.

كما خصّصنا الفصل الأوّل منه لمعالجة مصطلحات أسلوب القصر، وتقسيماته، وفوائده.

وأمّا في الفصل الثّاني من هذا الباب البلاغي، فقد تناولنا بالدّراسة والتّحليل والمناقشة طرق تحقّق

القصر عند علماء البلاغة، وهي الطُّرُقُ الأربعة نفسها التي طرّفناها في الباب التّحويّ من هذا البحث.

كما جعلنا للجانب التّطبيقي باباً قائماً برأسه، وهو الباب الثالث من هذا البحث، وقد جاء في فصلين؛ إذ إنّنا خصّصنا الفصل الأوّل منه للتعريف بالشّاعر أحمد شوقي، بإثبات ومضاتٍ عن حياته، فنظرة في أهمّ مؤلّفاته، لنختّمه بحديث عن عوامل التّجديد فيه.

كما أنّنا قد أفردنا الفصل الثّاني من هذا الباب الثالث من البحث من أجل إقامة موازنة بين دراسة النّحويّين والبلاغيّين لموضوع أسلوب القصر أولاً، كما قمنا بإحصاء جميع التّراكيب اللّغويّة المشتملة على أسلوب القصر في المدوّنة المختارة، وهي ديوان "الشّوقيّات" للشّاعر أحمد شوقي، وتسجيلها مرتّبة حسب ما هي عليه داخل أشعار الدّيوان؛ بغرض التّطبيق على نماذج منها مراعاةً ممّي بطبيعة الحال اشتمالها على تغطية طرق القصر التي أوردناها في دراستنا النّظريّة ثانياً؛ وذلك بقصد النّظر في مسألة مدى حضور، أو تحقّق، أسلوب القصر بضوابطه القياسيّة، ومآلاته على المستوى البلاغي في حاضر كلام العرب من خلال ديوان "الشّوقيّات" لصاحبه شوقي باعتباره امتداداً للمدرسة الكلاسيكيّة التّراثيّة، من جهة، وهل هناك من نماذج لأساليب القصر قد انخرست استعمالها ربّما في لغتنا العربيّة المعاصرة من جهة أخرى؟، مُعتمدين في ذلك على الشّرح والتّحليل والاستنتاج.

وقد ذيلنا البحث بخاتمة أوردنا فيها أهمّ نتائجه وتوصياته، وبفهرسٍ لمصادر البحث ومراجعته. هذا، وقد رصّدنا لإنجاز هذه الرّسالة الجامعيّة مجموعةً مهمّةً من المصادر والمراجع والبحوث اللّغويّة التي تطرّقت لموضوع أسلوب القصر بالدراسة والمعالجة بغضّ النّظر عن الزاوية التي تناولها هذا الدّارس أو ذاك من هذه الظّاهرة اللّغويّة، ولعلّ أهمّها ما يأتي ذكره على سبيل التّمثيل لا الحصر:

الكتاب، لسيبويه، أشهر كتب النّحو وأولّها تأليفاً، وكتاب معاني القرآن، للفراء (ت207هـ)، وكتاب الأصول في النّحو، لأبي بكر بن السّراج (ت316هـ)، وكتاب الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جنيّ (ت392هـ)، وكتاب الصّاحبي في فقه اللّغة العربيّة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، لأحمد بن فارس (ت395هـ)، ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني (ت471هـ)، ومفتاح العلوم، لأبي يعقوب السّكّاكي، والإيضاح في علوم البلاغة، لجلال الدين القزويني (ت739هـ)، والاستثناء في التّراث النّحويّ والبلاغيّ، لكاسم إبراهيم كاسم، وكتاب اللّغة العربيّة معناها ومبناها، لتّمّام حسان، وكتاب الموجز في شرح دلائل الإعجاز في علم المعاني - نظرية الإمام الجرجاني اللّغوية وموقعها في علم اللّغة العامّ الحديث، لجعفر دكّ الباب، وكتاب الأصول البلاغيّة في كتاب سيبويه وأثرها في البحث

البلاغيّ، لأحمد سعد محمّد، وعلم الدلالة العربيّ - التّظريّة والتّطبيق، لفايز الدّاية، وكتاب في تاريخ البلاغة العربيّة، لعبد العزيز عتيق، وبعض الرّسائل والبحوث الجامعيّة مثل أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغيّة، لصباح عبيد درانة، و"لكنّ في القرآن الكريم" - دراسة تركيبية دلاليّة، لفتيحة عبيدة، وغيرها من الكتب الأخرى التي كانت لنا نعم العون على جمع مادّتنا العلميّة المساعدة في سبيل الإلمام بجوانب الموضوع المختلفة، والاطّلاع على آراء علمائنا الأجلّاء - رحمّة الله عليهم جميعاً - من النّحويّين والبلاغيّين، والمهتمّين بالدراسات اللّغويّة والأسلوبية عموماً - قدّامى كانوا أو محدّثين فيما يتعلّق بموضوع بحثي هذا.

وما كان لهذا البحث ليستقيم عودّه، ولا لتزهر أوراقه، بعد فضل الله تعالى أوّلاً، لولا مدّ أستاذي المشرف أ/د. عبد القادر سلاّمي يدّ العون لي، والنّصح، وصبره الجميل معي على تجشّم قراءة أجزاء هذا البحث ومراجعته وتصحيح ما اختلّ منه أو حاد عن الصّواب، وعنايته بتقدّم ما بدا له من توجيهات قيّمة ساعدتني على إنجاز هذه الرّسالة الجامعيّة، فله مّيّ خالص التّحايا وأطيبها وأزكاها، وجزيل عبارات شكري وامتناني.

كما لا يفوتني مع نهاية مقدّمة بحثي هذا أن أتقدّم إلى السّادة الفضلاء سعادة الدّكاترة الأكارم أعضاء لجنة المناقشة بأسمى معاني احتراماتي وتقديري على تشريفهم إيّاي بقبول مناقشتهم رسالتي الجامعيّة هذه، كما أشكرهم على صبرهم وتخصيصهم من وقتهم لقراءتها وتصحيحها. وأعدّهم بأنّي سأسعى إلى الوقوف على ملاحظاتهم وآرائهم وتسجيلها بغية الإفادة منها إن شاء الله تعالى.

ولا نزيد على ما قال الأصفهاني (ت356) «رأيت أنّه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه، إلّا قال في غده: لو غيّر هذا لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان يُستحسن، ولو قُدّم هذا لكان أفضل، ولو تُرِكَ هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النّقص على جملة البشر». وفي الأخير، نضرب إلى الله سبحانه جلّ في علاه أن يغفر لنا ما كان من خطأ أو سهو أو تقصير، ولله الحمد أوّلاً وأخيراً ودائماً وأبدأً، وصلّ اللّهم على نبينا محمّدٍ أشرف خلْقك في العالمين وعلى آله وصحبه الطّيبين الطّاهرين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدّين.

عن الطّالب: عبد التّور حميدي

تلمسان في يوم الجمعة: 29 شعبان 1443هـ، الموافق ل: 01 أفريل 2022م

المدخل

أسلوبُ القصر وموقعه

من الدّرس

النّحويّ والبلاغيّ

1- أثر النحو في توجيه البلاغة:

معلومٌ، أنَّ علم النحو نشأ «وهو على صلةٍ وثيقةٍ بعلم المعاني، فكانت للنحاة الأوائل عنايتهم الفائقة بدراسة الكلام العربيّ، والوقوف على أساليب التعبير به، والبحث فيما يعرض لها من تعريفٍ وتنكيرٍ، وتقديمٍ وتأخيرٍ، وإضمارٍ وإظهارٍ وفق ما تقتضيه معاني الكلام وظروف القول ومناسباته.

كان ذلك كله يقع ضمن اختصاص الدرس النحويّ، لأنّ النحو في أصله إنّما يُرادُ به القصْدُ نحو كلام العرب، والوقوف على أساليب التعبير به في سبيل الاقتدار على فهمها والإفهام به. ...فموضوع دراسة "علم النحو" إنّما هو الكلام العربيّ والوقوف على أساليب نظمه وتركيبه»¹، ولذلك حدّده ابنُ السّراج (ت316هـ) بقوله: «النحو إنّما أريدَ به أن ينحو المتكلّم إذا تعلّمه كلام العرب، وهو علمٌ استخرجه المتقدّمون فيه من استقراء كلام العرب حتّى وقفوا عليه من الغرض الذي قصّده المبتدئون بهذه اللغة. فباستقراء كلام العرب، فاعلم أنّ الفاعلَ رفعٌ، والمفعولُ به نصبٌ»².

كما عرّف ابن جني (ت392هـ) علم النحو بقوله إنّه: «انتحاءٌ سمّتِ كلام العرب في تصرّفه من إعرابٍ وغيره كالتننية، والجمع، والتحقير، والتكسير، والإضافة، والنسب، والتركيب، وغير ذلك؛ ليُلحَقَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ اللّغة العربيّة بأهلها في الفصاحة، فيَنطِقَ بها وإن لم يكن منهم، وإن شَدَّ بعضهم عنها رُذُّ به إليها»³، وهو عند أحدهم: «علمٌ بقوانين يُعرَف بها أحوال التراكيب العربيّة من الإعراب والبناء وغيرهما، وقيل النحو: علمٌ يُعرَف به أحوال الكلم من حيث الإعلال، وقيل: علمٌ بأصول يُعرَف بها صحّة الكلام وفساده»⁴.

¹ الأوسّي، قيس إسماعيل، أساليب الطّلب عند النّحويّين والبلاغيّين، وزارة التّعليم العالي والبحث العلميّ، جامعة بغداد - بيت الحكمة. رقم الإيداع في المكتبة الوطنيّة لبغداد: 154، لسنة 1988م: 25.

² ابن السّراج، أبو بكر، الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط3، 1417هـ-1996م: 35/1.

³ ابن جنيّ، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمّد علي النّجار، ط2، بيروت - لبنان: 34/1.

⁴ الجرجاني، محمّد السيّد الشّريف، معجم التعريفات، تحقيق ودراسة: محمّد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، د.ط، د.ت: (باب التّون): 202.

فهو يفسر العلاقات بين كلمات الجملة وبين جمل الفقرة، وينظر إلى تركيب الكلام وتأليفه من حيث الصّحة والاستقامة على وفق قوانين العربيّة. ولذلك أُعْتَبِرَ الجَهِل بهذا العلم قدحاً في شخصيّة الجاهل، يقول ابن الأثير إنّ: «الجاهل بالنحو لا يقدح في فصاحة ولا بلاغة، ولكنّه يقدح في الجاهل به نفسه؛ لأنّه رسوم قوم تواضعوا عليه، وهم الناطقون باللغة، فوجب اتّباعهم»¹.

وقد «اهتمّ العرب بالبلاغة وضروبها نظراً لأهمّيّتها في إيراد المعنى وتنسيق اللفظ على النحو الذي تنسجم به زينة الكلم مع المعنى المقصود، وقد عُرف العرب قديماً بالبلاغة والفصاحة في سليقتهم، إلّا أنّ نشأة علم البلاغة كانت قد بدأت في أوائل العصر العبّاسيّ، إذ قام علماء اللّغة بتقعيدها وجمع شواهد ما سمعوه عن العرب القدماء، الذين لم يخالطوا العجم ولم يدخل اللّحن لغتهم، وتألّف الكتب البلاغيّة والتصنيف فيها»².

وإذا كان النحو ينظر في تركيب الكلام من حيث الصّحة والاستقامة، وهو لهذا كان إلى جانب علم التّصريف، -أو علم الصّرف- من علوم التّصحيح، فالبلاغة تبدأ من حيث ينتهي النحو، لأنّها تتجاوز الصّحة والاستقامة إلى الجودة والرّداءة والفروق والدّقائيق بين ضروب النّظم المختلفة ما دامت من علوم التّفصيح، وتهتمّ بجماليّة النّصوص وشعريّتها، والنّحو والبلاغة توأمان متلازمان لا يمكن الفصل بينهما. بل إنّ أوّل كتاب في النحو لم يخلُ من نظرات بلاغيّة هنا وهناك، وقد استجلاها أحد الدّارسين المحدثين بقوله إنّ: «النّحاة المتقدّمين ميّزوا بين مستويين في الدّراسة النّحويّة، وكان المستوى الأوّل: تلك القواعد المجرّدة الّتي استند فيها النّحويّون إلى كلام العرب الفصيح المنقول نقلاً صحيحاً... أمّا المستوى الثّاني، فكان يتمثّل في العلاقات المتنوّعة بين الكلمات ثمّ بين الجمل»³.

ويعدّ عبد القاهر الجرجاني أفضل من وضّح هذه العلاقة القويّة بين العليّين بكلامه الّذي قال فيه: «اعلم أنّ ليس "النّظم" إلّا أنّ تضع كلامك الموضع الّذي يقتضيه "علم النّحو"، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه الّتي تُهَجّت فلا تزيع عنها، وتحفظ الرّسوم الّتي رُسّمت لك فلا تُخلّ

¹ ابن الأثير، نصر الله ضياء الدّين، المثل السائر في أدب الكاتب والشّاعر، تحقيق: محمّد محي الدّين عبد الحميد، المكتبة العصريّة للطباعة والنّشر، بيروت، 1420هـ: 49/1.

² عطية، آية، أقسام البلاغة في اللّغة العربيّة، تدقيق: محمد عبد الغنيّ، عن موقع: <https://sotor.com/>. آخر تحديث: 25 فبراير 2021 في الساعة: 10 و 52 دقيقة، تاريخ النّقل عنه: 17 نوفمبر 2021.

³ أحمد، سعد محمّد، الأصول البلاغيّة في كتاب سيبويه وأثرها في البحث البلاغيّ، مكتبة الآداب، القاهرة، د.ت: 15.

بشيء منها... هذا هو السبيل، فلست بواجب شيئاً يرجع صوابه، إن كان صواباً، وخطؤه إن كان خطأً إلى النظم، ويدخل تحت هذا الاسم إلا وهو معنى من معاني النحو، قد أصيب به موضعه، ووضع في حقه، أو غُومل بخلاف هذه المعاملة، فأزِيل عن موضعه واستعمل في غير ما ينبغي له، فلا ترى كلاماً قد وُصف بصحة نظم أو فساد، أو وُصف بمزية و فضل فيه، إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة، وذلك الفساد، وتلك المزية، وذلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه، ووجدته يدخل في أصل من أصوله، ويتصل باب من أبوابه».¹

ومن هذا القول لصاحب الدلائل، تظهر معالم رؤيته اللغوية الثاقبة بخصوص المنهج الذي رسمه في بناء أي نص أدبي ومعالجته، المعتمد على ثنائية النظرة التكاملية إلى عناصر هذا النص المدروس؛ فالجرجاني «بوصفه نحويًا كانت تشغله العلاقة بين القواعد التي يعنى بها النحويون لضمان سلامة العبارة، وحسن السبك الذي يلهم به النقاد لضمان حسن موقعها من النفس. ومن هذا المزيج كله تكونت فلسفته البلاغية».²

ويرى تمام حسان أن علم المعاني هو قمة الدراسة النحوية، أو فلسفتها؛ لأن دراسة المعنى تبدو أكثر صلةً بالنحو، ولعله من هنا نشأت فكرة أن النحو العربي أحوج ما يكون إلى أن يدعي لنفسه علم المعاني.³

وقد نبّه عبد القاهر الجرجاني إلى أهمية علم النحو والإعراب في التأليف والنظم بقوله: «إنّ الألفاظ معلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأنّ الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها، وأنّه المعيار الذي لا يتبين نقصان كلام ورجحانه حتى يعرض عليه، والمقياس الذي لا يُعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه».⁴

وهو ينفي أن يكون النحو مجرد صناعة شكلية، لأنّ البدوي الذي لا يُعرف أبوابه، يحسن النظم والتأليف، ما دام يعرف في قولهم: "زيدٌ مُنْطَلِقٌ" أنّ "زيداً" مُحْبَرٌ عنه، و"مُنْطَلِقٌ" خبر.⁵

¹ الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ت: محمود محمد شاكر، مطبعة دار المدني، ط3: 1992م: 81-83.

² عياد، شكري، النقد والبلاغة، دار المعرفة للطباعة والنشر، سوسة-تونس، د.ط، د.ت: 51-52.

³ ينظر: حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء- المغرب، 1994: 18.

⁴ الجرجاني، دلائل الإعجاز: 28.

⁵ ينظر: المرجع نفسه: 418.

فالتَّحْوِي في رأي الجرجاني، حسب ما سبق، هو مناط الصَّحَّة والفساد. وأمَّا النَّظْم فالجرجاني بعده مُرْسِي قواعده، و مُحَدَّد متطلَّباته، فهو قد «جعل منه نظريَّةً علميَّةً تبحث في نشأة اللُّغة ووظيفتها الأساسيَّة كوسيلة اتِّصالٍ بين ارتباط معاني النَّحو بالسياق والدَّلالات العقليَّة؛ فالنَّظْم ما هو إلَّا توخِّي معاني النَّحو، وترتيب الكلِّم وفق قواعد تراعي الصَّواب النَّحويَّ والمعنويَّ. ومن هنا فإنَّ نظرتُه شاملَّة، وأنَّه لا فصل بين النَّحو والبلاغة، كما تُعنى هذه النَّظريَّة بصحَّة العبارة، وبعرض الأفكار عرضاً ملائماً للمخاطبين».¹ ولعلَّ افتتاح الجرجاني كتابه "دلائل الإعجاز" بقوله: «معلوم، أنَّ ليس النَّظْم سوى تعلُّق الكلِّم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض. والكلِّم ثلاث: اسمٌ وفعلٌ، وحرفٌ. وللتعلُّق فيما بينها طرقٌ معلومة».² ما يبرز بجلاء تامَّ ارتكاز نظريَّة اللُّغوية في النَّظْم على أسس علم النَّحو وأصوله.

وفي السياق نفسه، لم يفت الجرجاني أن يعقَّب على سيبويه في باب التَّقْدِيم والتَّأخِير، لأنَّه لم يمثِّل لقاعدة تقدِّم الأهمِّ، فناب عنه في تقدِّم أمثلة مُوضَّحة مثل: "قَتَلَ الْخَارِجِيَّ زَيْدٌ"، إذ قَدَّمَ المتكلِّم "الخارجيَّ" وهو المفعول به، على زيد وهو الفاعل «لأنَّه يعلم أنَّ ليس للنَّاس في أنَّ يعلموا أنَّ القاتل له "زيدٌ" جَدْوَى وفائدة، فيعنيهم ذكْرُه ويهمُّهم ويتَّصل بمسرَّتهم ويعلم من حالهم أنَّ الذي هم مُتَوَقِّعون له ومُتطلَّعون إليه متى يكون، وقوعُ القتلِ بالخارجي المُفسِد، وأنَّهم قد كُفُّوا شرَّه وتخلَّصوا منه».³

بل إنَّه يرى أن عدم الوقوف على التَّكت البلاغيَّة للتَّقْدِيم والتَّأخِير مثلاً تُفقد صاحبها تدوُّق هذه الظَّاهرة إذ يقول: «وقد وَقَعَ في ظنون النَّاس أنَّه يكفي أنَّ يقال: "إنَّه قُدِّم للعناية، ولأنَّ ذكْرُه أَهمُّ"، من غير أن يُذكر، من أين كانت تلك العناية؟ وبمَ كان أَهمُّ ولتخيِّلهم ذلك، قد صَغُر أمرُ

¹ بلعيد، صالح، بلعيد، التَّراكيب النَّحويَّة وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر، د.ط، 1415هـ-1994م: 13. وينظر: الرَّايزي، زيد الدِّين، مغاني المعاني، تحقيق: محمَّد زغلول سلَّام، منشأة المعارف بالإسكندريَّة-مصر، د.ط، د.ت: 25-26، ودكَّ الباب، جعفر، الموجز في شرح دلائل الإعجاز في علم المعاني - نظريَّة الإمام الجرجاني اللُّغويَّة وموقعها في علم اللُّغة العامِّ الحديث، دار الجليل (مطبعة الجليل) - دمشق - 1400هـ-1980م: 33-40، والدَّاية، فايز، علم الدَّلالة العربي - النَّظريَّة والتَّطبيق، ديوان المطبوعات الجامعيَّة - الجزائر، د.ط، د.ت: 188.

² الجرجاني، دلائل الإعجاز: 4.

³ المرجع نفسه: 108.

"التقديم والتأخير" في نفوسهم، وهَوَّنُوا الحُطْبَ فيه، حتى إِنَّكَ لَتَرَى أَكْثَرَهُمْ يَرَى تَتْبَعَهُ والنَّظَرَ فيه ضرباً من التَّكَلُّفِ. ولم تر ظناً أَرَى على صاحبه من هذا وشبهه».¹

ومما سبق ذكره، يمكننا أن نستنتج قائلين، إنه إذا كان النحو في ضوء ما سبق، صناعةً علميةً يُعرف بوساطتها أحوال كلام العرب، لتمييز صحيحه من فاسده، فإنَّ البلاغة أيضاً قد تكون صناعةً في بعض أبوابها، كصناعة النحو تماماً، وبخاصةٍ منها بلاغة أبي يعقوب السكاكي (ت626هـ)، والذين جاؤوا بعده، بخلاف بلاغة الجاحظ²، وبعض رجال البلاغة ممن جاؤوا من بعده، ونذكر منهم عالمين هما: عبد الله بن المعتز³ (ت291هـ)، والإمام عبد القاهر الجرجاني؛ فقد كانت أدخل في الذوق، وأبعد عن الصنعة. وذلك كما يبدو في قول أحد الدارسين: «إنَّ تحليل الجرجاني لأمثلة القرآن الكريم والشعر تحليلاً يجتمع فيه العقل والذوق، ويستعين فيه بالحس والعلم. بل إنَّ الجرجاني يرى أنَّ الذوق شرطٌ لإدراك ما يريد من جوانب البلاغة. ومن لم يُؤْتَ الذوق، فلن ينكشف عن بصره حجابُ التفاضل بين جيّد الكلام وردئه، ولن يدرك أسرار الجمال في نظم الكلام».⁴

¹ الجرجاني، دلائل الإعجاز: 108.

² فإذا كانت البلاغة حسب ما قيل: إنها على تحسين اللفظ، وتحميل الصورة، فقد كان حظُّ الجاحظ من هذا جزيلاً، لذا حُسنت بلاغته في كل عينٍ، لبراعته في تَخْيِير جَيِّد الألفاظ، وتجافيه عن استخدام التَّحْقِيل في ميزانه. فمعرفة أبي عثمان بوقع الكلمة في نفس القارئ، وتمييز الدقيق بين حيِّ الألفاظ وميِّتها، وسهّلها وصعبها سببٌ أوّل في تفوّق بلاغته.

وعليه نقول: إنَّ سرَّ بلاغة الجاحظ هو سيره مع الطبع، وعدم تكلفه السجع والصنعة اللفظية عموماً، إلّا ما جاء عفواً في بعض الأحيان. ينظر: الجاحظ، أبو عثمان الجاحظ، الحيوان. تحقيق: عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ط3، 1383هـ، 1969م: 3/1 و 131/3-132، وكرد، محمد عليّ، أمراء البيان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر-القاهرة، ط2، 1367هـ-1948م: 340/2 و 341، و عياد شكري، النقد والبلاغة: 18-24.

³ هو أبو العباس بن عبد الله بن عبد المعتز بن هارون الرشيد بن المهدي بن محمد بن علي بن عبد المطلب الهاشمي. وُلد على أكثر الروايات عام 247هـ. أشهر ما ألّف: كتاب البديع. توفي سنة 291هـ. ينظر: ابن خلكان، شمس الدين، وفيات الأعيان، تحقيق: عباس، إحسان، دار صادر-بيروت، د.ط، د.ت: 76/3، والحنبلي، ابن عماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة - بيروت، د.ط، د.ت: 222/2، وابن النديم، أبو الفرج، الفهرست. تحقيق: رضا تجرد. حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، د.ط، د.ت: 513.

⁴ المبارك، مازن، الموجز في تاريخ البلاغة العربية، دار الفكر-دمشق، ط2، 1400هـ-1979م: 95.

2- النحو وعلم المعاني:

يعدّ علم المعاني أحد الأركان الأساسية التي تشكّل بناء البلاغة العربيّة وعمودها. فإذا كان علم البيان، كما يعرفه القزويني (ت739هـ) «يُعرف به إيراد المعنى الواحد بطريقة مختلفة، في وضوح الدلالة عليه»¹. وذلك عن طريق الاستعارة والكناية وغيرها. وإذا كان علم البديع «يُعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال، ووضوح الدلالة»²؛ فإنّ علم المعاني، كما يعرفه صاحب "الإيضاح" بأنّه: «علمٌ يُعرف به أحوال اللفظ العربيّ الّتي بها يطابق مقتضى الحال»³. ويُفهم من هذا الكلام، أنّ علم المعاني يتّخذ الجملة مجالاً لبحثه؛ إذ إنّهُ يتناول بناءها اللّغويّ وخصائص تشكيّلها، وما يعتريها من إثباتٍ، ونفيٍّ، واستفهامٍ، وفيما تقدّمه وحداته مجتمعةً من معنًى، سواءً أكان ذلك عن طريق التّقديم والتّأخير، أم الفصل والوصل، أم غيرها من الأساليب⁴. وبناء عليه، يتّضح بجلاء أنّ علم المعاني يبحث في صميم الأسلوب العربي وطرقه المختلفة في إيصال المعنى المراد إلى المخاطب⁵، لأنّه «تتبع خواصّ تركيب الكلام في الإفادة، وما يتّصل بها من الاستحسان وغيره؛ ليحتزّز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره»⁶. وخواصّ تراكيب الكلام تقدّمها الإحالة بمطالب النّحو في تصريف أبوابه بحسب ما يقتضيه النّحو⁷.

¹ القزويني، جلال الدّين، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: عبد المنعم خفاجي، دار الجليل-بيروت، ط3، 1414هـ/1993م: 5/1.

² المرجع نفسه: 4/6.

³ المرجع نفسه: 54/1.

⁴ ينظر: مصطفىاوي، عبد الجليل، "ظاهرة الفصل والوصل بين النّحو والبلاغة" (رسالة ماجستير، كلىّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، دمشق-سوريا، 1407هـ-1987م): 1.

⁵ ينظر: المرجع نفسه: 1.

⁶ السّكاكي، أبو يعقوب، مفتاح العلوم. تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، ط2، 1407هـ-1987م: 161.

⁷ ينظر: عيّاد، شكري، التّقد والبلاغة: 60.

فعلُ النحو إذاً، هو مادّة علم المعاني¹، وذلك لأنّ مجال البحث في علم المعاني هو البناء النحويّ للجملة²؛ ومن هنا جاءت تسميته بـ "علم معاني النحو"³.

وقد عني سيويه (ت180 هـ) في منهجه بالدلالة ومعاني النحو، ويتجلّى ذلك ممّا أثبتّه في مصنّفه الشّهير "الكتاب" من مباحث هي في أصلها من أبواب علم المعاني كالحذف والزيادة، والذكر والإضمار، والتّقديم والتّأخير، والتّعريف والتّنكير، وغير ذلك.⁴

واللّغة نظامٌ من العلاقات التركيبيّة، حيث إنّ الجملة تتألّف من عدّة معانٍ جزئيّة، تتفاعل فيما بينها، فلا يُفهم جزءٌ من دون النّظر في علاقته بالأجزاء الأخرى، فهي بناءٌ داخليّ متدرّجٌ يتشكّل في المفردات لإنتاج المعنى.

والمدخل الصّحيح للتّعريف على هذه العلاقات هو الجملة العربيّة ونظام تركيبها، والتّعريف على معنى الجملة للوصول إلى مبناها، وذلك عن طريق عقد صلةٍ وثيقةٍ بين (علم النحو) و(علم المعاني)، والذي نضجت ثمرته على يد شيخ البلاغة العربيّة عبد القاهر الجرجاني في نظريّته المعروفة بـ (النّظم)، وقد صرّح بهذه العلاقة بين النحو والمعاني، وكان يسمّي (علم المعاني) باسم (معاني النحو)، وهو علمٌ يقوم على فهم تراكيب بناء الجملة العربيّة وأسرارها.

وعلم المعاني يتركز في ذلك كلّهُ، على معطيات النحو العربيّ وأصوله. وبناءً عليه، فالجرجاني وإيمانه بأنّ مزية النّظم إنّما تكون بمراعاة قواعد النحو، نراه يَعرّض بالكلام لأهميّة حروف العطف⁵، والتّقديم والتّأخير وأوجهه وأسبابه⁶، وللحذف⁷، كحذف المبتدأ⁸، أو المفعول به¹، أو حذف الواو من الواو من

¹ ينظر: العثمان، خلود صالح، نحو المعنى بين النحو والبلاغة- أسلوب التّقديم والتّأخير أنموذجاً دراسة نصّيّة تطبيقية في نشر الرّسائل العربيّة. جامعة الملك سعود- المملكة العربيّة السّعوديّة، د.ط، 1433 هـ- 2021م: 346.

² ينظر: طبل، حسن، علم المعاني في الموروث البلاغيّ، مكتبة الإيمان بالمنصورة- مصر، ط2، 1425 هـ- 2004م: 11.

³ ينظر: الفيل، توفيق، بلاغة التّراكيب- دراسة في علم المعاني، مكتبة الآداب- القاهرة، د.ط، 1991م: 12.

⁴ ينظر: ناصف، علي نجدي، سيويه إمام النّحاة، عالم الكتب- القاهرة، د.ط، د.ت: 194-197، وحسين، عبد القادر، أثر النّحاة في البحث البلاغيّ، دار غريب للطباعة والنّشر والتّوزيع- القاهرة، د.ط، 1998م: 70.

⁵ ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز: مبحث الفصل والوصل (222-248).

⁶ ينظر: المرجع نفسه: مبحث التّقديم والتّأخير (106-141).

⁷ ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز: مبحث الحذف (146-172).

⁸ ينظر: المرجع نفسه: 146-152.

الجملة الحالية²، وأسباب الحسن في حذفها حيناً، وذكرها حيناً آخر³. ولعلّ هذا ما يؤكده عبد القاهر في "دلائل الإعجاز"، إذ يقول: «اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي تُحجّت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رُسمت لك؛ فلا تُخلّ بشيء منها، وذلك أننا لا نعلم شيئاً يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه؛ فينظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها في قولك: زيدٌ مُنطلقٌ، وزيدٌ ينطلقٌ، وينطلقٌ زيدٌ، ومنطلقٌ زيدٌ، وزيدٌ المنطلقٌ، والمنطلقٌ زيدٌ، وزيدٌ هو المنطلقٌ.

وفي الشرط والجزاء إلى الوجوه التي تراها في قولك: إن تخرج أخرج، وإن خرجت خرجت، وإن تخرج فأنا خارجٌ، وأنا خارجٌ إن خرجت، وأنا إن خرجت خارجٌ.

وفي الحال إلى الوجوه التي تراها في قولك: جاءني زيدٌ مسرعاً، وجاءني يُسرِعُ، وجاءني وهو مُسرِعٌ، أو هو يُسرِعُ، وجاءني قد أَسْرَعَ، وجاءني وقد أَسْرَعَ؛ فيعرف لكل من ذلك موضعه، و يجيء به حيث ينبغي له»⁴.

والصلة بين علمي النحو والمعاني صلةٌ طبيعيةٌ، لأهما يشتركان في خدمة المعنى وتأديته. فإذا كان النظام النحوي ينظم الأبواب النحوية ومعانيها داخل الجملة الواحدة، أو بين الجمل فيما بينها، فيدرس الجملة الشرطية، وهي جملتان: شرطٌ وجوابٌ، أو الجملة الاستفهامية التي قد تكون، أيضاً، جملتين: شرطاً وجواباً، كما يدرس النحو عطفَ الجمل بعضها على بعض. فإذا كان النحو ينطلق من دراسة نظام المفردات - حسب ما سبق - من دون الإخلال بالمعاني التي هي لها كالجواهر⁵؛ فإن علم المعاني يهتم بالجمال، وما يتصل بها كالإنشاء، والاستفهام، والقصر وغيرها⁶. يقول أحد الدارسين المحدثين في هذا الصدد: «إذا كانت الشّركة في دراسة الجملة قائمة بين علم النحو وعلم المعاني؛ فإنّ

¹ ينظر: المرجع نفسه: 153-170.

² ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز: 202-221.

³ ينظر: عتيق، عبد العزيز، في تاريخ البلاغة العربية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت، د.ط، د.ت: 252.

⁴ الجرجاني، دلائل الإعجاز: 81-82.

⁵ ينظر: التوحيد، أبو حيان، المقابسات، تحقيق: حسين السندوي، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة-تونس، ط1، 1991م: 61-62.

⁶ ينظر: المرجع نفسه: 63، وقطي، الطاهر، "الاستفهام بين النحو والبلاغة" (رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة حلب، دمشق - سوريا، 1407هـ-1987م): 3.

النحو يبدأ بالمفردات وينتهي إلى الجملة الواحدة، على حين يبدأ علم المعاني بالجملة الواحدة، وقد يتخطاها إلى علاقاتها بالجملة الأخرى في السياق الذي هي فيه».¹ غير أن علم المعاني يهتم أيضاً بالمفردات، فيدرس أحوال الإسناد، وأحوال متعلقات الفعل وما إلى ذلك. وعلى هذا، يكون علم المعاني المكمل الطبيعي لعلم النحو وامتداداً له.²

إن العلاقة الوحيدة بين هذين العلمين لا تتعدى إلى الزعم بأنهما علم واحد، وذلك كما يتضح في قول أحد الدارسين: «إن علم المعاني أساس البلاغة، وأقوم علوم اللغة، فينبغي أن نرعاها ونزيده العناية، ونوضح صلته بالنحو؛ لأتأهما علما متكاملان».³

غير أن الحقيقة أن علمي النحو والبلاغة علما متكاملان، وهذا لا يعني، بأي حال من الأحوال، أنهما علم واحد، إذ إنه لو كانا كذلك لما كان هناك من داعٍ للفصل بينهما. فالمعنى النحوي، مثلا، الذي يتحدد بالقرائن في سياق معين، لا تلازمه أمور أخرى خارجة عن إرادة المتكلم. فالمتكلم يعتمد إلى الفاعل، مثلا، فيضعه في الموضع الذي وضعته فيه العرب، ويضيف عليه من الصفات والخصائص ما يميزه عن القرائن الأخرى ليؤمن لبس المخاطب. وهذه على العموم، هي حدود المجال النحوي، فهو لا يتعدها. ولكن قد يحتكم المتكلم إلى "علم المعاني"، وذلك حين يراعي هذا المتكلم ما يسمى عند البلاغيين، مقتضى الحال، كما يراعي المقام في مقاله⁴؛ إذ يقوم تحليل البلاغي لكلام هذا المتكلم على هذه الناحية البلاغية. ولكن، هل يجوز للبلاغي أن يتساءل مثلا، لم رُفع الفاعل ونُصب المفعول به؟، فالإجابة تكون بالنفي، لأن هذا مما يختص به النحوي فقط، إلا أن الشيء الواضح، هو أن البلاغي لكي يصل بتحليله إلى مستوى يكون أدخل في الذوق والمرونة اللغوية، عليه أن يبني نظريته التحليلية على التركيب النحوي للجملة؛ فيعرف، مثلا، أن لها (أي الجملة) عند النحاة ركنين: مسندا ومسندا إليه، يتحددان بحسب طبيعة الجملة اسمية كانت أم

¹ حسان، تمام، الأصول - دراسة استمولوجية للفكر اللغوي عند العرب - النحو، فقه اللغة، البلاغة، دار الثقافة، الدار البيضاء - المغرب، ط 1، 1401هـ - 1981م: 341.

² ينظر: قطبي، الطاهر، رسالة الماجستير الموسومة ب: "الاستفهام بين النحو والبلاغة": 3.

³ المبارك، مازن، الموجز في تاريخ البلاغة العربية: 13.

⁴ فعلم المعاني، كما تدل عليه تسميته، يبدأ من منطلق المعنى باحثاً له عن المبنى، ولأمر ما قال البلاغيون: "لكل مقام مقال"، فالمعنى هو الذي يقتضي الذكر أو الحذف، والإظهار أو الإضمار، والتقدم أو التأخير، والفصل أو الوصل، والخبر أو الإنشاء، والقصر أو الإطلاق، وغيرها من المقامات التي تقتضيها المقامات المناسبة لها. ينظر: حسان، تمام، الأصول: 344.

فعليّة¹، وأن يُدرك أنّ الأصل هو: "الرتبة بين عناصر الجملة"²، وقد يُعدّل عنها إلى التّقديم والتّأخير³؛ فينتج عن ذلك تركيبٌ (بناءً) جديداً للجملة، كأنّ يتقدّم المفعول على الفاعل، أو على الفاعل والفعل معاً، أو يتقدّم الخبر على المبتدأ، وغيرها من التّغيّرات الحاصلة في موقع بعض المعمولات النّحويّة التي قد تخرج إلى أغراضٍ بلاغيّةٍ وأدبيّةٍ، بخروجها عن الأصل في وضعها داخل الجملة.

ونظراً إلى أنّ فكرة العامل قد استحوذت على النّحاة إذ انشغلوا بالتّفريع والتّقسيم ومحاولة التّفعيد، ظلّت معالجتهم لبناء الجملة العربيّة محصورة في الجانب اللفظي، في حين كان البلاغيّون أكثر شمولاً ودقّةً إذ تناولوا الجانب المعنويّ، وجعلوه أساساً لبناء علمٍ جديدٍ سمّوه (علم المعاني). وكان من نتيجة ذلك انشطار علم بناء الجملة إلى شطرين متغايرين، شطر عند النّحاة يُعنى بالجانب اللفظي، وشرط عند البلاغيّين يُعنى بالجانب المعنوي⁴.

وقد بذل عبد القاهر الجرجاني جهوداً قيّمةً في فهم بناء الجملة، وتعلّق بعضها على بعض، وما نتج عنه من نظمٍ وترتيبٍ؛ في سبيل إيضاح المعنى النّحوي الدّلاليّ في التّركيب والسّياق. فالنّحو عنده يتحدّد في مستويين، أحدهما: البناء العقليّ الباطنيّ، والآخر: البناء اللفظيّ الظّاهر، «ذلك أنّك ترتّب المعاني أولاً في نفسك ثمّ تحذو على ترتيب الألفاظ في نطقك»⁵، ومعنى

¹ ينظر: حسّان، تّمّام، الأصول: 138.

² فيعلم مثلاً، أنّ الأصل في ترتيب عناصر الجملة الفعلية هو تقدّم الفعل أولاً، ثمّ مجيئ الفاعل ثانياً، وتأخّر المفعول به عنهما ثالثاً. وأنّ تقدّم المبتدأ على خبره في الجملة الاسميّة هو الأصل. وتقدّم صاحب الحال على الحال هو المعروف في كلام العرب، وغيرها من الأحوال المألوفة في تعلّق مختلف العوامل والمعمولات ببعضها ببعض داخل البناء اللّغويّ للجملة العربيّة. ينظر: مثلاً: ابن جنيّ، الخصائص: 293/1-300.

³ حسّان، تّمّام، الأصول: 138.

⁴ ينظر: المحنش سلام، "معاني النّحو أو (علم المعاني) عند النّحويّين والبلاغيّين والصّعوبات التي تواجه النّاطقين بغير العربيّة إزاء ذلك". عن موقع <http://www.m-a-arabia.com/vb/showthread.php?t=34906> تاريخ الوضع على الشّابكة: 10-01-2018 على السّاعة 12 و10 دقائق ظهراً. تاريخ النّقل عنه: 17 ديسمبر 2020 على السّاعة 14 و37د.

⁵ الجرجاني، دلائل الإعجاز: 454.

ذلك، أن متلقي اللغة بين مستويين: مستوى لفظي منطوق يمكن ملاحظته، ونشاط عقلي لا يمكن ملاحظته.¹

ويزيد هذا الدارس موضحاً أن تحويل الدرس النحوي من منهجه اللفظي إلى المنهج الذي يضع المعنى في المقام الأول، هو العتبة للدخول إلى النظام النحوي، وفهم تراكيبه، وهو ما يعرف عند تشومسكي بـ (البنية العميقة والبنية السطحية)؛ إذ المعنى المنتج يعكس أشكال الفكر الإنساني، ومن ثم لا بد من إدراك كيفية تشكيله على السطح، من خلال رصد القوانين التي تحقق ذلك؛ وعلى هذا، فعند التوجه للنحو ينبغي النظر فيما بين المفردات من علاقات، بوصفها مجسدة للنشاط العقلي ومصورة له، وما يوظف المتكلم من إمكانات نحوية في تشكيل البنية الخارجية؛ لأن الألفاظ لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها، ذلك أن الفكر لا يتعلق بمعاني الألفاظ ذاتها، وإنما يتعلق بما بين المعاني من علاقات، وهذه العلاقات ليست إلا معاني النحو²، يقول الجرجاني: «فلا يقوم في وهم، ولا يصح في عقل، أن يتفكر متفكراً في معنى فعل من غير أن يريد إعماله في اسم، ولا أن يتفكر في معنى اسم من غير أن يريد إعمال فعل فيه وجعله فاعلاً له أو مفعولاً، أو يريد منه حكماً سوى ذلك من الأحكام، مثل أن يريد جعله مبتدأ أو خبراً أو صفة أو حالاً، أو ما شاكل ذلك».³

إذاً، فاللغة معاني بالدرجة الأولى، يقول عبد القاهر في هذا الشأن: «...وأنتك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك، لم تحتج إلى أن تستأنف فكراً في ترتيب الألفاظ، بل تجدها تترتب لك بحكم أنها خدّم للمعاني، وتابعة لها، ولاحقة بها، وأن العلم بمواقع المعاني في النفس، علم بمواقع الألفاظ في النطق»⁴، فاهتمام عبد القاهر منذ البداية كان منوطاً بالنشاط العقلي بوصفه أصل الأداء، ثم يأتي الرمز اللغوي في مرحلة تالية، بحيث لا يطغى الرمز (الدال) على المرموز إليه (المدلول)،

¹ ينظر: المحنش سلام، معاني النحو أو (علم المعاني) عند التحويين والبلاغيين والصعوبات التي تواجه الناطقين بغير العربية إزاء ذلك. مرجع سابق.

² ينظر: المحنش سلام، معاني النحو أو (علم المعاني) عند التحويين والبلاغيين والصعوبات التي تواجه الناطقين بغير العربية إزاء ذلك. مرجع سابق.

³ الجرجاني، دلائل الإعجاز: 410.

⁴ المرجع نفسه: 54.

فمثلاً: المبتدأ ليس مبتدأ لأنه منطوقٌ به أولاً، ولا الخبر خبراً لأنه مذكور بعد المبتدأ، بل كان المبتدأ مبتدأً لأنه مسندٌ إليه، ومُثَبِّتٌ له المعنى، والخبر خبرٌ لأنه مسندٌ ومُثَبِّتٌ به المعنى.¹

كما أنَّ عملية إدراك المعنى تبدأ من إدراك المستوى المحسوس، فالعلاقة بينهما متداخلة ومتشابكة؛ لأنَّ التَّغَيُّرَ في النَّشاط العقليَّ الباطنيَّ يوازيه بالضرورة تَغَيُّرٌ في الشَّكل الخارجي للصِّياغة؛ إذ إنَّ المتكلمَ يوظِّف الاحتمالات والإمكانات النحويَّة في التَّراكيب؛ وصولاً إلى القيمة الحقيقيَّة.

وبهذا، عند إعداد الموادِّ التعليميَّة تتم معالجة التَّراكيب النحويَّة بطريقة وظيفيَّة، ومتدرِّجة تبدأ من السَّهل إلى الصَّعب، ومن البسيط إلى المركَّب، ومن المعلوم إلى المجهول؛ ابتداءً من تركيب الجملة في صورتها البسيطة المتمثِّلة في (العلاقة الإسناديَّة) والتي هي أساس تكوين الجملة العربيَّة، إذ تربط بين عنصرين لغويَّين بلا واسطة لفظيَّة، أحدهما: المسند، والآخر: المسند إليه، والعلاقة الإسنادية إمَّا أن تكون في إطار الجملة الاسميَّة، فتقوم بين المبتدأ والخبر، وإمَّا أن تكون في إطار الجملة الفعليَّة، فتنشأ بين الفعل أو ما يعمل عمله، والفاعل أو نائبه.²

وقد عبَّرَ إمام النَّحاة سيبويه عن العلاقة الوثيقة بين طرفي الإسناد بقوله: «هما ما لا يُعْنِي واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلمُ منه بداً».³ ويشبَّه النَّحاة العلاقة بين الفعل والفاعل كجزأَي كلمة لا يُسْتَعْنَى بأحدهما عن الآخر.

ولمزيد بسطٍ وبيان، نوردُ كلاماً جميلاً لأحد الدَّارسين في شرح العلاقة الوطيدة بين علمي النَّحو والمعاني، إذ يقول في ذلك شارحاً: إنَّ «علم المعاني هو ثمرة علم النَّحو وغايته، وبه يُعرَفُ أسرار اختيار وجوه التَّراكيب، وشرط صحَّة الإعراب؛ فهو يبحث في سرِّ الإعراب بعد أن يكون الكلام قد استوفى حقَّه من السَّلامة عن اللَّحن. وعلى المعني بعلم المعاني أن يكون مُتَضَّلِعاً في علم الإعراب مُتَمَكِّناً فيه عارفاً بظواهره وخافيه، وأن يكون على درايةٍ بمسائل الخلاف عند أهله؛ لأنَّ في ذلك مَلاحِظَ نفيسةٍ في علم المعاني، وكَوَامِنٍ يُدركها أهلُ هذا العلم، ولكلِّ وجهٍ في الإعراب غرضٌ ونُكْتةٌ لا يُشْتَرَطُ أن تكون ظاهرةً معلومة».⁴

¹ ينظر: المرجع نفسه: 189.

² ينظر: المحنش سلام، "معاني النَّحو أو (علم المعاني) عند التَّحويِّين والبلاغيِّين والصَّعوبات التي تواجه التَّاطقين بغير العربيَّة إزاء ذلك". مرجع سابق.

³ سيبويه، أبو بشر، الكتاب، تحقيق: عبد السَّلام محمَّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 2004: 23/1.

⁴ العمريِّ ظافر، "صلة علم النَّحو بعلم المعاني". عن موقع: <http://www.alfaseeh.com/vb/showthread.php>.

ولأنَّ علم النحو هو ثمرة علم النحو وغايته كما سبق معنا في الكلام المستشهد به أخيراً؛ ف«إنَّ إقصاء النحو عن معانيه يُحيله قواعد جافّة، وقوانين جامدة، ويُفقده أهمّيته في الكشف عن وجه الإعجاز القرآني، ويُبعده عن وظيفته في الوقوف على الخصائص التعبيرية والأسلوبية في اللغة، وفي استخلاص أسرار تركيب الكلام وتحليل الوجوه البلاغية فيه.

ولعمق الصلة بينه وبين علم المعاني، بل إنَّ موضوعهما واحد؛ فهما يبحثان القوانين التي يجب مراعاتها في تأليف الكلام، والعلاقات القائمة بين الكلمات في الجملة وبين الجمل بعضها مع بعض، وأثر ذلك على أداء المعنى المطلوب»¹.

ومن كلّ هذا الذي أوردناه، يمكننا القول مستنتجين إنَّ علم البلاغة لا يكتفي بمعالجة النصوص قصد إبراز مظاهر الحسن والجمال فيها وحسب، وإنّما يبحث أيضاً في الرتبة المحفوظة، وغير المحفوظة من الناحية الدلالية للجملة. والبلاغيون بعملهم هذا، إنّما أفادوا من عمل النحاة؛ فهم الذين حدّدوا الرتبة في الكلام، وجعلوها محفوظةً وغير محفوظة، فعمدوا إلى هذه الأخيرة، و«منحوها دراسةً أسلوبيةً هامةً تحت عنوان "التقديم والتأخير"، ومعنى هذا أنّ التقديم والتأخير البلاغي وثيق الصلة بقرينة الرتبة في النحو، ولكنّه لا يمسّ الرتبة المحفوظة، لأنّها محفوظة فلا تختلف عليها الأساليب»². وهذا ما يؤكد، دون أدنى ريب، حاجة البلاغي في دراسته إلى إدراك قواعد علم النحو، وتوخي معانيه.

وتأسيساً على هذا، فإنّ هذه الحدود التي توضّح معالم كلا العلمين، ما هي إلّا فواصل اعتبارية، لأنّه لا يتحقّق جمالٌ معنويٌّ مرغوبٌ في أيّ كلام، إلّا بملاءمة أوضاع الكلمات النحوية لما يقتضيه المقام من التعبير عن المعاني المختلفة، وهو مجال بحث "علم المعاني" الذي لم يستوعب في بحوثه ودراساته كلّ الأوضاع النحوية وأسرار بلاغتها.³

تاريخ الوضع على الشّابكة: 2010/10/04 على الساعة: 05 و 21 دقيقة مساءً. تاريخ النّقل عنه: 20 جانفي 2021 على الساعة 11 و 43 دقيقة صباحاً.

¹ هذا الكلام للأستاذة الباحثة الأردنية روضة عبد الكريم، مأخوذ عن موقع: <http://www.alfaseeh.com/vb/showthread.php> تاريخ الوضع على الشّابكة: 2010/10/04 على الساعة: 05 و 21 دقيقة مساءً. تاريخ النّقل عنه: 20 جانفي 2021 على الساعة 11 و 43 دقيقة صباحاً.

² حسان، تمام، الأصول: 341.

³ ينظر: قطبي، الطاهر، رسالة الماجستير الموسومة بـ: "الاستفهام بين النحو والبلاغة": 4.

إذًا، فالصلة التي تربط علمي النحو والمعاني وطيدة أكيدة، واعتماد كل منهما على الآخر، وخدمته له دليل على ذلك.

3- أبواب علم المعاني:

إنّ علم المعاني أحد أبرز أقسام البلاغة التي أولاها الدارسون اهتمامًا بالغًا لما لها من أثر مباشر على المعنى المراد إيصاله للمتلقّي، وقد عمد الدارسون وعلماء البلاغة واللغة إلى وضع مفاهيم تحدّد المقصود بهذا العلم بشكل واضح وتامّ، ومن أبرز هؤلاء العلماء السكاكي (ت 626هـ) في كتابه الموسوم بـ "مفتاح العلوم" حيث قال معرّفًا إيّاه بأنّه: «يتتبع خواصّ تركيب الكلام في الإفادة، وما يتّصل بها من الاستحسان وغيره؛ ليحتزّز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما تقتضي الحال ذكره».¹

وقد قام الكثير من تلاميذ السكاكي وغيرهم بتقديم شروحات مبسّطة لما جاء عن علم البلاغة في كتاب مفتاح العلوم -ولا سيّما المفاهيم-، وقد تناولوا علم المعاني على أنّه العلم الذي يتناول الطّرق التي يتّبعها المتكلّم في سبيل إيصال المعنى، وتشمل عدّة أقسام منها: الخبر، والإنشاء، والتّقديم والتّأخير، والحذف والدّكر، والتّعريف والتّنكير، والقصر، والفصل والوصل، كما قاموا بشرح الشّواهد التي وردت عن العرب من الشّعْر والنّثر، بالإضافة إلى نماذج من مصادر اللّغة كالقرآن الكريم والسّنة النبويّة والأمثال العربيّة.²

أ- مباحث علم المعاني:

*الخبر:

يُعَدُّ الخبر أحد الأساليب التي تندرج تحت قسم علم المعاني في البلاغة العربيّة، ويُقصد به الكلام الذي يحتمل الصّدق أو الكذب، ويُشير إلى مطابقة الواقع أو عدمه، وهو يتنوّع بين الجمل الاسميّة التي تدلّ على الثّبوت، والجمل الفعلية التي تدلّ على أحداث ووقائع³، وتُقسّم الأساليب الخبريّة إلى ثلاثة أنواع تبعًا لحال المخاطب إلى خبر ابتدائيّ يُستخدَم خاليًا من المؤكّدات إذا كان

¹ السكاكي، مفتاح العلوم: 70.

² عتيق، عبد العزيز، في البلاغة العربيّة علم المعاني، البيان، البديع، دار الطّباعة العربيّة للنّشر، د.ط، د.ت: 26، وما بعدها.

³ ابن سلمان، أحمد محمّد عبد الله، (المزاوجة بين الخبر والإنشاء في النّظم القرآني، رسالة ماجستير، إشراف: فاروق الطّيب البشير، جامعة أم درمان الإسلاميّة، معهد بحوث ودراسات العالم الإسلاميّ، 1427/05/11-2006/06/08م): 39.

ذهن المخاطب خالياً من الخبر، نحو: "حِفْظُ اللِّسَانِ رَاحَةُ الْإِنْسَانِ"، وخبرٌ طلبِيٌّ يستعينُ فيه المتكلمُ بمؤكِّدٍ واحدٍ لحاجة المخاطب للتأكيد نظراً إلى تردُّده بين التّصديق والتّكذيب، نحو: "إِنَّ أَخَاكَ مَنْ آسَاكَ"¹، وخبرٍ إنكاريٍّ يستخدم حين يكون المخاطب منكراً للخبر غير مُصدِّقٍ له، وحينئذٍ يحتاج المتكلم إلى أكثر من أداة تأكيد لإثبات كلامه²، وهو على نحو: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾³. ومن نماذجه أيضاً، نذكر قول الله جلّ في علاه: ﴿وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾⁴، إذ تُعدُّ هذه الآية الكريمة شاهداً بارزاً من شواهد علم المعاني في القرآن الكريم، إذ تمثّل لونين من ألوان علم المعاني، أحدهما: الخبر حيث إنّ الآية تحمل أسلوباً إخبارياً، والآخر هو التّقديم والتّأخير المتمثّل في قوله تعالى: ﴿شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾؛ حيث قدّم الخبر على المبتدأ لإفادة الاختصاص أي: اختصاص الأبصار بالشُّخص دون غيرها.⁵

* الإنشاء:

وهو قسم من الأقسام التي يتضمّن علم المعاني، وهو النّظير المقابل للخبر، فبينما يدلّ الخبر على الكلام القابل للتّصديق والتّكذيب، فإنّ الإنشاء يدلّ على الكلام الذي لا يحتمل التّصديق أوالتّكذيب، وينقسم الإنشاء إلى قسمين رئيسيين هما: إنشاء طلبِيٌّ، وغير طلبِيٍّ.⁶

* التقديم والتأخير:

يُعدُّ التّقديم والتّأخير من أبرز الملامح البلاغيّة التي تندرج تحت قسم علم المعاني، وقد أولاها الدّارسون وعلماء اللّغة اهتماماً بالغاً لما لها من أثرٍ مباشرٍ على المعنى المراد إيصاله، ولصلتها الوثيقة بالمفهوم الأساسيّ للبلاغة والذي يقوم على مطابقة الكلام لمقتضى الحال، إذ إنّ تعريف البلاغة عند

¹ ينظر: صيني، محمود إسماعيل، وناصف، مصطفى عبد العزيز، ومصطفى أحمد سليمان، معجم الأمثال العربية، مكتبة لبنان، ط1، 1992م: 79.

² ابن سلمان، أحمد، المزاجية بين الخبر والإنشاء في النظم القرآني: 16، 39، مرجع سابق.

³ القلم: 04.

⁴ الأنبياء: 97.

⁵ ينظر: عطية، آية، أقسام البلاغة في اللّغة العربية"، مرجع سابق، نقلاً عن أحمد سعدون، دواعي التّقديم والتّأخير وسياقاتها في القرآن الكريم، 3.

⁶ ينظر: ابن سلمان، أحمد، المزاجية بين الخبر والإنشاء في النظم القرآني: 21، مرجع سابق.

الجاحظ وغيره من علماء اللغة يجمع على أن يكون الكلام ملتصقاً بحسن الموقع والمعرفة بساعات القول.¹

وقد اهتمَّ النحويون بظاهرة التقديم والتأخير، ومن أبرزهم: سيبويه والسيكاكي وعبد القاهر الجرجاني، لما لها من أثرٍ على التركيب النحوي للجملة الأساسية وانعكاس هذا التركيب على المعنى المقصود.²

وللتقديم والتأخير أسبابٌ كثيرةٌ نحويةٌ كانت كالتقديم المفعول به على الفعل والفاعل وجوباً، وكأن يكون المبتدأ من الأسماء التي لها الصدارة في الكلام، أو بلاغيةٌ تحقيقاً لمقصود معين يُلبّي احتياج المتكلم وحال المخاطب، كالتشويق، أو إفادة التعميم، أو التخصيص، أو تعجيل المسرة أو الإساءة، أو بغرض الحفاظ على الوزن الشعري أو الفاصلة النثرية، وهنا قد يتطرق المتكلم للتقديم والتأخير لمراعاة الإيقاع الموسيقي الذي يقوم عليه النص الشعري أو النثري.³

* الحذف والذكر:

تُعَدُّ ظاهرة الحذف والذكر من أبرز الظواهر البلاغية في اللغة العربية وإن كانت غير مقصورة عليها، فهي ظاهرة شائعة في معظم اللغات التي تميل للإيجاز والاختصار، وقد مال العرب إلى الحذف كثيراً حيث تكمن روح البلاغة في الكلام الذي يقدم المعنى الكامل من خلال أقل عدد ممكن من الألفاظ ويكون الحذف لأسباب عديدة منها تجنب الإطالة على المستمع، وكثرة الاستعمال.

* التعريف والتذكير:

لقد تناول النحويون مسألة التعريف والتذكير من جانب علاماتها الإعرابية ومكانتها في التركيب اللغوي⁴، ولم يُغفل البلاغيون الحديث عن ظاهري التعريف والتذكير، فقد تناولوها من جوانبها الجمالية وجوانب أثرها المباشر على المعاني باعتبارها قسماً أساسياً من أقسام علم المعاني، ولم

¹ ينظر: الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مؤسسة الخانجي، القاهرة، ط3، 1948م: 89.

² ينظر: دقيش، نوال، (التقديم والتأخير بين القاعدة النحوية والقيمة البلاغية - معلقة الأعشى نموذجاً، مذكرة ماستر، إشراف: غتام رشيد، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي - الجزائر، 1437-1438 / 2015-2016م): 27.

³ ينظر: المرجع نفسه: 28.

⁴ ينظر: الصرايرة، نوح عطا الله، (التعريف والتذكير بين النحويين والبلاغيين دراسة دلالية وظيفية - نماذج من السور المكية، رسالة ماجستير، إشراف: يوسف القمّاز، جامعة مؤتة، عمادة الدراسات العليا، 2007م): 01-70.

يخالف البلاغيون النحويين في ترتيبهم وتقسيمهم لأنواع النكرات والمعارف، إلا أنهم تناولوها بقصد الغاية الجمالية التي تحقّقها في النصوص التي تردّ فيها.¹

* الفصل والوصل:

يُعَدُّ الفصل والوصل من أبرز أقسام علم المعاني البلاغية التي وقف عندها الدارسون وعلماء اللغة كثيراً، وحاولوا تحديد مواضعها ومجريات الإفادة منها في تحميل النصوص وإكساب مضمونها المزيد من الفائدة، ونشير هنا إلى اختلاف علماء البلاغة في تناوله وتحديد مفاهيمه ولم يستقرّ مفهوم "الفصل والوصل" على حاله كبابٍ من أبواب علم المعاني إلا عند عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز.²

وقد تضمّنت مصادر اللغة والأدب العديد من الشواهد على مواضع الفصل والوصل البلاغية ومنها قول الحق سبحانه في كتابه المجيد: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.³ وهذه الآية الكريمة تتضمّن عدّة مواضع للوصل البلاغي التي أُستُخدمت فيه أدوات الرّبط للوصل بين الصّور المتعدّدة والمعنى المراد بالصّور المتلاحقة.⁴

* القصر:

يُعَدُّ القصر من الظواهر البلاغية التي تندرج تحت علم المعاني، ولها أثرٌ بالغٌ في تشكيل المعنى وتوجيهه للمتلقّي، وقد تعدّدت تقسيمات القصر عند البلاغيين وتشعّبت إلى الحدّ الذي يجعل فيه القصر مادّةً بلاغيةً كاملةً منفصلةً عن غيرها من الأقسام البلاغية، فقد قسّموه باعتبار طرفيه إلى قصر

¹ ينظر: الصّرايرة، نوح عطا الله، (التعريف والتّكثير بين النّحويّين والبلاغيّين دراسة دلاليّة وظيفيّة- نماذج من السّور المكيّة: 71، وما بعدها.

² ينظر: سنوسي، مريم، ووسام بداني، (الفصل والوصل في سورة التّور-مقاربةً لسانيّة نصيّة، مذكرة ليسانس، إشراف: موساوي فريدة، جامعة أكلي محمد أولحاج، البويرة- الجزائر، 2013-2014م): 10.

³ التّور: 35.

⁴ ينظر: سنوسي، مريم، ووسام بداني، (الفصل والوصل في سورة التّور-مقاربةً لسانيّة نصيّة): 22-25.

صفة وموصوف، وقسموه باعتبار الحقيقة إلى قصر حقيقي وقصر إضافي، وقسموه باعتبار المخاطبين إلى قصر قلب وإفراد وتعيين، وقسموه باعتبار غرض المتكلم إلى حصر حقيقي وحصر إضافي.¹ ومن أمثلة القصر وشواهد استخداماته لدى البلاغيين قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾²، إذ تتضمن هذه الآية الكريمة شاهداً على توظيف أسلوب القصر كأسلوب بلاغي يفيد حصر الفاعل بالمفعول به من خلال أداة الحصر "إنما".³

ولأن موضوع بحثنا هو ظاهرة القصر اللغوي، فإننا سنخصّصها فيما تبقى من هذا القسم من الدراسة بالتعريض ولو بإيجاز لأهمّ منابعه، وبنوعٍ من التفصيل لمسألة أبرز الدراسات التي تناولت هذا المبحث اللغوي بالمعالجة والتحليل من حيث النظر في توجّهات أصحابها في دراساتهم اللغوية لها، بمعنى الجوانب التي طرّقوها منها.

4- منابع القصر:

يعدّ أسلوب القصر واحداً من أساليب اللغة العربية الذي لا يخلو منه كلام العرب شعراً ونثراً، بل إنه لا تكاد صفحة من صفحات في كتابٍ ما من كتب العربية إلّا وتجد فيها تراكيب لغوية حوت في طياتها أنموذجاً أو أكثر لأسلوب القصر بطريقٍ من طرقه المختلفة، وعلى الرغم من انتشاره في الكلام، وجريانه على الألسنة والأقلام غير أنّه لم يحظَ بنصيبٍ وافرٍ من العناية والاهتمام بالخصوص في الدرس اللغوي القديم، ونعني بكلامنا هنا، أنّ موضوع أسلوب القصر كظاهرة لغوية لم يؤلّف فيها علماؤنا القدامى الأجلاء كتباً ومصنّفاتٍ لذاها من أجل دراسة هذا الموضوع من كلّ جوانبه، وقد يرجع ذلك أساساً إلى أسبابٍ موضوعيةٍ أهمّها طبيعة الدرس اللغوي العربي، من جهة، وإلى أصول مبحث القصر في حدّ ذاته كونه واحداً من حالات الاستثناء الأربع المعروف بالمبرّغ أو الناقص؛ لذلك فإنّ معالجة دارسي القرون الهجرية الأولى والتي بعدها من النّحاة مثلاً إنّما كانت تندرج تحت

¹ ينظر: التصيرات، جهاد، "أسلوب القصر إنّما والاستثناء بعد النفي في الآيات القرآنية التي وصفت الحياة الدّنيا ومتاعها"، مجلّة دراسات - علوم الشريعة والقانون، المجلّد 41، العدد 01، 2014م: 5. وهذا ممّا سنتطرّق له بالتفصيل من موضعه في هذا البحث بحول الله وقوّته.

² فاطر: 28.

³ ينظر: التصيرات، جهاد، أسلوب القصر إنّما والاستثناء بعد النفي في الآيات القرآنية التي وصفت الحياة الدنيا ومتاعها: 5، مرجع سابق.

باب الاستثناء، حين نجد له بعض الحضور في دراسات البلاغيين على اختلاف أحجامها وتفصيلاتها في كتب علم المعاني بوصفه مندرجاً تحت بابيه من جهة أخرى.

وعموماً، هذه نظرة موجزة على بعض منابع موضوع القصر في كتب التراث على سبيل التمثيل لا الحصر، لأنّ هذا ممّا سنتبين ملامحه أكثر عندنا مع تقدّمنا في أجزاء هذا البحث تبعاً كما سيأتي.

لقد احتفظت كتب التراث ببعض الإشارات المتناثرة هنا وهناك بين طياتها قبل شيخ البلاغة العربيّة الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) عن موضوع القصر، لعلّ أبرزها ما يأتي ذكره من باب التمثيل لا الحصر:

أ- كتاب سيبويه (ت180هـ)، وهي أقدم الإشارات، أهمّها كان في "باب الاستثناء"¹ الذي عقده صاحب الكتاب، في مثل جملة: "مَا أَتَانِي زَيْدٌ" التي تدخل عليها أداة الاستثناء (إلا) في: "مَا أَتَانِي إِلَّا زَيْدٌ"، ومثاله في حالتي النصب على المفعوليّة، والجرّ بحرف الجرّ؛ لتوجّب الفعل لهذه الأسماء، ولتنفي ما سواها؛ فصارت هذه الأسماء مستثناة.²

ب- كتاب "الصّاحي"، والذي يقول فيه صاحبه أحمد بن فارس (ت395هـ) عن الفراء (ت207هـ) رأيّه بخصوص طريقي القصر بوساطة (إنّما) والنفي والاستثناء بأنّهما لا يأتيان في صدر الكلام، وإنّما ردّاً على كلام سابق، ونصّه على أنّ المثبت أو المقصور عليه هو المؤخّر بعد إنّما، مستدلاً في ذلك بقولهم: "إنّما قُمْتُ" و"إنّما قامَ أنا". إضافة إلى ردّه قول من قال بدلالة "إنّما" في هذا النوع من الأساليب على التحقير.³

ج- كما ينقل الزركشي (ت794هـ) عن الرّماني (ت384هـ) في تفسيره معنى (إلا)

¹ ينظر: سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب. تحقيق: محمد عبد السلام هارون، دار الجيل-بيروت، د.ط، 1991م: 310/2.

² ينظر: صّاح، عبيد درانة، أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغيّة، مطبعة الأمانة، مصر، ط1، 1406هـ-198م: 20. وهذه المعاني ممّا سيتمّ تفصيل القول فيها تبعاً.

³ ينظر: ابن فارس، أحمد، الصّاحي في فقه اللّغة العربيّة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، لأحمد بن فارس. تحقيق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1418هـ-1997م: 182-183، وما بعدها.

الملازمة للاختصاص بالشئ دون غيره؛ إذ إنك إذا قلت مثلاً: "جاءني القوم إلا زيداً"، فقد اختصت زيداً بعدم المجيء، وإذا قلت: "ما جاءني إلا زيداً"؛ فقد اختصته بالمجيء دون غيره، وإذا قلت: "ما جاءني زيد إلا ركباً"، فقد اختصته بهذه الحالة من المجيء دون غيرها.¹

هذا كله، إضافة إلى بعض شذرات ونفاتٍ نصادفها ماثلة في باطن بعض المصنفات، لتبقى دراسة عبد القاهر الجرجاني هي المعالجة الأولى القيّمة والمحیطة بعدید جوانب الموضوع، والتي فتحت الباب على مصراعيه لمن جاء بعده من أجل مزيد تحليل ومناقشة وإثراء لمباحث أسلوب القصر بمرور الزمن.

5- حظٌ مبحث القصر من الدراسات الحديثة وزوايا المعالجة:

أ- الكتب:

ونذكر منها:

* كتاب: "أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية"، للدكتور صباح عبيد من مائتين وأربع وستين -264- صفحة، وفيه دراساتٌ مستقلةٌ لهذا الموضوع اللغوي يمكن اعتبارها إحصائية من جهة، وأسلوبية دلالية من جهة أخرى؛ فجاءت مباحثه متنوّعة فيها أبرز علاقة القصر بالتوكيد، وتطرّق إلى أقسام القصر، كالحقيقي والإضافي بأنواعهما، كما أنّه خصّ موضوع المنفي في أساليب الإنذار في القرآن العظيم بمبحث من دراسته لأسلوب القصر في بضع صفحات، من دون أن يغفل النظر عن الذكر إلى أنّ معالجته لأساليب القصر في القرآن الكريم اقتضت على ثلاثة طرق فقط، وهي: ضمير الفصل، والنفي والاستثناء، وبوساطة "إنّما" عند الإمام أبي حيان الأندلسي محمد بن يوسف (ت 785هـ)، ثمّ عند شيخ البلاغة العربية عبد القاهر الجرجاني (ت 477هـ)، ليختتم كتابه بموازنة أقامها بين طرق القصر هذه. وعلى الرغم من كلّ هذا، إلّا أنّها تبقى دراسةً قاصرة عن الإحاطة بمباحث هذا الأسلوب من جميع جوانبه النحوية، والبلاغية، والدلالية، والجمالية.

* كتاب: "دلالات التراكيب"، لصاحبه الدكتور محمد أبو موسى، وهو من أكثر الدراسات تعمّقاً؛ إذ أفرد له فصلاً طويلاً من الصفحة: 14-191، وناقش فيه آراء المحدثين، وأوضح فيه مهمّة القصر ودوره في التراكيب؛

¹ ينظر: أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية: 20، مرجع سابق، نقلاً عن: الزركشي، بدر الدين، البرهان: 241/4.

* كتاب: "الاستثناء في التراث النحوي والبلاغي"، لصاحبه كاظم إبراهيم كاظم؛ وقد تطرّق فيه المؤلّف إلى دراسة مختلف جوانب هذا الموضوع محاولاً ملئمة جوانبه؛ إذ جاءت دراسته لهذه الظاهرة اللغوية في أربعة فصول. تناول في الأوّل منها مصطلح الاستثناء نشأة وتطوراً رابطاً كلامه هنا بذكر مصطلحات الدراسة، وهي: المفرغ، والقصر، والحصر، والاختصاص. وفي الفصل الثّاني أدوات الاستثناء من حروفٍ مثل "إلا"، وأفعالٍ نحو: "خلا وعداً وحاشاً"، وأسماءٍ كغير وسوى وبله ولا سيّما، وغيرها، لينتقل في الفصل الثّالث إلى بيان أنماط الاستثناء من متّصلٍ ومنقطعٍ ومفرغٍ. الأخير الذي يهتمنا؛ إذ درسه في عدّة مباحث، هي: شواهد في شبه النفي، وشواهد في النفي المعنوي، والعلاقة بين القصر وبين المفرغ، والعلاقة بين القصر وبين الحصر وبين المفرغ، والبعد الدلالي في المفرغ من خلال النّظرة البلاغية، ودلالة الحصر في الفعل المتعدّي، هل المفرغ نمط من الاستثناء؟، وأخيراً العلاقة بين البدل والمفرغ. أمّا الفصل الرّابع، فقد وسمه: قضايا نحويّة وتركيبية في الاستثناء درس فيها بعض المسائل كفضيّة العامل في المستثنى، وتقديم المستثنى، وتكرار المستثنى، وغيرها.

* ويولي هذا البحث من حيث القيمة العلميّة كتاب "علوم البلاغة"، لأحمد مصطفى المراغي، وإنّ كان يميل إلى المنهج المدرسيّ، ثمّ كتاب "جواهر البلاغة"، لأحمد الهاشمي الذي سار فيه على نهج سابقه، وقد ذكر أنّ الدافع الذي دفعه إلى التّأليف على هذه الطّريقة المدرسيّة هو اشتغاله بالمدارس الثّانويّة؛ فقال: «ولاشتغالي بتدريس البيان بالمدارس الثّانويّة، كانت البواعث داعيةً إلى تأليف كتاب "جواهر البلاغة" جامعاً للمهمّات من القواعد والتّطبيقات».¹

* ومنّ المراجع التي عرضت لموضوع القصر والتي كانت من أكثرها اتّباعاً للمنهج المدرسيّ، نذكر كتاب: "البلاغة الواضحة" تأليف علي الجارم ومصطفى أمين؛ إذ طرّق المؤلّفان هذا الموضوع اللّغويّ في جزء يمتدّ من الصّفحة: 216-226، استهلاً بطرح ستّة أمثلة بسيطة أمام القارئ تتضمّن في مجموعها تراكيب تحقّق فيها معنى التّخصيص، الأخير الذي أشار المؤلّفان إلى أنّه هو ما يُسمّيه البلاغيّون بالقصر، وبينا أنّ: (مَا وَإِلَّا، وَإِنَّمَا، وحروف العطف الثلاثة: لكنّ، وبلّ، ولا العاطفة، وتقديم ما حقّه التّأخير) هي ما تُسمّى عندهم بطرق القصر، ثمّ شرّحاً معنى قصر موصوف على صفة، وقصر صفة على موصوف، وبعدها أجمالاً قواعد أسلوب القصر في خلاصة.

¹ الهاشمي، أحمد، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تحقيق: يوسف الصّميلي، المكتبة العصرية-بيروت، د.ط، 1424هـ-2003م: 13.

* وكذلك كتاب "علم المعاني" لعبد العزيز عتيق، وقد خصَّ مبحث "القصر" بفصلٍ من الصَّفحة: (146-159). وقد صدَّره بتعريف مصطلح "القصر"، لينتقل بعدها إلى بيان أقسام أسلوب القصر، وهي: ثلاثة، أوَّلها بحسب الحقيقة والإضافة، وثانيها: بحسب حال المخاطب، وثالثها: بحسب طرقيَّ القصر، -أي: المقصور والمقصور عليه-. ثمَّ ختمَ كلامه عن هذه الظَّاهرة اللُّغويَّة بالحديث عن طرق القصر الأربعة، وهي: النَّفي والاستثناء، وإنَّما، والعطف، وتقديم ما حُقِّه التَّأخير.

كما خصَّ مبحث "التَّقديم والتَّأخير" في الجزء السَّابق مباشرةً لمبحث القصر من كتابه (الصَّفحات: 136-145)؛ إذ بيَّن أنواع التَّقديم، وقسَّمها ثلاثة أقسامٍ، يرجع الأوَّل منها إلى تقديم أحد رُكبيَّ الإسناد على الآخر، ويخصُّلُ الثاني بتقديم أحد متعلَّقات الفعل عليه، في حين أنَّ النوع الثالث مُختصُّ بدرجة التَّقدُّم في الذِّكر لاختصاصه بما يوجبُ له ذلك، وهو نوع من التَّقديم ممَّا لا يَحْصُرُهُ حدٌّ ولا ينتهي إليه، ويحيى في عدَّة صورٍ ليست هي موضوع حديثنا.

ووضَّح أهمَّ الدَّواعي والأغراض البلاغيَّة التي تُوجبُ التَّقديم والتَّأخير في الكلام؛ إذ تحدَّث في ثنايا هذا المبحث عن مسألة التَّخصيص التي يخرجُ إليها تقديمُ المسند إليه على المسند لِيُنفِذَ تخصيصه بالخبر الفعليِّ بشرط أن يكون مسبقاً بحرف نفْيٍ، نحو: "مَا أَنَا قُلْتُ هَذَا"، أو تقديم المسند وتأخير المسند إليه بقصد قَصْرِهِ عليه، نحو قوله جلَّ وعلا: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾¹؛ إذ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مُنْخَصَرٌّ فِي الْخَالِقِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أي: أَنَّهُ مُلْكٌ مَقْصُورٌ عَلَيْهِ وَحْدَهُ مِنْ دُونِ أَنْ يُجَاوِزَهُ إِلَى غَيْرِهِ.

* كتاب: "دلالات التَّقديم والتَّأخير في القرآن الكريم- دراسة تحليليَّة" لمنير محمود المسيري. تقديم: عبد العظيم المطعني وعلي جمعة. مكتبة وهبة، القاهرة-مصر، ط1، 1426هـ/2005م؛

* أمَّا كتاب "بُغْيَةُ الإيضاح لتلخيص المفتاح"، لعبد العال الصَّعِيدِي، مكتبة الآداب، القاهرة- مصر، د.ط، د.ت، 1420-1421هـ-1990م-2000م؛ الذي يقع في أربعة أجزاء، فقد كان شرحاً لكتاب الإيضاح. وقد جاء تناوله لموضوع القصر في (الصَّفحات: 3-26)، استهله بتعريف القصر، مُتَّبِعاً ذلك ببيان أقسامه، وهما الحقيقيُّ وغيرُ الحقيقيِّ (الإضافي)، لينتقل بعدها إلى

¹ الشُّورى: 49.

الحديث عن طرق القصر التي بدأها بالعطف، ثم النفي والاستثناء، ثم الأداة "إنما"، ليختتم كلامه هنا عن طرق القصر ببيان تحققه بتقديم ما حقه التأخير؛ وهي كلها طُرُقٌ يتأتى فيها أو بوساطتها قصرُ الموصوف على الصِّفة أو قصر الصِّفة على الموصوف.¹

وبعد ذلك، تطرّق المؤلّف إلى مسألة غاية في الأهمية وهي الفروق الكامنة بين طرق القصر المذكورة أعلاه، أشار خلال حديثه عنها إلى عدّة مسائل ذات صلة بأسلوب القصر كأصل تحقُّقه بما وإلا للخبر يجهله المخاطب وينكره، وكامتناع اجتماع لا العاطفة مع النفي والاستثناء، واستعمال إنما في هذا الأسلوب للخبر يعلمه المخاطب ولا ينكره، وذكره بعض المعمولات النحويّة التي تجبى محصورةً بإلا كالمبتدأ والخبر، والفاعل والمفعول وغيرها. إضافة إلى مسائل أخرى شرح فيها ما جاء في "الإيضاح" للخطيب القزويني (739هـ).

* إضافةً إلى "مذكرات الشيخ نوار" - وقد تعذّر علينا الحصول عليها على الرغم من محاولاتنا وتنويع طرق بحثنا - التي حوت دراسةً متعمّقةً لموضوع القصر -؛ إذ سعى فيها صاحبها إلى الخروج عن المعهود في بعض مفاهيم القصر، كاعتراضه على قول العلماء في تعريف القصر (بطريقٍ مخصوص) لأنّه رأى إطلاق المصطلح وعدم تحديده.²

ب- الرسائل الجامعيّة:

* رسالة ماجستير بعنوان: "القصر وأساليبه مع بيان أسرارها في الثُلث الأوّل من القرآن الكريم"، ماجستير من إعداد الطالبة نجاح أحمد عبد الكريم الظّهّار، تحت إشراف علي حسن محمّد العمّاري. جامعة أمّ القرى بمكّة المكرّمة، كليّة اللّغة العربيّة - المملكة العربيّة السّعودية، 1402-1403هـ/1982-1983م؛

* رسالة جامعيّة عنوّنها: "أساليب الإضراب والاستدراك في القرآن الكريم"، ماجستير لصاحبتها إنجا إبراهيم يحيى اليماني، من إشراف: أ/د. محمّد المختار محمّد موسى. جامعة أمّ القرى، كليّة اللّغة العربيّة - المملكة العربيّة السّعودية، 1410هـ-1990م، وقد حظي موضوع القصر

¹ ينظر: الصّعيدي، عبد العال، "بُغيةُ الإيضاح لتلخيص المفتاح" مكتبة الآداب، القاهرة - مصر، د.ط، د.ت، 1420-1421هـ/1990-2000م: 3-13.

² ينظر: الظّهّار، نجاح أحمد عبد الكريم، (القصر وأساليبه مع بيان أسرارها في الثُلث الأوّل من القرآن الكريم). رسالة ماجستير، إشراف: علي محمّد حسن العمّاري، جامعة أمّ القرى، كليّة اللّغة العربيّة، الدّراسات العليا - قسم الأدب، المملكة العربيّة السّعودية، 1402هـ-1403هـ/1982-1983م: 02-04.

بنصيب في هذا البحث بتخصيص فصله الثاني لعمل "لكن" الخفيفة ومواضعها، وهو ما يتطلب تتبعا لِمَا قر فيه من أحكام وتحليلات قد تكون مساعدة على فهم عمل هذه الأداة المركبة وتبين طريقة تحقّق معنى القصر بوساطتها؛

* رسالة جامعيّة موسومة: "أساليب الاختصاص والاستغراق في اللّسان العربيّ"، ماجستير من إعداد سميرة مسلم محمّد الجهني، تحت إشراف: د/ السيد رزق الطويل. جامعة أمّ القرى بمكة المكرمة، كليّة اللّغة العربيّة - المملكة العربيّة السّعودية، 1406-1407هـ، ومّا يندرج تحت موضوع القصر في هذه الرّسالة نجد ثلاثة مباحث:

* المبحث الثالث: الذي خصّته الباحثة للتّخصيص عن طريق "إنّما

* المبحث الرّابع: وقد كان مجالاّ خصبا لتناول مسألة التّخصيص عن طريق الاستثناء المفرغ

* المبحث الخامس: وجاء موسوما: التّخصيص عن طريق التّقديم والتّأخير

- وأمّا عن المراجع التي عرضت لجوانب جزئيّة فقط من هذه الظّاهرة اللّغويّة، فهي حسب ما أمكننا جمعه ما يأتي ذكره تباعاً:

أ- بحوثٌ جامعيّة:

1- "التّقديم والتّأخير بين النّحو والبلاغة"، وهي رسالة ماجستير من إعداد الطّالبة ميّ اليان الأحمر، دائرة اللّغة العربيّة ولغات الشرق الأدنى في كليّة الآداب والعلوم في الجامعة الأمريكيّة في بيروت-لبنان، أيار 2001م؛

2- رسالة ماجستير موسومة: "لكن" في القرآن الكريم - دراسة تركيبية دلالية، لصاحبها فتيحة عبيدة، أشرف عليها أ.د/ الحوّاس مسعودي، جامعة الجزائر - كليّة الآداب واللّغات، 2001م؛ وقد قدّمت الباحثة لعملها في دراسته لهذا الحرف تركيبياً ودلاليّاً من جهة أنّ للأدوات «دوراً فعّالاً في الكلام العربيّ، فمعظم معانيها أشدُّ تمكُّناً، وأكثر الكلام يُبنى عليها وفائدته تعود إليها؛ فهي من العوامل الجوهرية في تحقيق التّركيب النّحويّ، وقد كانت معاني الأدوات منشورة في كتب التّفاسير، إذ يتوقّف فهم العديد من مسائل الفقه على فهم معنى الحرف في سياقه، وهي منشورة أيضاً في شروح الدّواوين والمصنّفات النّحويّة والبلاغيّة... وقد بدا لي أن أسلُك نهجاً يتمثّل في تتبع أداة واحدة من الأدوات ودراستها قديماً وحديثاً، واخترتُ الأداة "لكن" لأنّها كثيره الدّوران في الكلام،

فهي تشغل حيزاً لا بأس به في الجملة العربية، ولكونها لم تحظَ بالدراسة من جانبها الدلالي التداولي¹.

وقد توصلت الباحثة إلى جملة من النتائج تُورِدُ أهمّها بإيجاز، وهي:

- * اختلاف البصريين والكوفيين في أصل "لكن" بين القائل ببساطتها والقائل بتركيبها، وانقسام المحدثين في هذا الأمر بين مؤيِّدٍ لرأي البصريين، ومؤيِّدٍ لرأي الكوفيين
- * جاءت "لكن" على ثلاثة وجوه في القرآن الكريم: (و+لكن)، (و+لكن)، (و+لكن)
- * "لكن" هي من الأدوات المختصة بالأسماء، وقد وردت مقرونةً بالواو في القرآن الكريم، وهي عاملة، وقد جاء خبرها متنوعاً بين وقوعه مفرداً، وجملة فعلية، أكثر وقوعه جملة فعلية فعلها مضارعٌ منفى بالأداة "لا" دون غيرها من الأدوات، ولم يأت خبرها جملة اسمية، ولا ظرفاً ولا جاراً ومجروراً؛
- * بدا لصاحبة البحث أنّه من الأفضل تقسيم "لكن" قسمين: أولهما تكون فيه عاطفة، وثانيهما تكون فيه حرف ابتداء²؛

- * ذهب أغلب علماء النحو إلى إهمالها عند تخفيفها، وهو الرأي الأوفق لعدم اختصاصها بواحد من الأسماء والأفعال، ولا يعمل إلّا ما يختصّ خلافاً ليونس والأخفش اللذين يُعمِلانها عند التخفيف.
- وقد ورد الحرف "لكن" ساكنة النون في القرآن الكريم لا تعمل في اسمٍ ولا فعلٍ، وقد جاءت مقرونةً بالواو ما عدا ستّ آياتٍ وردت فيها من دون الواو متبوعةً بجملة اسمية، وقد غلب مجيء الجملة الفعلية بعد (و+لكن) في القرآن الكريم؛
- * وردت "لكن" في بعض الآيات القرآنية لقصر القلب³ وغيرها من النتائج الأخرى المتوصل إليها، والتي لا يسمح المقام بذكرها كلّها.

3- إضافة إلى رسالة جامعية موسومة: "الحصر والقصر في القرآن الكريم-دراسة بلاغية"

من إعداد الباحث سمير محسن مثنى أحمد، جامعة الإيمان-اليمن 2009 م، لم نتمكن من الحصول عليها إلّا ملخّص لها متوافر على الشّابكة؛ نقله كاملاً كما ورد في ملخّص الرسالة بقصد الإفادة

¹ عبدة فتحة، "لكن" في القرآن الكريم- دراسة تركيبية دلالية، رسالة ماجستير أشرف عليها الحواس مسعودي، جامعة الجزائر- كلية الآداب واللغات، 2001م: 1-2 من المقدمة.

² ينظر: عبدة فتحة، "لكن" في القرآن الكريم- دراسة تركيبية دلالية: 148.

³ ينظر: المرجع نفسه: 149.

والتنوير، وهو كما يأتي: «لقد تبين من خلال دراسة الحصر والقصر في القرآن الكريم، أن دراسة النص القرآني منهجٌ سديدٌ، يساعد على فهم النص في مستوياته اللغوية المتعددة - النحوية، والصرفية، والبلاغية - التي ترشد إلى فهم المتكلم ومقاصده العليا بقرائن نصية ولفظية.

فالحَصْرُ والقَصْرُ مصطلحان يحملان معنً واحدًا، وإن كان الحَصْرُ يدور في بيئة والقَصْرُ يدور في بيئة أخرى، إلا أنهما مصطلحان لمعنً واحدٍ، وذلك بخلاف التخصيص الذي لا يشترك معهم في شيء، وإنما هو معنً قائم بذاته.

وللحصر أدواتٌ وأساليب من أهمها:

(إنما)، ثم (النفي والاستثناء)، ثم (تقديم ما حقه التأخير)، وهذه الأدوات التي وردت في هذه الدراسة هي أكثر وروداً في القرآن الكريم، وتشارك كلها في أنهما تدلّ على القصر، إلا أن لكل واحدٍ منها موضعاً معيناً، وأحوالاً تختلف عن غيرها كما ذكرنا في سياق الجانب التطبيقي، والتي كان من أهم الاستخدامات لهذه الأدوات، ف(إنما) تُستخدم في الأشياء المعلومّة، و(النفي والاستثناء) في الأشياء المجهولة، بينما (تقديم ما حقه التأخير) يُستخدم في المواطن التي فيها الإهانة والتحقير... إلخ. ولو تتبعنا الحَصْرَ والقَصْرَ في القرآن لوجدنا أن له أقساماً منها:

- قصر الصفة على الموصوف، وهذا يأتي قصراً حقيقياً، وقصراً إضافياً
- قصر الموصوف على الصفة، وهذا يأتي قصراً إضافياً فقط، لتعذر ذلك وعدم وروده في كلام الله
- ولما كان الحَصْرُ والقَصْرُ أسلوباً بلاغياً، وضرباً من ضروب الإيجاز الذي هو أعظم ركن من أركان البلاغة، والذي يحدّد المعاني تحديداً كاملاً، أتت هذه الدراسة لتبين الأسرار في استخدام الأدوات والفرق بين كل أداة، ولماذا استخدمت في موضع ولم تُستخدم في موضع آخر؟
- وكان من أهم النتائج التي توصّلت إليها هذه الدراسة ما يلي:

-أولاً: أن الإعجاز البلاغي لأسلوب الحَصْرِ والقَصْرِ إعجازٌ فياضٌ عظيم التدفق لا يقع في حصر... بل واسع، ومن يتعرّض له لا يقف عند حدّ في كلمة أو جملة، بل يشهد السياق في مجمله علماً كلما اتّضح لك سرّ انكشف لك سرّ آخر

-ثانياً: الألفاظ القرآنية لها دلالتها في سياق الجملة، فلا يمكن أن ترى لفظاً يشبه لفظاً آخر ويترادف معه في المعنى، بل إن الكلمة والأداة قد تتكرّر في أكثر من سياق لتدلّ على معنٍ مغاير في كل سياق، فإذا نظرنا إلى الجملة أو العبارة المقصورة في ظلّ قصرها، أدّى ذلك إلى إبراز المعنى في قوّة وجلاء، وساعد في تصوير المشهد في تدفق وحياة؛

ثالثاً: كان لأسلوب الحَصْرِ والقَصْرِ سمةً أسلوبيةً بالغة الأثر في معرفة خواصّ تراكيب الكلام، وتصوير شخصيات المشهد في صورة حضورية واضحة، تُبين ما عليها من شدة أو لين، أو رحمة أو غضب، أو اضطراب أو هدوء، أو إيمان أو نفاق، ونحو ذلك.

رابعاً: كان لأسلوب الحَصْرِ والقَصْرِ سمةً التّغلغل والانتشار في كافّة سياقات القرآن -تقريباً- وكان له دورٌ بارزٌ في آيات الأحكام وأساليب الحوار لا يقلُّ مجال عن دورة¹ في الآيات المكيّة وما حملته من شواهد وقصصٍ وقليل في بعض الآيات المدنيّة.

خامساً: استطاع الحَصْرُ والقَصْرُ أن يخاطب العقل والوجدان في آنٍ واحدٍ معاً، وكان له القدرة على حَمَلِ القارئ والسّامع على تصوير الموقف واستشعاره وما فيه من معانٍ سواءً أكانت مثبتة أم منفيّة، معلومة أم مجهولة.

سادساً: الحَصْرُ والقَصْرُ بابٌ واسعٌ نجده في طوال السّور وقصارها، وفي الحديث النبوي وما حُصِرَ في موضعٍ دون حَصْرِهِ في موضعٍ آخر إلا لنكتة بلاغيّة ودلالة معنويّة يُشَبِّهُها السّياق في مضمونه وبين طياته².

ج-بحوثٌ ومقالاتٌ لغويّة متنوّعة:

ونذكر منها ما يلي:

1-مقال "أسلوب التوكيد في النحو العربي"، لعواطف يوسف عبد الرزاق من ستّة-36-صفحةً موسوم: وفيه قسم مقتضب عن موضوع التوكيد بالقصر.

2-"أسلوب القصر وأثره في السّياق القرآني- سورة النّساء أنموذجاً، دراسة بلاغيّة تحليليّة"، مقال لأحمد بطل وسيج الموسوي. مجلّة آداب المستنصرية، قسم اللّغة العربيّة، كليّة التّربية الجامعة المستنصرية، العدد 86، حزيران 2019. وكما بيّن صاحبُ البحث الذي جاء في ثمانية وأربعين-48-صفحةً، فإنّ دافع البحث في الموضوع والتّطبيق عليه في سورة النّساء تحديداً هو أنّها من طِوال السّور التي عرضت الأحكام بشكلٍ عامٍّ، ولا سيّما أحكام الميراث الذي فصلّته تفصيلاً

¹ نشير هنا، بأننا لم نستطع فهم مراد المؤلّف من هذه العبارة لخطأ مطبعيٍّ على ما يبدو، غير أنّ القصد حسب سياق الكلام في الفقرة ككلّ هو: أنّ دور أسلوب القصر في سياقات القرآن الكريم في مختلف أساليب القرآن العظيم وسوره مكّيّة كانت أو مدنيّة مع بعض التّفاوت النّسبي بطبيعة الحال.

² عن موقع: https://jameataleman.com/main/articles.aspx?selected_article_no=2578

وافياً، وهذه الأحكام قد بُيِّت على أحكام القصر في أغلبها؛ وهذا الاعتمادُ جعلَ القصر يُثبَّتُ حكماً ويرفعُ أحكاماً أخرى.

- وقد خلَّصَ البحث إلى عدَّة نتائج ضُمَّت في خاتمته، لعلَّ أبرزها كما ذكر الباحثُ:

* ورودُ أسلوب القصر في سورة النساء في عدَّة مواضع، عُرضَ منها في البحث خمسون-50؛ وهو ما يعني أنَّ القصر يمثلُ الأساسَ الموضوعيَّ واللفظيَّ لآيات سورة النساء.

* غلبَةُ أسلوب القصر بتقديم ما حُقِّه التأخير على أنواع القصر الأخرى في هذه السورة الكريمة، يليه القصرُ بطريق النفي والاستثناء، ثمَّ يأتي بعده القصرُ بوساطة الأداة "إنَّما".

* تضمُّنُ بعض الآيات لأكثر من نوعٍ من أنواع القصر، بل إنَّ منها ما اشتمل على أربع جُمَلٍ قَصْرِيَّةٍ، وقد ساهم أسلوب القصر ليس في نظم سياق الآية فحسب، بل إنَّ بعض جمل القصر قد ساهمت في نظم الآيات بعضها مع البعض الآخر.

وبعد الاطلاع على مجموع هذه المراجع التي صُنِّفت أساساً لبحث موضوع القصر لذاته، أو لامست جوانب منه كما رأينا؛ واضح بأننا سنعتمد في إنجاز رسالتنا هذه على ما سيمكننا الإفادة منها أولاً، وثانياً ممَّا يوجد في مكتبتنا العربيَّة من:

1- بحوثٍ نحويَّةٍ قصيرة أدرجها علماء النحو واللغة عموماً في دراساتهم التي خصَّصوها لمبحث الاستثناء باعتبار أنَّ أسلوب القصر هو رابع حالات الاستثناء؛ لأنَّهم لم يُفردوا له قِسْماً مستقلاً قائماً برأسه ضبطاً لأصوله وتبييناً لأحكامه.

2- مباحثُ بلاغيَّة جعل لها علماء البلاغة العربيَّة حظيت بأقسام مستقلة من مصنفاتهم ضمن فصول علم المعاني، إضافة إلى ما يمكننا جمعه والتتقيب عنه في مختلف المصادر الممكن الاحتكاك بها ومصادفتها في طريق بحثنا في هذا الموضوع من متفرقات متناثرة هنا وهناك في ثنايا كتب علمائنا قديمهم وحديثهم من تفاسير القرآن العظيم، وشروح دواوين شعريَّة، وغيرها من مظانِّ البحث المختلفة التي سنعمل على جمع شتاتها، سعياً منَّا إلى تحليلها، وترتيبها حسب أقسامها من جهةٍ أخرى؛ بقصد إعادة قراءتها وتفحصها من أجل فهم مضامينها، ومن ثمَّ تبويبها ثانية بغية تنسيقها وصياغتها في شكل بحثٍ علميٍّ رصين يسلسُ لمُتصفِّحه مضمونه، ويروق لقارئه أسلوبه.

الباب الأول

أسلوب القصر

عند النّحاة

الفصل الأول

مصطلح الاستثناء: نشأته،
وأدواته، وأنواعه، وأحكامه

حرّيّ بنا قبل تفصيل القول في مسألة مصطلح الاستثناء، وما يستتبعها من دراسة لمباحث أخرى متعلّقة بها في هذا الشأن، أن نشير إلى أن هذا الفصل سيتناول المصطلحات التي أُستُخدمت في باب الاستثناء، بياناً لمدلّولاتها التي أفصحت عنها، والإشارة إلى أوّل من استعملها بذلك المدلول كلّما أمكننا ذلك حسب ما توفّر لنا من مادّة علميّة متناثرة في ثنايا مصادر اللّغة العربيّة، ومراجعتها، ودراسات علمائها، وبحوث دارسيها الجامعيّة على اختلاف الأزمنة والعصور، سواءً أكانت دراسات لغويّة صرفةً، أم دراسات نقديةً تاريخيّةً لموروثنا النحويّ بالخصوص واللّغويّ على العموم.

ولعلّ أهميّة اعتماد مثل هذا المنحى في مستهلّ هذه الدّراسة إنّما تأتي كما عبّر عنه أحد الدّارسين المحدثين «من أهميّة معرفة دلالات المصطلحات التي أُستُخدمت في هذا الباب، لأنّه ما من موضوع في النّحو يُطرَقُ بابّه إلّا وتُحتّم دراسته معرفة مصطلحاته ومدلّولاته؛ لأنّ في ذلك توضيحاً لمدى التّطوّر والتّغيير الذي رافق هذا الموضوع خلال القرون الطّويلة».¹

وغرضنا من هذا الباب النّحويّ، هو محاولة طرح أبرز القضايا المتعلّقة بهذا الموضوع، ومن ثمّ محاولة الإجابة عنها في ثنايا هذا القسم الأوّل من دراستنا هذه.

ولعلّ أهمّ الأسئلة التي سنحاول بحثها وتحيلها، هي:

ما الاستثناء من جهة اللّغة والاصطلاح؟ وومتى ظهر هذا المصطلح أوّل مرة، وعلى يد من؟ وما الذي يجوز في الاستثناء بيّلاً، وما الذي لا يجوز فيه؟ وما أصل حروف الاستثناء؟ ولم وجب أن يكون الأصل فيها "إلا"؟ وما الفرق بين "إلا" المسلّطة ونظيرتها الملغاة؟ ولم جاز فيها التّسليط والإلغاء؟ ولم وجب ألاّ يُستثنى إلّا بحرف في الأصل؟ وما الذي يجوز أن يُستثنى به سوى "إلا"؟ وهل كلّ ما كان فيه معنى "إلا" يجوز أن يُستثنى به، وما لم يكن فيه معنى "إلا" فلا يجوز الاستثناء به؟ وهل تعمل حروف الاستثناء أو لا تعمل؟ ومن أين صار في "غير" و"سوى" معنى الاستثناء؟ وما الوجه الذي يفترقان فيه؟ ومن أين صار في "لا يكون، وليس، وعدا، وخلا، وحاشا معنى الاستثناء؟ وما أنواع الاستثناء؟ وما هو النمط النحويّ الذي ينشأ عنه معنى القصر؟ وما مصطلحاته عند علماء النّحو؟ ولم كان أبرز هذه المصطلحات وأشهرها على الإطلاق

¹ كاظم، إبراهيم كاظم، الاستثناء في التّراث النّحويّ والبلاغيّ، عالم الكتب، بيروت - لبنان، ط1، 1418هـ - 1998م:

مصطلح الاستثناء المفرغ ؟ وكيف تتحقق هذه الدلالة المعنوية المعروفة بالقصر أو الحصر عن طريق هذا النوع من الاستثناء ؟ وما أبرز اللطائف الدلالية الممكن تسجيلها في موضوع الاستثناء المفرغ التي نبه عليها علماءنا الأجلاء ورفعوا اللبس الحاصل فيها ؟ وهل يتم تفرغ الكلام لجميع المعمولات النحوية، أم لبعض منها فقط ؟ وبخصوص طرق القصر الأخرى، كيف درس النحاة موضوع القصر بالأداة "إنما" ؟ وإنما هذه، ما أصلها، وماذا بخصوص عملها، ودلالاتها على معنى القصر ؟ وهل تحدثت النحاة أبرز الدلالات التي يخرج إليها أسلوب القصر بوساطتها متفردة بها عن "إلا"، أم إنهم اكتفوا في ذلك كله بما يتصل بدرسهم النحوي لا غير ؟ وهل للقصر بحروف العطف خصائص وميزات وشروط عند رجال النحو ؟ وكيف كانت دراستهم لهذا المبحث اللغوي من حيث ارتباطه بموضوع القصر ؟ وما كانت نظرهم إلى موضوع تحقق معنى القصر بوساطة تقديم ما حقه التأخير ؟ وهل كل تقديم لأي معمول نحوي مهما كان سياقه اللغوي يدل على معنى القصر ؟ أم أن في المسألة تقسيماً وتفصيلاً وتوضيحاً ؟

هذا كله وغيره، ما سنسعى إلى جاهدين الإجابة عنه ضمن مباحث هذا الباب النحوي

بإذن الله تعالى.

المبحث الأول: كنه الاستثناء:

يُعَدُّ الاستثناء واحداً من الأساليب النحويّة التي تخصّص الكلام وتدقّق التعبير؛ فتُخرج ما يُعْتَقَدُ أنّه داخلٌ في الحكم¹. وهو عند جمهور النحاة واللّغويين إخراج الاسم الواقع بعد (إلا)، أو ما جاء في معناها، ممّا دخل فيه ما قبله²، وهو كما عرّفه ابن جني (ت392هـ): «أن تُخرَجَ شيئاً ممّا أدخلت فيه غيره، أو تُدخِلَه فيما أخرجت منه غيره»³.

إذاً، فلفظُ "الاستثناء" إمّا هو مصطلحٌ أطلقه علماء النحو وغيرهم على أحد أبواب النحو العربيّ، وقد قصدوا به معنى الإخراج المتحقّق بواسطة "إلا" أمّ أدوات الاستثناء أو ما جاء في معناها من الأدوات الأخرى، والمراد بالإخراج هنا هو إخراج ما بعد (إلا) -أو ما جاء في معناها طبعاً- ممّا دخل فيه ما قبلها؛ بمعنى هو إخراجُ المستثنى من الحكم الذي دخل فيه المستثنى منه⁴.

المطلب الأول: نشأة الاستثناء:

كان قد تبيّن ممّا سبق ذكره، بأنّ الاستثناء عند علماء النحو يُقصدُ به إخراجُ شيءٍ معيّنٍ بذاته بواسطة إحدى أدوات الاستثناء، أو ما جاء في معناها، من حكمٍ دخل فيه شيءٌ أو عددٌ من الأشياء، والمرادُ بالإخراج هنا هو إخراجُ ما بعد أداة الاستثناء ممّا دخل فيه ما قبلها، أي: إثباتُ الحكم لما قبل أداة الاستثناء فقط وهو المستثنى منه، ونفي ذلك الحكم عمّا بعدها وهو المستثنى.

وفي هذا السياق، يرى أحد الدّارسين بأنّ مصطلح "الاستثناء" هو من مصطلحات المرحلة الأولى من عمر الدّرس النحويّ العربيّ، والتي يُطلق عليها اسم المرحلة الشّفويّة⁵؛ وهي ما فترة المصطلح النحويّ قبل أبي الأسود الدّؤليّ (ت69هـ) وعنده، وهي مرحلة لم يؤلّف أصحابها كتباً في النحو، وإمّا كانت لهم آراء مبثوثة في كتب الثّراث لا سيّما كتب علوم القرآن والتّراجم والتّاريخ،

¹ ينظر: الصّغير، محمّد أحمد، الأدوات النّحوية في كتب التّفسير، دار الفكر، دمشق-سوريا، ودار الفكر المعاصر، بيروت-لبنان، ط1، 1422هـ-2001م: 472.

² ينظر: سيبويه، الكتاب: 310/2.

³ ابن جنيّ، أبو الفتح، اللّمع في العربية. تحقيق: حامد المؤمن، مكتبة النهضة- بيروت، ط2، 1405هـ-1985م: 121.

⁴ ينظر: الاستثناء في الثّراث النحوي والبلاغي: 21.

⁵ ينظر: يوحنا، مرزا الخامس، موسوعة المصطلح النحوي من النّشأة إلى الاستقرار، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، د.ط، 1971م: 33/1-34.

وهو ما يؤكد بأنه مصطلحٌ قديمٌ الظهور، إضافةً إلى كون معناه اللغوي يقترب جداً من معناه الاصطلاحي، بل إنه لا يخرج عنه؛ إذ الاستثناء لغةً هو إخراج الجزء من دائرة الكل، وهي دلالةٌ نفسها من ناحية الاصطلاح. ومن مصطلح "الاستثناء" قد تفرعت مصطلحاتٌ عديدةٌ كالمستثنى والمستثنى منه، والاستثناء التام والمنقطع، وغيرها. وهو دليلٌ على أنَّ المصطلح النحوي في هذه المرحلة بدأ سهلاً عاماً يوافق التطور التاريخي للمصطلح النحوي.¹

واستخدام مصطلح "الاستثناء" بهذه الدلالة نقف عليها أيضاً في المراحل اللاحقة لها، مثل «سيبويه (ت180هـ) وخلف الأحمر (ت180هـ)، وهما متعاصران وينتميان إلى مدرسةٍ واحدةٍ، ولا يمكن البتُّ في أن يكون أحدهما سابقاً الآخر في استخدامه».²

ويستدلُّ هذا الدارسُ على مسألة دلالة هذا المصطلح عند العالمين المذكورين في كلامه آنفاً، بقوله: «ويمكن معرفة دلالة هذا المصطلح عند سيبويه بقوله: "هذا بابٌ لا يكون المستثنى فيه إلّا نصباً؛ لأنّه مُخْرَجٌ ممّا أُدخِلَتْ فيه غيره"³، فواضحٌ من النصِّ أنَّ الاستثناء عند سيبويه هو إخراج المستثنى ممّا دخلَ فيه غيره، وهو المستثنى منه. كما أنَّ خلف الأحمر أطلقه على هذا الباب أيضاً. ولما كان سيبويه وخلف الأحمر هما أوَّل من استخدموا هذا المصطلح؛ فإنّه يُعدُّ من المصطلحات البصريّة التي جاءت في هذا الباب».⁴

ويواصل حديثه عن استعمال هذا المصطلح -الاستثناء- عند علماء العربيّة عموماً، مبيناً أنّه قد استخدمه بعد سيبويه وخلف الأحمر «كثيرٌ من النحويين، وغيرهم ممّن تعرّضوا لموضوع الاستثناء، منهم: الفراء (ت207هـ)، والأخفش (ت215هـ)، والمبرد (ت285هـ)، وثعلب (ت291هـ)، والزجاج (ت310هـ)، وابن السراج (ت316هـ)، والزجاجي (ت337هـ)، وأبو سعيد السّراي (ت365هـ)، وابن خالويه (ت370هـ)، وأبو علي الفارسي (ت371هـ)، والرّماني (ت384هـ)، وابن المرزبان السّيرافي (ت385هـ)، وابن جني (ت392هـ)، وابن فارس (ت395هـ)، والباقلاني (ت403هـ)، والهروي (ت415هـ)، والمرزوقي (ت421هـ)، ومكي بن أبي

¹ ينظر: يوحنا مرزا الخامس، موسوعة المصطلح النحوي من النشأة إلى الاستقرار: 41/1-43

² كاظم، إبراهيم كاظم، الاستثناء في التراث النحويّ والبلاغي: 21.

³ سيبويه، الكتاب: 331/2.

⁴ كاظم، إبراهيم كاظم، الاستثناء في التراث النحويّ والبلاغي: 21.

طالب (ت437هـ)، والأعلم الشنتمري (ت44هـ)، وابن بابشاذ¹ (ت469هـ)، والجرجاني (ت471هـ)، والرنخشري (ت538هـ)، وابن الخشاب² (ت567هـ)، وابن الأنباري (ت577هـ)، والتميمي (ت599هـ)، الجزولي³ (ت607هـ)، والعكبري (ت616هـ)، والسكاكي (ت626هـ)، وابن الأثير الجزري (ت629هـ)، وابن يعيش (ت34هـ)، والسخاوي (ت624هـ)، والشلوبيني (ت45هـ)، وابن الحاجب (ت64هـ)، والرازي (ت666هـ)، وابن عصفور (ت669هـ)، وابن مالك (ت672هـ)، والرّضي (ت686هـ)، وابن النّازم (ت686هـ)، والقراي (ت686هـ)، والمالقي (ت707هـ)، والخطيب القزويني (ت739هـ)، وأبو حيّان (ت745هـ)، والمرادي (ت739هـ)، وابن هشام

¹ ابن بابشاذ، أبو الحسن طاهر بن داود التّحويّ؛ يقال إنّ أصله من الدّيلم، وكان هو بمصر إمام عصره في علم التّحويّ. وُلِّيَ مُتَأَمِّلاً في ديوان الإنشاء بالقاهرة يتأمّل ما يصدّر منه من السّجّلات والرّسائل فيُصلّح ما فيها من خطأ. تَرَهَّدَ في آخر عمره ولزِمَ منارة الجامع بمصر، فخرج في بعض الليالي والنّوم في عينيه، فسَقَطَ من المنارة إلى سطح الجامع فمات صبيحة الرّابع من رجب عام تسع وستين وأربعمائة. وله مُصنّفاتٌ مفيدةٌ، منها "شرح النّخبة"، و"التعليق في النّحو" في خمسة عشر مجلداً، سماها النّحاة بعده الّذين وصلت إليهم بـ "تعليق الغرفة"، و"المختصّب في النّحو"، وغير ذلك. ينظر: الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، مطبوعات دار المأمون، راجعته وزارة المعارف العموميّة بمصر، الطّبعة الأخيرة، د.ت: 12/ 17-19.

² هو ابن أحمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر أبو محمّد بن الخشاب. قيل: إنّ كان أعلم أهل زمانه في النّحو؛ حتّى يقال: إنّّه كان في درجة أبي عليّ الفارسيّ، وكانت له معرفةٌ بالحديث والتّفسير واللّغة والمنطق والفلسفة والحساب والهندسة، وما من علمٍ إلّا وكانت له فيه يدٌ حسنةٌ، وكان يكتب خطّاً مليحاً، وقد جمع كتباً كثيرةً جدّاً، وقرأ عليه النّاس وانتفعوا به. كان ثقةً في الحديث صدوقاً نبياً حجةً غير أنّه لم يكن في دينه بذاك، وكان بخيلاً مُتَبَدِّلاً في عيشه، قليل المبالاة بحفظ ناموس العلم. صنّف "شرح الجمل" للرّجّاحي، و"شرح اللّمع" لابن جنيّ لم يتم، و"الرّد على ابن بابشاذ" في شرح الجمل، و"الرّد على الخطيب التّبريزي في إصلاح المنطق"، وشرّح "مقدّمة ابن هُبَيْرَة في النّحو". يقال: إنّّه وصّله عليها بألف دينار، والرّد على الحريري في مقاماته. تُؤيّدُ عشيّة يوم الجمعة ثالثَ رمضان من سنة سبعة وستين وخمسمائة. ينظر: المرجع نفسه: 47-50.

³ هو أبو موسى الجزوليّ-بضمّ الجيم-، عيسى بن عبد العزيز البربري المراكشيّ المغربي، نسبته إلى "جزولة" نسبةً إلى قبيلة من قبائل البربر. أخذَ عن ابن برّي (ت582هـ) في مصر. عاصر الجزوليّ بداية قيام الدّولة الموحّديّة الّتي حكمت المغرب والأندلس من سنة (ت539هـ) إلى (ت630هـ). والثّابت في نشأته أنّه تَرَبَّى تربيةً دينيّةً محافظةً، وعُرف عنه زهده وورعه وعزوف نفسه عن الدّنيا، وانقطاعه إلى العلم ونشره. من شيوخه، نذكر: مهلب بن الحسن بن بركات بن عليّ بن غياث بن سليمان المهلبّي البهنسيّ التّحويّ (ت572هـ)، وأبو محمّد عبد الله بن برّي بن عبد الجبّار المقدسيّ التّحويّ اللّغويّ، وأبو منصور ظافر المالكيّ الأصبوليّ (ت597هـ)، وأبو الطّاهر إسماعيل بن ظافر بن عبد الله الصّقْلِيّ المقرئ التّحويّ (ت623هـ). توفيّ سنة الجزوليّ 605 للهجرة، أو قبلها أو بعدها بقليل. ينظر: القفطيّ، جمال الدّين أبو الحسن، إنباه الرّواة على أنباه النّحاة، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربيّ- القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافيّة- بيروت، ط1، 1406هـ-1986م: 378/2، وما بعدها، و: هاشم، جعفر حسين، الجهود التّحويّة لأبي موسى الجزوليّ (ت607هـ)، دار الرّضوان للنّشر والتّوزيع- عمان، ط1، 1436هـ-2015م: 24-29.

(ت761هـ)، وابن عقيل (ت769هـ)، والأزهري (ت905هـ)، والسيوطي (ت911هـ)، والأشموني (ت925هـ)، والبغدادى (ت1093هـ)، والصَّبَّان (ت1205هـ)، والخضري (ت1287هـ). فهؤلاء استخدموا مصطلح الاستثناء بدلالته التي جاء بها سيبويه دون أن يحدث تطوُّر في دلالاته، أو يأخذ شكلاً آخر، على اختلاف الأزمنة ومَرَّ العصور».¹

المطلب الثاني: حدُّ الاستثناء لغةً واصطلاحاً:

1- حدُّه لغةً: مِنْ ثَنَى الشَّيْءَ ثَنِيًّا، إِذَا رَدَّ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَتَثْنَى وَانْثَنَى وَانْثَوْنَ عَلَى (افْعَوْعَلْ)، أي: (انْعَطَفَ). ومنه قراءة مَنْ قَرَأَ: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾²، رُوِيَ ذلك عن ابن عباس، أي: تَنَحَّى وَتَنَطَّوِي. ويُقال: انْثَوْنِي صَدْرُهُ عَلَى الْبَغْضَاءِ.³ وَالثَّنْيُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ: مَا يُثْنَى بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ أَطْبَاقًا، كُلُّ وَاحِدٍ ثَنِيٍّ، حَتَّى قِيلَ: أَثْنَاءُ الْحَيَّةِ مَطَاوِيهَا إِذَا انْطَوَتْ، وَثَنَيْتُ الشَّيْءَ ثَنِيَّةً: إِذَا جَعَلْتُهُ انْتِنِينَ. وَثَنَى رَجُلَهُ عَنْ دَابَّتِهِ: ضَمَّ سَاقَهُ إِلَى فَخْذِهِ فَانْزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ. وَثَنَيْتُ الرَّجُلَ: فَأَنَا ثَانِيَهُ، وَأَنْتَ أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ؛ لَا يُتَكَلَّمُ بِهِ إِلَّا كَذَلِكَ. وَالثَّنِيَّةُ: أَحَبُّ الْأَوْلَادِ إِلَى الْأُمِّ. قال الشاعر:

ثَكَلْتَنِي عَلَى الثَّنِيَّةِ أُمِّي *** يَوْمَ فَارَقْتَهُ دُوَيْنَ الصَّعِيدِ

وَالشَّيْءُ مِنْ غَيْرِ النَّاسِ: مَا سَقَطَتْ ثَنِيَّتَاهُ الرَّاضِعَتَانِ، وَنَبَتَتْ لَهُ ثَنِيَّتَانِ أُخْرَيَانِ؛ فَيُقَالُ: قَدْ انْثَنَى. وَالمَثْنَى: الثَّانِي مِنْ أَوْتَارِ الْعُودِ. وَالمَثَانِي: آيَاتُ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: المَثَانِي: سُورٌ أَوَّلُهَا سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآخِرُهَا بَرَاءَةُ - أَيْ سُورَةُ التَّوْبَةِ - وَفِي حَدِيثٍ ثَالِثٍ: المَثَانِي: الْقُرْآنُ كُلُّهُ؛ لِأَنَّ الْقَصَصَ وَالْأَنْبَاءَ تُثْنَى فِيهِ. وَالثَّنْيُ: ضَمُّ وَاحِدٍ إِلَى وَاحِدٍ، وَالثَّنْيُ: اسْمٌ. يُقَالُ: ثَنِي هَذَا الثَّوْبِ.⁴

¹ كاظم، إبراهيم كاظم، الاستثناء في التراث النحويّ والبلاغيّ: 21-23.

² هود: 05.

³ ينظر: الزبيديّ، محمّد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس. تحقيق: مصطفى حجازي، ومراجعة: محمّد حماسة عبد اللطيف، عن: التراث العربيّ، سلسلة يُصدرها المجلس الوطنيّ للثقافة والفنون والآداب - الكويت، ط1، 1422هـ-2001م: مادّة (ثَنِي)، 282/37.

⁴ يُنظر: الفراهيديّ، الخليل بن أحمد، كتاب العين مُرتباً على حروف المعجم. تحقيق: عبد الحميد هنداي، منشورات محمّد علي بيضون، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، ط1، 1424هـ-2003م: (الاحتوى: أ-خ)، 209-208/1.

والثُّنْيَا: المَثْنِيُّ عنها في البيع، أن يُسْتَثْنَى من الجميع شيءٌ مجهولٌ فيفسد البيع، وذلك إذا باع شخصٌ لشخصٍ جزوراً بثمانٍ معلومٍ، واستثنى رأسه وأطرافه؛ فإنَّ البيع فاسد. وقد نهى الرسول الكريم - عليه أفضلُ الصَّلَاةِ وأزكى التَّسليم - عن الثُّنْيَا إِلَّا أَنْ تُعْلَمَ، وهي أن يُسْتَثْنَى في عقد البيع شيءٌ مجهولٌ فيفسده، وقيل: هي أن يُباع شيءٌ جُزافاً، فلا يجوز أن يُسْتَثْنَى منه شيءٌ قلَّ أو كثر. والثُّنْيَا من الجزور: الرأس والقوائم، وقد سُمِّيَتْ ثُنْيَا؛ لأنَّ البائع في الجاهليَّة كان يَسْتَثْنِيها إذا باع الجزور؛ فسُمِّيَتْ للاستثناء بـ " الثُّنْيَا ".¹

هذا، ومَّا ورد في كتاب الله العزيز من هذا اللفظ، قولُ الله جلَّ في علاه: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴾.² ومعنى قول المولى سبحانه: ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾، أي: لا يقولون: إنَّ شاء الله. وسُمِّيَ استثناءً وإنَّ كان شرطاً صُورَةً؛ لأنه يؤدِّي معنى الاستثناء، من حيثُ إنَّ معنى قولك: لأُخْرِجَنَّ إنَّ شاء الله، وَلَا أُخْرِجُ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ الله، واحد.³

ولعلَّه بعد هذا الذي تمَّ إيرادُه في هذا الجزء، «يمكن تلخيص معنى الاستثناء والثُّنْيَا والثَّنْوَى لغوياً بالكفِّ، والرَّدِّ، والعطف، والإخفاء، والتَّثْنِيَّة والمحاشاة، والعزل، والإخراج والرجوع عن الشيء». أمَّا لفظ الاستثناء من حيث الصِّيغة ونوعها، فهو مصدر الفعل "اسْتَثْنَى"، ولفظ الاستِنْفَعَال في العربيَّة: لطلب الفهم، والاستِنْفَعَال: لطلب النصرة. وقد يرَدُّ للفعل نفسه دون طلبه، نحو: استقرَّ في المكان، واستغرب منه، واستهتر به.⁴

ويزيد هذا الدَّارس موضحاً أمر استعمال لفظ الاستثناء، قائلاً: «ومن الملاحظ، أنَّ لفظ الاستثناء من هذا القبيل، وليس لطلب الفعل، أي: ليس لطلب الثُّنْيَى، بل المقصود منه: المَثْنِيُّ نفسه، أي أنَّه مصدرٌ في نفسه، من: (اسْتَثْنَى اسْتِثْنَاءً، دون أن يُقصد معنى الطَّلَب من هذه الصِّيغة على هذا الوزن الصَّرفي)». ⁵

¹ ينظر: الزُّبَيْدِي، تاج العروس: مادَّة (ثُنْيَى)، 297/37.

² القلم: 17-18.

³ ينظر: القرطبي، أبو عبد الله، تفسير القرطبي، القاهرة، د.ط، 197م: 241/18.

⁴ الشَّجَرَاوِي، عَزَّام عمر قاسم، (أسلوب الاستثناء في القرآن الكريم بين النُّحو والبلاغة، رسالة دكتوراه في اللُّغة العربيَّة وآدابها،

إشراف: عَوَّاد مُحَمَّد حسن، الجامعة الأردنيَّة، كَلِيَّة الدَّرَاسَات العِلْمِيَّة، شهر آذار، 1991م): 10.

⁵ المرجع نفسه: 10.

فما الاستثناء من جهة الاصطلاح ؟

2- حُدُّهُ اصطلاحاً:

إنَّ الاستثناء¹ عند جمهور النحاة و اللّغويين، هو إخراج الاسم الواقع بعد إلّا، أو ما جاء في معناها، ممّا دخل فيه ما قبله،² وهو كما عرّفه ابن جني «أن تُخْرَجَ شيئاً ممّا أدخلت فيه غيره، أو تُدْخِلَه فيما أخرجت منه غيره».³ ومعنى ذلك، أنَّ الاستثناء إنّما معناه: عدم دخول شيءٍ معيّن في الكلام في حكمٍ سابق، سواء أكان هذا الحكم موجباً فيثبت لما قبل أداة الاستثناء فقط، نحو قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ﴾⁴، أم منفيّاً فيدخل فيه ما بعد حرف الاستثناء وحده نحو قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾.⁵ وهو المعنى نفسه تقريباً الذي يذهب إليه أحمد بن فارس (ت395هـ) الذي يُعرّف هذا الأسلوب اللّغويّ قائلاً: «أصلُ الاستثناء أن تَسْتَثْنِي شيئاً من جملةٍ اشتملت عليه في أوّل ما لُفِظَ به، وهو قولهم: "مَا خَرَجَ النَّاسُ إِلَّا زَيْدًا". فقد كان "زَيْدًا" في جملة الناس ثم أُخْرِجَ منهم، ولذلك سُمِّيَ استثناءً؛ لأنّه تُنْيَى ذِكْرُهُ مرّةً في الجملة ومرّةً في التّفصيل، ولذلك قال بعض النّحويّين: المستثنى خرج ممّا دخل فيه، وهو مأخوذٌ من الثّناء، والثّناء: الأمرُ يُنْتَى مَرَّتَيْنِ».⁶

¹ جديراً بنا أن نشير هاهنا، أنّ لعلماء اللّغة والنحو مذاهب شتّى في مقدار ما يستثنى من المستثنى منه، فمنهم من يرى أنّه لا يُستثنى من الشيء إلّا ما كان دون نصفه، إذ يجوز أن يقال مثلاً: عشرةٌ إلّا خمسة، وقال آخرون: يُستثنى الكثير ممّا هو أكثر منه، وبعضهم يشترط لصحّة معنى الاستثناء، أن لا يكون المستثنى أكثر الجملة. ينظر: ابن السّراج، أبو بكر، الأصول في النحو: 282/1، وابنُ فارس، الصّاحي في فقه اللّغة العربيّة ومساائلها وسنن العرب في كلامها: 94 و 96-97، والشّيرازي، أبو إسحاق، شرح اللّمع، تحقيق: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي-بيروت، ط1، 1408هـ-1988م: 404/1-407، والعكبري، أبو البقاء محي الدّين، اللّباب في علل البناء والإعراب، تحقيق: غازي طليمات، دار الفكر-دمشق، ط1، 1995م: 306.

² ينظر: سيبويه، الكتاب: 310/2.

³ ابن جني، أبو الفتح، اللّمع في العربيّة، تحقيق: حامد المؤمن، مكتبة التّهضة-بيروت، ط2، 1405هـ-1985م: 121.

⁴ البقرة: 83

⁵ النّور: 6.

⁶ ابنُ فارس، الصّاحي: 4. وينظر: الأعلام الشّتيري، أبو الحجاج يوسف، التّكت في تفسير كتاب سيبويه، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، منشورات معهد المخطوطات العربيّة، المنظّمة العربيّة للثقافة والتّربيّة والعلوم-الكويت، ط1، 1407هـ-1987م: 614/1، والجوهري، إسماعيل بن حماد، الصّحاح تاج اللّغة وصحاح العربيّة، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين-بيروت، ط2، 1399هـ-1979م: (باب الألف فصل الثّاء)، 2294/6.

وقد جاء في شرح المفصل لابن يعيش النحوي (ت 643هـ) كلام جميل رائق عن كنه الاستثناء، مفاده أن «الاستثناء إسْتِغْعَالٌ، من ثَنَاهُ عن الأمر يُثْنِيهِ إِذَا صَرَفَهُ عن الأمر، فالاستثناء صَرَفُ اللَّفْظِ عن عمومهِ بإخراج المستثنى من أن يتناوله الأول، وحقيقته تخصيصُ صفةٍ عامّةٍ؛ فكلُّ استثناءٍ تخصيصٌ، وليس كلُّ تخصيصٍ استثناءً. فإذا قلت: قَامَ القَوْمُ إِلَّا زَيْدًا، تَبَيَّنَ بقولك: إِلَّا زَيْدًا، أنه لم يكن داخلًا تحت الصّدر؛ إنّما ذكرتَ الكلَّ وتريد بعضَ مدلوله مجازًا، وهذا معنى قول النحويين الاستثناء إخراج بعضٍ من كلٍّ، أي إخراجُه من أن يتناوله الصّدر، ف (إِلَّا) تُخْرِجُ الثَّانِي مِمَّا دَخَلَ فِي¹ الأول؛ فهي شَبْهُ حَرْفِ النَّفْيِ، فقولنا: قَامَ القَوْمُ إِلَّا زَيْدًا، بمنزلة: قَامَ القَوْمُ لَا زَيْدًا، إِلَّا أنّ الفرق بين العطف والاستثناء، أنّ الاستثناء لا يكون إِلَّا بعضًا من كلٍّ، والعطف يكون غير الأول، ويجوز أن يُعْطَفَ على واحد، نحو: قَامَ زَيْدٌ لَا عَمْرُو، ولا يجوز في الاستثناء أن تقول: قَامَ زَيْدٌ إِلَّا عَمْرًا، والمستثنى منه والمستثنى جملةٌ واحدةٌ، وهما بمنزلة اسمٍ مضاف، فإذا قلت: جَاءَنِي قَوْمُكَ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ، فهو بمنزلة قولك: جَاءَنِي أَكْثَرُ قَوْمِكَ؛ فكأنّه اسمٌ مضافٌ لا يتمُّ إِلَّا بالإضافة²».

¹ الظاهر، أنّه قد حصل خطأ في الطبع بإسقاط حرف الهاء؛ إذ القصد هنا: "ما دخل فيه الأول".

² ابنُ يعيش النحويّ، شرحُ المفصل، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، د.ط، د.ت: 75/2-76.

المبحث الثاني: ما أُصْطُلِحَ عليه في أدوات الاستثناء:

للاستثناء أدوات يتمُّ بها إخراج المستثنى ممَّا دخل فيه المستثنى منه. وأدوات الاستثناء ثمانية، ليست كُلُّها حروفاً، لذلك فهي تسمَّى أدوات الاستثناء، فهذا يشمل كلاً من الحروف والأسماء والأفعال.

- أمَّا النوع الأول، فما كان حرفاً، وهي: "إِلَّا، وَخَلَا، وَعَدَا، وَحَاشَا"، لكنَّ هناك من الدَّارسين مَنْ يجعل كلاً من (خَلَا وعَدَا وحَاشَا) أفعالاً، ولكنَّ الأصحَّ أنَّها حروفٌ وليست أفعالاً¹؛
- أمَّا النوع الثاني، فهو ما كان اسماً، وهما: (غَيْرٌ، وَسِوَى)؛
- والنوع الثالث ما كان فعلاً عند أكثر النحاة وهما كلمتان: (لَيْسَ، وَلَا يَكُونُ).

وتمثِّل هذه الأدوات «أحد الأركان الثلاثة التي يتكوَّن منها الاستثناء، فهي العماد الأساس لهذا الباب؛ لأنَّها تحمل معنى الاستثناء، وبها يكون التَّركيب استثناءً، وهذا الشرطُ بوجودها في التَّركيب قد لا نجده في أدوات النحو الأخرى؛ فمن المعروف جواز الاستفهام بدون أداة الاستفهام، ومجيئ الشرط بغير أداة الشرط، والنداء بدون حرف النداء، لكنَّ مثلُ هذا لا يقع في الاستثناء، فلا يمكن مجيئ تركيب يُفيد الاستثناء، ويعدُّ من ضروب الاستثناء ما لم ترد فيه أداة الاستثناء، لأنَّها تحمل معنى الإخراج، وبذا يتَّضح أهميَّة هذه الأدوات في هذا الباب، ومدى الفرق بينها وبين أدوات النحو الأخرى»².

ولهذا، فحريُّ بنا أن نخصَّص جزءاً من هذه الدِّراسة لتفصيل القول في هذه الأدوات المستخدمة في باب الاستثناء عامَّةً، وتركيبها، وفي الاستثناء المفرَّغ بخاصَّة، والمعروف بأسلوب القصر.

¹ ينظر: كاظم، إبراهيم كاظم، الاستثناء في التَّراث النَّحويِّ والبلاغيِّ: 48-49.

² المرجعُ نفسه: 49.

المطلب الأول: الحروف:

1- في مصطلح حروف الاستثناء:

يُعَدُّ مصطلح حروف الاستثناء من «اصطلاح سيبويه وخلف الأحمر»¹؛ إذ أُطلقا على الأدوات مصطلح (حروف الاستثناء)، وقد شمل هذا المصطلح الحروف والأسماء والأفعال، علماً أنَّ سيبويه في كلامه عن هذه الأدوات كان يقول في الحرف حرفاً، وفي الفعل فعلاً، وفي الاسم اسماً، ولكنه إذا ما أراد أن يتكلَّم عنها جميعاً أطلق عليها حروفاً، وهذا يتَّضح من قوله في هذه الأدوات حيث قال: (فَحَرَفُ الاستثناء (إِلَّا)، وما جاء فيه من الأسماء معنى إلَّا: (غيرٌ وسوى). وما جاء من الأفعال فيه معنى إلَّا، ف "لا يكون"، و "ليس"، و "عدا"، و "خلا". وما فيه ذلك من حروف الإضافة وليس باسم، ف "حاشي"، و "خلا" في بعض اللغات)².³

ويزيد هذا الدارس شارحاً مذهب سيبويه في هذه المسألة، قائلاً، إنَّه «واضحٌ من النصِّ أنَّه جمع هذه الضُّروب الثلاثة واصطَلَحَ عليها مصطلح "حروف"، وما جاء به خلفُ الأحمر لا يختلف عمَّا جاء به سيبويه. قال: (بابُ الاستثناء: وحروفُه نصبٌ كُلُّها، وهي: "إِلَّا، وحاشا، وما خلا،

¹ هو خلف بن حيَّان ويُكنَّى بأبي محرز، مولى أبي موسى الأشعري، وقيل مولى بني أمية، وأصلُ أهلِه من فرغانة. جيءَ بهم أسرى إلى البصرة، وقيل أصله من خراسان من سبْيِ قتيبة بن مسلم، وذاق طعم الشَّقَاء في طفولته. وُلِدَ سنة 115هـ-733م. وظلَّ بعد عتقه منتسباً بالولاء لأبي بردة بن أبي موسى الأشعري، وقضى أيامَ حدائِته كُلِّها في أوساط البصرة العلميَّة، وعُرف من أساتذته: عيسى بن عمر التَّحوي المتوفَّى حوالي سنة 149هـ-766م، وأبو عمرو بن العلاء، وقد كان خلفُ الأحمر من مريدي حماد الزَّاوية، فهو الَّذي تَوَلَّى نَقْلَ محفوظاته، وقد أجمع النَّاس -سواء في الكوفة أو في البصرة- على الإقرار بمعرفته الصَّحيحة بالشَّعر الجاهليِّ القديم، وحَدَّسه الصَّحيح الَّذي يميِّز به بين الصَّحيح والموضوع، قال عنه أبو زيد الأنصاري: "لم أر رجلاً أَفَرَسَ بيت شعر من خلف"، ويطيَّب لكثيرين الاعتراف بموهبته الشَّعريَّة. وكان من أعلم النَّاس بالشَّعر، ويُقال إنَّه وضع لامية الشَّنْفري (ت 70 ق.هـ/525م) التي أوَّلها:

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيئِكُمْ *** فَإِنِّي إِلَى قَوْمٍ سَوَاكُم لَأُمِيلُ

وكذلك اللَّامِيَّة المنسوبة إلى تَابُط شَرَّا (ت 80 ق.هـ/540م):

إِنَّ بِالشَّعْبِ الَّذِي دُونَ سَلْعٍ *** لَقَتِيلاً دَمُهُ مَا يُطَلَّ

ينظر: ابن التَّدِيم، الفهرست، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان: 74، والسيوطي، جلال الدِّين، بغية الوعاة في طبقات اللُّغويِّين والنَّحاة، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، 1399هـ/1979م: 554/1.

² سيبويه، الكتاب: 309/2.

³ كاظم، إبراهيم كاظم، الاستثناء في التَّراث النَّحويِّ والبلاغيِّ: 25.

وما عدا". تقول في نحو منه: "جاءني القوم إلا زيدا"، و"لقيت الناس إلا إياك"، و"أعطيت العسكر ما خلا عمراً". قال الله عز وجل في كتابه: ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾¹ (2).³

ويرى كاظم إبراهيم كاظم أن «مصطلح "حروف الاستثناء" من المصطلحات البصريّة التي جاءت في هذا الباب لسبق سيوييه وخلف الأحمر في استخدامهما له، وقد استخدمه كثير من الذين جاؤوا بعد سيوييه، وأرادوا به هذه الضروب الثلاثة، منهم الفراء، والمبرد، وابن السراج، والزجاجي، وابن خالويه، والزماني، وابن جني، وغيرهم ممن تقدّمت أسماؤهم»⁴.

ويزيد هذا الدارس تأصيله استعمال هذا المصطلح النحوي، مبيناً، أن الظاهر «أن استخدام هذا المصطلح (حروف الاستثناء) ظلّ مستخدماً طيلة أربعة قرون، وإن لم أقف على استخدامه في القرن الخامس، إلا أنه كان في القرون التالية أكثر شهرةً، ونُدّر استخدامه في القرن الثامن، إذ شاع مصطلح آخر هو مصطلح (أدوات الاستثناء)»⁵.

2- مصطلح أدوات الاستثناء:

ولعلّه واحداً من أشهر المصطلحات استعمالاً، وهو لا يختلف عن مصطلح (حروف الاستثناء) في دلالته، وقد غلب استخدامه عليه، فاستعمله نحاة القرون المتأخّرة إلى جانب مصطلح (حروف الاستثناء).

وينصّ كاظم إبراهيم كاظم، على وقوفه على مصطلح (أدوات) في كتابين، هما:

أ- في كتاب معاني القرآن، للفراء، وقد أطلقه على (ليث، وكأَنَّ). وقد يكون الفراء أوّل من استخدم مصطلح (أدوات)، غير أنّه في (إلا) قال فيها: حرف، ولم يقل أداة.

ب- عند ابن خفاجة (ت 466هـ)، الذي استخدم هذا المصطلح من خلال تعليل تسمية الأدوات بالحروف، إذ قال في هذا الصّدّد: «أمّا تسمية أهل العربيّة أدوات المعاني نحو: (من)، و(قد) حروفاً، فإنّهم زعموا أنّهم سمّوها بذلك؛ لأنّها تأتي في أوّل الكلام وآخره، فصارت كالحروف

¹ البقرة: 249.

² خلف الأحمر، مقدّمة في النحو، تحقيق: عز الدين التّونخي، دمشق، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم- دمشق، 1381هـ-1961م: 79.

³ كاظم، إبراهيم كاظم، الاستثناء في التراث النحويّ والبلاغيّ: 25.

⁴ المرجع نفسه: 25-26.

⁵ المرجع نفسه: 26.

والحدود له. وقد قال بعضُهُ: إِنَّهَا سُمِّيَتْ كذلك لانحرافها عن الأسماء والأفعال، وهي عندنا نحن كلامٌ لأَنَّهَا منتَظِمةٌ من حرفين فصاعداً¹.

وأما عن الذين استخدموا مصطلح (أدوات الاستثناء) فمنهم: أبو الحسن التميمي، وهو من نحاة القرن السادس الهجري. قال: «وَأَمَّا كُمْ أدوات الاستثناء، فثلاث عشرة...»². ثم استخدمه من بعده عديد النحاة كالجزولي، والشلوبيني، وابن عصفور، وابن مالك، والرضي، وابن النّاطم، وغيرهم³.

ولعلّه ممّا سبق ذكره، نستنتج أنّ ما جاء من مصطلحاتٍ في مسألة أدوات الاستثناء لم يتعد في دلالتها بعضها عن بعض؛ إذ لا فرق بين ما استعمله سيويه وبين ما استعمله نحاة العربية المتأخرين عنه؛ فإنّها كلّها ذاتٌ مدلول واحد، وهو التعبير عن الوسيلة أو الأداة اللغويّة التي بوساطتها يتمّ تحقّق معنى الاستثناء في الجملة العربيّة كإلّا، وحاشا، وغير، وغيرها، إلّا ما اختلفوا فيه بخصوص تسميتها بحروف استثناءٍ طوّراً، وأدوات استثناءٍ طوّراً آخر، كما رأينا. هذا إضافة إلى عدم تسجيل تطوُّرٍ في مصطلح أدوات الاستثناء⁴.

3- (إلّا) أمّ الباب:

إنّ الظاهر، أنّه قد سُمِّيَتْ (إلّا) بهذا الاسم لأنّها الأداة الأكثر استعمالاً، وأكثرها أحكاماً، وهي عبارة عن حرفٍ مبنيٍّ لا محلّ له من الإعراب. والحرفُ «(إلّا) بكسر الهمزة وتشديد اللّام، حرفٌ من حروف المعاني يفيد الاستثناء، ولهذا عدّه النّحويّون من أدوات الاستثناء، ونالت هذه الأداة أهميّةً في هذا الباب، حتّى نرى أنّ من النّحويّين من صرّح أنّها الأصل في الاستثناء، لأنّها تصلح في كلّ مكانٍ صلّحت فيه الأدوات الأخرى. أضف إلى ذلك أنّ النّحويّين كانوا يُطلقون على أدوات الاستثناء الأخرى "ما جاء بمعنى "إلّا". مثلهذا نجده عند سيويه، قال: (فحرف

¹ الخفاجي، ابن سنان، أبو محمّد عبد الله بن سنان، سرّ الفصاحة، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، ط1، 1402هـ- 1982: 24.

² كاظم، إبراهيم كاظم، الاستثناء في التّراث النّحويّ والبلاغيّ: 27، نقلاً عن: التّميمي، أبو الحسن الحيدرة النّحويّ، كتاب كشف المشكل في علم النّحو، تحقيق: كامل محمّد يعقوب، (رسالة دكتوراه، آداب، القاهرة، سنة 1975م): 334.

³ ينظر: كاظم، إبراهيم كاظم، الاستثناء في التّراث النّحويّ والبلاغيّ: 27.

⁴ ينظر: المرجع نفسه: 27.

الاستثناء إلا، وما جاء فيه من الأسماء بمعنى إلا...، وما جاء من الأفعال فيه معنى إلا...، وما فيه ذلك من المعنى من حروف الإضافة...¹»².

ويتضح من كلام سيبويه هنا، أنه ويصرّح بأن ما جاء من أدوات الاستثناء سواءً أكانت فعلية، أم اسمية، أم حرفية؛ فإنّها تحمل معنى "إلا"، وهو رأي جمهور علماء النحو واللغة عموماً، كأبي العباس المبرّد الذي قال في الحرف "إلا" إنّها «حرف الاستثناء الأصلي»³، هذا إضافة إلى غيره من النحاة.⁴

أ- الحروف المتضمنة معنى الاستثناء:

هي كثيرة كما ذكر آنفاً، غير أنّ الأصل فيه «أن يكون بإلا، وإنما كانت هي الأصل لأنّها حرف، وأنّها تنقل الكلام من حال إلى حال، كما أنّ "ما" تنقل الكلام من الإيجاب إلى النفي والهمزة تنقل من الخبر إلى الاستخبار، واللام تنقل من النكرة إلى المعرفة. فعلى هذا تكون إلا هي الأصل، لأنّها تنقل الكلام من العموم إلى الخصوص، ويكتفى بها من ذكر المستثنى منه، إذا قلت: "ما قام إلا زيد"، وما عداها ممّا يُستثنى به فموضوع موضعها ومحمول عليها لمشابهة بينهم»⁵. ويُفهم من هذا أنّ إلا إنّما كانت هي أمّ الأدوات في باب الاستثناء، لأنّها حرف، والحرف إنّما يُوضع لإفادة المعاني، كالنفي، والاستفهام، والنداء. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإنّ إلا تقع في هذا الباب فقط، وغيرها من الحروف يقع في أمكنة مخصوصة بها، وتُستعمل في أبواب

¹ سيبويه، الكتاب: 309/2. والقول منقول كاملاً فيما سبق في الصفحتين الأخيرتين من هذا البحث.

² كاظم، إبراهيم كاظم، الاستثناء في التراث النحوي والبلاغي: 51.

³ ينظر: المبرّد، أبو العباس، المقتضب في اللغة والأدب، تحقيق: محمّد عبد الخالق عزيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط2، 1399هـ - 1979م: 391/4، وكاظم، إبراهيم كاظم، الاستثناء في التراث النحوي والبلاغي: 51، نقلاً عن: السيرافي، أبو سعيد، شرح السيرافي على كتاب سيبويه: 127/3.

⁴ ينظر: ابن باشاذ، أبو الحسن طاهر أحمد، تحقيق وتقديم: محمّد أبو الفتوح شريف، الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدريسة، د.ط، 1978م: 264/2، والجرجاني، عبد القاهر، المقتصد في شرح الإيضاح، تحقيق: كاظم بحر المرجان، منشورات وزارة الثقافة والإعلام - الجمهورية العراقية، دار الرشيد للنشر، د.ط، 1982م: 708/1. ويقول في ذلك الشيخ أبو علي الفارسي (ت377هـ) في "باب ما جاء من المعنى من الكلام": «قد جاء من الأسماء والأفعال الحروف، فأما الاسم، فنحو "غير" و"سوى" و"سواء ولا سيما...». المرجع نفسه: 708/2.

⁵ السيوطي، جلال الدين، الأشباه والنظائر في النحو، تحقيق: فايز ترحيني، دار الكتاب العربي - بيروت، ط1، 1404هـ - 1984م: 96/2.

آخر¹، والمراد هاهنا بأنّ "إلا" تنقل الكلام من حالٍ إلى حالٍ، أي أنّها تنقله من عموم الحكم إلى خصوصه، نحو قولنا: "مَا جَاءَنِي إِلَّا زَيْدٌ"، إذ القصد به تخصيصُ صفة الجيئ بـ "زيد" فقط دون غيره، بعد أن كان المعنى في قولنا: "مَا جَاءَنِي أَحَدٌ"، على نفي عموم الجيئ عن النَّاس جميعهم.

ب- عملُ إلا:

يذهب عموم النحويين في تركيب "إلا" الاستثنائية مذاهبَ كثيرة، ومتباينةً أحياناً. فقد ذهب الفراء (ت207هـ)، ومن تبعه من الكوفيين، وهو المشهور في مذهبهم إلى «أنّ قول العرب "إلا" إنّما جمعوا بين "إن" التي تكون جحداً، وضّموا إليها "لا"؛ فصارا جميعاً حرفاً واحداً، وخرّجوا من حدّ الجحد إذ جُمعَتَا فصَارَا حرفاً واحداً»². وهو ما ينقله ابن السّراج (ت316هـ) عن البغداديين، إذ يقولون في "إلا" الاستثنائية إنّما هي «"إن" و"لا"، ولكنّهم خفّفوا "إن" لكثرة الاستعمال، ويقولون إنّ قولنا مثلاً: "مَا جَاءَنِي أَحَدٌ إِلَّا زَيْدٌ"، فإنّما رفعنا زيداً بـ (لا)، وإنّ نصّبنا فبيان، ونحن في ذلك مُخَيَّرُونَ في هذا لأنّه قد اجتمع عاملان: "إن" و"لا"، فنحن نُعْمَلُ أُيُّهُمَا شَيْئاً»³. أمّا أبو البركات بن الأنباري (ت577هـ)، فيرى أنّه إذا تأملنا مذهب الفراء في عمل إلا، اتّضح أنّ في قوله اضطراباً؛ لأنّ المعروف على مذهب الكوفيين، أنّه إذا خُفِّفَ الحرف النَّاسِخُ إنّ وآل إلى إنّ بطلَ عمله، وهذا ما يردّ على الفراء رأيّه، بعمل "إلا" في الإيجاب اعتباراً بأنّ التي يهملها الكوفيون في حال تخفيفها، هذا إضافة إلى أنّنا لو اعتدّدنا بعمل "إن" نصبا في المستثنى على أنّه اسمها لافتقرت الجملة في تمام معناها إلى خبر الحرف النَّاسِخِ "إن".⁴

¹ والأمثلة على ذلك كثيرة في العربيّة، منها حرف الشرط "إن" الذي قد يفيد معنى النفي في بعض الأساليب الخاصّة، إذ يقترن خبر مبتدئها المنفي غالباً بـ "إلا الحاصرة" كما في الآية العشرين من سورة الملك، إذ يقول الخالق سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾، وكذلك بالنسبة لـ "إلا" الاستفهاميّة، التي قد ترد نافيةً أحياناً، ولها في ذلك وجهان إعرابيان معروفان بـ "ما الحجازية" والتّميميّة، وهو شأن "غير" كذلك المفيدة للوصف، في أصل وضعها، ولكنّها قد تُحْمَلُ على "إلا" الاستثنائيّة فتعمل عملها، كما سنرى لاحقاً، وغيرها من الحروف.

² الفراء، أبو زكرياء يحيى بن زياد، معاني القرآن، عالم الكتب-بيروت، ط2، 1402هـ-1982م: 377/2.

³ ابن السّراج، الأصول في التحو: 300/1-301.

⁴ ينظر: ابن الأنباري، أبو البركات، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، ومعه كتاب الانتصاف من الإنصاف، لمحمّد محي الدّين عبد الحميد، دار الجيل-بيروت، د.ط، 1982م: 161/1. وينظر: ابن الأنباري، أبو البركات، أسرار العربيّة، تحقيق: فخر صالح قدّارة، دار الجيل-بيروت، ط1، 1415هـ، 1995م: 186.

وأما تشبيهه لـ "إلا" بـ "لولا"، فلا يقوم على حجة كما يظهر، وذلك لأن الأصل في "لولا" إنما هي "لو" ضُمَّت إليها "لا"؛ فصارتا حرفاً واحداً.¹ والمعروف، أنه إذا رُكِبَ حرفٌ مع حرفٍ آخر، فإن كلاهما يفقد وظيفته النحويّة التي كان عليها قبل التركيب، ويحصل لهما حكمٌ جديد آخر.² وهذا شأن "لولا" أيضاً؛ فمعلومٌ أنّ "لو" حرفٌ يمتنع به الشيء لامتناع غيره، فإذا رُكِبَ مع "ما"، تغيّر ذلك المعنى، وصارت بمعنى "هلاً"، فكذلك أيضاً إذا رُكِبَ مع "لا".³

وعلى هذا، فالأكيد أنّ "لو" و"لا" إذا رُكِبتا معا صارتا حرفاً واحداً، لذا يزول عن "لو" معنى الشرط، وتخرج "لا" عن كونها نافية. غير أنّ الفراء لا يقول بهذا في "إلا"، بل إنه يرى أنّ كلا الحرفين، أي: "إنّ ولا" باقيان على أصلهما، وعملهما كما كانا قبل التركيب.⁴

ومنهم من يذهب إلى عدّ «(إلا) التي للاستثناء كلمةً واحدة، وليس مركبةً وهي حرف. وقد تترك الحرفيّة والاستثناء وتصير اسماً محضاً، بخلاف التي في مثل "إلا بُجَاهِلٌ زُمَاءُكَ يَكْرَهُوكَ"؛ فإنّها مركبة من "إنّ" الشرطيّة المدغمة في "لا" النافية».⁵

هذا، ويذهب البصريّون إلى أنّ العامل في المستثنى هو الفعل، أو معنى الفعل بتوسّط "إلا"، وذلك لأنّ «هذا الفعل وإن كان فعلاً لازماً في الأصل، إلّا أنه قُوِيَ بـ "إلا"؛ فتعدّى إلى المستثنى كما تعدّى الفعل بالحروف المعدّية. ونظيره نصبهم الاسم في باب المفعول معه، نحو: "استوى الماء والخشبة"، فإنّ الفعل منصوب بالفعل المتقدّم بتقوية الواو، فكذلك هنا».⁶

وربما يكون هذا التفسير ما يُفهم من ظاهر كلام سيبويه في كتابه، حين عرض بالحديث للوجه الأوّل الذي يكون عليه الاسم الواقع بعد "إلا" الاستثنائيّة، إذ يقول في هذا الصدد: «أنّ

¹ ينظر: الفراء، معاني القرآن: 377/2.

² ينظر: المرجع نفسه: 377/2.

³ ينظر: ابن الأنباري، أسرار العربية: 188.

⁴ ينظر: ابن الأنباري، الإنصاف: 264/1-265.

⁵ ينظر: حسن، عباس، النحو الوافي، دار المعارف-القاهرة، ط5، 1975م: 319/2. وللاشارة فقط، فقد لمح سيبويه إلى الحرف "إلا" هذا حين يكون مركباً من "إنّ الشرطيّة"، و"لا" النافية في معرض حديثه عن "إنّ" أصل حروف الشرط، ممثلاً لها بما ورد في الآية السابعة والأربعين من سورة هود، وهو قوله تعالى: ﴿وَالَا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. ينظر: سيبويه، الكتاب: 66/3، والزنجشيري، الكشف: 274/2، والمرادي، الحسين بن القاسم، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدّين قباوة، ومحمّد نديم فاضل، دار الكتب العلميّة-بيروت، ط1، 1413هـ-1992م: 522.

⁶ ابن الأنباري، أسرار العربية: 185.

يكون الاسم بعدها خارجاً ممّا دخل فيه ما قبله من الكلام، كما تعمل عشرون فيما بعدها، إذا قلت: "عِشْرُونَ دِرْهَمًا"¹. وهو ما يؤكّده في موضع آخر من مؤلفه، في "باب ما لا يكون فيه المستثنى إلّا نصباً"؛ إذ يُقرّر وجوب النصب في المستثنى إذا ورد في استثناء تامّ متّصلٍ موجبٍ، مشيراً إلى أنّ العامل فيه نصباً هو ما قبله من الكلام، ناسباً هذا الرأي إلى أستاذه الخليل بن أحمد الفراهيدي².

ومن هذا الذي سبق، يظهر لنا تساؤلٌ بخصوص المراد بجملة سيويه "ما قبله من الكلام" ؟ أ هو الفعل السابق لحرف الاستثناء، "إلّا"، أو هو "إلّا" ذاتها؟

وجواباً عن هذا نقول: إنّ الواضح في هذه المسألة بعد الاطلاع على بعض آراء علمائنا الأجلّاء المبثوثة في مصنفاتهم، وتقليب النظر فيما قالوا وأولوا كلام سيويه، هو أنّ هناك اختلافاً بيناً واضحاً بين النحاة في فهم كلام سيويه وتأويله.

فمنهم من قال إنّ الناصب للمستثنى عند صاحب الكتاب هو الفعل المتقدّم، أو معنى الفعل بواسطة "إلّا"³.

في حين رأى بعضهم أنّ الناصب له إنّما هو الحرف "إلّا"⁴. وإذا كان هذا عن مذهب جمهور نحاة المذهب البصريّ، فإنّ ما يجدر بنا أن نشير إليه هو أنّ عدداً من نحاة المدرسة البصريّة⁵ خالفوا رأي سيويه، ومؤيديه في هذه المسألة؛ إذ ينسبون عمل

¹ سيويه، الكتاب: 310/2.

² ينظر: سيويه، الكتاب: 330/2-331.

³ ينظر: المبارك، مازن، الزمانيّ التّحويّ في ضوء شرحه لكتاب سيويه، منشورات دار الكتاب اللبناني-بيروت، د.ط، د.ت: 363 و400، والجرجانيّ، دلائل الإعجاز: 06، والأعلم الشنتمريّ، النّكت: 621/1، الحاشية رقم 30. ونصب الفعل للمستثنى، يُذكر أنّه مذهب أبي سعيد السّيرافي (ت368هـ). أمّا الرّخشيّ، فيرى أنّه الفعل بتوسّط "إلّا". ينظر: الأعلم الشنتمريّ، النّكت: 621/1، الحاشية رقم: 33، والرّخشيّ، محمود، المفصل في صنعة الإعراب، تحقيق: علي أبو ملحم، دار ومكتبة الهلال-بيروت، ط1، 1413هـ-1993: 96-99.

⁴ ينظر: الحمداويّ، بماء الدّين العقيليّ، شرح ابن عقيل، تحقيق: محمّد محي الدّين عبد الحميد، دار الفكر-بيروت، ط16، 1974م: 211/2.

⁵ وهو مذهب أبي إسحاق الرّجّاج (ت311هـ)، والمبرّد من البصريّين. ينظر: ابن السّراج، الأصول في النّحو: 281/1، وابن الأنباريّ، الإنصاف: 261/1، والعكبريّ، الباب في علل البناء والإعراب: 303، والسّيوطي، جلال الدّين، الاقتراح في علم أصول النّحو، تحقيق: محمّد حسن محمد إسماعيل الشّافعي، دار الكتب العلميّة-بيروت، ط1، 1418هـ-1998م: 85.

النَّصْبُ الواقع على المستثنى إلى الحرف "إِلَّا"، هذا الأخير الذي يكون حينئذ بمعنى الفعل "أَسْتَثْنِي". وعليه يُقدَّر قولنا: "جَاءَ الْقَوْمُ إِلَّا زَيْدًا"، بمعنى: "جَاءَ الْقَوْمُ أَسْتَثْنِي زَيْدًا"، بنصب "زيد" في الجملة الأولى لأنه واجبٌ نصبُ المستثنى في الكلام التام الموجب، على أن "إِلَّا" هي العاملة فيه حسب هذا الرأي، كما يكون واجباً نصب "زيد" في الجملة الثانية على المفعولية لتعدي الفعل "أَسْتَثْنِي" إليه، فعمل فيه نصباً.¹

وإلى ذلك يذهب أبو الفتح عثمان بن جني الذي يرى أن ليس العامل في المستثنى نصبا هو الحرف "إِلَّا"، ولكنه الفعل "أَسْتَثْنِي" الذي نابت عنه. وينقل في هذا الموضوع، "في باب" في زيَادَةِ الحُرُوفِ وَحَذْفِهَا"، رأي أحد النحاة، ومفاده أن «الحروف إنما دخلت الكلام لضرب من الاختصار، فلو ذهبت تحذفها لكنت مختصرة لها هي أيضا. واختصار المختصر إجحاف به».²

ويزيد هذه المسألة شارحاً، بأن «تفسير قوله: إنما دخلت الكلام لضرب من الاختصار، هو أنك إذا قلت: "مَا قَامَ زَيْدٌ"؛ فقد أَعْنَتْ "مَا" عن "أَنْفِي"، وهي جملة فعل وفاعل، وإذا قلت: "قَامَ الْقَوْمُ إِلَّا زَيْدًا"؛ فقد نابت "إِلَّا" عن "أَسْتَثْنِي"، وهي فعل وفاعل، وإذا قلت: "قَامَ زَيْدٌ وَعَمْرُو"؛ فقد نابت "الواو" عن أعطف».³

ويواصل كلامه بإبرازه سبب منع عمل هذه الحروف فيما بعدها من الأسماء الفضلات (غير المعدودة عُمْدَةً في الجملة)، مُعَلِّلاً: «ولأجل ما ذكرنا من إرادة الاختصار بها لم يجوز أن تعمل في شيء من الفضلات: الظرف، والحال، والتمييز، والاستثناء، وغير ذلك. وعلته أنهم قد أنابوها عن الكلام الطويل لضرب من الاختصار؛ فلو ذهبوا يُعْمِلُونَهَا فيما بعد لَنَقَضُوا ما أجمعوه، وتراجعوا عما اعترضوه».⁴

وجديرٌ بالذكر هنا، أنه قد «حكي عن الكسائي (ت189هـ) زعيم الكوفيين، أنه قال: إنما نُصِبَ المستثنى؛ لأنَّ تأويل "جَاءَ الْقَوْمُ إِلَّا زَيْدًا"، هو: "قَامَ الْقَوْمُ إِلَّا أَنْ زَيْدًا لَمْ يُمْ". وحكي عنه أيضاً أنه قال: ينتصب المستثنى لأنه مشبّه بالمفعول». ابن الأنباري، الإنصاف: 261/1.

¹ ينظر: ابن السراج، الأصول في النحو: 281/1، وابن الأنباري، أسرار العريية: 185، والسيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو: 85.

² ابن جني، الخصائص: 273/2.

³ المرجع نفسه: 273/2-274.

⁴ المرجع نفسه: 274/2.

وتأكيداً لما أقرّه صاحب الخصائص بخصوص ما سبق، يعتمد الموازنة بين عمل حرف النداء "يا" النَّصَب فيما بعده¹، وبين عمل هذه الحروف النَّائِبَة عن أفعال مخصوصة، فيقول: «...وذلك أنَّ "هَلْ" تنوب عن "أَسْتَفْهِمُ"، و"مَا" تنوب عن "أَنْفِي"، و"إِلَّا" تنوب عن "أَسْتَنْي"، وتلك الأفعال النَّائِبَة عنها هذه الحروف هي النَّاصِبَة في الأصل، فلَمَّا انصرفت عنها إلى الحروف طلباً للإيجاز، ورغبةً في الإكثار، أَسْقَطَتْ عمل تلك الأفعال، لِيُتِمَّ لك ما أُنْتَحِيَتْه من الاختصار، وليس كذلك "يا".²

هذا كلُّه، في حين يذهب ابن الأنباري إلى أنَّ الصَّحِيح من هذه المذاهب قولُ البصريين، مع عدم اعتداده في الوقت نفسه برأي الرَّجَّاح والمبرد في هذه المسألة، القائل بعمل الحرف "إِلَّا" النَّصَب في المستثنى بمعنى "أَسْتَنْي".³

المطلب الثاني: أدوات بين الاسمِية والفعليّة: (خلا، عدا، حاشا):

هذه الأدوات عليها خلاف بين النحويين، فقد ذهب الكوفيون إلى أنَّ (حاشا) في أسلوب الاستثناء فعلٌ ماضٍ لأنَّه لفظٌ متصرف، والتَّصَرُّف يكون في الأفعال، ولأنَّ "لام الجرّ" تتعلّق به، وحرفُ الجرّ يتعلّق بالفعل لا بالحرف، فالحرف لا يتعلّق بالحرف أبداً، ويَدْخُلُه الحذف أيضاً. وذهب بعضهم إلى أنَّه فعلٌ اسْتُعْمِل استعمال الأدوات، أمّا البصريون وسيبويه فقد ذهبوا إلى أنَّه حرفٌ جرٌّ لأنَّه لا يجوز دخول الحرف (ما) عليه، وذهب أبو العباس المبرد إلى أنَّه يكون فعلاً ويكون حرفاً أيضاً، كما يرى بعض النحويين أنَّها حرف جرٌّ فقط، لكن على القول بأنَّها مثل

¹ فابن جني يذهب إلى أنَّ "يا" التَّدَائِيَّة لها ميزةٌ خاصَّة في قيامها مقامَ الفعل ليست لسائر الحروف، وعليه يرى أنَّ عمل النَّصَب في المنادى إمَّا هو من جهة "يا"، نحو قولنا: "يَا عَبْدَ اللَّهِ". ف "عبد الله" منصوب بـ "يا" لأنَّه منادى، حالها في ذلك حال الفعلين (أَدْعُو) و(أُنَادِي) في كون كلٍّ منهما هو العامل في المفعول به نصباً، إذا قلنا مثلاً: "أُنَادِي عَبْدَ اللَّهِ"، و"أَدْعُو عَبْدَ اللَّهِ". ينظر: المرجع نفسه: 276/2-277، وما بعدها.

² ابن جني، الخصائص: 276/2. أمّا ابن مالك، صاحب الألفيَّة الشَّهيرة في النحو، فيقول في ذلك:

مَا اسْتَنْتَ إِلَّا مَعَ تَمَامٍ يَنْتَصِبُ . وَبَعْدَ نَفْيٍ، أَوْ كَنْفِيٍّ انْتَحَبَ

ومفاد ذلك، أنَّ النَّاصِبَ للمستثنى هو "إِلَّا"، لا ما قبلها بتعديتها، ولا به مستقلاً، ولا "بِاسْتَنْي" مُضْمَرًا. ينظر: ابن النَّاظِم، أبو عبد الله بدر الدِّين محمَّد، شرح ألفية ابن مالك. تحقيق: عبد الحميد السَّيد محمَّد عبد الحميد، دار الجليل-بيروت، د.ط، د.ت: 292.

³ ينظر: الأعلام الشَّتمري، التَّكت: 622/1، وابنُ الأنباري، أسرار العربية: 186-187، و188، والعكبري، اللَّباب:

303-304، والسَّيوطي، الاقتراح في علم أصول النُّحو: 85.

(خلا) و(عدا) أنها تنصب وتجرّ، فإن جرّت فهي أحد حروف الجرّ، وهي بذلك إحدى أدوات الاستثناء، ويكون ما بعدها اسماً مجروراً بحرف الجرّ.

وإن نصبت فهي أفعال، إذ عدّوها أفعالاً ماضية، ضُمّنت معنى الأداة (إلا) الاستثنائية، فيُستثنى بها كما يستثنى بالأداة (إلا)، وذلك لدخول (ما) المصدرية عليها، فإنّ العلماء قالوا: إنّ هذا يعدّ دليلاً على فعلية هذه الأدوات، يعني أنّه يجب أن تتمخّض للفعلية في حال سبقتها (ما)، فإذا صارت فعلية، فيجب نصب ما بعدها ويكون ما بعدها مفعولاً به، وفاعلها ضمير مستترٌ وجوباً.¹

المطلب الثالث-أسماء:

وهما أداتا الاستثناء (غير وسوى)، وهما اسمان يُضافان إلى ما بعدها، وقد اختلف النحاة قديماً في كونهما اسماً أم ظرفاً، وذلك كالاتي:

أ-الاسم (غير):

تفيد كلمة "غير" المغايرة، وأصلها أن تكون تفيد مغايرة مجرورها لموصوفها، إمّا ذاتاً أو صفةً. فالمغايرة بالذات نحو قولنا: "محمدٌ غيرُ إبراهيم"، و"مررتُ برجلٍ غيرِ عليّ". فشخص محمد غيرُ شخص إبراهيم، وكذلك شخص الرجل الذي مررت به غيرُ شخص عليّ. والمغايرة بالصفة نحو قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾² بالرفع على أنّه صفةٌ للقاعدتين، وكقوله: ﴿نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلْ﴾³، و"هَذَا دِرْهَمٌ غَيْرُ جَيِّدٍ"، و"مررتُ برجلٍ غيرِ طويلٍ".⁴

¹ ينظر: سيبويه، الكتاب: 309/2، وابنُ السّراج، الأصول في النّحو: 229/1-290، وابنُ فارس، الصّاحبي: 109، والمبارك، مازن، الرّمانيّ التّحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه: 343-347، وابنُ جنيّ، اللّمع: 125، والأعلم الشّتمريّ، التّكت: 649-948/1، وابنُ الأنباريّ، أسرار العربية: 195، وابن عقيل، شرح ابن عقيل لبهاء الدّين العقيليّ، تحقيق: محمّد محي الدّين عبد الحميد، دار الفكر-بيروت، ط16، 1974م: 232/2-233، وياقوت، محمود سليمان، شرح جمل سيبويه، دار المعرفة الجامعية-الإسكندرية، د.ط، 1992: 38/1، وعزيمة، عبد الخالق محمّد، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، دار الحديث- القاهرة، د.ط، د.ت: 241-242.

² النّساء: 95.

³ فاطر: 38.

⁴ ينظر: الرّمشريّ، المفصّل: 200 / 1.

و"غير" من مبتدعات العربية لا تشاركها اللغات السامية فيه.¹

ولكونها تفيد المغايرة حملت على "إلا" في الاستثناء، فصار يُستثنى بها وذلك لأن الاستثناء مغايرة أيضاً، ولكن هناك فرقاً بين مغايرة "غير" ومغايرة "إلا"، وذلك أن "غيراً" كما ذكرنا تفيد المغايرة ذاتاً أو صفةً، بغض النظر عن الإثبات والنفي، في حين أن الأداة "إلا"، تفيد المغايرة نفيًا وإثباتاً بغض النظر عن المغايرة بالذات أو الصفة فتقول: "حَضَرَ الرَّجَالُ إِلَّا خَالِدًا". فهنا أفادت "إلا" المغايرة بالإثبات والنفي، فالرَّجَالُ حضروا وخالدٌ لم يحضر، بغض النظر عن الصفة أو الذات، كما حُمِلَتْ "إلا" على "غير" فأصبحت صفةً تفيد المغايرة بالذات أو بالصفة.²

وذهب الكوفيون إلى أنه يجوز بناؤها على الفتح في كل موضع يحسن فيه (إلا) سواء أُضيفت إلى معرب، أو مبني.

أما البصريون فقد ذهبوا إلى جواز بنائها إذا أُضيفت إلى مبني، بخلاف ما إذا أُضيفت إلى معرب، حيث احتج الكوفيون بقولهم إلى أنه يجوز بناؤها على الفتح إذا أُضيفت إلى اسم معرب؛ لأن (غيراً) هنا قامت مقام الحرف (إلا) و (إلا) حرف استثناء، والأسماء إذا قامت مقام الحروف يجب أن تُبنى، سواء أُضيفت إلى اسم مبني أم معرب، واحتج البصريون بأن قالوا: بأن الإضافة إلى الاسم المبني تُجَوِّزُ في المضاف البناء.

هذا، ويرى يقول صاحب كتاب (الإنصاف في مسائل الخلاف) رداً على الكوفيين في كتابه: بأن الإضافة إلى الاسم المعرب لا تُجَوِّزُ في المضاف البناء، فهو باقٍ على أصله في الإعراب، ومنهم من يقول: أنها اسم، ولأنها اسم، فلا بد له من موقعٍ إعرابيٍّ، فإما أن يكون مرفوعاً، أو منصوباً، أو مجروراً، وذلك على حسب موقعه في الجملة، أما إذا أُضيفت (غير) إلى مبني، فيجوز بناؤها على الفتح شأنها في ذلك شأن الأسماء المتوَعَّلَّة في الإبهام.

وبناءً عليه، تكون (غيرٌ وسوى) اسمين مُعَرَّبَيْن يُوصَفُ بهما ما قبلهما غالباً، وهما اسمان نكرتان متوَعَّلَتان في الإبهام و التَّنْكِير، فلا تفيدهما إضافتهما إلى المعرفة تعريفًا، ولهذا تُوصَفُ بها التَّكْرَةُ مع إضافتهما إلى معرفة مثل: (هَذَا رَجُلٌ غَيْرٌ سَيِّءٍ، لَهُ صِفَاتٌ سِوَى مَا ذَكَرْتُ)، ولكن كما

¹ ينظر: برجستراسر، التطور النحوي للغة العربية: 99.

² ينظر: السامرائي، فاضل صالح: معاني النحو: 262/2. عن موقع: <https://al-maktaba.org/book/33593/650#p1>

تُحْمَلُ (إِلَّا) الاستثنائية على (غَيْرٍ) فيُوصَفُ بها، حيث تُحْمَلُ (غَيْرٌ وَسَوَى) الوصفيتان على أداة الاستثناء (إِلَّا) فيُسْتَثْنَى بهما ويُثَبِّتُ لهما ما يَثْبُتُ للاسم الواقع بعد (إِلَّا)، ويضافان إلى المستثنى الحقيقي، وكلمة (غَيْرٍ) لا يقع بعدها جملة؛ لأنَّها اسمٌ لا يضاف إلَّا للمفرد، وحكمُ (غَيْرٍ وَسَوَى) في الإعراب هو الحكمُ ذاته مع الاسم الواقع بعد إلَّا.¹

ب- الاسم (سوى):²

ذهب الكوفيون إلى أنَّها قد تكون اسماً أو ظرفاً، ودليلُهم في ذلك أنَّها تكون اسماً بمنزلة (غَيْرٍ)، ولا تلزم الظرفية لأنَّهم يستطيعون أن يُدْخِلُوا عليها حرف الجرِّ. أمَّا أصحابُ المذهب البصري، فذهبوا إلى أنَّها لا تكون إلَّا ظرفاً، وقد احتجُّوا بأنَّ قالوا: إنَّما قلنا ذلك لأنَّهم ما استعملوه في اختيار الكلام إلَّا ظرفاً، مثل قولهم: "مَرَرْتُ بِالَّذِي سِوَاكَ"؛ إذ إنَّ وقوعها هنا يدلُّ على ظرفيتها فقط، ومنهم مَنْ يعتبرها اسماً صريحاً وفيها عدَّة لغات مختلفة، منها: سَوَى، وَسَوَى، وَسَوَاء، سِوَاء، وكلُّ هذه الأسماء الصريحة عند استعمالها أداة استثناء تشترك في المعنى والحكم.³

¹ ينظر: ابنُ السَّراج، الأصول في النَّحو: 284/1 و285-300 و301، والأعلم الشَّتمري، النكت: 644/1-645، والمرادي، الجنى الدَّاني في حروف المعاني: 517، وابنُ هشام، أوضح المسالك: 307/1، والسيوطي، الأشباه والنظائر: 230/2، والسيوطي، المجمع: 231/2، والمبارك، مازن، الرُّماني النَّحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه: 428-429.

ونشير هنا، أنَّ الاسم (غَيْراً) قد أعربت إعراب الاسم الواقع بعد (إِلَّا)؛ لأنَّها لما أُقيمت هاهنا مقام (إِلَّا)، وكان ما بعدها مجروراً بإضافة (غَيْرٍ) إليه ولا بدَّ لها في نفسها من إعراب أخذت إعراب الاسم الذي بعد (إِلَّا)؛ دلالةً على ما كان يستحقُّ الاسم من الإعراب لو كان مسبوقاً بإلَّا، هذا طبعاً مع ملاحظة بقاء معنى الاستثناء مع (غَيْرٍ). و أمَّا (إِلَّا)، فلا تَه حرفٌ لا يقع عليه عاملٌ تخطيَّ العامل الذي قبلها إلى الاسم الذي بعدها، فعمل فيه. ينظر: الأعلام الشَّتمري، النكت: 644/1، وابنُ الأنباري، أسرار العربية: 190، والعكبري، اللباب: 308، والمبارك، مازن، الرُّماني النَّحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه: 428-429.

² كما سبق، فلام اسم (سوى) عدَّة لغات عند العرب هي "سَوَى" بالكسْرِ والقَصْر، و"سَوَى" بالضَّمِّ والقَصْر، و"سَوَاء" بالمدِّ والكسر، أو الفتح. ينظر: ابنُ السَّكَّيت، إصلاح المنطق: 133 و421، وابنُ السَّراج، الأصول في النَّحو: 84/1، وابنُ فارس، الصَّاحبي: 111، وابنُ هشام، أوضح المسالك: 301/1، وابنُ عقيل، شرح ابن عقيل: 225/2، والشَّرقاوي، عبد الحميد بن إبراهيم، حاشية العالم عبد الحميد الشَّافعي المسماة تسهيل الفوائد لتحصيل الشَّيخ خالد على متن الأجرومية، المطبعة الأميرية الكبرى ببولاق-القاهرة، د.ط، 1313هـ-1983م: 55، والأنطاكي، محمَّد، المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها: 331/2.

³ ينظر: سيبويه، الكتاب: 350/2، وابنُ جني، اللُّمع: 125، والمنصف: المازني، أبو عثمان النَّحوي البصري، شرح كتاب التَّصريف، تحقيق: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، إدارة إحياء التَّراث القديم، ط1، 1373هـ-1954م: 121، وابنُ

المطلب الرابع-الأفعال:

الفعالان (لَيْسَ، وَلَا يَكُونُ)، هما في الأصل فعالان ناقضان، ويمكن أن يكونا بمعنى (إلا) الاستثنائية، فَيُسْتَثْنَى بهما أحياناً، كما أنَّهما لم تَخْرُجَا على أصلهما إلا في شيء واحد وهو وجوب حذف اسمهما، ويأتي المستثنى بعدهما واجب النصب؛ لأنَّه خبرٌ لهما، مثل: "نَجَحَ الْمُتَسَابِقُونَ لَيْسَ فَرِيداً"، أو: "لا يكون فَرِيداً"، وأصل الجملة: "ليس النَّاجِحُ فَرِيداً، أو: لا يكون النَّاجِحُ فَرِيداً".
أما اسْمُهُما، فعبارة عن ضمير مستتر يعود على المستثنى منه، وجملة الاستثناء تكون إما حاليةً أو استثنائيةً، غير أنَّ شرط استعمال الفعل (لَا يَكُونُ) أداة استثناء هو كونه مسبقاً بـ (لا) النافية.¹

كما نشير هنا، أنَّه قد ثبت عند الشَّريف الرُّضِيِّ (ت406هـ) إلى جانب استخدامه مصطلح "حروف الاستثناء" استعماله أيضاً مصطلح "آلة الاستثناء". قال: « والمنسوب إليه كان المستثنى منه مع المستثنى وآلة الاستثناء ».² وإذا كان هذا عن أدوات الاستثناء، فما أنواع الاستثناء ؟ وما الفروق بينها في الإعراب والمعنى ؟

هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد: المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، د.ط، 1416هـ-1995م: 161/1، وابن هشام، أوضح المسالك: 307/1-308، والعكبري، الباب: 109، وابن هشام، جمال الدين الأنصاري، قطر الندى: 270، والدقر، عبد الغني، معجم القواعد العربية: 263، والمبارك، مازن، الرَّمَّاني التَّحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه: 446.

¹ ينظر: السَّيرافي، أبو سعيد، شرح كتاب سيبويه، تحقيق: أحمد حسن مهدي وعلي سيّد علي، دار الكتب العلميّة، ط1، د.ت: 94/3-97.

² الاستريادي، الرُّضِي بن الحسن، شرح الرُّضِي على كافيّة ابن الحاجب، بيروت، د.ت، 235/1.

المبحث الثالث: في أنماط الاستثناء:

وينقسم عدّة أقسام هي:

المطلب الأول: الاستثناء التام المتصل:

وهي الحالة الأولى، والتي يجب أن يكون فيها المستثنى واجب النصب على الاستثناء، كما في قوله جلّ شأنه: ﴿فَسَحِّدُوا إِلَّا إِنْ لَيْسَ﴾¹ لوقوعه في كلام تامّ موجب²؛ إذ «انتصب لأنّك شغلته بهم عنه، فأخرجته من الفعل من بينهم، كما تقول: "جاء القوم إلّا زيداً"، لأنّك لما جعلت لهم الفعل وشغلته بهم وجاء بعدهم غيرهم، شبّهته بالمفعول به بعد الفاعل، وقد شغلت به الفعل»³.

ونشير هنا إلى أنّ مسألة نصب المستثنى في الاستثناء التام المتصل واجب عند جمهور النحاة، نحو قوله تعالى: ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾⁴، وعلى رأسهم سيويه الذي صرح في كتابه بأنّ إبدال المستثنى من المستثنى منه لا يجوز في الكلام التام المثبت؛ إذ يقول في "باب لا يَكُونُ الْمُسْتَثْنَى فِيهِ إِلَّا نَصْبًا": «أَتَانِي الْقَوْمُ إِلَّا أَبَاكَ، وَمَرَرْتُ بِالْقَوْمِ إِلَّا أَبَاكَ، وَالْقَوْمُ فِيهَا إِلَّا أَبَاكَ. وَانْتَصَبَ "الأب" إذ لم يكن داخلاً فيما دخل فيه ما قبله، ولم يكن صفة، وكان العامل فيه ما قبله من الكلام...»⁵، ليعلّل سبب منع الإبدال في هذا الموضع بقوله: «وإنّما منع الأب أن يكون بدلاً من القوم، أنّك لو قلت: "أَتَانِي إِلَّا أَبُوكَ"، كان محالاً. وإنّما جاز: "مَا أَتَانِي الْقَوْمُ إِلَّا أَبُوكَ"، لأنّه يحسن لك أن تقول: "مَا أَتَانِي إِلَّا أَبُوكَ"، فالمبدل إنّما يجيء أبداً كأنّه لم يُذكر قبله شيء لأنّك

¹ الكهف: 50.² والمراد بالكلام التام أن تكون الجملة الواقعة قبل (إلّا) الاستثنائية تامّة المعنى أو مفيدة في حال حذف أداة الاستثناء وما بعدها، وذلك في نحو قولنا: "جاءني القوم إلّا زيداً"، فجملة "جاء القوم" كلام تامّ لحصول فائدة معنويّة من هذا البناء اللغويّ لعبارة متكوّنة من فعل، وفاعل، ومفعول.

أمّا القصد بالكلام الموجب، فهو وروده مثبتاً غير مسبوق بإحدى أدوات النفي، أو النهي، أو الاستفهام. ينظر: ابن السّراج، الأصول في النحو: 281/1؛ 284/1.

³ الأخفش، سعد بن مسعدة، معاني القرآن، تحقيق: عبد الأمير محمد أمين الورد. عالم الكتب-بيروت، ط1، 1970م: 57/1.⁴ البقرة: 249.⁵ سيويه، الكتاب: 331/2.

تُخْلِي له الفعل وتجعله مكان الأول. فإذا قلت: "مَا أَتَانِي الْقَوْمُ إِلَّا أَبُوكَ"، فكأنك قلت: "مَا أَتَانِي إِلَّا أَبُوكَ"¹.

وهو التعليل الذي يأخذ به ابن الأنباري في تعليقه لمنع البدلية في الإيجاب؛ مُصَرِّحاً أنّها «تؤدي إلى محال، وذلك لأنّ المبدل منه يجوز أن يُقدَّر كأنه ليس في الكلام، فإذا قدرنا هذا في الإيجاب، كان محالاً؛ لأنّه يصير التقدير: (جاءوني إلا زيد)، ويصير المعنى: (أنّ جميع الناس جاءوني غير زيد). وهذا لا يستحيل في النفي كما يستحيل في الإيجاب، لأنه يجوز ألا يجيئه أحد سوى زيد، فبان الفرق بينهما»².

المطلب الثاني: الاستثناء التام المنفي:

وفي هذا الأسلوب يأتي الاسم الواقع بعد حرف الاستثناء في جملة تامّة منفيّة، أو مسبوقه بنهي أو استفهام. وهنا يجوز فيه وجهان إعرابيان، إمّا النصب على الاستثناء أو الإتيان على البدلية، وذلك نحو قول الله عزّ وجلّ: ﴿مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾³، إذ يجوز نصب كلمة "قليل" على الاستثناء وهو وجهٌ ضعيف، كما يمكن رفعها على أنّها بدلٌ من ضمير الفاعلين "الواو" في الفعل "فعلوه". وهذا الوجه الثاني المذكور هنا، هو المرجح عند جمهور النحاة لأمرين: أولاً: لموافقة اللفظ، وثانياً: لأنّ البدل أقوى في حكم العامل. غير أنّ الجدير هاهنا، هو أنّ إتيان المبدل للمبدل منه في هذا النوع في الاستثناء، هو إتيان لفظي فقط، لا معنوي؛ لأنّ المستثنى مخالفٌ للمستثنى منه في النفي والإيجاب. وعموماً، فقد عُهدت المخالفة بين الصّفة والموصوف مع أنّهما كالشيء الواحد، في نحو: (مَرَرْتُ بِرَجُلٍ لَا⁴ فَيَح وَلَا لَيْمٍ).

¹ سيبويه، الكتاب: 331/2.

² ابن الأنباري، أسرار العربية: 188. ونشير هنا، أنّه إذا كانت (إلا) في هذا النوع من الاستثناء تُخرج الثاني ممّا دخل فيه الأول، موجباً كان هذا الحكم أم منفيّاً، فالملحوظ أنّ الاسم المستثنى مع ما يُستثنى منه يمكن عدّه بمنزلة اسم مضاف، إذ إنّ قولنا: (جاءني القومُ إلا قليلاً منهم)، هو بمنزلة قولنا: (جاءني أكثرُ قَوْمِكَ)، فكأنّه اسمٌ مضافٌ لا يتمّ إلاّ بالإضافة. ينظر: ابن السّراج، الأصول في النحو: 282/1.

³ النساء: 66.

⁴ ينظر: سيبويه، الكتاب: 429/1، والمبارك، مازن، الرّقاني التّحوي في ضوء شرحه كتاب سيبويه: 368-371، وابن جني، الخصائص: 83/3، والأعلم الشّتمري، النّكت: 617/1، و الرّمحشري، محمود، الكشّاف عن حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل، دار الفكر للطباعة والنشر والتّوزيع-بيروت، د.ط، د.ت: 593/1، وابن هشام الأنصاري، مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب: 645/2-646، وكمال بسيوني، المفردات النّحويّة، مكتبة التّهضة المصريّة-القاهرة، ط1، 1988م: 55.

المطلب الثالث: الاستثناء المنقطع:

وهو ما كان فيه المستثنى من غير جنس المستثنى منه؛ ويلزم نصبه على الاستثناء، نحو قوله جلّ شأنه: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرِيَّةٌ أَمَنْتَ فَنَفَعَهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا﴾¹، إذ معنى "إلا" في موضعها هذا، هو على: "لكنّ"، والتقدير: و"لكنّ قَوْمٌ يُونُسَ آمَنُوا".²

¹ يونس: 98.

² وبنو تميم يجيزون البدلية في الاستثناء المنقطع إن صحّ تفرُّغ العامل قبله، نحو قولنا: (لَا أَحَدَ فِيهَا إِلَّا حِمَارٌ)، أرادوا بذلك: (لَيْسَ فِيهَا إِلَّا حِمَارٌ)، وإنّما ذكر "أحد" تأكيداً؛ لأنّ يُعْلَمُ أنّ ليس فيها آدمي، ثم أُبدِلَ مكانه، فكأنّه قيل: (لَيْسَ فِيهَا إِلَّا حِمَارٌ). ينظر: سيبويه، الكتاب: 319/2 و325، وابن السّراج، الأصول في النّحو: 289/1-290، وابن فارس، الصّاحبي: 95-96، والمبارك، مازن، الرّماني النّحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه: 384-388 و392-396، وابن جني، اللّمع: 122-123، والزّمخشري، الكشّاف: 254/2.



الفصل الثاني

طُرقُ القصر

المبحث الأول: التخصيص عن طريق الاستثناء المفرغ:

استكمالاً لما كنّا قد عرضنا له من ذكر موجز لأنماط الاستثناء الثلاثة الأولى، وهي: الاستثناء التامّ المثبت، والاستثناء التامّ المنفي، والاستثناء المنقطع، تكون رابع حالات الاستثناء هي الاستثناء المفرغ. فما القصْدُ بقولنا "استثناءً مفرغاً"؟ ولم سُمّي كذلك؟ وما الفروق الكامنة بينه وبين أنواع الاستثناء المذكورة قبله نحويّاً ودلاليّاً؟ وكيف يتحقّق معنى القصر بوساطته؟ وما أبرز ما يُميّز تركيب جملته في العربية؟

هذا كلّهُ، ما سنحاول الإجابة عنه فيما يأتي تباعاً.

المطلب الأول: البناء النحويّ لأسلوب الاستثناء المفرغ:

1- تعريف الاستثناء المفرغ:

هو رابع حالات الاستثناء، وهو النوع الذي لم يذكر فيه المستثنى منه، نحو: قوله تعالى: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾¹، وكقولنا مثلاً: "مَا حَضَرَ إِلَّا سَامٌ". ولا يكون هذا الاستثناء عند أكثر النحاة إلّا في الموجب، وهو المسبوق بنفي، أو نهي، أو استفهام، نحو قوله جلّ شأنه: ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾².

فإذا استقام المعنى في الإيجاب صحّ، وذلك كأن تكون هناك قرينة على إرادة جماعةٍ مخصوصةٍ، فنقول مثلاً: "قَامَ إِلَّا فَرِيدٌ" إذا كان المراد أن نستثني فريداً من جماعةٍ مخصوصةٍ، وكقولنا مثلاً: "قَرَأْتُ إِلَّا يَوْمَ الْخَمِيسِ" بتخصيص يوم الخميس من أسبوعٍ معيّن. ومن أمثله في الإيجاب قول الخالق سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِدْ ذُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾³ فهذا الاستثناء مفرغ من الإيجاب.⁴ لأنّ المعنى مستقيم.

كما ويجوز التفرّيع في موجبٍ مؤوّل بالنفي،⁵ كقوله تعالى: ﴿فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا

¹ الأنعام: 25.

² الأنبياء: 03.

³ الأنفال: 16.

⁴ ينظر: الرضي، شرح الكافية: 255/1.

⁵ ينظر: الزركشي، بدر الدّين، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة التّراث-القاهرة، د.ط، د.ت:

241 / 4.

كُفُورًا¹، وكقوله تقدّست أَسْمَاؤُهُ وجلّ شأنُهُ: ﴿وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ﴾²، وكقوله عزّ من قائل: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ﴾³؛ فهذا استثناء مفرّغ لأنّ معناه: "لا نأخذ، إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ".

والحرف "إلا" يفيد الاختصاص بالشّيء دون غيره، سواءً أكان ذلك في الاستثناء المفرّغ أم في غيره؛ وذلك لأنّ قولنا مثلاً: "جَاءَنِي الْقَوْمُ إِلَّا زَيْدًا" يفيد اختصاص (زيد) بعدم الجيئ، في حين أنّ قولنا: "مَا جَاءَنِي إِلَّا زَيْدٌ" يفيد اختصاصه بالجيئ، كما ذكر ذلك الرّمانيّ (ت384هـ)، وأضاف بدر الدّين الزّركشيّ (ت794هـ) أنّها تأتي للحصر إذا تقدّم عليها نفياً⁴.

2- سبب تسميته بالمفرّغ:

لأنّ الاسم الوارد بعد حرف الاستثناء "إلا" لا يعدو أن يكون على وجهين اثنين كما أثبتته سيبويه في مُفْتَتَح باب الاستثناء من كتابه. فهو يرى أنّ الاسم في الوجه الأوّل يكون واجب النّصب على الاستثناء لوقوعه في كلام تامّ موجب، أو منقطع. كما سبق، فإنّنا نجد سيبويه ينصّ على أنّ الوجه الثّاني للجيئ المستثنى بعد "إلا" الاستثنائية، هو بقاءه على «الحال التي كان عليها قبل أن تلحق، كما أنّ "لا" حين قلت: لا مرحباً ولا سلاماً، لم تغيّر الاسم عن حاله قبل أن تلحق، فكذلك "إلا"، ولكنّها تجيئ لمعنى كما تجيئ "لا" لمعنى»⁵.

ويرى سيبويه أنّ دخول "إلا" في مثل هذه التّراكيب شبيهٌ بدخول الحرف "لا" غير العامل فيما بعده، ككلمة سلام" في قولنا: "لَا مَرْحَباً وَلَا سَلَامٌ". ولكنّه يستدرك موضحاً أنّ "إلا" إنّما تأتي لمعنى وهو الاستثناء، كما تجيئ "لا" لمعنى آخر وهو النّفي. والظاهر هاهنا، أنّ سيبويه يتحدّث عن عمل "إلا" الاستثنائية في المفرّغ من الكلام؛ إذ يضيف مبيناً الغرض من استعمالها قائلاً: «فأمّا الوجه الذي يكون فيه الاسم بمنزلة قبل أن تلحق إلا، فهو أن تُدْخِلَ الاسم في شيء تنفي عنه ما سواه، وذلك قوله: "مَا أَتَانِي إِلَّا زَيْدٌ"، و"مَا لَقِيتُ إِلَّا زَيْدًا"، و"مَا مَرَرْتُ إِلَّا بِزَيْدٍ"؛ بُحْرِي

¹ الفرقان: 50.

² التوبة: 32.

³ يوسف: 79.

⁴ ينظر: الزّركشيّ، بدر الدّين، البرهان في علوم القرآن 4/241.

⁵ سيبويه، الكتاب: 310/2.

الاسم مجراه إذا قلت: "مَا أَتَانِي زَيْدٌ، وَمَا لَقِيتُ زَيْدًا، وَمَا مَرَرْتُ بِزَيْدٍ" ¹، ليحدّد بعدها وظيفة "إِلَّا" الدلالية في هذا الأسلوب، فيقول: «ولكنك أدخلت "إِلَّا" لتوجب الأفعال لهذه الأسماء، ولتنفي ما سواها، فصارت هذه الأسماء مستثناة» ².

ولعلّه من هذا التفسير اللغويّ يكون المبرّد (ت385هـ) قد اقتبس هذه الحالة التي يرد فيها الاسم بعد إلّا الملمعة؛ إذ نراه يقترب من كلام سيبويه كثيراً، إذ عرّفه بقوله إنّه «أن يكون محمولا على ما كان عليه قبل دخول الاستثناء، نحو: "مَا جَاءَنِي إِلَّا زَيْدٌ"، و"مَا ضَرَبْتُ إِلَّا زَيْدًا"، و"مَا مَرَرْتُ إِلَّا بِزَيْدٍ"؛ وإنما يجري هذا على قولك: من هذا التفسير "جاءني زيد"، و"ضربت زيدا"، و"مررت بزيد"، وتكون الأسماء محمولة على أفعالها» ³.

ومعنى هذا، أنّ الأداة "إِلَّا" التي للاستثناء، في موضعها هذا ليست استثنائية تُخرج ما بعدها من حكم ما قبلها ⁴، ولا ناصبة أو متوسطة للفعل قبلها للعمل في المستثنى بعدها ⁵، بل إنّ وظيفتها وظيفتها في هذا الأسلوب أن تجعل ما بعدها واجباً (أي مُثَبَّتاً) لما قبلها، وتنفي ما عداه ⁶. ويُجَلِّي صاحبُ الكتاب علّة إعراب الأسماء الواقعة بعد (إِلَّا) حسب موقعها من الجملة، مبيناً أنّها في نحو: "مَا أَتَانِي إِلَّا زَيْدٌ، وَمَا رَأَيْتُ إِلَّا زَيْدًا، وَمَا مَرَرْتُ إِلَّا بِزَيْدٍ"؛ إنّما الوجه فيها من الناحية الإعرابية أن «تكون محمولة على حالها قبل أن تلحق (إِلَّا)، لأنّها محمولة على ما يجزّ ويرفع وينصب، كما كانت محمولة عليه قبل أن تلحق (إِلَّا)، ولم تشغل عنها قبل أن تُلْحَقَ الفعل بغيرها» ⁷.

¹ سيبويه، الكتاب: 310/2.

² المرجع نفسه: 310/2.

³ المبرّد، أبو العباس محمد بن يزيد، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط2، 1399هـ-1979م: 389/4.

⁴ هذا من الناحية الإعرابية فقط، أمّا من جهة المعنى. فالأمر يختلف كثيراً، وهو ما سيتمّ بسط القول فيه لاحقاً إن شاء الله تعالى.

⁵ نشير هنا، بأننا لا نريد أن ننسب إلى سيبويه رأياً خاصاً به في مسألة العامل الذي يعمل النصب في المستثنى؛ لأنّ ذلك ممّا اختلف النحاة في فهمه وتأويله كما سبق بيانه.

⁶ ينظر: حطل، مصطفى، نظام الجملة عند اللغويين العرب في القرنين الثاني والثالث للهجرة، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية - دمشق، د.ط، 1979م-1980م: 403/1.

⁷ ينظر: سيبويه، الكتاب: 310/2-311، والزنجشيري، المفصل: 98-99.

هذا، وعلى الرغم من أن سيويه لم يذكر صراحة سبب إعراب الاسم الواقع بعد "إلا" الاستثنائية حسب ما تقتضيه العوامل قبلها في هذا النوع من الأساليب، إلا أنه صرح إلى تشابه تركيبين لغويين في معناه العام في باب أسمائه ب: "هَذَا بَاب مَا يَكُونُ الْمُسْتَثْنَى فِيهِ بَدَلًا مِمَّا تُنْفِي عَنْهُ مِمَّا أُدْخِلَ فِيهِ"¹، وهو قولك: «مَا أَتَانِي أَحَدٌ إِلَّا زَيْدٌ، وَمَا مَرَرْتُ بِأَحَدٍ إِلَّا زَيْدٌ، وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا إِلَّا زَيْدًا؛ جَعَلْتُ الْمُسْتَثْنَى بَدَلًا مِنَ الْأَوَّلِ، فَكَأَنَّكَ قُلْتَ: "مَا مَرَرْتُ إِلَّا بِزَيْدٍ، وَمَا أَتَانِي إِلَّا زَيْدٌ، وَمَا لَقِيتُ إِلَّا زَيْدًا"²، وهو ما بيّنه أحد شُراح الكتاب، وهو الأعلام الشنتمري (ت 476هـ) حين قال: «إِذَا قُلْتَ: "مَا قَامَ إِلَّا زَيْدٌ"، كَانَ مَعْنَاهُ كَمَعْنَى: "مَا قَامَ أَحَدٌ إِلَّا زَيْدٌ". فَإِذَا حَذَفْتَ "أَحَدًا" اسْتَوَى حَذْفُهُ وَإِبَاتُهُ فِي الْمَعْنَى»⁴.

ولعلّ الرأي الذي يميل إليه عموم جمهور النحويين بعد سيويه، كأبي بكر السراج (ت 316هـ) أيضاً في قوله: إِنَّكَ «إِذَا فَرَّغْتَ الْفِعْلَ لِمَا بَعْدَ "إِلَّا" عَمِلَ فِيهَا بَعْدَ "إِلَّا"، وَزَالَ مَا كُنْتَ تَسْتَثْنِي مِنْهُ»⁵. فحذف المستثنى منه من الجمل: "مَا أَتَانِي أَحَدٌ إِلَّا زَيْدٌ، وَمَا مَرَرْتُ بِأَحَدٍ إِلَّا زَيْدٌ، وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا إِلَّا زَيْدًا"، والذي كان شاغلاً دور المعمول النحوي للعامل الذي قبله وهو كونه فاعلاً للفعل "أتاني" في الجملة الأولى، واسماً مجروراً بباء الجر متعلّقاً بالفعل: "مررت" في الجملة الثانية، ومفعولاً به للفعل: "رأيت" في الجملة الثالثة. فلمّا زال لفظ "أحد" من تركيب الجمل المذكورة آنفاً «صحّ تفرّغ العامل لما بعد "إلا"، كقولك: "مَا قَامَ إِلَّا زَيْدٌ، وَمَا ضَرَبْتُ إِلَّا زَيْدًا، وَمَا مَرَرْتُ إِلَّا بِزَيْدٍ. فَالْعَامِلُ بِمَنْزِلَةِ لَوْ لَمْ تَكُنْ "إِلَّا" مَعَهُ⁶، فهي ملغاة من الإعراب، دخولها كخروجها فيه، إلا أنّها لمعناها في إخراج بعض من كلّ على هذه الجهة. فالمسلطة هي الواقعة في الإيجاب⁷، والملغاة هي الواقعة في النفي على تفرّغ العامل. ونظيرُ الملغاة قولهم: (لَا مَرْحَبًا وَلَا سَلَامًا)؛ فهي

¹ سيويه، الكتاب: 311/2.

² نلاحظ هنا استعمال سيويه في حال التمثيل للمفعول به الواقع بعد (إلا) الملغاة إعراباً الفعل: "لقيت"، في حين أنّه استعمل الفعل "رأى" في حالة ذكر المستثنى منه "أحدًا" في جملة: "مَا رَأَيْتُ أَحَدًا إِلَّا زَيْدًا".

³ سيويه، الكتاب: 311/2.

⁴ الأعلام الشنتمري، التكت: 615/2.

⁵ ابن السراج، الأصول في النحو: 282/1.

⁶ وهو ما عبّر عنه ابن مالك في قوله (ت 686هـ): وَإِنْ يُفَرِّغْ سَابِقُ "إِلَّا" لِمَا .: بَعْدُ يَكُنْ كَمَا لَوْ عُدِمَا

⁷ وهو ما مثّل له الرّماني (ت 384هـ) بجملة: "سَارَ الْقَوْمُ إِلَّا زَيْدًا". ينظر: المبارك، مازن، الرّماني النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيويه: 363.

ملغاةً من العمل وتبسيط العمل، وهي على أصلها في النفي، فكَذَلِكَ "إِلَّا" هي ملغاةٌ من التبسيط، وهي على معناها من الاستثناء¹.

وابن جني صاحب كتاب الخصائص هو الآخر، لم يخرج عن هذه القاعدة؛ إذ يرى أنه في حال تفرغ الكلام للعامل الذي قبل "إِلَّا" عمل بالضرورة فيما بعدها، نحو: "مَا قَامَ إِلَّا زَيْدٌ"، برفع "زيد" بفعله "قَامَ"، وهو الإعراب ذاته الذي يأخذه أيضاً في حال عدم وجود "إِلَّا"، كقولنا: "مَا قَامَ زَيْدٌ"، وكذلك لو قيل: "مَا رَأَيْتُ إِلَّا زَيْدًا"، إذ يُنصَب "زيد" هنا لأنه مفعول للفعل "رَأَى" سواءً أكان ذلك مع وجود "إِلَّا"، أم في حال حذفها لو قيل: "مَا رَأَيْتُ زَيْدًا"².

ولعله ارتكازاً على ما قيل هنا، يتضح بجلاء سبب تسمية هذا النوع من الاستثناء بالمفرغ؛ ومرجع ذلك طبعاً أن فيه تفرغاً للعامل الذي قبل "إِلَّا" للعمل فيما بعدها بحسب ما يتطلبه تركيب الجملة النحوي والمعنوي، وذلك يرجع إلى حذف المستثنى منه من الكلام الذي كان يعمل فيه ما قبله. فإن كان العامل الموجود قبل "إِلَّا" على سبيل المثال فعلاً لازماً طلب بعد "إِلَّا" الحاصرة فعلاً يرتفع به، وإن كان العامل الذي قبل حرف الاستثناء "إِلَّا" الملغى إعراباً فعلاً متعدياً احتاج إلى مفعول ينصبه، ويتم به معنى الجملة الكلية، وهكذا³.

ويزيد هذا المعنى بسطاً وتفصيلاً ما ورد في كتاب شرح التصريح على التوضيح، وهو أن هذا النوع من الاستثناء إنما سُمِّيَ «استثناءً مفرغاً» لأن ما قبل "إِلَّا" تفرغ لطلب ما بعدها، ولم يشغل عنه بالعمل في غيره، والاستثناء في الحقيقة من عامٍّ محذوفٍ، وما بعد (إِلَّا) بدلٌ من ذلك المحذوف، والتقدير: "مَا قَامَ أَحَدٌ إِلَّا زَيْدٌ، وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا إِلَّا زَيْدًا، وَمَا مَرَرْتُ بِأَحَدٍ إِلَّا زَيْدًا، إِلَّا أَنَّهُمْ حَذَفُوا الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ، وَأَشْغَلُوا الْعَامِلَ بِالْمُسْتَثْنَى، وَسَمَّوْهُ اسْتِثْنَاءً مَفْرَغًا، وَشَرْطُهُ عِنْدَهُمْ كَوْنُ الْكَلَامِ غَيْرَ إِجْبَابٍ، وَهُوَ أَنْ يَتَقَدَّمَ عَلَيْهِ مَا يُخْرِجُهُ عَنِ الْإِجْبَابِ وَهُوَ النَّفْيُ، نَحْوُ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾⁴؛ فما قبل (إِلَّا) وهو "مُحَمَّدٌ" مبتدأ، والمبتدأ يطلب الخبر فرفع ما بعد (إِلَّا) وهو "رَسُولٌ" على

¹ المبارك، مازن، الرّماني النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه: 363. وينظر: المرجع نفسه: 383.

² ينظر: ابن جني، اللّمع: 124، والمبارك، مازن، الرّماني النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه: 363 و 383.

³ ينظر: ابن السّراج، الأصول في النّحو: 282/1، والمرادي، الجنى الدّاني: 514، وابن هشام الأنصاري، قطر النّدى وبلّ الصّدى، ومعه كتاب سبيل الهدى بتحقيق شرح قطر النّدى، لحي الدّين محمّد عبد الحميد، دار الإمام مالك - الجزائر، د.ط، د.ت: 209، والزّاجحي، عبده، التّطبيق النّحوي، دار النّهضة العربيّة للطّباعة والنّشر - بيروت، د.ط، 1985م: 304.

⁴ آل عمران: 144.

الخبريّة، والتّهي، نحو ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾¹؛ فما قبل (إِلَّا) وهو "تَقُولُوا" يطلب مفعولاً صريحاً، فنصب ما بعد (إِلَّا) وهو "الحق" على المفعوليّة، وتقديرُ المستثنى منه: "وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ شَيْئاً إِلَّا الْحَقَّ"،...، والاستفهام الأنكاريّ لما فيه معنى النّفي، نحو: ﴿فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾²، فما قبل (إِلَّا) وهو "يُهْلِكُ" المبني للمفعول يطلب مرفوعاً نائباً عن الفاعل؛ فرفع ما بعد (إِلَّا)، وهو "القَوْم" على النّياية عن الفاعل، وتقديرُ المستثنى منه: "فَهَلْ يُهْلِكُ أَحَدٌ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ؟"، والمعنى: "مَا يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ"³.

إذاً، يظهرُ جليّاً من هذا الذي سبق، أنّ سبب تسمية هذا النّوع من الاستثناء بالمفّرغ مِنْ قَبْلُ أَنَّ (إِلَّا) تفرّغ للعمل الإعرابيّ فيما بعده، ولم يشتغل بالعمل في غيره.

3- مصطلح المفّرغ عند النحاة:

سنعرض بإيجاز لتأصيل استعمال مصطلح الاستثناء المفّرغ عند نحاة العربيّة حسب ما توفّر لنا من معطياتٍ ومعلوماتٍ استطعنا جمعها في هذا الباب، وهذا بيان ذلك:

أ- عند سيويه:

كما تقدّم معنا، فإنّ معالجة سيويه لهذا النمط، والذي جعله على أحد وجهين يرُدُّ بهما الاستثناء، في ضوء بقاء الاسم الذي يلي "إِلَّا" على حركته الإعرابيّة التي كان عليها قبل أن تلحقه "إِلَّا"، من دون تصريح أو تلميح إلى مصطلح المفّرغ، وإتّما جاءت دراسته لهذا النوع من الاستثناء بعباراتٍ وصفيةٍ تشير إليه.

ب- عند خلف الأحمر (ت 180هـ):

إنّ الثّابت في هذه المسألة عند هذا النّحويّ الشّهير من نحاة القرن الثّاني الهجريّ، هو أنّه على الرّغم من أنّه لم يعرف مصطلح الاستثناء المفّرغ الدّالّ على هذا النمط من الأساليب التي يُحذف فيها المستثنى منه من تركيب جملة الاستثناء، غير أنّه كان يُطلق عليه مصطلح "التّحقيق"؛ إذ يقول فيه معرّفاً، إنّ «رَفَعَ كُلَّهُ، تقول: "مَا جَاءَنِي إِلَّا زَيْدٌ" ترفّعه بفعله. و"التّحقيق" يسمّيه

¹ النّساء: 171.

² الأحقاف: 35.

³ الأزهرّي، خالد بن عبد الله، شرح التّصريح على التّوضيح على ألفيّة الن مالك في النّحو والصّرف لجمال الدّين بن يوسف بن هشام الأنصاريّ، وبهامشه حاشية الشّيخ يس بن زيد الدّين العليمي الحمصي، صُحّحت هذه الطّبعة وُوجعت بمعرفة لجنة من العلماء، مكتبة الاستقامة بالقاهرة، ط1، 1374هـ - 1954م: 348/1.

الكوفيون الإيجاب. قال الله تعالى: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾¹ يرفعه على التحقيق، فهو الإيجاب، فقيس عليه».²

ويرى محقق كتاب خلف الأحمر أن «المقصود من "التحقيق" هنا التفريغ أو الاستثناء المفرغ، أو ما يسمى بالحصر والقصر، ففي قوله: "مَا جَاءَنِي إِلَّا زَيْدٌ" تحقيق المجيء من زيد وحده، وهو يُوجب أن لا يكون المجيء إلا من زيد، وهذا هو معنى الإيجاب. وقوله: "التحقيق يسميه الكوفيون الإيجاب"، يدل على أن خلفاً وصحبه كانوا يسمونه التحقيق».³

ج- عند الفراء (ت207هـ):

وأما الفراء، فقد تحدّث على العموم حين تعرّض لهذا النمط، إذ يقول في هذا الصدد: «وإذا لم تر قبل (إلا) اسماً، فأعمل ما قبلها فيما بعده، فتقول: "مَا قَامَ إِلَّا زَيْدٌ"؛ رَفَعْتَ زَيْدًا لِإِعْمَالِكَ "قَامَ"، إذ لم تجد "قَامَ" اسماً بعدها، وكذلك "مَا ضَرَبْتُ إِلَّا أَخَاكَ"، و"مَا مَرَرْتُ إِلَّا بِأَخِيكَ"».⁴

والملاحظ من قول الفراء، «أنّه جعل كلّ اسمٍ مرفوعاً بعد (إلا) غير المسبوقه باسم، وهذا القول لا يتّسم بالدقة، لأنّه جاز الرفع بعد إلا، وقد سُبقت باسم، نحو: مَا قَامَ الْقَوْمُ إِلَّا زَيْدٌ، على البديل، كما أنّ إلا قد تُسبق باسم، ويعمل ما قبلها فيما بعدها، نحو: مَا ضَرَبَ زَيْدٌ إِلَّا عَمْرًا. وعلى الرّغم من هذا المؤاخذات على ما جاء به الفراء، فإنّه يريد تفريغ ما قبل إلا لما بعده في كلامه هذا».⁵

والآن سننتقل إلى تسليط الضوء، ولو بإيجاز على مسألة استعمال المصطلح النحوي الدالّ على هذا النمط النحوي من الاستثناء الذي يُحذف فيه المستثنى منه، ويعمل فيه ما قبل إلا فيما بعدها.

ولكن قبل ذلك، حريّ بنا أن نلفت الانتباه هنا إلى أن أبا سعيد السيرافي لم يستخدم الفعل المشتقّ من المصدر (تفريغ) للدلالة على معنى القصر، ولا اصطلاح على النمط، وإنما أدرجه

¹ هود: 40.

² خلف الأحمر، مقدّمة في النحو: 80.

³ المرجع نفسه: 80، الحاشية رقم: 01.

⁴ الفراء، معاني القرآن: 267/1.

⁵ كاظم، إبراهيم كاظم، الاستثناء في التراث النحوي والبلاغي: 38.

فيما جاء به سيبويه من عنوان (هذا باب ما يكون استثناءً بـ¹) الذي درس فيه صاحب الكتاب حالتي الاسم الوارد بعد إلا، ومن بينهما الحالة التي يكون فيها الاسم على حاله قبل لحاق إلا؛ إذ تُدخِلُ الاسم الذي بعدها في شيءٍ تنفيه عمّا سواه، كقولنا: "ما أتاني إلا زيدٌ، وما لقيتُ إلا زيداً، وما مررتُ إلا بزيدٍ".

د- استعمال الفعل (فَرَّغَ):

لقد استعمل معظم علماء النحو الذين جاؤوا بعد المبرّد (ت385هـ) الفعل (فَرَّغَ) للدلالة على هذا النوع من الاستثناء، ويريدون به أن يتفرَّغَ الكلام السابق لحرف الاستثناء (إلا) للعمل فيما بعدها، ومنهم:

1- عند ابن السّراج (ت316هـ):

وقد استخدم الفعل (فَرَّغَ) في قوله: «إذا فَرَّغْتَ الفعلَ لما بعد "إلا" عَمِلَ فيما بعد "إلا"، وزالَ ما كنتَ تَسْتَنِي منه».

2- الزّجاجي (ت340هـ):

وهو ما جاء في كتبه الشهير (الجمَلُ في النحو): «وإذا فَرَّغْتَ ما قبل إلا لما بعدها، عملَ ما قبلها فيما بعدها، ولم تعمل إلا شيئاً كقولك: "ما قام إلا زيدٌ، وما رأيتُ إلا زيداً، وما مررتُ إلا بزيدٍ"».²

4- أبو عليّ الفارسيّ (ت377هـ):

كما ثَبَتَ عن ابن عليّ الفارسيّ (ت377هـ) استعماله اسمَ المفعول المشتقّ من الفعل (فَرَّغَ) بالمعنى المحذّث عنه في قوله: «فإن كان الكلامُ المذكورُ فيه إلا غيرَ موجبٍ، فإنه لا يخلو من أن يكون تامّاً أو غيرَ تامٍّ. فمثال غير التّام: ما جاءني إلا زيدٌ، وما ذهبَ إلا عمروٌ؛ فهذا لا يكون

¹ ينظر: السّيرافيّ، أبو سعيد، شرح كتاب سيبويه، تحقيق: أحمد حسن مهديّ، وعليّ سيّد عليّ، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، ط1، 2008م: 47/3.

² الزّجاجي، أبو إسحاق عبد الرّحمان، الجمَلُ في النّحو، حقّقه وقَدَّمَ له: عليّ توفيق الحمد، مؤسّسة الرّسالة-بيروت، ودار الأمل، إربد-الأردن، ط1، 1404هـ-1984م: 231.

فيه إلّا الرّفع؛ لأنّ الفعل مفرّغٌ لما بعد إلّا، فالعاملُ فيه ما قبل إلّا. وكذا: مَا ضَرَبْتُ إلّا زيداً، وما مرّرتُ إلّا بعمرؤ...»¹.

5- أبو الحسن علي بن عيسى الرّماني (ت384هـ):

أمّا عليّ بن عيسى الرّماني (ت384هـ)، فهو الآخر قد ورد عنه استخدام هذا الفعل، ولكنّه -حسب ظاهر كلامه- قد أخرجه عن معنى الاستثناء، وهو ما يتّضح من كلامه الآتي: «فإنّ فرّغتَ ما قبل إلّا لما بعدها، عمِلَ فيه بقسطه من الإعراب، وذلك: ما قامَ إلّا زيدٌ، وما رأيتُ إلّا زيداً، و(إلّا) هاهنا إيجابٌ وليست استثناء؛ لأنّه ليس قبلها ما يُستثنى منه»².

والّذي يقصّده الرّماني هنا حسب ما أورد هنا، هو أنّه يريد بقوله إنّ: "(إلّا) هاهنا إيجابٌ وليست استثناء" بأنّ (إلّا) تفقدُ في هذا الأسلوب التّحويّ الذي حُذِفَ منه المستثنى منه وظيفتها الإعرابيّة بكونها أداة استثناء، وأنّ ما بعدها يُعرّب مستثنى، ويُصرّح بأنّها إيجابٌ، أي أنّ (إلّا) توجبُ ما قبلها وهو: الفعل "قامَ" في نحو: "ما قامَ إلّا زيدٌ" لما بعدها، وهو "زيدٌ"، من دون تصريح بما يُقَرَّب المعنى من كونه أسلوب قصرٍ لعدم معرفته بالمصطلح البلاغيّ في ذلك الزّمن ربّما، أو لعدم اتّعماله وشيوعه أصلاً.

هـ- ظهورُ مصطلح (المفرّغ): في القرن السّادس الهجريّ عند التّميميّ، وقد جاء استعماله له في قوله: «والمفرّغ مثل: مَا قامَ إلّا زيدٌ»³.

و- شيوعُ مصطلح المفرّغ بعد التّميميّ:

هذا، وقد شاع مصطلحُ (المفرّغ) الذي لا يتعد عن هذا الفعل في دلّالته، إذ إنّّه بعد استعماله من طرف التّميميّ كما سبق، فقد شاع استخدامه بعده من قِبَل من جاء بعد من

¹ الجرجاني، عبد القاهر، المقتصد في شرح الإيضاح، تحقيق: كاظم بحر المرجان، دار الرّشيد للنّشر، العراق، د.ط، 1982م: 700/2.

² الرّمانيّ، أبو الحسن عليّ بن عيسى، معاني الحروف، مُدَيَّلًا بالإعجاز اللّغويّ لحروف القرآن المجيد، تحقيق: عرفان بن سليم العشّا حسّونة الدّمشقيّ، المكتبة العصريّة، بيروت - لبنان، د.ط، د.ت: 185.

³ كاظم، إبراهيم كاظم، الاستثناء في التّراث التّحويّ والبلاغيّ: 38، نقلًا عن: التّميميّ، كشفُ المشكل من علم النّحو: 332.

العلماء¹، كابن الحاجب² (ت646هـ) في استعماله مصطلح (التفريغ)، والرازي³ (ت بعد 666هـ)، والرضي⁴ (ت686هـ)، على سبيل المثال لا الحصر.

ونلفت الانتباه هنا، إلى أنه حسب أحد الدارسين المحدثين، فإنه بناءً على ما أثبت من تعاريف وأقوال نحويّة في هذا النوع من الاستثناء، نستنتج «أنّ ما دعاه النحاة بالاستثناء المفرغ، يعني أسلوب القصر في تسمية البلاغيين، وتكون الجملة فيه مصدرّة بالنفي المنتقض بـ "إلا"، أو بما في معنى إلا، ولكن ما قبل "إلا" لا يستغني عمّا بعدها»⁵.

4- الاستثناء الناقص:

إنّ القصد بالكلام الناقص، هو أنّ تركيب جملة اللغوي لا يؤدّي معنى سليماً، ويرجع ذلك إلى حذف المستثنى منه من التركيب النحوي للجملة. فلو قلنا مثلاً: "لَا تَقُلْ إِلَّا خَيْرًا"، لكان المعنى مفهوماً، ولكننا لو حذفنا "إلا" وما بعدها، أو ما بعد "إلا" فقط، واعتدنا بالكلام السابق لهذا فقط هو، جملة: "لَا تَقُلْ"؛ لاختل المعنى لحاجة الجملة إلى اسم يُنصب على المفعوليّة للفعل المنهني عنه "تَقُلْ"، أي: "لَا تَقُلْ ماذا؟"، ولم يُفهم منه شيء مفيد، ولذلك يُعدّ الكلام ناقصاً.

5- معنى حصول القصر بطريق الاستثناء المفرغ:

الاستثناء المفرغ يفيد القصر، فإذا قلنا مثلاً: "مَا حَضَرَ إِلَّا خَالِدٌ"، فقد نفينا الحضور كلّ، إِلَّا حُضُورَ خَالِدٍ، بخلاف ما لو قلنا: "حَضَرَ خَالِدٌ"؛ فإنه يجوز أن يكون حضر معه غيره⁶.
والحقيقة أنّ "إلا" سواءً أكانت في التفريغ أم في غيره تفيد الاختصاص، فإذا قلنا على سبيل المثال: "قَامَ الرِّجَالُ إِلَّا خَالِدًا"، فقد أثبتنا القيام لجميع الرجال، ونفينا عن خالِدٍ حصراً، وإذا قلنا مثلاً: "مَا قَامَ إِلَّا خَالِدٌ"، فقد نفينا القيام عن كلّ أحدٍ وأثبتناه لخالِدٍ حصراً.

¹ ينظر: كاظم، إبراهيم كاظم، الاستثناء في التراث النحوي والبلاغي: 40.

² ينظر: ابن الحاجب، أبو عمرو عثمان، الإيضاح في شرح المفصل، تحقيق وتقديم: موسى بنّي العليّ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينيّة، إحياء التراث الإسلاميّ، الجُمهوريّة العراقيّة، دط، د.ت: 375/1.

³ ينظر: كاظم، إبراهيم كاظم، الاستثناء في التراث النحوي والبلاغي: 39، نقلاً عن: الرازي، مختار الصحاح: 20.

⁴ ينظر: المرجع نفسه: 40، نقلاً عن: الرضي، شرح الكافية: 234/1.

⁵ جطل، مصطفى، نظام الجملة عند اللغويين العرب بين القرنين الثاني والثالث للهجرة: 199/1.

⁶ ينظر: الرضي، شرح الكافية: 255 / 1.

غير أنَّ القصر في التفرغ أعمُّ وأشمل، وذلك إذا قلنا مثلاً: "مَا حَضَرَ الرَّجَالُ إِلَّا خَالِدًا"، فقد استثنينا حضورَ "خالد" من الرجال، وقد يكون هناك أطفالٌ أو نساءٌ. فإن قلنا: "مَا حَضَرَ إِلَّا خَالِدًا"، فقد نفينا كلَّ حضورٍ غيرِ حضوره، ولذا لا يصحُّ أن نقول مثلاً: "حَضَرَ إِلَّا خَالِدًا"؛ لأنَّه على ذلك يكون معناه أنَّه حضر كلُّ من يمكن حضوره في الدنيا من رجالٍ ونساءٍ وأطفالٍ وغيرهم، إِلَّا خَالِدًا، وهو غير صحيح ويستحيل البتَّة؛ فإنَّه يمكن أن لا يجيئك إِلَّا واحدٌ، ولكن يمتنع أن يأتيك أهل الدنيا كلُّهم إِلَّا واحداً. فالقصر في التفرغ أعمُّ وأشمل.¹

وبناءً على هذا، نستنتج أنَّ (إِلَّا) تثبَّت الحكم لما بعدها وتنفيه عمَّن سواه؛ فهي تقصِّر الصِّفة على الموصوف، أو الموصوف على الصِّفة. يقول الدكتور مهدي المخزومي: «و(إِلَّا) هذه ليست استثناءً، وإلَّا هي مسبوقه بالنفي أداة قصر، ووظيفتها قصر ما قبلها على ما بعدها، والقصر تأكيدٌ وإيجابٌ أبداً، وهذا ما يفرِّق بينها وبين (إِلَّا)؛ لأنَّ وظيفة (إِلَّا) في الاستثناء إخراج ما بعدها من حكم ما قبلها، فهما مختلفان، ولذلك كان عدُّ النحاة إيَّاهما في باب الاستثناء خلطاً، وتسميتها بالاستثناء المفرغ ضرباً من التكلف».²

وبخصوص الاستثناء المفرغ، يرى الدكتور إبراهيم أنيس أنَّ فيه من التلويح والتلميح ما يهبُّ الكلام قوَّةً فوق قوَّته، ويزيده بياناً فوق بيانه، إلَّا أنَّه اعتبر (إِلَّا) أداة نفي مركَّبة، فعندما دخلت على الكلام كانت تأكيداً للنفي السابق لها³، معتبراً أنَّ عدَّ النحاة المستثنى والمستثنى منه جملةً واحدةً ليس بالأمر السليم؛ «لأنَّ الذي يظهر من طبيعة الجمل الاستثنائية أنَّ المتكلم بعد أن نطق بجملة تفيد العموم والشمول، استدرك ونفى هذا الشمول عن شيء ما، ولذلك أرجح ما ذهب إليه المبرِّد والرجَّاح وطائفة من الكوفيِّين من اعتبار (إِلَّا) نيابةً عن فعل مثل (أَسْتثْنِي)؛ كأنَّ المتكلم قد استدرك بسرعة ولما يكاد ينتهي من جملته، فألحقها بجملة أخرى تبدأ بأداة نفي مركَّبة رغبةً في إخراج المستثنى من الحكم الذي نُسب إلى المستثنى منه. ففي الاستثناء جملتان: نرى في الأولى منهما المسند ملفوظاً، وفي الأخرى يكون المسند ملحوظاً».⁴

¹ ينظر: السامرائي، فاضل صالح، معاني النحو: 249/2. عن موقع: <https://al-maktaba.org/book/33593/637#p1>

² المخزومي، مهدي، في النحو العربي - نقد وتوجيه، دار الزائد العربي، بيروت - لبنان، ط2، 1986م: 240.

³ ينظر: أنيس، إبراهيم، من أسرار اللغة، ملتزم الطبع والتشتر مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة، ط3، 196م: 172.

⁴ المرجع نفسه: 172.

في حين اعتبرها كثيرٌ من النحاة أداة لنقض النفي، فإنَّ قَصَدَ إيجاب خبر ما قرن بإلّا، فذلك يعني أنَّ الأسلوب أسلوب إثباتٍ نتيجة التعبير الجامع بين النفي والاستثناء

6- لطيفة دلالية في الاستثناء المفرغ:

حين عرض سيبويه في باب الاستثناء لوجهي الاسم الواقع بعد الحرف "إلّا"، مشيراً إلى حاله في الاستثناء المفرغ، بيّن وظيفة "إلّا" الاستثنائية في مثل هذا الأسلوب، قائلاً: «ولكنك أدخلت إلّا لتوجب الأفعال لهذه الأسماء ولتنفي ما سواها، فصارت هذه الأسماء مستثناة».¹

وإذا أردنا شرح هذا الكلام لسبويه، فإنَّ ما يمكن استخلاصه منه حسب ظاهر قوله، أنَّ صاحب الكتاب يقرّر أنَّ عمل "إلّا" الدلالي، في نحو قولنا: "مَا أَتَانِي إِلَّا زَيْدٌ"، و"مَا رَأَيْتُ إِلَّا زَيْدًا"، و"مَا مَرَرْتُ إِلَّا بِزَيْدٍ"، إمّا هو قَصْرٌ ما قبل "إلّا" على ما بعدها، بمعنى: تخصيص "زيد" بفعل "الإتيان"، والرؤية الواقعة عليه، والمروور به على الترتيب. إضافة إلى هذا، فسبويه يصرّح في الوقت نفسه بجلاء تامٍّ أنَّ الأسماء الواردة بعد "إلّا" في الأمثلة السابقة قد صارت مستثناة. ولكن، أين هو المستثنى منه الذي أُسْتُثِنَتْ منه ؟

ويفسر أحد شراح الكتاب المشهورين، وهو أبو سعيد السّيرافي (ت368هـ) هذه المسألة اللغوية الدقيقة بكلام مختصرٍ ودقيقٍ، مفادُهُ أنّه، «وإنَّ حُذِفَ وأُعْتِمِدَ لفظٌ ما قبل حرف الاستثناء على الاسم الذي بعده في العمل، فلا يُخْرِجُهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ مَفْعُولًا».²

ويزيد الأعلام الشنتمري (ت476هـ) هذا المعنى بسطاً، والذي يظهر أنّه أخذ معانيه من شرح السّيرافي سابق الذكر؛ إذ يقول الشنتمري مُعلّلاً سبب تسمية هذا النّون من الاستثناء استثناءً بأنّ: «هذا، وإنَّ حُذِفَ وأُعْتِمِدَ ما قبل حرف الاستثناء على الاسم الذي بعده في العمل، فلا يُخْرِجُهُ مِنْ معنى الاستثناء. كما أنَّ المفعول إذا حُذِفَ فاعله وأُقيِمَ هو مقامه لم يُخْرِجْهُ ذَلِكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ مَفْعُولًا به، إلّا أنّه رُفِعَ لاحتياج اللفظ إلى لفظ الفاعل. وكذلك لما حَضَرَ حرف الاستثناء الذي يُثَبِتُ لما بعده ما ينفي عن كلّ شيءٍ سواه، علِمَ أنَّ المفعول أُثَبِتَ لزيدٍ وحده ونُفِيَ عن غيره، ولم يُذَكَّرْ غيره».³

¹ سيبويه، الكتاب: 310/2.

² المرجع نفسه: 310/2، الحاشية رقم: 01.

³ الأعلام، الشنتمري، التكت: 615-614/2.

ونستنتج من كل هذا الذي قيل، أنّ الأسماء الواقعة بعد "إلا" في الاستثناء المفرغ تُعدّ مستثناة، ولكن على معنى أنّها لا تكون مستثناة من الناحية الإعرابية بأن تشغل دور المستثنى، أو المبدل من المستثنى منه في الاستثناء التامّ المنفيّ، فذلك لا يصحّ من جهة اللغة والمنطق. غير أنّ المفهوم هو أنّ الأسماء التي جاءت بعد الحرف "إلا" في الأمثلة السابقة إنّما تُعدّ مستثناة هاهنا من الناحية المعنوية للجملة، لا الإعرابية البحتة؛ لأنّ المعنى أنّها أُخرجت من حكم الأسماء المحذوفة قبلها¹ (أي: قبل إلا) التي كانت شاغلة وظيفيّة المستثنى منه، وذلك أنّ أصل قولنا: "مَا أَتَانِي إِلَّا زَيْدٌ"، و"مَا رَأَيْتُ إِلَّا زَيْدًا" مثلاً، هو: "مَا أَتَانِي أَحَدٌ إِلَّا زَيْدٌ"، و"مَا رَأَيْتُ أَحَدًا إِلَّا زَيْدًا" على الترتيب. ولو أنّنا اعتدّدنا بالمثل الأول منهما على سبيل التمثيل فقط، وهو: "مَا أَتَانِي أَحَدٌ إِلَّا زَيْدٌ"، لوجدنا أنّ معناه: "ما ثبت إتيان من أحدٍ قطّ"، ولكنّه كان من "زيد" وحده دون سواه. فإذا نحن قابلنا هذا الكلام بالمثل نفسه، مع حذف "أحد" (المستثنى منه)، وقلنا: "مَا أَتَانِي إِلَّا زَيْدٌ"، لأدركنا أنّ مؤداه هو المعنى عينه ما فهم من الأول؛ إذ المراد منه: نفي فعل الإتيان عن أيّ أحدٍ كان، وإثباته لشخص واحد، وهو "زيد" دون أيّ إنسان.² فقط، يكمن الفرق بين العبارتين أنّ الاستثناء في الأولى حقيقيّ لمحافظة "إلا" على وظيفتها الإعرابية في إخراج ما بعدها ممّا قبلها لفظاً، وأنّ الثانية ليست كذلك من هذه الجهة، وإنّ كانت كذلك من ناحية المعنى كما سبق شرحه. هذا مع ملاحظة حاجة الكلام في جملة: "مَا أَتَانِي إِلَّا زَيْدٌ" إلى تصحيح اللفظ بعد حذف "أحد"، و«تصحيحه ألاّ يعرّى الفعل من فاعلٍ، وليس في الكلام فاعلٌ سوى ما بعد "إلا"، فجعل فاعله».³

ومن جميل ما نُبه عليه في مسألة بقاء معنى الاستثناء قائماً فيما فرّغ فيه الكلام أيضاً، بخضوع ما بعد حرف الاستثناء في إعرابه لتأثير العوامل قبله، الإشارة إلى كونه شبيهاً إلى حدّ ما بحال الاسم المنصوب على المفعولية الذي لا يخرج ولو من الناحية المعنوية، عن كونه مفعولاً به في حال بناء فعله المتعدّي إليه للمجهول، قولُ سيبويه في هذا الصدد موضحاً: «واعلم أنّ المفعول

¹ وهو الأمر الذي وضّحه ابن هشام (ت761هـ) بأنّ الاستثناء في هذا الأسلوب اللّغوي هو من اسمٍ عامٍّ محذوف. ينظر: ابن هشام، قطر الندى: 269.

² وقد أشار سيبويه إلى ذلك في معرضه حديثه عن وجوب النصب في المستثنى إذا جاء الكلام تامّاً موجباً، موازنةً له بنظيره المنفيّ التامّ. ينظر: سيبويه، الكتاب: 331/2.

³ الأعم، الشنتمري، التكت: 615/1.

الذي لم يتعدَّ إليه فعلٌ فاعلٍ في التعدّي والاختصار بمنزلة إذا تعدّى إليه فعل الفاعل وغير متعدٍّ إليه فعله سواء. ألا ترى أنك تقول: "ضربتُ زيداً"، فلا تجاوزُ هذا المفعول، وتقول: "ضربَ زيدٌ"، فلا يتعداه فعله، لأنَّ المعنى واحدٌ؟

وتقول: "كسوتُ زيداً ثوباً"، فتجاوز إلى مفعول آخر. وتقول: "كسيتُ زيدٌ ثوباً"، فلا تجاوزُ الثوب، لأنَّ الأول بمنزلة المنصوب؛ لأنَّ المعنى واحدٌ وإن كان لفظه لفظُ الفاعل¹.
هذا كله، من دون أن تُغفل إشارة الرماني (ت 384هـ) إلى عمل "إلا" الدلالي في المفرغ من الكلام، أمَّا وإن كانت تُلغى إعراباً فإنَّها تكون مُخرِجةً بعضاً من كلِّ من جهة المعنى. هذا إضافة إلى كلامه الذي لمَّح فيه إلى هذا الأمر في معرض شرحه جملةً سيويه، وهي قوله: "ما أتاني غيرُ زيدٍ وإلاَّ عمرو" مبيناً أنَّ الأول (أي: عبارة: غيرُ زيدٍ) في معنى الاستثناء حتى صحَّ أن يُعطَفَ بعده بالواو السابقة لـ "إلا".²

ولمزيد بيانٍ وشرح، نوردُ هذا المثال، وهو: "ضربَ زيدٌ عمراً"، فكلمة "زيد" هنا: فاعلٌ، و"عمراً": مفعولٌ به منصوب، ولكن، إذا قلنا: "ضربَ عمروٌ" في البناء للمجهول، فإنَّ كلمة "عمرو" ظاهرةٌ بتغيُّر وجه الإعراب فيها؛ إذ خرجت من كونها مفعولاً به في الجملة الأولى، إلى وظيفة إعرابية ثانية جديدة، وهي نياية الفاعل. ولكنَّ هذا لا يعني، بأيِّ حالٍ من الأحوال، تبدلَ وظيفتها، أو دلالتها المعنوية المتمثلة في وظيفة المفعولية، ولو من جهة المعنى فقط كما تمَّ بيانه في موضع سابقٍ مشفوعٍ بكلامٍ في هذا الصدد لبعض النحويين كسيويه، وأبي سعيد السيرافي والشتنمري.

¹ سيويه، الكتاب: 42/1-43. وينظر: المرجع نفسه: 44/1.

² ينظر: المبارك، مازن، الرماني النَّحوي في ضوء شرحه لكتاب سيويه: 363 و435، وياقوت، محمد سليمان، شرح جمل سيويه: 508/2، الحاشية رقم: 03. هذا، وسيأتي الحديث عن تكرار "إلا" في الاستثناء المفرغ عند النحاة في موضعه من هذا البحث بمشيئة الرَّحمان.

المبحث الثاني: عمل "غير" و"سوى" عمل "إلا" في هذا الأسلوب:

وبيان ذلك، ما يأتي ذكره:

المطلب الأول: الاسم "غير":

كما سبق ذكره، فقد جاء من الأفعال والأسماء، ما فيه معنى "إلا". فمن الأفعال: "عدا، وخلا، وحاشا" التي هي أفعال ماضية ضمنت معنى "إلا" الاستثنائية، فجاز الاستثناء بها كما يُستثنى بإلا. والثابت أن جميع هذه الأدوات الفعلية لا تستعمل إلا في الاستثناء التام المتصل مثبتاً كان أو منفيّاً. أما المنقطع، فلا يقع بها؛ إذ لا يقال مثلاً: "وصل المسافرون عدا أمتعتهم"، وكذلك المفرغ، فلا يقال: "ما جاء عدا زيد".¹

وأما بخصوص الأسماء، فما جاء منها متضمناً عمل "إلا"، فـ "غير وسوى". والمعروف، أن أساليب الاستثناء بهذين الاسمين، لا تختلف عن أساليب الاستثناء بـ "إلا".

وكما سبق، فالأصل في الاسم "غير" أن تكون وصفاً، إلا أنها قد تحمّل على "إلا" فيُستثنى بها حملاً لها على "إلا"، كما حمّلت "إلا" على الاسم "غير" فوصف بها²، نحو قول الله جلّ في علاه: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾.³

1- فروق دلالية بين الاسم "غير" و"إلا":

تقع "غير" الاستثنائية في جميع مواقع "إلا" كالمفرغ وغيره، والموجب وغيره، والمنقطع وغيره مؤخراً عن المستثنى منه ومقدماً عليه، إلا في بعض الحالات الخاصة كالجار والمجرور؛ فإن "غيراً" لا تدخل عليه قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾⁴، فلا يصح أن يقال مثلاً: "غير من ضريع"، لأن "غيراً" تلزم الإضافة، معنىً دون اللفظ، ولا: "من غير ضريع"؛ لأن المعنى يتغير، ولذلك لا تدخل "غير" على الجار والمجرور. كما لا يجوز نحو قولنا: "ما جئت إلا طلباً للعلم"؛ فلا

¹ ينظر: الأنطاكي، محمد، المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها: 345/2.

² ينظر: ابن السراج، الأصول في النحو: 284/1-285 و300-301، والمرادي، الجنى الداني في حروف المعاني: 517، وابن هشام، أوضح المسالك: 307/1، والسيوطي، جلال الدين، الجمع: 231/2، وبسيوني، كمال، المفردات التحوية: 55-56 و115.

³ الأنبياء: 22.

⁴ الغاشية: 6.

يصحُّ وضع "غير" هاهنا لأنَّ المفعول له، لا يكون إِلَّا مَصْدَرًا، و"غير" ليست مَصْدَرًا. وعلى أَيْةٍ حالٍ، ففي الأكثر أن تقع في مواقع "إِلَّا".¹

ونضيف هنا، أَنَّ "غيرا" وإن دَخَلَهَا معنى الاستثناء، فإنَّها قد تُحْمَلُ معها على معناها الخاصِّ بها أحيانا، فلا تطابق "إِلَّا" تماما كقولنا مثلا: "مَا قَامَ إِلَّا سَعِيدٌ"، و"مَا قَامَ غَيْرُ مُحَمَّدٍ"؛ إذ هما ليسا متطابقين في المعنى تماما، لأنَّك في الجملة الأولى أثبتَّ القيامَ لسعيدٍ وحده، ونفيته عَمَّنِ عداه، وأمَّا في الثانية، فتحتمل هذا المعنى وتحتمل معنى آخر، وهو أَنَّ "غير سعيدٍ لم يقم"، فيكون نفي القيام عن غير سعيدٍ، وسكتٌ عن سعيد.

ومعنى ذلك، أَنَّ ما بعد "إِلَّا" هو المقصود بالاستثناء، وهو الَّذي يدور عليه الحكم. أمَّا مع الاسم "غير"، فإنَّ الكلام قد يدور على ما بعد "غير"، وقد يدور على "غير" نفسها، لا على الجورور بها، فقوله تعالى مثلا: ﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾²، ومعناه: أَنَّ المجرمين هم الَّذِينَ أَضَلُّوهُمْ، ولو قال: "وَمَا أَضَلَّنَا غَيْرُ الْمُجْرِمِينَ"؛ لاحتَمَلَ المعنى السَّابِقَ ولاحتَمَلَ معنى آخر أيضاً، وهو أَنَّ "غير المجرمين لم يُضِلُّوْنَا"، أي: "نفي الضَّلال عن غير المجرمين". أمَّا بالنسبة إلى المجرمين فلم يتعرَّض لهم. وكقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾³، فإنَّه طَلَبَ أن يزيدهم الضَّلال ولا يزيدهم شيئا آخر غير الضَّلال. ولو قال: "وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ غَيْرَ ضَلَالٍ"؛ لاحتَمَلَ أن يكون المعنى كالمعنى السَّابِق، ولاحتَمَلَ أيضاً معنى آخر وهو أَنَّهُ طلب ألا يزيدهم غير الضَّلال، أمَّا الضَّلالُ فمُسْكُوتٌ عنه.⁴

ونحوه أن نقول على سبيل التَّمْثِيلِ لا الحصر: "لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُسْلِمُ"، وأن نقول: "لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ غَيْرُ الْمُسْلِمِ". فالجملة الثانية قد تكون بمعنى الأولى، وقد تكون لمعنى آخر، وهو أَنَّ "غير المسلم لا يدخل الجنة"، وليس في هذا المعنى حصرٌ، ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾⁵، وقولنا بدلاً عنها: و"لَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ"؛ فالثَّانِيَةُ قد تكون بمعنى الأولى، وقد

¹ ينظر: السَّامِرَائِي، فاضل صالح، معاني النَّحو: 263/2-264.

² الشعراء: 99.

³ نوح: 24.

⁴ ينظر: السَّامِرَائِي، فاضل صالح، معاني النَّحو: 263/2-264.

⁵ النساء: 171.

تكون لمعنى آخر وهو التّهي عن قول غير الحقّ، أمّا الحقّ فمُسكوتٌ عنه وهو كما تقول: "إن لم تُقلِ الحقّ فَلَا تُقلِ غَيْرَ الحقّ، أي: "أُسكُت".¹

2- إعراب "غير" في الاستثناء المفرغ:

كما يكون قد اتّضح ممّا سبق، فإنّ حَمَلَ الاسم "غير" على "إلا" الاستثنائية، وإعمالها عملها مذهب الجمهور. يقول سيويه في هذا الصّدّد. يقول في ذلك: «اعلم أنّ "غيراً" أبداً سوى المضاف إليه، ولكنّه يكون فيه معنى "إلا"، فيُجرى مجرى الاسم الذي بعد "إلا"، وهو الاسم الذي يكون داخلاً فيما يخرج منه غيره، وخارجاً ممّا يدخل فيه غيره».²

وينتقل صاحب الكتاب إلى تفصيل كلامه بشرح أقسامه، قائلاً: «أمّا دخوله فيما يخرج منه غيره، فأتاني القومُ غَيْرَ زَيْدٍ، فغيرهم الذين جاؤوا ولكن فيه معنى "إلا"، فصار بمنزلة الاسم الذي بعد "إلا"».³

ومعنى ذلك، أنّ عمل الاسم "غير" في الاستثناء التّامّ الموجب، حيث يجب نصبها على الاستثناء، لأنّها تُعرب إعراب الاسم الواقع بعد "إلا" سواءً أكان ذلك في هذا النوع من الاستثناء، لأنّ الكلام يكون في معنى: "أتاني القومُ إِلَّا زَيْدًا". فـ "زيداً" منصوب وجوباً على الاستثناء، أمّ في حال مجيئه تامّاً منفياً، في نحو: "ما أتاني القومُ غَيْرَ زَيْدٍ"، بجواز النّصب، واستحسان إبدال "غير" من المستثنى منه "القوم" لأنّه الوجه الأقوى، تماماً كما ثَبَتَ مع "إلا"، هذا مِنْ دون إغفال النّظر عن وجوب النّصب في "غير" إذا كان الاستثناء منقطعاً طبعاً.⁴

هذا، ولعلّه ممّا يحسُن بنا أن ننبة إليه في هذا الموضع، هو أنّه إذا كان الاسم الواقع بعد "غير" في جميع حالات الاستثناء إلاّ المفرغ، يأتي دائماً مضافاً إليه⁵، نحو: "وَصَلَ المسافِرُونَ غَيْرَ خَالِدٍ"، وتكون عندئذ هي الأداة في المعنى، وهي المستثنى في اللفظ، ولا تكون الحركة التي

¹ ينظر: السامرائي، فاضل صالح، معاني النحو: 264/2.

² سيويه، الكتاب: 343/2.

³ المرجع نفسه: 343/2.

⁴ ينظر: المرجع نفسه: 327/2، والتّحّاس، أبو جعفر، شرح أبيات سيويه، تحقيق: أحمد خطاب، ط1، 1394هـ-

1974م: 245، وابن فارس، الصّاحبي: 113-114، المبارك، مازن، الرّماني النّحوي في ضوء شرحه لكتاب سيويه:

395، والأعلم، الشّنتمري، التّكت: 631/1.

⁵ ينظر: سيويه، الكتاب: 343/2، وابن جنيّ، اللّمع: 124.

يستحقها، بوصفه مستثنى له، بل تكون لكلمة "غير". فإذا كان هذا حال المستثنى بعد "غير" في جميع حالات الاستثناء إلا المفرغ؛ فإن "غيراً" في حالة تفرغ الكلام تُعامل معاملة الاسم الواقع بعد "إلا" والكلام مفرغ. أي أنها لا تكتفي بأن تقع مستثنى منصوباً تارة، أو بدلاً من المستثنى منه تارة أخرى، بل إن العامل الذي قبلها يعمل فيها مباشرة؛ فتكون فاعلاً (ة) في نحو: "مَا جَاءَ غَيْرُ خَالِدٍ"، أو مفعولاً به، نحو: "مَا رَأَيْتُ غَيْرَ خَالِدٍ"، أو اسماً مجروراً، نحو: "مَا مَرَرْتُ بِغَيْرِ خَالِدٍ؛" أو نائب فاعل، نحو: "لَمْ يُكَافَأْ غَيْرُ خَالِدٍ"، أو مفعولاً به ثانياً، كما في قوله سبحانه: ﴿فَمَا تَزِيدُونِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾¹، أو ظرف زمان، كما في قوله جلّ شأنه: ﴿مَا لَيْثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾².

وإعراب كلمة "غير" في الاستثناء المفرغ إنما يكون حسب موقعها من الكلام، قد نصّ عليه سيبويه في كتابه، وقد أبرز ذلك حين عرض لوجه "غير" الاستثنائية الثاني، إذ يقول: «وأما خروجه مما يدخل فيه غيره، فما أتاني غير زيد، وقد يكون بمنزلة "مثل" ليس فيه معنى إلا». ³ ولعله يكون واضحاً جلياً، أن سبب إعراب الاسم "غير" إعراب الاسم الواقع بعد "إلا"؛ يعود إلى أنها لما أُقيمت هاهنا مقام "إلا"، وكان ما بعدها مجروراً بإضافة "غير" إليه، ولا بدّ لها في نفسها من إعراب؛ أخذت إعراب الاسم الذي بعد إلا؛ دلالة على ما كان يستحق الاسم من الإعراب لو كان مسبقاً بإلا، هذا طبعاً مع ملاحظة بقاء معنى الاستثناء مع "غير". وأما "إلا"، فلأنه حرف لا يقع عليه عامل تخطى العامل الذي قبلها إلى الاسم الذي بعدها، فعمل فيه. ⁴ كما لا يفوتنا هاهنا، أن نذكر لمزيد بيان وتوضيح، أن إعراب "غير" في هذا الأسلوب بسبب حاجة الكلام الإعرابية والمعنوية، إنما مرجعه إلى حذف المستثنى منه من الجملة، فتفرغ ما

¹ هود: 63.

² الروم: 55.

³ سيبويه، الكتاب: 343/2. وعبارة سيبويه أن غيراً "قد تكون بمنزلة "مثل" ليس فيه معنى إلا"، تعني عدّ "غير" وصفية إعراباً ومعنى، كـ "مثل" تماماً، إذ يُقال: "جاءني رجلٌ غيرٌ"، و"جاءني رجلٌ مثلك"، لكن الفرق بينهما، يكمن في الناحية المعنوية للجمليتين؛ إذ الأولى تفيد مخالفة ما بعدها لما قبلها إمّا في الذات أو الصفات، في حين يُفهم من الثانية مشابهاً ما بعدها لما قبلها بدليل اعتبار سيبويه لكلمة "مثل" أنها تسوية. ينظر: المرجع نفسه: 231/4، وابن السراج، الأصول في النحو: 285/1، والتخشي، المفصل: 99-100، وياقوت، سليمان محمود، شرح جمل سيبويه: 507/2، وسيبوي، كمال، المفردات النحوية: 55 و111.

⁴ ينظر: المبارك، مازن، الرّقاني النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه: 428-429، والأعلم، الشنتمري، التكت: 644/1، وابن الأنباري، أسرار العربية: 190، والعكبري، الباب: 308.

كان عاملاً فيه ليعمل فيها؛ إذ إنَّ أصل قولنا مثلاً: "ما أتاني غيرُ زيدٍ" مثلاً، و"ما رأيتُ غيرَ زيدٍ"، و"ما مررتُ بغيرِ زيدٍ". هو: "ما أتاني أحدٌ غيرُ زيدٍ"، و"ما رأيتُ أحداً غيرَ زيدٍ"، و"ما مررتُ بأحدٍ غيرِ زيدٍ" على الترتيب.¹

المطلب الثاني: سوى: للاسم "سوى" له عدّة لغات في كلام العرب كما سبقت الإشارة إليه سابقاً، ويدور حولها اختلاف بين النحاة من حيث إعرائها وعملها عموماً.

وإذا نحن بدأنا بصاحب الكتاب، سيبويه، فإننا نجد أنَّ حديثه عن "سوى" قد جاء في آخر مبحث الاستثناء من كتابه، إذ ينقل إلينا رأيَ أستاذه الخليل بن أحمد الذي يُعدُّ قولنا: "أتاني القومُ سِوَاكَ"، أنَّه على معنى: "أتاني القومُ مَكَانَكَ، وَمَا أَتَانِي أَحَدٌ مَكَانَكَ"، ولكن في "سِوَاكَ" معنى الاستثناء.²

والظاهرُ حسب ما ثبت في عموم كتب النحاة واللغويين، أنَّ مذهب نخاة البصرة عموماً في الاسم "سوى"، هو جعلها ملازمةً على الظرفية دائماً، إلّا في الشعر، وما بعدها مجرور بإضافتها إليه، نحو: "قامَ القومُ سِوَى أَيْكَ"، و"ما رأيتُ أحداً سِوَى أَيْكَ"، و"مررتُ بهم سِوَاكَ". ودليلهم في ذلك وصلُّ الموصول بها، نحو: "جاءَ الذي سِوَاكَ".³

ويرى الرّماني أنَّه يُستثنى بقولك «(سِوَاكَ) كما تَسْتثنِي بغيرٍ، إلّا أنَّ "غيراً" ليس لها إعرابٌ هي أحقُّ به إلّا بحسب ما تُبنى عليه من العامل، و"سِوَاكَ" ظرفٌ له إعرابٌ هو أحقُّ به، فهو يلزمه، ويقع فيه الاستثناء على ذلك الوجه من إعراب الظرف، وهو النصب في كلِّ حال، فتقول: "ما أتاني أحدٌ سِوَاكَ"، و"أتاني القومُ سِوَاكَ"، و"مررتُ بهم سِوَاكَ"، كأنَّكَ قلتَ: "مَكَانَكَ" إلّا أنَّه ليس في مكانكَ استثناءً، لأنَّه ليس على معنى "غير" كما أنَّ "سِوَاكَ" على معنى "غير"، فلم يدخله الاستثناء لهذه (أي العلة).⁴

¹ ينظر: السيوطي، الممع: 231/1، والغلاييني، مصطفى، جامع الدروس العربية: 142/3.

² ينظر: سيبويه، الكتاب: 350/2.

³ ينظر: ابنُ جنيّ، اللّمع: 125، والمازني، أبو عثمان التّحويّ البصريّ، المنصف: شرح كتاب التّصريف، تحقيق: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين. إدارة إحياء التّراث القديم، ط1، 1373هـ-1954م: 121، وابنُ هشام، مغني اللّبيب: 161/1، وابنُ هشام، أوضح المسالك: 307/1-308، والعكبري، اللّباب: 109، وابنُ هشام، قطر النّدى: 270، والدّقر، عبد الغنيّ، معجم القواعد العربيّة: 263.

⁴ المبارك، مازن، الرّماني النّحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه: 446.

ومّا يمكن استنتاجه من شواهد سيبويه التّحويّة في كتابه على جواز عدّ كلمة "سوى" خارجةً عن لزوم التّصّب في الشّعْر، على أنّها ظرفٌ قولُ الشّاعر:¹

وَلَا يَنْطِقُ الْفَحْشَاءَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ .: إِذَا جَلَسُوا مِنَّا وَلَا مِنْ سَوَائِنَا

والشّاهد في هذا البيت، قوله: "مِنْ سَوَائِنَا"، حيث خرجت فيه "سوى" عن الظّرفية، لاستعمالها مجرورةً بمن، متأثرةً بها، وجرّ "سوى" هنا بالحرف "من" واحد من شواهد القائلين بعدم نصبها دائماً على الظّرفية، بل ويعدونها كغير في تصرّفها وإعرابها حسب موقعها من الكلام، كأن تكون مبتدأ، في نحو قول الشّاعر:

وَإِذَا تَبَاعُ كَرِيمَةٌ أَوْ تُشْتَرَى *** فَسِوَاكَ بَائِعُهَا وَأَنْتَ الْمُشْتَرَى

أو أن تردّ معمولاً لـ "إنّ" النّاسخة، كقول القائل:

لَدَيْكَ كَفِيلٌ بِالْمُنَى لِمُؤْمَلٍ *** وَإِنَّ سِوَاكَ مَنْ يُؤْمَلُهُ وَيَشْتَقَى

كما يحصل أن تُعرب فاعلاً، أو حالاً، حسب اقتضاء الحاجة المعنوية للجملة.²

أمّا سيبويه وأتباعه من النّحاة، فيعدّونه شاهداً على صحّة مذهبهم القائل: إنّ "سوى" ظرف غير متصرّف، وهو ما عبّر عنه صاحب الكتاب في "باب ما يحتمل الشّعْر" بقوله: «وَجَعَلُوا

¹ البيت منسوبٌ للمرّار بن سلامة العجيلي في سيبويه، الكتاب: 31/1، وفي: البغداديّ، عبد القادر، خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط1، د.ت: 126/3-127، ونسبته سيبويه في الكتاب: 407/1-408 لرجلٍ من الأنصار لم يُعيّنهُ.

² ينظر: سيبويه، الكتاب: 657/3، وابن عقيل، شرح ابن عقيل: 227/2-228، وابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف: 294/1-297، والشّنقيطيّ، أحمد بن أمين، الدّرر اللّوامع، تحقيق: محمد باسل عيون السّود، دار الكتب العلميّة - بيروت، ط1، 1419هـ-1999م: 130/1 و432-436، والحمد، علي توفيق، والرّعبي، يوسف جميل، المعجم الوافي في النّحو العربي: 183.

مَا لَا يَجْرِي فِي الْكَلَامِ إِلَّا ظَرْفًا بِمَنْزِلَةِ غَيْرِهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ».¹ وهو ما يُرَادُّ بِهِ أَنَّ "سَوَى" ظَرْفٌ أَبَدًا، لَا تَفَارِقُهَا الظَّرْفِيَّةُ إِلَّا لِلضَّرُورَةِ الشَّعْرِيَّةِ، كَهَذَا الْبَيْتِ، وَكَقَوْلِ الْآخَرِ:²

وَلَمْ يَبْقَ سِوَى الْعُدْوَا . نِ دِنَاهُمْ كَمَا دَانُوا

وفي هذا البيت، شاهدنا النحويُّ هو خروج الاسم "سوى" عن كونها ظرفاً إلى وظيفة إعرابية أخرى، وهي الرفع على الفاعلية، تماماً كما لو قلنا مثلاً: "أَتَانِي سِوَاكَ"، على أَنَّ فاعل "أَتَانِي" هو "سوى" المضافة إلى "كاف" الخطاب المجرورة.³

ونزيد هنا، أَنَّ بعضاً مِنَ النُّحَاةِ يَرَوْنَ فِي "سَوَى" مذهبا ثالثاً، ومفاده أَنَّ هذه المفردة تُسْتَعْمَلُ ظَرْفًا مَنْصُوبًا أحياناً، وتُسْتَعْمَلُ غَيْرَ ظَرْفٍ، إِلَّا أَنَّ استعمالها ظَرْفًا أَكْثَرَ مِنْ استعمالها غَيْرَ ظَرْفٍ،⁴ فَإِنَّ ابْنَ مَالِكٍ يَذْهَبُ إِلَى أَنَّ مَعَامِلَةَ "سوى" مَعَامِلَةُ "غَيْرٍ" الْمُتَصَرِّفَةِ رَفْعًا، وَنَصْبًا، وَجَرًّا، جَائِزٌ؛ إِذْ يَقُولُ فِي ذَلِكَ صَاحِبُ الْأَلْفِيَّةِ الشَّهِيرَةِ فِي النَّحْوِ وَالصَّرْفِ:⁵

وَلِسَوَى سِوَى سَوَاءٍ إِجْعَلَا . عَلَى الْأَصَحِّ مَا لِعَيْرٍ جُعِلَا

¹ سيبويه، الكتاب: 31/1. وَقَدْ نُقِلَ عَنِ الشَّيْخِ عَنْهُ أَنَّ عِلْقَ عَلَى جَرِّ "سَوَاءٍ" فِي الْبَيْتِ الْمَذْكُورِ قَائِلًا إِنَّ سِيبَوِيهَ أَرَادَ «غَيْرَنَا»، فَوَضَعَ "سَوَاءً" مَوْضِعَ "غَيْرٍ" ضَرْوَةً، وَكَانَ يَنْبَغِي أَلَّا يُدْخَلَ "مِنْ" عَلَيْهَا، لِأَنَّهَا لَا تُسْتَعْمَلُ فِي الْكَلَامِ إِلَّا ظَرْفًا، وَلَكِنَّهُ جَعَلَهَا بِمَنْزِلَةِ "غَيْرٍ" فِي دَخُولِ "مِنْ" عَلَيْهَا؛ لِأَنَّ مَعْنَاهَا كَمَعْنَاهَا. ابن عقيل، شرح ابن عقيل: 227/2، الحاشية رقم: 02، وينظر: عضيمة، محمد عبد الخالق، فهارس كتاب سيبويه ودراسة له، ط1، 1395هـ-1975م: 186 و192.

² البيت للفند الزماني، واسمُه شهل بن شيبان بن ربيعة، وهو في: ابن عقيل، شرح ابن عقيل: 228/2، وابن هشام، أوضح المسالك: 308/1، والبغداديّ، عبد القادر، الخزانة: 122/3، وابن النّاطم، شرح الألفية: 305، والدّقر، عبد الغنيّ، مُعْجَمُ الْقَوَاعِدِ الْعَرَبِيَّةِ: 263. وقوله: "دِنَاهُمْ"، أي: جَارَيْنَاهُمْ، مِنَ الدِّينِ بِكسر الدّال، وهو الجزاء والمكافأة، والمعنى: "جَارَيْنَاهُمْ كَمَا جَارَوْنَا". يقال في المثل: "كَمَا تَدِينُ تُدَانُ"، أي: "أَنَّكَ تُجَاوِزُ بِفِعْلِكَ وَحَسَبَ عَمَلِكَ". ينظر الصّحاح: مادة (دَنَا) (2118/5)، والبغداديّ، عبد القادر، الخزانة: 123/3، والميدانيّ، أبو الفضل، مجمع الأمثال، تحقيق: نعيم حسن زرزور، دار الكتب العلميّة-بيروت، ط1، 1408هـ-1988م: 184/2.

³ ينظر: ابن عقيل، شرح ابن عقيل: 228/2، وابن هشام، أوضح المسالك: 308/1، والبغداديّ، عبد القادر، الخزانة: 123/3-124.

⁴ ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب: 161-162، وابن عقيل، شرح ابن عقيل: 231/2، هامش الصّفحة، والدّقر، عبد الغنيّ، معجم القواعد العربيّة: 263.

⁵ ينظر: ابن النّاطم، شرح الألفية: 304.

المبحث الثالث: المعمولات النحويّة المفرّغ له الكلام:

كما مرّ معنا، فالبناء النحوي للاستثناء المفرّغ يقتضي أن يتفرّغ العامل الذي قبل "إلا" للعمل فيما بعدها، إمّا رفعاً، أو نصباً، أو جرّاً. فمن التّفرّغ لخبر المبتدأ¹ مثلاً، قول الله جلّ شأنه: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾²، ومن التّفرّغ للمفعول به مثلاً، قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾³. ومن التّفرّغ للمفعول فيه (ظرف زمان) قوله جلّ شأنه: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾⁴، ومّا جاء مفرّغاً فيه الكلام لنائب الفاعل، قوله عزّ من قائل: ﴿وَلَا يُلَاقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾⁵، ومّا جاء حالاً بعد "إلا" الحاصرة، قوله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾⁶.

وعلى كلّ، فمّا تجلّى لنا في معرض بحثنا عن أصول هذه المسألة وضوابطها كما وقرت عند علمائنا الأجلّاء من نحويّين ولغويّين -رحمهم الله تعالى- أنّ أحوال الاسم الواقع بعد حرف الاستثناء في هذا الأسلوب مختلفة ومتنوّعة في القرآن الكريم. وكذلك الأمر في كلام العرب؛ إذ إنّ علماء العربيّة من نحاة ولغويّين قد أسهبوا في تفصيل جوانب هذا الموضوع، وبيّنوا حدوده.

¹ كما يكون قد اتّضح ممّا سبق إثباته من أقوالٍ وشروحٍ حول معنى تفرّغ الكلام في الاستثناء المفرّغ، أنّ الكلام السّابق لـ (إلا) يتفرّغ للعمل فيما بعده، فإن كان فعلاً متعدّياً مثلاً ودُكر فاعله مباشرة بعده قبل الحرف إلا؛ احتاج إلى اسمٍ منصوبٍ بعد أداة الاستثناء الملغاة إعراباً لينصبه عملاً فيه على المفعوليّة له، نحو: "مَا حَفِظَ الْمُتَعَلِّمُ إِلَّا قَصَائِدَ رَاقِيَةٍ"؛ فـ: "راقيةً": مفعولٌ به منصوبٌ للفعل "حَفِظَ"، ولذلك نوذُ التّنبية هنا والتذكير من باب لفت الانتباه وضبط استعمالنا فيما سيأتي عبارة: "ومثال التّفرّغ للمفعول به" مثلاً، أنّ ليس القصدُ بما أنّ الكلام في هذا الأسلوب قد تفرّغ للمفعول به للعمل في معمولٍ آخر وهو فعله المتعدّي، وإمّا القصدُ به أنّ المفعول به هو الاسم الوارد بعد إلاّ التي للقصر لأنّ الكلام ناقصٌ من حيث حُذِفَ منه المستثنى منه. وهكذا إذا قلنا مثلاً: "ومن أمثلة التّفرّغ للحال" إنّما نقصد بما أنّ الحال هي الواقعة بعد إلاّ للحصر صاحب الحال فيها من غير تعدّيّه إلى غيرها.

إذاً، خلاصة القول هنا، هو أنّ عبارة التّفرّغ لكذا أو كذا، إمّا القصدُ بما أنّ هذا المعمول التّحويّ هو الّلي جاء بعد إلاّ بياناً للمعمولات النّحويّة الجائز تفرّغُ لكلام لها؛ لأنّ منها ما يُمنَعُ تفرّغُ الكلام له، أي يُمنَعُ وقوعه بعد إلاّ في أسلوب الاستثناء المفرّغ.

² آل عمران: 144.

³ الكهف: 16.

⁴ التّارعات: 46.

⁵ القصص: 80.

⁶ الأنعام: 48، والكهف: 56.

المطلب الأول: التفريغ لخبر المبتدأ:

ومن القرآن الكريم، فمن أمثلة ما جاء فيه الكلام مفرغاً لخبر المبتدأ، قول الله، عز وجل: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾¹، وقول المولى تبارك وتعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾²، إذ قيل إنه على معنى: "ما جزاء الإحسان في العمل إلا الإحسان في الثواب"، وعلى شاكلته قولنا مثلاً: "هل جزاء التوحيد إلا الجنة؟"

أما إذا انتقلنا إلى بحث هذا الموضوع عند النحاة، فإننا نجد سيوييه صاحب أول كتاب جامع لقواعد العربية قد ثبت في مُصَنَّفِهِ الشَّهير من التَّمَاذِجِ النُّحَوِيَّةِ الَّتِي أوردَها مَفْرَقَةً في بعض أبوابه من دون تصريحه بأنه يدرُس حالة الاسم الواقع بعد (إلا) في الاستثناء المفرغ قوله مثلاً: «فإذا قلت: "ما أنت إلا قائم وقاعد"»³، و"أنت تميمي مرة"، و"قيسي أخرى"، و"إني عائذ بالله" ارتفع.

¹ آل عمران: 144.

² الزمخ: 60.

³ إن شرط وقوع الاستثناء المفرغ في الكلام هو تصدّره بإحدى أدوات النفي، أو النهي، أو الاستفهام مع دخول "إلا" الحاصرة على الجملة.

أما في قصر المبتدأ على الخبر، فما يلاحظ هو أن صيغة الاستثناء ب (ما... إلا) هي المستعملة غالباً لإفادة هذا المعنى. ومعلوم أن للحرف "ما" في العربية وجهان: إمّا إهمالها على لغة التّميين، أو إعمالها في لغة أهل الحجاز عمل "ليس"؛ فترفع المبتدأ على أنه اسمها، وتنصب الخبر على أنه خبر لها، كما في قوله تعالى من الآية الواحدة والثلاثين من سورة يوسف عليه السلام: ﴿وَقُلْنَا حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا﴾.

ومعلوم، أن جمهور النحاة يشترطون لعمل "ما" رفعاً ونصباً فيما بعد شروطاً أربعة، هي: عدم اقتران خبرها بإن الزائدة، وعدم انتقاض خبرها بإلا، وعدم تقدّم خبرها على اسمها، وعدم تقدّم معمول خبرها على اسمها. وقد أحد الشروط يُبْطِل عملها. ينظر: سيوييه، الكتاب: 58-57/1 و69 و122-123، وابن جني، اللّمع: 91، والأعلم، الشّتمري، النّكت: 194-193/1، وابن هشام، الأنصاري، أوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك: 144-143/1، والغلاييني، مصطفى، جامع الدّروس العربيّة: 293-292/2، وبسيوني، كمال، المفردات النّحويّة: 174. ويرى بعض الدّارسين كأبي نصر الفارابي (ت 339هـ)، والمستشرق الألمانيّ برجشتراسر (ت 1932م) أن أقدم حروف العربيّة المستعملة للنفي هو "لا"، وأما الحرف "ما"، فاختُرِع بعد ذلك، شأنه في ذلك شأن: "إن" و"غير". كما يذكّر أن أصل "ما" في العربيّة، يحتمل أن يكون هو الاستفهام، ثم سُلِكَ بها مسلك النفي، مُفَرِّقاً بينهما أن (ما) الاستفهاميّة مشتملة على معنيين: معنى الاستفهام، ومعنى الشّيء، لأنّه إذا قيل مثلاً: "ما عندي"، فمعناه على الاستفهام هو: "أي شيء عندي؟" وأما "ما" النّافية، فغير مشتملة على معنى الشّيء، في ذاتها، فإنّه متى سُمِع: "ما عندي" علِم أن "ما" هنا استفهاميّة، وإنّه متى قيل: "ما عندي شيء" عُرِف أن ذلك نفي، لأنّه لو حُجِل معنى الجملتين على ضدّ ذلك، لما استقام الكلام؛ لعدم تبين الاسم المنفي في الأولى، ولعدّ كلمة

ولو قال: "هُوَ أَغَوْرٌ وَذُو نَابٍ" لرفع هذا كله ليس فيه إلّا الرفع، لأنّه مبنيّ على الاسم الأول، والآخِرُ هو الأول: فَجَرَى عليه.¹

وواضح من كلام سيبويه هنا، أنّه يتحدّث عن بعض المواضع التي يُرفع فيها الاسم وجوباً، منها حين يرد خبراً عن مبتدأ، سواءً أ كان هذا الخبر وارداً في كلامٍ مثبتٍ (أسلوب خبري) لا تأكيد فيه²، نحو: "أَنْتَ تَمِيْمِي مَرَّةً وَقَيْسِي أُخْرَى"، أم كان مفصّلاً عن مبتدئه بأداة الحصر "إلّا" التي تجعل هذا الخبر محصوراً فيه المبتدأ السابق لـ "إلّا"، نحو: "مَا أَنْتَ إِلَّا قَائِمٌ وَقَاعِدٌ".³ ونذكر هنا أنّ معنى حصر المبتدأ في الخبر إنّما معناه: أنّ المبتدأ حين يتقدّم أداة الحصر، فإنّه يُقصر اتّصافه بما يكون متأخراً بعدها. وهو ما يُستفاد من قولنا: "مَا أَنْتَ إِلَّا قَائِمٌ وَقَاعِدٌ؛ إذ القصد به أنّ ضمير المخاطب "أنت" (الذي هو مبتدأ) مقصورٌ في اتّصافه على صفتي القيام والقعود دون غيرهما.⁴

ويؤكّد صاحب الكتاب ضرورة رفع ما جاء خبراً عن مبتدأ، مشبّهاً الرفع في الأمثلة السابقة بقولنا: "هُوَ أَغَوْرٌ وَذُو نَابٍ؛ لأنّ كلمة "أغور" واقعةٌ خبراً عن مبتدئها "هو"، وكذلك "ذو"

"شيء" زائدة في الثانية. ينظر: الفارابي، أبو نصر، كتاب الحروف، تحقيق: حسن مهدي، دار المشرق-بيروت، د.ط، د.ت: 180-181، ویرجشتراسر، التّطوّر النّحويّ للغة العربيّة: 168-170.

¹ سيبويه، الكتاب: 346/1.

² هذا أخذاً بالرأي القائل إنّ الاستثناء المفرغ هو من أساليب التوكيد، كما مرّ آنفاً.

³ تأكيداً، وتثبيتاً لما سبق التنبية عليه، نؤكد هنا أنّ استعمالنا لتعبير الخبر المحصور، بإلّا، أو المبتدأ المحصور بإلّا، أو الفاعل المحصور بإلّا وغيرها من المعمولات، وكذلك الجمل الواقعة موقعها في الاستثناء المفرغ، إنّما نعني به أنّ المفعول المذكور كالخبر، أو الفاعل، وغيرها واران بعد "إلّا" التي يظهر عملها الحصر فيما بعدها من الأسماء، ولا نريد بمثل هذه التّعابير أنّ الاسم الواقع بعد "إلّا" هو المحصور، وأنّ ما قبل "إلّا" هو المحصور فيه، لأنّ ذلك يتناقض مع معنى الجملة العامّة إذ قلنا مثلاً: "مَا خَالِدٌ إِلَّا كَاتِبٌ"، فـ "خالدٌ": محصورٌ، و"كاتِبٌ" محصورٌ فيه وليس العكس.

⁴ نشير هنا، أنّ سيبويه لم يتطرّق حين بسط هذا المثال، لمعنى حصر الخبر تفصيلاً، بل إنّّه لم يُشير إلى المراد بهذا الشاهد الاسميّ ونحوه، لأنّ معنى القصر في قولنا: "مَا أَنْتَ إِلَّا قَائِمٌ وَقَاعِدٌ" ليس القصدُ به أنّ المخاطب بهذا الكلام لا يتّصف بإلّا بهذين الوصفين دون غيرها من الصفات، كالأكل والمشى، والعلم، إلخ؛ لأنّ ذلك محالٌ. ولكنّ الذي يُفهم من ظاهر كلام سيبويه في هذا المقام، أنّه إنّما يريد التّحقير من شأن المخاطب بترديده بين صفتي: القيام والقعود، وكأنّه لكثرة ما يُرى عاجزاً متخاذلاً، فهو لا يبارح قياماً إلّا إلى قعودٍ، ولا قعوداً إلّا إلى قيامٍ، وكلّ هذه المعاني البلاغيّة والجماليّة في الكلام مما ستّضح معالمها بجلاء في الباب الثاني من هذه الدّراسة في شقّها البلاغيّ.

المرفوعة عطفاً لها على "أعور" لأنها خبرٌ أيضاً في المعنى. وقد علَّلَ سيبويه سبب الرفع في الأسماء أنفة الذكر أنها مبنية على الأسماء الأولى، وجاريةٌ عليها.¹

ومن المواضع التي أورد فيها سيبويه أمثلة عن الحصر في الخبر بـ"إلا"، ما ساقه عن المصدر الواقع خبراً في "باب ما يُختارُ فيه الرفع إذا ذكرت المصدر الذي يكون علاجاً"، إذ يقول: «...وأما له صوتٌ صوتٌ حمارٍ، فقد علمت أن "صوت حمار" ليس صوت الأول، وإنما جاز لك رفعه على سعة الكلام، كما جاز لك أن تقول: مَا أَنْتَ إِلَّا سَيْرٌ».²

والذي يُفهم من هذا، أن في جملة: "مَا أَنْتَ إِلَّا سَيْرٌ" إضماراً لاسمٍ حذف على سعة الكلام للعلم بالمعنى المراد، كما وقع الإضمار في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾³، إذ الأصل هنا، كما مضى، هو: "واسأل أهل القرية"، على حذف المضاف كقولنا: "اجتمعت اليمامة"، أي "أهل اليمامة"⁴، ومن ثم كان وجه الحذف في قولنا: "مَا أَنْتَ إِلَّا سَيْرٌ"، أن التقدير فيه هو: "مَا أَنْتَ إِلَّا صَاحِبٌ سَيْرٌ"، على حذف المضاف "صاحب"، كما كان التقدير في: "لَهُ

¹ وقد أوضح سيبويه ما يقصد بكلمة "مبني" حين عرض لتقدم المفعول به على فعله ورفع بالابتداء وبناء الفعل عليه، أي جعله خبراً عنه، إذ يقول: «فإذا بنيت الفعل على الاسم، فقلت: زيدٌ ضربته، فلزمته "الهاء"، وإنما تريد بقولك: مبني عليه الفعل، أنه في موضع "مُنْطَلِقٌ" إذا قلت: "عَبْدُ اللَّهِ مُنْطَلِقٌ"، فهو في موضع هذا الذي بُني على الأول وارتفع به. وإنما قلت: عبدُ الله، فنسبته له، ثم بنيت عليه الفعل ورفعته بالابتداء». سيبويه، الكتاب: 81/1.

ولعله يكون مفهوماً من كلام سيبويه هنا، أنه يشير إلى أن الوجه في رفع الخبر إنما يكون من قبل أنه مرفوعٌ بالابتداء، وهو ما عبّر عنه بقوله: "مبني عليه"، تأثر الخبر بالابتداء المرفوع، فيعمل فيه رفعاً، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فصاحب الكتاب يوضح مسألة ارتفاع المبتدأ ويقرر أن العامل فيه معنويٌّ، وهو الابتداء في معرض حديثه عن تقسيم الاسم "عبد الله" على الفعل الواقع خبراً عنه، لو قلنا: "عَبْدُ اللَّهِ ضَرَبْتُهُ"، وهو مذهب البصريين عموماً، على أن ابن جني يرى أن الرفع للخبر إنما هو المبتدأ والابتداء معاً. ينظر: سيبويه، الكتاب: 81/1 و 127 و 129 و 366 و 127/2، وابن جني، الخصائص: 385/1، وابن جني اللُّمع: 72، القرطبي، أبو نصر هارون بن موسى المجريطي، شرح عيون كتاب سيبويه، تحقيق: عبد ربه عبد اللطيف عبد ربه، ط1، 1404هـ-1984م: 12-13، و39 و 134-136، والاعلم الشنتمري، التكت: 129/1 و 486 و 508-509، وابن النّاظم، شرح الألفيّة: 107، وعزيمة، محمد عبد الخالق، فهارس كتاب سيبويه ودراسة له، ط1، 1395هـ-1975م: 140.

² سيبويه، الكتاب: 367/1.

³ يوسف: 82.

⁴ وهو ما يسمّى مجازاً بالحذف. ينظر: سيبويه، الكتاب: 212/1، وابن فارس، الصحاحي: 166-167، وابن جني، الخصائص: 308/1.

صَوْتُ صَوْتُ جَمَارٍ"، على إضمار المضاف "مثل" من الكلام؛ لأنَّ المعنى هاهنا، هو على: "لَهُ صَوْتُ مِثْلُ صَوْتِ جَمَارٍ"، فلمَّا حُذِفَ المضاف "مثل" أُقِيمَ المضافُ إليه مقامه. وهذا الإحلال بين المضاف والمضاف إليه يطبع التركيب التَّحْوِيَّ للجملة العربيَّة عموماً.¹

وفي مسألة التَّفْرِيع للخبر والمبتدأ، يقول ابن الحاجب (ت646هـ): «والاستثناء المفرَّغ يجيء في جميع معمولات الفعل، وفي المبتدأ والخبر... وأما التَّفْرِيعُ في المبتدأ والخبر، وفروعهما، فنحو: "مَا زَيْدٌ إِلَّا قَائِمٌ" و"مَا قَائِمٌ إِلَّا زَيْدٌ"، و"لَا غُلَامٌ رَجُلٌ إِلَّا ظَرِيفٌ"، و"لَمْ يَكُنْ زَيْدٌ إِلَّا عَالِماً"، و"مَا ظَنَنْتُكَ إِلَّا بَخِيلاً"، و"لَمْ أَعْلَمْ أَنَّ فِيهَا إِلَّا زَيْدًا"²، وقد جعل أبو حيان التَّوْحِيدِي من هذا الصَّنْفِ قولَ الله تعالى: ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾³؛ إذ رأى أَنَّ الحرف « (إِنْ) هنا هي النَّافِيَةُ بمعنى (مَا)، و(هُمْ) مرفوعٌ بالابتداء، و(لَا يَظُنُّونَ) في موضع الخبر، وهو من الاستثناء المفرَّغ».⁴

ومن نماذج الشَّعر المندرجة تحت هذا الباب، نذكر قول دريد بن الصَّمَّة (ت08هـ) مثلاً:

وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ غُرَيْبَةٍ إِنْ غَزَتْ *** غَوَيْتُ، وَإِنْ تَرَشَّدَ غُرَيْبُهُ أَرَشُدِ

وفي شرحه، يقول أحد الدَّارسين: «وقوله: (هَلْ أَنَا) هو مذهب النَّفْيِ وَإِنْ كَانَ استفهاماً، ولذلك تبعه (إِلَّا)، كأنَّه قال: "مَا أَنَا إِلَّا مِنْ غُرَيْبَةٍ فِي حَالِي الْغَيِّ وَالرَّشَادِ؛ فَإِنْ عَدَلُوا عَنِ الصَّوَابِ عَدَلْتُ مَعَهُمْ، وَإِنْ اقْتَحَمُوهُ اقْتَحَمْتُ مَعَهُمْ"».⁵

ومنه أيضاً بيتُ الشَّاعر الأَحْوَصِ الأنصاري⁶ (ت105هـ):

وَمَا الشَّعْرُ إِلَّا خُطْبَةٌ مِنْ مُؤَلَّفٍ *** بِمَنْطِقٍ حَقٌّ أَوْ بِمَنْطِقٍ بَاطِلٍ

إذ المبتدأ المقصور (الشَّعْرُ) وهو مَعْرَفٌ بـ (أَلْ) جامد، والخبر مقصورٌ عليه وهو (خُطْبَةٌ)، وهو نكرةٌ جامدة، تعلَّقَ به الجارُّ والمجرور (مِنْ مُؤَلَّفٍ)، ثُمَّ تَخَصَّصَ بالوصف المحذوف المتعلَّقُ به

¹ ينظر: الأعلام الشَّنْتَمَرِي، التَّكْت: 393/1-395، وياقوت، محمود سليمان، شرح جمل سيبويه: 240/1.

² الرُّضِي، شرح الكافية: 235/1.

³ البقرة: 78.

⁴ التَّوْحِيدِي، أبو حيان، البحر المحيط: 276/1.

⁵ المرزوقي، أبو عليٍّ محمَّد، شرح ديوان الحماسة، نشره: أحمد أمين وعبد السلام هارون، دار الجيل - بيروت، ط1، 1411هـ-1991م: 815.

⁶ الأَحْوَص، الأنصاري عبد الله بن محمَّد، شعر الأَحْوَصِ الأنصاري، جمعه وحققه: عادل سليمان جمال، وقدَّم له: شوقي ضيف، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط2، 1411هـ-1990م: 228.

الجائر والمجرور (بمنطوقِ حَقٍّ أو بمنطوقِ باطلٍ). ومعنى البيت: "ليس الشعرُ سوى كلِّ كلامٍ ينظمه مؤلِّفٌ، فإمّا أن يكون منطقاً صدقاً، أو أن يكون كذباً وافتراءً".¹

المطلب الثاني: التفرغ للمبتدأ:

وإذا كان هذا وقوع خبر المبتدأ بعد إلّا التي للحصر، فإنّ المبتدأ هو الآخر قد يحدث أحيانا في بعض التعابير والتركيب اللغويّة أن يتأخّر إلى ما بعد الخبر المقدّم عليه، فيجيئ بعد حرف الاستثناء إلّا الملغى إعراباً في هذا النوع من الأساليب؛ فيصير الكلام مفرغاً لخبر المبتدأ ليعمل فيما بعد إلّا، وهو المبتدأ المؤخّر عنه، ومنه على سبيل التمثيل لا الحصر، قوله جلّ شأنه: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾² حسب ما ذهب إليه الأشموني (ت900هـ).³

وإذا نحن حاولنا استقراء معالم هذه المسألة في كتاب سيبويه؛ فإنّا نجدها مقتضبةً جدّاً، إذ إنّّه قد مثّل لها بقوله الآتي فقط، وهو: "مَا فِيهَا إِلَّا زَيْدٌ"⁴؛ إذ يتجلّى من هذا التركيب اللغويّ خروج كلٍّ من المسند إليه والمسند عن رتبتهما المحفوظة في العربيّة، وهي تقدّم المبتدأ وتأخّر الخبر، إذ قُلب موضعهما كلاهما في هذه الجملة للدلالة على معنى حصر فعل الوجود في الاسم المضمّر، الذي يعود عليه الضمير "الهاء" في "فِيهَا" على زيد وحده، من دون أن يشاركه في ذلك أي أحد من الناس.

المطلب الثالث: التفرغ للمفعول به:

وكذلك الحال مع المفعول به الذي يحدث أن أيضاً أن يقع في جملة استثناء مفرغ محصوراً بإلّا (أي واقعا بعدها).

¹ ينظر: الأحوص، شعر الأحوص الأنصاري: 178.

² التور: 54.

³ ينظر: الأشموني، عليّ بن محمّد بن عيسى، شرح الأشموني على ألفيّة ابن مالك، المسّى (منهج السالك على ألفية ابن

مالك)، تحقيق: محمّد محي الدّين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ط1، 1395هـ - 1955م: 230/1.

⁴ ينظر: سيبويه، الكتاب: 317/2. وقد علّل الرّماني امتناع تقديم المستثنى في نحو قولنا: "مَا فِيهَا إِلَّا زَيْدٌ"؛ و"مَا عَلِمْتُ أَنَّ فِيهَا إِلَّا زَيْدًا" لاجتماع سببَيْن: «أحدهما ضعف العامل لأنّه حرف لا ينصرف، والآخر: ضعف ما قام مقام المستثنى منه على أن يتقدّم عليه المستثنى، فلمّا اجتمع الضعفان لزم طريقة واحدة، ولم يصلح فيه التّقديم والتّأخير». المبارك، مازن، الرّماني النّحويّ في ضوء شرحه لكتاب سيبويه: 376.

ومن نماذجه في القرآن الكريم نذكر على سبيل التمثيل لا الحصر، قول الحقّ جلّ في علاه:

﴿فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾¹.

وأما شواهد هذا الموضع من الكتاب، فقليلة جداً، وهما شاهدان اثنان:

أحدهما: هو قول سيبويه: "مَا لَقِيتُ إِلَّا زَيْدًا"، وقد أورده في بداية مبحث الاستثناء، في معرض كلامه عن دخول "إِلَّا" الاستثنائية على الجملة، فلا تغيّر في الاسم الواقع بعدها شيئاً، وذلك في حال كون الاستثناء مفرغاً. وواضح هنا أنّ كلمة "زيداً" تُعرب مفعولاً به للفعل "لَقِيتُ"، بسبب حذف المستثنى منه من الكلام المقدر هنا بـ "أحداً"، الذي كان شاغلاً لوظيفة المفعول به في أصل الجملة إذا نحن قلنا: "مَا لَقِيتُ أَحَدًا إِلَّا زَيْدًا". فلمّا زال من الكلام تفرّغ الفعل "لَقِيتُ" للعمل فيما بعد "إِلَّا" لحاجته إليه في تمام معنى الجملة.

وأما عن الشاهد الثاني، فهو ما عبّر عنه سيبويه بجملة: "مَا رَأَيْتُ فِيهَا إِلَّا إِيَّاكَ"² التي ساقها حين بسط الكلام في مسألة الضمائر المنصوبة، ومواقع استعمالها، مبيناً في أثناء ذلك وجوه الحسن والقبح حين ترد منظومة في كلام العرب؛ إذ بعد أن بيّن أنّه قبيح أن يُقال: «رَأَيْتُ فِيهَا إِيَّاكَ، وَرَأَيْتُ الْيَوْمَ إِيَّاهُ؛ مِنْ قَبْلِ أَنَّكَ قَدْ تَجَدَّ الْإِضْمَارُ الَّذِي هُوَ سَوَى "إِيَّاءَ"، وَهُوَ "الكاف" فِي: "رَأَيْتُكَ فِيهَا"، و"الهاء" الَّتِي فِي: "رَأَيْتُهُ الْيَوْمَ". فَلَمَّا قَدَرُوا عَلَى هَذَا الْإِضْمَارِ بَعْدَ الْفِعْلِ وَلَمْ يَنْقُضْ مَعْنَى مَا أَرَادُوا لَوْ تَكَلَّمُوا "بِإِيَّاكَ" اسْتَغْنَوْا بِهَذَا عَنْ "إِيَّاكَ" وَإِيَّاهُ»³، مثّل سيبويه لما يكون حسناً وقوعه في كلام العرب من استعمال لهذه الضمائر المنفصلة، بقوله: «وَأَمَّا: "مَا أَتَانِي إِلَّا أَنْتَ، وَ"مَا رَأَيْتُ إِلَّا إِيَّاكَ"، فَإِنَّهُ لَا يَدْخُلُ عَلَى هَذَا؛ مِنْ قَبْلِ أَنَّهُ لَوْ أُخِّرَ "إِلَّا" كَانَ الْكَلَامُ مُحَالًا، وَلَوْ أُسْقِطَ "إِلَّا" كَانَ الْكَلَامُ مَنْقَلَبَ الْمَعْنَى، وَصَارَ عَلَى مَعْنَى آخَرٍ»⁴.

وكما سبق، فنماذج هذا النمط التحويلي في القرآن العظيم كثيرة، نذكر منها قول الله جلّ وعلا: ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ﴾⁵؛ فـ "الحقّ": مفعولٌ به لـ: (تَقُولُوا)، وهو بمعنى: لَا تَقُولُوا

¹ يونس: 102.

² ينظر: سيبويه، الكتاب: 361/2.

³ المرجع نفسه: 361/2.

⁴ المرجع نفسه: 361/2-362.

⁵ النساء: 171.

إِلَّا الْقَوْلَ الْحَقُّ؛ لَأَنَّهُ بِمَعْنَى: "لَا تَذْكُرُوا وَلَا تَعْتَقِدُوا".¹

المطلب الرابع: التفريغ للفاعل:

وإذا انتقلنا إلى موضوع حصر الفاعل بـ "إِلَّا"، فإننا نجد شواهد قرآنية عديدة ومتنوعة أيضاً. فمِمَّا فُرِّغَ فيه الكلام للفاعل اسماً ظاهراً، قوله جلَّ شأنه: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾²، وقول المولى تبارك وتعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾.³

ومن نماذج ما ثبت عند النحاة شاهداً على ورود الفاعل محصوراً بـ "إِلَّا" الاستثنائية الملغاة إعراباً، نذكر الآتي:

أولاً: أمّا في كتاب سيبويه، زعيم علماء النحويين، فالملاحظ ندرة ما ساقه من أمثلة على ذلك؛ إذ انحصرت كلها في ثلاثة شواهد من عموم فصول الكتاب.

أمّا الشاهد الأول، فقد أورده سيبويه في مطلع الاستثناء؛ حين عرض لحال الاسم الواقع بعد "إِلَّا" التي تأتي للحصر، وهو قوله: "مَا أَتَانِي إِلَّا زَيْدٌ".⁴

وأمّا الشاهد الثاني، فهو ما عبّر عنه في سياق حديثه عن موضوع ضمائر الرفع المنفصلة، بقوله: "مَا أَتَانِي إِلَّا أَنْتَ"⁵؛ فقد رأى صواب هذا الكلام وحسنه، بل وضرورة بناء التركيب اللغوي اللغوي للجملة هاهنا على مثاله؛ لامتناع تقديره (أي الكلام) على الضمير المتصل "التاء" للمخاطب، لأنه لا يقال: "مَا أَتَانِي إِلَّا تَ".

ومرجع المنع في مثل هذا الكلام، هو أنّ الأصل في استعمال ضمائر الرفع المتصلة، كالتاء للمخاطب المذكور في "فعلت"، و"ثمّا" التي في "فعلتما"، وغيرها هو اتّصالها بالفعل الماضي⁶ اتّصالاً

¹ ينظر: الجهنّي، سميرة مسلم محمد، (أساليب الاختصاص والاستغراق في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، إشراف: السيد رزق الطويل، جامعة أم القرى مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 1406هـ-1986م: 118)، نقلاً عن: العكبري، أبو البقاء، التبيان في إعراب القرآن: 412/1.

² آل عمران: 07.

³ الأنعام: 59.

⁴ قد سبق شرحه في: الجزء الذي خصّص لشرح سبب تسمية ما يُصطلح عليه بالقصر باسم الاستثناء المفرغ في موضعه من هذا البحث.

⁵ قد ورد هذا المثال في معرض الحديث عن حصر المفعول به في قول لسيبويه.

⁶ كما سيتوضّح من أمثلة سيبويه الآتية، أو في حال إضافة الاسم إلى هذه الضمائر، نحو: "مَا أَجْمَلَ كِتَابَتَكَ".

مباشراً، وعدم انفصالها عنه، إذ لا يكون جائزاً حينئذ «أن يقع (أنت) في موضع "التاء" في (فعلت)، و(أنتما) في موضع "ثما" التي في (فعلتُما)، ألا ترى أنك لا تقول: "فعل أنتما"؟ ولا يقع (أنتم) في موضع "ثم" التي في (فعلتُهم). لو قلت "فعل أنتم" لم يجوز، ولا يقع "أنت" في موضع "التاء" في (فعلت).¹ ولا يقع (أنث) في موضع "ثن" التي في (فعلتُن)، لو قلت: "فعل أنث" لم يجوز".² والأمر نفسه بالنسبة إلى ضمائر المحدث عنه (أي ضمائر الغائب في اصطلاح المحدثين)؛ إذ لا يجوز أن يقال مثلاً: "ضرب هو"، إلا أن يكون صفة³، ولا أن يُقال: "ضرب هما"، أو: "يضرب هما"، لأنَّ الضمير المنفصل "هما" أَسْتُغْنِي عنه بألف المثني التي في الفعل، وهكذا دواليك مع الضمائر الأخرى التي للغائب.⁴

ثانياً: أمّا عن شواهد المسألة عند النحويين الذين جاؤوا بعد سيويه، فزيادةً على أمثلة سيويه التي كان تُعدُّ منطلقاً للدارسين بعد في باب الاستثناء وفي غيره من أبواب النحو الأخرى، بوصف الكتاب أوّل مصدر ومُصَنَّفٍ جامعٍ لقواعد لغتنا العربيّة، حين كانوا يحاولون تفسير كلامه أو تخرجه في هذه المسألة النحويّة أو تلك؛ فإنّها في عمومها كانت تدور حول ما جاء به صاحب الكتاب كما سبق، ومثل ما ثبت أصحاب شروح الكتاب كأبي سعيد السيرافي والزماني مثلاً، إلا ما ثبت في كتاب الله المجيد من آياتٍ كريمةٍ وحديثٍ نبويٍّ شريفٍ، وأشعارٍ مختلفةٍ؛ فإنَّ حصرها خارجٌ عن الاستطاعة في هذا البحث، وإن كان الأخرى هنا، الاستناد إلى حكمة من قال: "ما لا يُدرُكُ كلُّه لا يُتركُ جُلُّه"؛ وعليه نورد هذه التماذج من بابا التمثيل لا الحصر طبعاً، منها:

- الآيات الكريمة الآتي ذكرها تمثيلاً لا حصراً، وهي على الترتيب قول الخالق تقدّست أسماؤه فيما فُرج فيه الكلام للفاعل اسماً ظاهراً، قوله جلّ شأنه: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾⁵، واسماً

¹ يلاحظ هنا أنَّ الحديث عن الضمير المنفصل "أنت" قد كُثِرَ مرتين، ولعلّ ذلك ما يشير إلى أن استعمال أحدهما للمخاطب المذكور، والآخر للمخاطب المؤنث.

² سيويه، الكتاب: 351/2.

³ ويعني بالصفة هنا التوكيد، وهو من مظاهر عدم استقرار المصطلح التحي عند سيويه. ينظر: سيويه، الكتاب: 351/2، الحاشية رقم: 02.

⁴ ينظر: المرجع نفسه: 351/2، وعزيمة، محمد عبد الخالق، فهارس كتاب سيويه ودراسة له: 74.

⁵ آل عمران: 07.

واسماً مضافاً، قوله تعالى: ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾¹، واسماً ملحقاً بجمع المذكر السالم، قوله سبحانه: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾².

فواضح من تركيب هذه الآيات التحوي، أن مؤدّى تحقق معنى القصر فيها تصدّرها بحرف التّقي (ما) في أسلوب استثناء حذف منه المستثنى منه؛ فتفرّغ ما قبل (إلا) للعمل فيما بعدها لحاجة الكلام إليه إعراباً ودلالةً لتمام معناه. فالأسماء: (لفظُ الجلالة الله، وكلُّ، وأُولُوا) جاءت جميعها مرفوعةً أو في محلّ رفع لأنّها شغلت دور الفاعل للأفعال الواردة قبل أداة الحصر إلا؛ لأنّ الاستثناء مفرّغ.

ومنه قول الشاعر:

مَا الْجَدُّ زُخْرُفُ أَقْوَالٍ تُطَالِعُهُ *** لَا يُدْرِكُ الْجَدَّ إِلَّا كُلُّ فَعَالٍ

ففي البيت تخصيصُ الموصوف، وهو "كلُّ إنسان عامل فعّال" بصفة إدراك الجد الذي لا يتعدّاه إلى غيره.

المطلب الخامس: التّفرغ لشبه الجملة:

وكما يُفرّغ الكلام للمبتدأ والخبر، وللفاعل والمفعول، وغيرها من العوامل، فكذلك قد يحدث أن ترد شبه الجملة بعد "إلا" في الاستثناء المفرّغ كأن تكون جازاً و مجروراً في نحو ما مثّل به سيويه أوّل مبحث الاستثناء حين قال: "مَا مَرَرْتُ إِلَّا بِرَيْدٍ".

والجدير بالإشارة إليه هنا، هو تنبيهه على أنّ ضمائر الرفع المنفصلة «كأنت وأخواتها لا يكتنّ علامات لجرور من قبل أنّ "أنت" اسم مرفوع، ولا يكون المرفوع مجروراً. ألا ترى أنّك لو قلت: "مَا مَرَرْتُ بِأَحَدٍ إِلَّا أَنْتَ" لم يجز؟»³.

وإذا كان سيويه يمنع إيقاع "أنت" وأخواتها موقع الاسم المجرور في نحو: "مَا مَرَرْتُ بِأَحَدٍ إِلَّا أَنْتَ"، فإنّ ما يفهم منه حتماً هو عدم جواز التّفرغ لهذه الضّمائر المنفصلة محصورةً بيلاً إنّ كان العامل فيها إحدى حروف الجرّ، فلا يُقال مثلاً: "مَا مَرَرْتُ إِلَّا بِأَنْتَ". غير أنّ سيويه قد بيّن وجه الصّواب في مثل هذا موضّحاً أنّنا نقول: "مَرَرْتُ بِرَيْدٍ وَبِكَ"، و"مَا مَرَرْتُ بِأَحَدٍ إِلَّا بِكَ".

¹ المطففين: 12.

² البقرة: 269.

³ سيويه، الكتاب: 362/2.

وهو ما يكون مؤداه إمكائية وقوع الضمائر المتصلة بعد إلا بشرط إعادة إظهار "باء" الجرّ مع هذه الضمائر التي لا يتكلم بها وحدها".¹

ومعلوم أنه كما تعرب الجملة في العربية إعراب الكلمات إذا حلت محلّها وشغلت دورها، فكذلك شبه الجملة التي تتعدّد أوجهها الإعرابية حسب موقعها من الكلام، فهي قد تكون في محلّ رفع خبر للمبتدأ كقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾²، أو حالا مثل، نحو قوله، عزّ وجلّ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾³.

المطلب السادس: التفريغ للظرف:

يعدّ الظرف بنوعيه واحداً من المعمولات التي يحدث أن ترد محصورة في أسلوب الاستثناء المفرغ، وأمثله في كتاب الله العزيز موجودة، وإن كانت ليست بالكثيرة، إذ نكتفي هنا ببعضها مستشهدين بقول الله، جلّ وعلا: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾⁴، وقوله عزّ من قائل: ﴿إِنْ لَيْسَ إِلَّا عَشْرًا﴾⁵.

ومّا جاء داخلاً في هذا المعنى من كتاب سيويه، ما أثبتته عرضاً ومن دون قصد في "باب حتّى"⁶ حين بسط الكلام في وجوه استعمالات هذا الحرف، ودلالته المعنوية والبلاغية المستفادة من دخوله في مختلف التعابير. وجاء تمثيل سيويه لهذا الموضوع بقوله: "مّا سِرْتُ إِلَّا قَلِيلاً حَتَّى أَدْخُلَهَا"⁷، الذي جاء فيه الاستثناء مفرغاً لكلمة "قليلاً" المعربة ظرفاً للزمان منصوباً.

¹ ينظر: سيويه، الكتاب: 363/2. وهو ما يفهم منه جواز حصر الضمائر المتصلة بإلا، كقولنا: "مّا مَرَزْتُ إِلَّا بِكَ"، و"مّا مَرَزْتُ إِلَّا بِكُمَا، وَمَا مَرَزْتُ إِلَّا بِهِ"، ونحو ذلك".

² آل عمران: 126.

³ إبراهيم: 04.

⁴ البقرة: 80.

⁵ طه: 103.

⁶ سيويه، الكتاب: 16/3.

⁷ ينظر: المرجع نفسه: 21/3، والأعلم الشنتمري، التكت: 704/1.

وشبيه بهذا، قول أبي الأسود الدؤلي (ت69هـ) من قصيدة قالها في حضرة من شهد تزويجه من امرأة قدر أنها حسنة التدبير، قانعة بالقليل، فإذا هي خلاف ذلك؛ إذ قال بعد عدد من الأبيات: ¹

فَأَلْفَيْتُهُ غَيْرَ مُسْتَعْتَبٍ .: وَلَا ذَاكِرِ اللَّهِ إِلَّا قَلِيلًا

والشاهد في هذا البيت وقوع كلمة "قليلًا" الواقعة مفعولا فيه (ظرف زمان) محصورة بإلا دلالة على أن زوجة الشاعر لم تكن ذاكرة الله إلا في أوقات قليلة جدًا. ومن هذا، قول الشاعر:

لَمْ يَضْحَكِ الْوَرْدُ إِلَّا حِينَ أَعْجَبَهُ *** حُسْنُ الرِّيَاضِ وَصَوْتُ الطَّائِرِ الْغَرْدِ ²

والشاهد فيه ورود ظرف الزمان (حين) المبني على الفتح في محل نصب محصوراً بالحرف إلا الذي جاء في هذا البيت الشعري ملغى من جهة الإعراب لأنه ليس حرف استثناء، بل حرف حصر لما قبله وهو "ضحك الورد" على حالة واحدة وهي "إعجابه بحسن الرياض وصوت الطائر الغرد".

المطلب السابع: التفريع للحال المفردة:

هذا، ويجوز تفريع الكلام في الاستثناء المفرغ لمعمولات نحوية أخرى كالحال المفردة مثلاً؛ إذ يحدث أن ترد محصورة "إلا"، كما في كتاب الله في قول الخالق، جلّ في علاه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً﴾ ³، وقوله، جلّ في علاه: ﴿لَا تَأْتِيَكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ ⁴.

¹ البيت في: أبو الأسود الدؤلي، الديوان، صنة: أبو سعيد الحسن السكري. تحقيق: محمد حسين آل ياسين، دار الكتاب الجديد- بيروت، ط1، 1974م: 38، وهو في: سيبويه، الكتاب: 169/1، من شواهد سيبويه على حذف التنوين من "ذاكر" لالتقاء الساكنين، وهو اضطرار، وفي: النحاس، شرح أبيات سيبويه: 109، والأصفهاني، الأغاني: 107/11. **مُسْتَعْتَبٌ**: من استعْتَبَ، أي: طَلَبَ أن يُعْتَبَ. تقول: "اسْتَعْتَبْتُهُ؛ فَأَعْتَبَنِي، أي: اسْتَرْضَيْتُهُ، فَأَرْضَانِي". ينظر: ابن منظور، اللسان: مادة (عَتَبَ)، (578/1)، والجوهرى، الصحاح: باب الباء، فصل العين، (175/1). ومطلع القصيدة، هو قول الدؤلي:

أَرَأَيْتَ مَنْ كُنْتُ لَمْ أَبْلُهُ .: أَتَانِي فَقَالَ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا

² ينظر: تهذيب النحو: 144/2.

³ النساء: 92.

⁴ الأعراف: 187.

بقوله الله، جلّ جلاله، ﴿وَمَا كَانَ لِيَشِيرَ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾.¹

وسيؤيه إذ ينقل هنا رأي الخليل بن أحمد في تعليقه على هذه الآية الكريمة لسؤاله إياه بشأنها، فهو يوافقه فيما رآه من أنّ «النّصب محمولٌ على "أنّ" سوى هذه التي قبلها. ولو كانت هذه الكلمة على "أنّ" هذه لم يكن للكلام وجهٌ، ولكنّه لما قال: ﴿إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ كان في معنى: "إِلَّا أَنْ يُوحِيَ"، و كان: "أو يرسل" فعلاً لا يجري إلّا على إلّا؛ فأجرى على "لن" هذه كأنه قال: إلّا أَنْ يُوحِيَ أو يرسل، لأنّه لو قال: "إِلَّا وَحِيًّا وَإِلَّا أَنْ يرسل" كان حسناً، وكان "أَنْ يُرْسِلَ" بمنزلة الإرسال، فحملوه على "أَنْ"، إذ لم يجز أن يقولوا: "أو إلّا يرسل"، فكأنّه قال: إلّا وَحِيًّا أَوْ أَنْ يُرْسِلَ".²

والمراد بهذا الكلام، أنّ سيؤيه يرى أنّ الوجه في الفعل "يرسله" هو النّصب حملاً له على "أنّ" النّاصة لكلمة "يُوحِيَ" الآيتين³ إلى حال مفردة في قوله تعالى: ﴿وَحِيًّا﴾. والظاهر هنا أنّ سيؤيه قد تبنّى إلى هذا الأمر، لئلاّ يظنّ أنّ "يرسل" منصوب حملاً له على "أنّ" الأولى التي في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا كَانَ لِيَشِيرَ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ﴾؛ لأنّه يلزم نفي المرسل أو الرّسل إليهم، وهذا غير جائز لقلبه معنى الآية إلى غير ما أريد بها.

وليس يخفى هاهنا، أنّ الآية حسب كلام سيؤيه، من الاستثناء المفرغ للحال، وهي هنا متنوّعة: حالٌ واقعةٌ مصدرًا، وجملة فعلية مؤولة بمصدر، وشبه جملة. يقول جاز الله الزمخشري مبيناً حصر الخالق تعالى تكليمه لرسله في ثلاثة أوجه: «... و"وحيا"، و"أنّ" يرسل" مصدران واقعان موقع الحال؛ لأنّ "أنّ يرسل" في معنى: "إرسالاً"، و"من وراء حجاب" ظرف واقع موقع الحال أيضاً كقوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾⁴... والتقدير: "وَمَا صَحَّ أَنْ يُكَلِّمَ أَحَدًا إِلَّا مُوحِيًا، أَوْ مُسْمِعًا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، أَوْ مُرْسِلًا".⁵

¹ الشورى: 51.

² الكتاب: 49/3.

³ أي: "أنّ" المصدرية، والفعل المضارع "يُوحِيَ".

⁴ آل عمران: 191.

⁵ الزمخشري، الكشاف: 475/3. هذا من الوجه الأول لهذه المفردة. أمّا وجهها الثّاني عند الزمخشري، فهو يرى أنّها تحتل النّصب على أنّها مفعول مطلق منصوب، وهو ما يفهم من كلامه الذي يقول فيه، بعد الذي مرّ، إنّّه «يجوز أن يكون "وحيا"»

المطلب الثامن: التفرغ لاسم "كان" وخبرها:

أما عن حصر (كَانَ)، فمنه نحو قوله، جلّ في علاه: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً﴾¹، وقوله جلّ شأنه: ﴿هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾².
 كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا².

ومّا جاء في كتب علماء النحو عن مسألة التفرغ لمعموليّ (كَانَ)، نورد ما أثبتته سيبويه في كتابه بجملة: "مَا كَانَ أَخَاكَ إِلَّا زَيْدٌ"³.

والجليّ هنا، أنّ معنى الجملة: "مَا كَانَ أَخَاكَ إِلَّا زَيْدٌ" هو: "كَانَ أَخَاكَ زَيْدٌ"، وإنّما دخلت "إِلَّا" على الجملة المسبوقه بحرف النفي "ما" لإفادة معنى حصر صفة "الأخوة" في "زيد" وحده دون غيره من الناس عند المخاطب بهذا الكلام المتمثّل في المفرد المذكر المخاطب. وليس يخفى هاهنا، أنّ كلمة "زيد" هذه التي كانت في أصل الكلام بدلاً من المستثنى منه، أو مستثنى؛ لأنّ تقديره: "مَا كَانَ أَخَاكَ أَحَدٌ إِلَّا زَيْدٌ"، ولكنّ حذف المستثنى منه في قولنا: "مَا كَانَ أَخَاكَ إِلَّا زَيْدٌ" هو مرجع عمل "كان" النّاسخة رفعاً في "زيد" الواقع بعد "إِلَّا" على أنّه اسم لها مؤخّر للحصر فيه.⁴

وقد شبّه سيبويه التّركيب النّحويّ لجملة: "مَا كَانَ أَخَاكَ إِلَّا زَيْدٌ" بجملة: "مَا ضَرَبَ أَخَاكَ إِلَّا زَيْدٌ"، حملاً لنصب كلمة "أخاك" في العبارة الأولى على نصبها في الثانية أولاً، ولرفع "زيد" في الأولى على رفعها في الثانية ثانياً، هذا مع ملاحظة الاختلاف بين هذه المعمولات في الإعراب حسب العامل النّحويّ.⁵ كما حمل نصب كلمة "أخاك" على نصب كلمة "حُجَّتْهُمْ" في قول

موضوعاً موضع كلاماً؛ لأنّ الوحيّ كلامٌ خفيّ في سرعة كما تقول: "لا أكلمه إلّا جهراً وإلّا خفّاتاً". ينظر: المرجع نفسه: 475/3، وابن هشام، مغني اللبيب: 641/2-642.

¹ يونس: 19. والآية كاملة: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾.

² الإسراء: 93.

³ ينظر: سيبويه، الكتاب: 50/1، وابن جني، اللّمع: 87-88.

⁴ ينظر: ابن السّراج، الأصول في النحو: 300/1.

⁵ ينظر: ياقوت، سليمان، شرح جمل سيبويه: 33/1. وجليّ هنا، أنّ كلمتي "أخاك" و"زيد" في الجملة الأولى معرّتان خبراً لكان واسماً لها مؤخراً على التّرتيب، بينما يكون موقعهما من الإعراب في الثانية، هو كونهما: مفعولاً به مقدّماً، وفاعلاً مؤخراً للفعل "ضرب".

المولى تبارك وتعالى: ﴿مَا كَانَ حُجَّتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾¹، لأنها منصوبة هنا على أنها خبرٌ للفعل "كان" الناقص، المتأخر اسمه إلى ما بعد إلا، وهو المصدر المؤول بعدها من "أن" والفعل "قالوا" الذي هو في موضع رفع؛ لأنّ تقدير الكلام في هذه الآية الكريمة هو: "مَا كَانَ حُجَّتُهُمْ إِلَّا قَوْلُهُمْ"²، كما هو الحال تماما في قوله: جلّ شأنه: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾³؛ إذ تقدّم فيه خبر كان "جواب" على اسمها المحصور بـ"إلا"، المقدّر هنا بكلمة: "قولهم"، وهو ما يوضحه سيبويه بقوله: «فأنّ محمولةً على كان، كأنّه قال: "فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا قَوْلُ كَذَا وَكَذَا"، وإن شئت رفعت الجواب، فكانت "أن" منصوبةً»⁴.

وبعد هذا العرض لأهمّ ما يُفرّغ له الكلام من المعمولات النحويّة في لغتنا العربيّة، يجدر بنا الآن أن نشير، ولو، بإيجاز إلى مذهب رجال النحو واللغة بخصوص ما يمكن وجوده من معمولاتٍ يمتنع تفريغ الكلام لها بعد إلا التي للقصر.

¹ الجاثية: 25.

² نشير هنا إلى أن هاته الآية الكريمة والتي بعدها في هذا المقام من شواهد وقوع الجملة بعد "إلا" في الاستثناء المفرغ موقع المستثنى (أي المعمول بعد إلا). والآيتان نموذجان لإعرابهما اسما مؤخر لـ "كان الناقصة"، مع جواز عدهما في موضع نصب على الخبرية. وبما أننا قد أشرنا إلى هذه المسألة في هذا المقام، فإننا لن نخصّها بكلام آخر في مبحث الجملة الواقعة موقع المستثنى في الاستثناء المفرغ لاحقا، اكتفاء بما ذكر.

³ الأعراف: 82. الآية هنا مصدرة بالواو، وهي مسبوقه "بالفاء" في التحل: 58، والعنكبوت: 23 و 29.

⁴ سيبويه، الكتاب: 155/3.

المبحث الرابع: معمولات لا يُفَرِّغ لها الكلام عند النحاة:

أما سيبويه، فلأنه لم يدرس مبحث الاستثناء المفرغ مستقلاً برأسه ومقصوداً لذاته، وإنضمّا عرض لإشارات ولفاتٍ منها له في باب الاستثناء؛ فهو لم يُفصّل الكلام في هذه المسألة تفصيلاً دقيقاً، كما أثبتّه عمومُ النحاة المتأخّرين عنه، وذلك أنّه لم يُوضّح أ يكون جائزاً وسليماً من النّاحية الإعرابية والمعنويّة أن يقع المصدر المؤكّد والمفعول معه، والحال المؤكّدة لعاملها بعد "إلا" التي للحصر في معرض شرحه لمباحث الاستثناء أم لا ؟

غير أنّ الذي يمكن استقراءه واستخلاصه بعد الاطلاع على هذه الأبواب النحوية في مظانّها من الكتاب، هو أنّ سيبويه، في حدود اطلاعنا على هذه المواضع في مصنّفه، لم يُورد تراكيب لغوية تحوي تفرّغاً للمصدر المؤكّد¹، ولا للمفعول معه²، ولا للحال المؤكّدة لعاملها³. ولعلّه يكون مفهومًا من هذا أنّه يرى عدم صحّة وقوع ذلك في كلام العرب.

ولكنّ لعلّ الذي يكون حريّاً بنا لفت الانتباه إليه في هذا المقام، هو التذكير بأنّ سيبويه قد نَبّه في باب الاستثناء إلى أمر هامّ، وهو منعه وقوع الاسم المنصوب بعد "إلا" الحاصرة خبراً عن مبتدأ، في نحو: "مَا أَنْتَ إِلَّا ذَاهِبٌ"⁴. ولكنّ السؤال المطروح هنا هو: لم كان جائزاً قولنا: "مَا أَنْتَ إِلَّا سَيْرٌ"، وأشباهه من جهة، وامتنع: "مَا أَنْتَ إِلَّا ذَاهِبٌ"، كقول سيبويه: "وَمَا أَنْتَ إِلَّا سَائِرٌ" قياساً عليه من جهة أخرى؟

والطّريف في الأمر، أنّ سيبويه على الرّغم من إشارته إلى عدم جواز قولنا: "مَا أَنْتَ إِلَّا ذَاهِبٌ" في باب الاستثناء من دون أن يُتبع ذلك بأيّ شرحٍ أو تحليلٍ، فالظاهر أنّ الإجابة عن هذا التّساؤل قد ضُمّنت في موضع سابقٍ لهذا، وهو "باب ما جَرَى مِنَ الْأَسْمَاءِ الَّتِي لَمْ تُؤْخَذْ مِنَ الْفِعْلِ جَرَى الْأَسْمَاءِ الَّتِي أُخِذَتْ مِنَ الْفِعْلِ"⁵، حيث تحدّث عن أحوال اسم الفاعل ذِكْراً وحذفاً، في كلام العرب، ناقلاً عن يونس «أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: عَائِدٌ بِاللَّهِ. فَإِنْ أَظْهَرَ هَذَا الْمَضْمَر لَمْ يَكُنْ إِلَّا الرَّفْعُ، إِذْ

¹ ينظر: سيبويه، الكتاب: 35-34/1 و 378-384.

² ينظر: المرجع نفسه: 310-297/1.

³ ينظر: المرجع نفسه: 44/1 و 340 و 346 و 370 و 377 و 52-49/2 و 81 و 87-92 و 112-114 و 121.

⁴ ينظر: المرجع نفسه: 317/2.

⁵ ينظر: المرجع نفسه: 341/1.

جاز الرفع وأنت تُضمر، وجاز لك أن تحمل عليه المصدر، وهو غيره في قوله: "أَنْتَ سَيْرٌ سَيْرٌ"؛ فلم يجز حيث أظهر الاسم عندهم إلا الرفع، كما أنه لو أظهر الفعل الذي هو بدل منه لم يكن إلا نصباً¹.

وإذا كان مفهوماً من كلام سيويه، أن للاسم الواقع خبراً عن مبتدأ حاليّن لا يخرج عنهما: فإما الرفع جوازاً إن أضمر المبتدأ، أو الرفع وجوباً إن كان الأخير مظهرًا، كما مثّل له آنفاً، فعله ممّا يزيد كلامه تحليلاً وإيضاحاً حول امتناع الإخبار عن المبتدأ باسم منصوب، ما رواه أبو سعيد السيرافي تعليقاً على ما ذكر، من أنه قد «تأوّل بعض المتقدمين في النحو من أدركته رواية عليّ بن أبي طالب - كرم الله وجهه - في قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾² بنصب "عُصْبَةٌ"، وعلى الرغم من أن كلمة "عُصْبَةٌ" تُنصب كما تقول: "إِنَّمَا الْعَامِرِيُّ عَمَّتُهُ"، فجعل "عُصْبَةٌ" بمنزلة المصدر، وردّدت أنا ذلك فقلت: إنّما يجوز هذا في المصادر دون الأسماء، تقول: "أَنْتَ سَيْرٌ، ولا تقول: "أَنْتَ سَائِرٌ"³.

وهذا الكلام، إن كان يدلّ على عدم جواز أن نقول: "أَنْتَ سَائِرٌ"، بنصب "سَائِرٌ" الشاغل لدور الخبر عن المبتدأ "أَنْتَ"، لأنّ الخبر يجب فيه الرفع لعمل المبتدأ فيه رفعاً؛ فإنّه يكون من باب أولى عدم صحّة نحو: "مَا أَنْتَ إِلَّا سَائِرٌ" وامتناعه. ومثله: "مَا أَنْتَ إِلَّا ذَاهِبٌ"، كما عبّر عن ذلك سيويه، من جهتين، إعرابية ومعنوية.

أمّا الإعرابية، فكما سبق، فإنّ عمل "ما" الحجازية ينتقض بدخول "إِلَّا" على خبرها، وهو ما ينتفي لو عُذّ: "مَا أَنْتَ إِلَّا ذَاهِبٌ" كلاماً صحيحاً سليماً؛

وأمّا المعنوية، فتمثّلة في استحالة انتصاب اسم الفاعل بفعل من لفظه، فلا نقول: "أَنْتَ تَسِيرُ سَائِرٌ"، بخلاف المصدر فإنّه جائز فيه ذلك، إذا قيل مثلاً: "أَنْتَ تَسِيرُ سَيْرٌ" في الخبر الابتدائي غير المحصور و"مَا أَنْتَ إِلَّا سَيْرٌ"، أي: "إِلَّا تَسِيرُ سَيْرٌ"، في الخبر المحصور كما مضى بيانه آنفاً.

¹ سيويه، الكتاب: 347/1.

² يوسف: 08.

³ سيويه، الكتاب: 347/1، الحاشية رقم: 02.

ومنه طبعاً مثال سيبويه: "مَا أَنْتَ إِلَّا ذَاهِبًا" غير الجائز، عكس قولنا: "مَا أَنْتَ إِلَّا ذَاهِبًا" الجائز؛ لأنه يكون إذ ذاك على تقدير: "مَا أَنْتَ إِلَّا تَذْهَبُ ذَاهِبًا"، فبان الفرق بينهما. كما نُذَكِّرُ هنا بمنع سيبويه إيراد ضمائر الرفع المنفصلة وهي "أَنْتَ" وأخواتها محصورةً بـ"إِلَّا" بإيقاعها موقع الاسم المجرور؛ وهو ما لا يجوز بناءً عليه أن نقول على سبيل التمثيل: "مَا مَرَرْتُ إِلَّا بِأَنْتَ"، بخلاف لو أنها كانت في موقع رفع، فإنه لا يرى مانعاً في أن ترد بعد "إِلَّا" التي للحصر كأن تكون في موضع رفع على الفاعلية كما بيّنا ذلك في موضعه من هذا البحث.

وعموماً، فمسألة المعمولات التي لا يجوز أن يُفَرِّغَ لها الكلام قد عرفت اختلافاً بين بعض النحاة. فالسيوطي (ت911هـ) مثلاً، يذهب إلى أن «التفريغ يكون في كلِّ المعمولات من فاعل¹، ومفعول به وغيره، إلا المصدر المؤكّد، فإنه لا يكون فيه، ولذلك أولوا قوله تعالى: ﴿إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾² على حذف الوصف، أي ظناً ضعيفاً»³.

وإذا كان هذا رأي واحد من علماء العربية المحققين، فإن واحداً من الدارسين المحدثين يرى أن «التفريغ يجوز لجميع المعمولات، إلا المفعول معه، والمصدر المؤكّد لعامله، وكذا الحال المؤكّدة لعاملها. فلا يقال مثلاً: مَا سِرْتُ إِلَّا وَاللَّيْلِ، وَمَا زَرَعْتُ إِلَّا زَرْعاً، وَلَا تَعْمَلُ إِلَّا عَامِلاً»⁴. ويُعلّل ذلك قائلاً إن «سبب المنع وقوع التناقض بذكر المعنى مثبتاً أو منفياً قبل "إِلَّا" ثم مخالفته بعد "إِلَّا"،

¹ نشير هاهنا إلى أن الكسائي أجاز في نحو: "مَا قَامَ إِلَّا زَيْدٌ" مع الرفع على الفاعلية، التّصّب على الاستثناء. وقد وافق الكسائي على إجازة النّصب طائفة من اللّغويين، واستدلوا بقول الشاعر:

لَمْ يَبْقَ إِلَّا الْمَجْدُ وَالْقَصَائِدَا . غَيْرِكَ يَا ابْنَ الْأَكْرَمِينَ وَالِدَا

ويروى البيت أيضاً بنصب كلمتي "المجد" و"غير"، أي: "لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ غَيْرُكَ". ينظر: السيوطي، همع الهوامع:

223/1، والشنقيطي، الدرر اللوامع: 486/1.

² الجاثية: 32.

³ السيوطي، همع: 223/1. والمرادي، ينظر: المرادي، الجنى الدّاني: 514. ولورود المفعول المطلق محصوراً بـ"إِلَّا" عدّة مواضع في كتاب الله العزيز، نذكر منها قول المولى تبارك وتعالى في الآية الثالثة والعشرين من سورة الكهف: ﴿فَلَا تَمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾.

⁴ حسن، عباس، النحو الوافي: 323/2، ينظر: الحاشية رقم: 01.

وأما قوله تعالى: ﴿إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾¹، فالقارئ تدلُّ على أنَّ المراد: "إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا عَظِيمًا"، فهو بسبب القرينة مصدرٌ مبينٌ للنوع، وليس مؤكِّداً.²

ووجه الاختلاف بين هذين الرأيين ظاهر، وذلك أنَّ الأول يُجيز التفريغ لجميع المعمولات إلا المصدر المؤكِّد، في حين يذهب الثاني إلى عدم جوازه مع المفعول معه، والحال المؤكِّدة لعاملها، بالإضافة إلى المصدر المؤكِّد. وعلة ذلك حسب رأيه، أنَّه إذا قيل مثلاً: "مَا زَرَعْتُ إِلَّا زَرْعًا، وَمَا سَرْتُ إِلَّا وَالنَّيْلَ، وَلَا تَعْمَلُ إِلَّا عَامِلًا، فَإِنَّ هَذَا مَا يَتَرَبَّ عَنْهُ حَتْمًا تَنَاقُضُ الْكَلَامُ أَوَّلُهُ مَعَ آخِرِهِ، إِذْ كَيْفَ يُعْقَلُ أَنْ يُقَالَ مَثَلًا: "مَا زَرَعْتُ" ابْتِهَاً بِالنَّفْيِ إِلَى عَمَلِيَّةٍ (أَوْ فَعْلٍ) الزَّرْعِ، ثُمَّ يُرَدَّفُ ذَلِكَ بِمَجِيئِ الْكَلَامِ لَا مُؤَكِّدًا لِمَا قَبْلَهُ وَمُحَقِّقًا لِمَغْزَاهُ، بَلْ مُثَبِّتًا وَمَنَاقِضًا لِمَعْنَاهُ ؟ وَكَذَلِكَ الْحَالُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى قَوْلِنَا: "مَا سَرْتُ إِلَّا وَالنَّيْلَ"؛ إِذْ إِنَّ فِيهِ أَوَّلًا نَفْيًا لِفَعْلِ السَّيْرِ بَوَسَاطَةِ "مَا" النَّافِيَةِ، وَلَكِنْ مَا لَبِثَ أَنْ جَاءَتْ "إِلَّا" مُخَالَفَةً لِهَذَا الْحُكْمِ بِأَنْ أَثَبَّتَ هَذَا "السَّيْرُ" الْمُنْفِي وَقَوَعَهُ بِأَنَّهُ كَانَ "وَالنَّيْلَ" ؟! وهذا ما نقوله في نحو: "مَا ضَرَبْتُ إِلَّا ضَرْبًا، وَلَا تَعْتُ إِلَّا مُفْسِدًا، وَلَا تَعْتُ إِلَّا لَاهِيًا"، وما شاكل ذلك؛ لأنَّ الكلام في مثل هذا يتناقض صدره مع عجزه.³

وبناءً على هذا كله، فالظاهر أنَّ الرأي الثاني، ومنه رأي سيوييه، أقرب إلى الصواب.

¹ الحاشية: 32.

² حسن، عباس، النحو الوافي: 323/2، ينظر: الحاشية رقم: 01.

³ ينظر: الهمداني، ابن عقيل، شرح ابن عقيل: 219/2، الحاشية رقم: 01. ويُستثنى من هذا الحكم طبعاً ما ورد من أساليب قرآنية متضمنة لمعنى القصر بوساطة هذا النوع من التراكيب اللغوية للجملة، كما رأينا سابقاً في الآية الثانية والثلاثين من سورة الجاثية ﴿إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾؛ إذ حاشاه سبحانه وتعالى أن يشتمل ذكره الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه على كذبٍ أو نحوه، وتعالى ربُّنا العليُّ القدير عن ذلك غُلُوًّا كبيراً.

المبحث الخامس: وقوع الاستثناء المفرغ (أسلوب القصر) في المفيد والموجب من الكلام:

لعله يكون قد اتضح مما ثبت في دراستنا لأسلوب القصر عند سيبويه وجمهور النحاة، أن هذا النوع من الأساليب يقتضي تركيباً نحوياً معيناً في بنائه؛ إذ يُحذف المستثنى منه من جملة، وهو ما يجعل الكلام السابق لـ "إلا" غير تام، أو بعبارة أدق غير مفيد، ومثال ذلك: "مَا قَامَ إِلَّا عَمَرُو" فلو أننا اعتدنا بجملة: "مَا قَامَ" وحدها ما استقام لها معنى، وما حصلت فائدة. فإذا كان هذا الذي تبين لحد الآن، فهل من التحويين من يرى غير ذلك؟

ومما صادفناه في طريق بحثنا في هذه المسألة نص أحد الدارسين المحدثين يذهب إلى تجويز وقوع هذا النوع من الاستثناء (أي المفرغ) في المفيد من الكلام، بل وعدّه (أي الاستثناء المفرغ) لا يقتضي أن يكون الكلام قبل "إلا" غير مفيد، بل قد يكون مفيداً ومفرغاً في الوقت نفسه، وذلك نحو قولنا: «مَا أَكَلَ الْقَوْمُ إِلَّا خُبْزاً» فهو استثناء مفرغ لا بسبب اختلال المعنى في حال حذف "إلا" وما بعدها، ولكنه مفرغ لأن الذي بعد "إلا" شيء مأكول وهو الخبز، وليس قبل "إلا" مأكولات حتى يُنتزع الخبز منها. أما إن كان القصد باختلال المعنى تبدل معناه، فهذا صحيح؛ لأن قولنا: "مَا أَكَلَ الْقَوْمُ" يعني أنهم لم يأكلوا شيئاً، وأمّا قولنا: "مَا أَكَلَ الْقَوْمُ إِلَّا خُبْزاً" فيعني أنهم أكلوا خبزاً، ولم يأكلوا شيئاً غيره».¹

وإذا كان هذا بإيجاز عن مسألة إفادة الكلام أو عدمها في الاستثناء المفرغ، فمعلوم أن هذا النوع من الأساليب لا يجيء في كلام مثبت، بل إنه لا يكون عند أكثر النحاة إلا في غير الموجب، وهو النفي، أو النهي، أو الاستفهام، نحو قول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى﴾² وقوله، عز من قائل: ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾³، وقوله، جل شأنه: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾⁴.

¹ الأنطاكي، محمد، المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها: 327/2-328.

² القصص: 36

³ النساء: 171.

⁴ الرحمن: 60.

وهو مذهب عموم النحويين، وعلى رأسهم سيبويه الذي أكّده حين بسط الكلام في مسألة منع إبدال المستثنى من المستثنى منه إذا كان الاستثناء متصلاً موجباً، نحو قولنا: "أَتَانِي الْقَوْمُ إِلَّا أَبَاكَ"، و"مَرَرْتُ بِالْقَوْمِ إِلَّا أَبَاكَ"، وَالْقَوْمُ فِيهَا إِلَّا أَبَاكَ؛ إذ يرى وجوب النصب فيما بعد "إلا" هنا، مُعلّلاً ذلك بقوله: «وإنما منع "الأب" أن يكون بدلاً من "القوم" أنك لو قلت: أَتَانِي إِلَّا أَبُوكَ كَانَ مُحَالاً».¹

ويعني سيبويه بكلامه هذا، أن "أَبَاكَ" في تلك التراكيب لا يجوز فيها أن تكون بدلاً من "القوم" لأننا إذا وضعنا كلمة (أبوك) موضع "القوم" فاعلاً في جملة: "أَتَانِي إِلَّا أَبُوكَ"، كان محالاً فاسداً؛ لأنّ معنى الجملة يصبح ضرباً من الكلام المستحيل تحقُّقه في الواقع؛ إذ المفهوم من قولنا: "أَتَانِي إِلَّا أَبُوكَ" هو: "أنّ جميع الناس قد جاؤوني إلا أبوك"، وليس هذا ممّا يقبله عقل ولا منطق.²

وهذه لفظة معنويّة طيّبة ذكيّة من صاحب الكتاب، تؤمّي بحق ربطه، في كثير من الأحيان، تحليلاته وتعليقاته النحوية بنظرة البلاغة الدلالية والجمالية، ولوّ مضموناً المهتمّة بتقصّي تعابير العربية وأساليبها وسرّ أغوارها، تمييزاً لصحيحها من فاسدها من ناحية، وإبانة لمواطن الحسن والقبح فيها من ناحية أخرى.

ومنع وقوع الاستثناء المفرّغ في الكلام الموجب رأي الجمهور، إلا القليل منهم³، إذ يرى أبو

¹ سيبويه، الكتاب: 331/2.

² ينظر: ابن الانباري، أسرار العربية: 188-189، والمرادي، الجنى الداني: 518، وياقوت، محمود سليمان، شرح جمل سيبويه: 499/2.

³ كابن الحاجب (ت646هـ) مثلاً، الذي يجوز وقوع الاستثناء المفرّغ بعد الإيجاب بشرطين، أوّلهما: أن يكون ما بعد "إلا" فضلةً، وثانيهما: أن تحصّل فائدة، وذلك نحو قولنا: "قَرَأْتُ إِلَّا يَوْمَ الْجُمُعَةِ"، فإن كان عمدةً، أو لم تحصل فائدة، فلا يجوز ذلك.

وقد ردّ عليه بأنّه كان يجمل به الاحتكام في ذلك إلى أسلوب القرآن الكريم، والاستشهاد به إذ السؤال هنا: أيُّ فائدة أفادها هذا المثال: "قَرَأْتُ إِلَّا يَوْمَ الْجُمُعَةِ"، وهل من المستطاع أن يقرأ الإنسان في جميع أيتام حياته حتّى وهو طفلٌ رضيعٌ؟ ليس هذا من الكذب الذي من أجله منعوا وقوع المفرّغ في الموجب؟ وشتان بين الفائدة التي أفادها هذا المثال، وبين إفادة ما ورد من آيات قرآنيّة كريمة في هذا المعنى، كما سيبيّن. يُنظر: المؤلّف، عضيمة، محمد عبد الخالق، دراسات لأسلوب القرآن الكريم: 235/1-236.

سعيد السيرافي مثلاً أنه لا يُقال مثلاً: "أَتَانِي إِلَّا عَمْرُو"¹. وهو ما يقرُّه دارس آخر أيضاً باشتراطه لصحة وقوع الاستثناء المفرغ أن لا يكون الكلام فيه موجباً، كما في قولنا: "ضَرَبْتُ إِلَّا زَيْدًا"، معللاً ذلك باستحالة مؤدَّى معناه في الحقيقة والواقع؛ إذ كيف يُعقل أن يُقدِّر شخصٌ، كائناً مَنْ كان، كما هو حال المتكلِّم هنا، على ضرب جميع النَّاس إِلَّا زَيْدًا؟ فهذا غير ممكن الحصول بلا شك؛ وذلك لأنَّ الكلام يفتقد في موضعه، هذا إلى قرينة تدلُّ على إرادة صاحبه بالنَّاس جماعةً معيَّنة، أو أنَّه قاصدُ المبالغة في حديثه، وهو ما يجعل الفعل الواقع على بعض النَّاس واقعاً على كلِّهم تنزيلاً لهذا البعض منزلة الكلِّ². وإلى هذا يميل رأي أغلب نحاة العربيَّة، كما ذكرنا.³

ولعلَّه لهذا السَّبب، ذهب عددٌ من النحاة إلى تخريج بيت الشاعر، إثباتاً لسلامته النحوية، وهو قوله:

أَرَى الدَّهْرَ إِلَّا مَنْحُونًا بِأَهْلِهِ . وَمَا صَاحِبُ الْحَاجَاتِ إِلَّا مُعَذَّبًا

وذلك لأنَّ الفعل هنا مثبت، وهو "أرى"، وعليه لا يكون شرط تفرغ الكلام في هذا الاستثناء متوفراً (متحقِّقاً)، ومن أجل ذلك أوَّل على معنى كونه جواباً لقسم مقدَّر، وحُذِفَت "لَا النَّافِيَّة" كحذفها في قول الله جلَّ جلاله: ﴿تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾⁴ وإِنَّمَا حُذِفَت "لَا" هاهنا للعلم بها⁵، كما ورد ذلك في قول امرئ القيس:⁶

فَقُلْتُ يَمِينُ اللَّهِ أَبْرَحُ قَاعِدًا . وَلَوْ قَطَّعُوا رَأْسِي لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي

¹ وقد أشار إلى ذلك في معرض حديثه عن استعمالات الاسم "غير" في أسلوب الاستثناء عموماً عند سيبويه. ينظر: سيبويه، الكتاب: 344/2، الحاشية رقم: 01.

² ينظر: الهمداني، شرح ابن عقيل: 219/2، الحاشية رقم: 02.

³ ينظر: ابن السَّراج، الأصول في النحو: 282/1، والعكبري، اللُّباب: 305، والمرادي، الجنى الدَّاني: 514 و 518، وابن هشام، أوضح المسالك: 301/1، والسيوطي، الهمع: 223/1، والغلاييني، مصطفى، جامع الدُّروس العربيَّة: 135/4، وحسن عبَّاس، النُّحو الوافي: 217/3، والدَّقر، عبد الغني، مُعجم القواعد العربيَّة: 76.

⁴ يوسف: 85.

⁵ ينظر: العكبري، أبو البقاء، التَّبيان في إعراب القرآن، تحقيق: محمد شمس الدِّين، دار الكتب العلميَّة-بيروت، ط1، 1419هـ-1998م: 21/2، وابن هشام، مغني اللِّيب: 623/2، وحسين، محمَّد أبو موسى، دلالات التَّراكيب-دراسة تحليليَّة لمسائل علم المعاني: 127، والإعراب في القرآن الكريم، الزَّين، سميح عاطف، دار الكتاب اللَّبناني-بيروت، ط1، 1405هـ-1985م: 347.

⁶ امرؤ القيس: الدِّيوان، دار بيروت للطباعة والنَّشر، بيروت-د.ط، 1972م: 325/2.

والمعنى: "لَا أَبْرَحُ قَاعِدًا"¹، وَإِنَّمَا جاز ذلك لَأَنَّهُ لَا يَجُوزُ فِي الْقَسَمِ قَوْلُنَا: "تَاللَّهِ تَفْعَلُ" حَتَّى نَقُولَ: "تَاللَّهِ لَتَفْعَلَنَّ"، أَوْ نَقُولَ: "لَا تَفْعَلُ".² وَإِذَا كَانَ التَّقْدِيرُ فِي هَذَا الْبَيْتِ عَلَى حَذْفِ "لَا" فَإِنَّ ذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْاسْتِثْنَاءَ مَفْرَغٌ.

وَلَكِنْ الْمُلْحُوظُ هَاهُنَا، أَنَّ الْاسْتِثْنَاءَ الْمَفْرَغَ قَدْ يَقَعُ فِي كَلَامٍ مَنْفِيٍّ وَلَكِنْ مَعْنَوِيًّا فَقَطْ، فَلَا يَسْبِقُ الْفِعْلَ أَوْ الْعَامِلَ الَّذِي قَبْلَ "إِلَّا" حَرْفُ نَفْيٍ، أَوْ نَهْيٍ، أَوْ اسْتِفْهَامٍ نَحْوَ قَوْلِهِ، عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿وَيَأْتِي اللَّهَ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ﴾³، فَالْكَلَامُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ مَفْرَغٌ لَوْجُودِ نَفْيٍ مَعْنَوِيٍّ فِي كَلِمَةِ "يَأْتِي"، لِأَنَّ مَعْنَاهَا الْمَعْهُودُ هُوَ: "لَا يُرِيدُ"؛ لِذَا يَكُونُ الْمَعْنَى: "لَا يُرِيدُ اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ"، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ، جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾⁴، إِذْ وَاضِحٌ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ تَتَضَمَّنُ اسْتِثْنَاءً مَفْرَغًا بِسَبَبِ أَنَّ الْكَلَامَ فِيهَا مَنْفِيٌّ، وَلَكِنْ مِنَ النَّاحِيَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ فَحَسَبَ، وَالْمَعْنَى: "وَأَنَّهَا لَا تَسْهَلُ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ"⁵.

وَنُشِيرُ أَخِيرًا إِلَى أَنَّهُ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ تَجْوِيزِ بَعْضِ النَّحَاةِ وَقَوَعِ الْاسْتِثْنَاءِ الْمَفْرَغِ فِي الْكَلَامِ الْمَوْجِبِ، وَبِخَاصَّةِ مَا كَانَ فِيهِ الْفِعْلُ مَثْبَتًا لَفْظًا، وَمَنْفِيًّا مَعْنَى مِثْلَ كَلِمَةِ "يَأْتِي"؛ فَإِنَّ الْجُمْهُورَ عَلَى مَنَعِهِ، وَذَلِكَ لِمَا يُلْزَمُ عَنْهُ مِنَ الْكَذِبِ⁶ إِذْ كَيْفَ يَثْبِتُ الْقِيَامَ، وَالضَّرْبَ، وَالْمُرُورَ بِجَمِيعِ النَّاسِ فِي نَحْوِ نَحْوِ قَوْلِنَا: "قَامَ إِلَّا زَيْدٌ"، وَ"ضَرَبْتُ إِلَّا زَيْدًا"، وَ"مَرَرْتُ إِلَّا بِزَيْدٍ"؟ فَهَذَا غَيْرُ جَائِزٍ، بِخِلَافِ النَّفْيِ فَإِنَّهُ جَائِزٌ.

¹ ينظر: سيبويه، الكتاب: 105/3، وابن فارس، الصحاحي: 156، وابن جني، الخصائص: 284/2، وابن هشام، مغني اللبيب: 87/1، والسيوطي، جلال الدين، شرح شواهد المغني، تحقيق: أحمد ظافر كوجان، لجنة التراث العربي، د.ط، د.ت: 220/1، والسيوطي، الهمع: 244-245، وبرجشتراسر، التطوُّر النحوي: 174، و حسنين، محمد أبو موسى، دلالات التراكيب-دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني: 126.

² ينظر: العكبري، التبيان في إعراب القرآن: 21/2، والزين، سامح عاطف، الإعراب في القرآن الكريم: 347.

³ التوبة: 32.

⁴ البقرة: 45.

⁵ ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب: 781/2، وحسن، عباس، النحو الوافي: 322/2، الحاشية رقم: 04.

⁶ إلا أسلوب القرآن الكريم المنزه عن ذلك طبعاً بلا أدنى ريب.

المبحث السادس: الجملة المحصورة بـ (إلا) في الاستثناء المفرغ:

يرى جمهور النحويين أنَّ الأصل في الإعراب للمفرد، لأنَّه كلمة واحدة يمكن أن تظهر عليها حركات الإعراب لفظاً وتقديراً. أمَّا الجملة فمعلوم، أنَّه لا يظهر على مجموعها مثل هذه الحركات، ولا يمكن أيضاً تقديرها؛ من قِبَل أنَّها مؤلَّفة من كلمتين أو أكثر. يقول أو حيَّان التَّوحيدي في هذا الشأن: «أصلُ الجملة ألا يكون لها موضعٌ من الإعراب؛ وإنَّما كان كذلك؛ لأنَّها إذا كان لها موضعٌ من الإعراب تَقَدَّرَتْ بالمفرد، والأصلُ في الجملة أن تكون مستقلة لا تَتَقَدَّرُ بمفرد، فتكون جزءاً كلامٍ لما قبلها»¹، ولعلَّ ذلك يرجع إلى هيمنة فكرة العامل في الدرس النحوي منذ وقت مبكِّر؛ وهو ما أدَّى إلى عدم عناية النحويين آنذاك كفايةً بفكرة الجملة وإعرابها، بسبب أنَّ أركان نظرية العامل والمعمول الثلاثة: "العامل، والعمل، والمعمول" ذوات طبيعة فردية في الأصل²، وإنَّ كان هذا لا يعني إطلاقاً، أنَّ عموم نحاة العرب، والقدامى منهم بخاصة، قد أهملوا الجملة وأقسامها وإعرابها لعدم إفرادهم لها مصنفًا مستقلًا، أو باباً قائماً برأسه في مؤلفاتهم إلى وقت متأخِّر كما بدأت تظهر ملامح ذلك على يد بعض نحاة العربية من أمثال الحسين بن القاسم المرادي (ت749هـ) في كتابه الموسوم: "رسالة في جمل الإعراب"³، وابن هشام الانصاري (ت761هـ) الذي خصَّ الباب الثاني من كتابه الشَّهير "مُغني اللَّيب" لدراسة الجملة وإعرابها⁴، وكذا شهاب الدِّين الأصبَّحي العنَّابي (ت776هـ) صاحب كتاب "الحلُّل في الكلام على الجمل"⁵، من دون إغفال الإشارة هنا إلى وجود بعض الإرهاصات للحديث عن هذه المسألة عند سيبويه⁶، غير أنَّ بداية التصنيف الفعلي في باب الجملة وأقسامها وإعرابها لم يبدأ إلا في القرن

¹ الأندلسي، أبو حيَّان، ارتشاف الضَّرْب من لسان العرب، تحقيق: رجب عثمان محمَّد، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط1، 1418هـ/1998م: 1617.

² ينظر: فلفل، محمَّد عبدو، معالمُ التفكير في الجملة عند سيبويه، دار العظماء، دمشق- سوريا، ط1، 2009م: 66.

³ ينظر: المهدي، المخزومي، في النَّحو العربي- نقد وتوجيه، دار الزَّائد العربي، بيروت- لبنان، ط2، 1406هـ/1986م: 61.

⁴ المرادي، الحسين بن القاسم، رسالة في جمل الإعراب، تحقيق: سهير محمَّد خليفة، ط1، 1407هـ/1987م: 61-105.

⁵ العنَّابي، شهاب الدِّين أحمد بن محمَّد الأصبَّحي، رسالتان في النَّحو الحلُّل في الكلام على الجمل، والتَّبيان في عطف البيان، تحقيق: إبراهيم بن محمَّد أبو عباة، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1417هـ/1996م: 37-67.

⁶ نشير هنا، أنَّ لهذه المسألة جذوراً قديمة في موروثنا النحوي، بدأ مع صاحب الكتاب وهو ما وضَّحه أحد الدارسين المحدثين بقوله، إنَّه «إذا صحَّ لنا ما تقدَّم صحَّ القول بأنَّ إعراب الجملة من الاهتمامات الإجرائية التي نقف عليها لدى سيبويه في كتابه، ويؤيِّد ذلك أنَّ لهذه الاهتمامات دواعي صناعية ودلالية عنده». فلفل، محمَّد عبدو، معالمُ التفكير في الجملة عند

الثامن المجري، وهو ما نصَّ عليه فخر الدين قباوة في كلامه عن حضور مثل هذه الدراسة عند النحاة الأوائل، إنَّه «قد تعرَّضَ بعض القدماء والمحدثين إلى جوانب من إعراب الجمل وأشباه الجمل، ولم يُخلِّص لهم واحدٌ كتاباً مفصلاً يشفي الغليل ويوضح السبيل، وكان ابن هشام رائداً لامعاً في هذه الحركة، حين خصَّ الموضوع بعناية فائقة في كتابه "مغني اللبيب" فجمع مادَّة ضخمة، فتحت باباً لم يكن له مثيل، وقد تبعه النحويون بعده يدورون في فلكه، فيفسِّرون عباراته، ويُلحِقون بها الشواهد والأمثلة، دون أن يحاولوا وضع لبناتٍ فيما أسَّسَ وأشاد، ولذلك بقي هذا الموضوع مرتبطاً بالقرن الثامن، وصنِّع ابن هشام لم يدخله بارقةً من البحث والتنقيب».¹

المطلب الأول: الجملة المستثناة في العربية:

إذا كان قد تبَيَّنَ ممَّا سبق ذكره، أنَّ الجملة في العربية يمكن أن تحلَّ محلَّ المفرد؛ كأن تكون خبراً عن المبتدأ، أو فاعلاً، أو مفعولاً به، وغير ذلك، فالسُّؤال الذي يتبادر إلى الأذهان هنا، ونحن في مقام الحديث عن باب الاستثناء وما يتفرَّع عنه من أنماط وأحكام كالمفرَّغ، هو عن مسألة وقوع الجملة في لغتنا موضع نصب على أنَّها مستثنى عند النحاة، وهل لهم في ذاك آراءٌ وأقوالٌ؟ وما هي إنَّ وُجدت باختصار؟

سيبويه، دار العظماء، دمشق - سوريا، ط1، 2009م: 83. كما بيَّنَ هذا الدَّارسُ بأنَّ سيبويه قد استعمل مصطلح "الفعل" للدلالة على الجملة، مفسِّراً هذا الأمرَ عند صاحب الكتاب بعدم استقرار مسألة المصطلح التَّحوي في ذلك الزَّمن المتقدِّم من عهد الدَّراسات النَّحويَّة واللُّغويَّة عموماً. ينظر: المرجع نفسه: 83.

كما أنَّ أمر الاهتمام بمبحث الجملة وإعرابها وما يتعلَّق بها بعد سيبويه، كالفراء مثلاً الَّذي ظهرت عنده بعض الإشارات، فيما ذكره من أنَّكَ «تقول: قدَّ تَبَيَّنَ لي: "أَقَامَ زَيْدٌ أُمَّ عَمْرُو"؛ فتكون الجملة مرفوعةً في المعنى، كأنَّكَ قلتَ: تَبَيَّنَ لي ذلك»، إذ يظهر أنَّه يريد القول إنَّها جملةٌ في محلِّ رفع فاعل للفعل "تَبَيَّنَ"، وكابن السَّراج الَّذي قَسَمَ الجملة إلى نوعين: ضربٌ لا موضع له من الإعراب، وضربٌ له موضع من الإعراب، وكحديث أبي عليٍّ الفارسيِّ عن إعراب الجمل، فبيَّنَ أنَّ الجملة المؤولة بمفرد لها محلٌّ من الإعراب، فإنَّ لم تقع موقع المفرد لم يُحكَم لموضعها بإعراب، وتخصيص ابن جنيَّ باباً للاعتراض تناول غيه الجملة المعترضة أو -الاعتراضية- مع نصِّه على أنَّه لا موضع لها من الإعراب، إضافة إلى إشارته عن مسألة وقوع الجملة مقام الخبر عن المبتدأ في محلِّ رفع، وغيرهم من العلماء الَّذين جاؤوا بعدهم نحو: الثَّمانينيِّ (ت442هـ)، والعكبريِّ (ت616هـ)، وابن يعيش (ت643هـ) في بعض مواضعه من شرحه لمفصل الرِّخشيِّ، والرَّضويِّ (ت683هـ)، وابن هشام، كما سبق، على سبيل التَّمثيل لا الحصر. ينظر: (الكندي، سامي بن علي بن خلفان، الجمل الَّتِي لا محلَّ لها من الإعراب - نقدٌ وتوجيهٌ، رسالة ماجستير، من إشراف: سعيد جاسم الزَّبيدي، كَلِيَّة العلوم والآداب - سلطنة عُمان، 1437هـ - 1438هـ/2016م - 2017م): 36-38.

¹ قباوة، فخر الدِّين، إعراب الجمل وأشباه الجمل، دار القلم العربي، حلب - سوريا، ط5، 1409هـ/1989م: 05.

وإجابةً عن هذا السؤال، نقول: إنَّ الثَّابِت عن جمهور النحاة، هو عدم ذكرهم هذه الجملة في عداد ما يكون له محلٌّ من الإعراب.¹ غير أنَّ بعض المفسرين وبعض النحاة يجعلونها من هذا الباب. ومن شواهدهم على ذلك، قولُ الله، عزَّ من قائل: ﴿أَحَلَّتْ لَكُمْ بِحِمَّةِ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحْلِي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾²، على أنَّ ما بعد "إِلَّا"، وهو جملة: "مَا يُتْلَى" في محلِّ نصبٍ على الاستثناء³، وقوله جلَّ شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾⁴، حملاً للكلام على الاستثناء المنقطع لأنَّه ليس من جنس الأوَّل⁵، وقوله جلَّ في علاه: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾⁶، على الوجهين: إمَّا أنَّه من المنقطع بجملة⁷، أو كونه متصلاً بتقدير: "لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ إِلَّا تَعَذِّبَ اللَّهُ مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ"، على سبيل التمثيل لا الحصر.⁸

وإذا كانت الجملة تحلَّ محلَّ المستثنى بأخذها إعرابه في الجملة الاستثنائية المفيدة معنى الاستثناء الحقيقي (أي إعراباً) في حال تفرعها عن جملة تامّة العناصر بذكر المستثنى منه⁹، كما مثَّل مثَّل له آنفاً، وكقولنا مثلاً: "وَصَلَ الْمَسَافِرُونَ إِلَّا أَنَّ الرَّاجِلِينَ لَمْ يَصِلُوا"، فما موقع أسلوب القصر

¹ ينظر: ابنُ جني، المنصف: 142/2، والدسوقي، حاشية الدسوقي على شروح التلخيص: 81/2، وابن جني، مغني اللبيب: 477، والسيوطي، الأشباه والنظائر: 30/2. ونشير هنا، أنَّ الرِّمَّانِي قد أَوْمَأَ، على ما يفهم من ظاهر كلامه، إلى إمكانية ردِّ الجملة إلى أصل الاستثناء، حين علق على جملة سيبويه إذ قال: "إِنَّ لِفُلَانٍ مَالًا إِلَّا أَنَّهُ شَقِيٌّ"، إذ بيَّن أنَّ «موضع "أَنَّهُ شَقِيٌّ" نصبٌ، والعامل فيه مقدَّر، كأنَّه قيل: "إِنَّ لِفُلَانٍ مَالًا يُسَعِّدُ بِهِ صَاحِبَهُ إِلَّا صَاحِبَ الشَّقَاءِ الَّذِي قَدْ ذُكِرَ"، وعلى هذا يرجع إلى أصل الاستثناء في إخراج بعض من كلِّ». المبارك، مازن، الرِّمَّانِي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه: 384.

² المائدة: 01.

³ ينظر: الرَّخْشَرِي، الكشف: 591/1، والتَّوْحِيدِي، البحر المحيط: 412/3.

⁴ النساء: 29.

⁵ ينظر: سيبويه، الكتاب: 49/1، و المبارك، مازن، الرِّمَّانِي التَّوْحِيدِي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه: 445، و الرَّخْشَرِي، الكشف: 522/1، والتَّوْحِيدِي، البحر المحيط: 231/3.

⁶ الغاشية: 22-23.

⁷ ينظر: ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب، بدائع الفوائد، عني بتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: دار الكتاب العربي-بيروت، د.ط، د.ت: 65/3.

⁸ ينظر: ابن خالويه، عبد الله، إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، ت: محمد إبراهيم سليم، دار الهدى، عين مليلة-الجزائر، د.ط، د.ت: 89، وقباوة، فخر الدِّين، إعراب الجمل و أشباه الجمل: 197.

⁹ هذا إذا أخذنا برأي من يُجيزون وقوع الجملة موقع المستثنى بطبيعة الحال.

من هذا كله ؟ بمعنى: هل يحدث في العربية أن يُفَرِّغَ الكلام جملةً برمتها بورودها محصورةً بوساطة حرف القصر "إلا" إيّاها ؟ وإذا كان ذلك جائزاً صحيحاً في لغتنا، فما أبرز المواضع الإعرابية التي يمكن أن تشغلها هذه الجملة المحصورةً بإلاً ؟ وكيف كانت معالجة علماء النحو لهذه المسألة ؟ وما حدوده عندهم قدماء كانوا أو محدثين ؟

ونجيب عن هذا قائلين: إنّ الجملة في العربية يجوز تفرّيع الكلام لها بورودها محصورةً بإلاً، إذ تعدّد مواضعها من الإعراب، بسبب مجيئ الكلام ناقصاً قبل "إلا" بسبب حذف المستثنى منه من جهة، وكونه غير موجبٍ من جهة أخرى، كوقوعها خبراً عن المبتدأ في قول الخالق جلّ شأنه: ﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾¹، أو كشغلها وظيفة المفعول المفعول به المنصوب، كما في قول ربّ العزة، تبارك اسمه وعزّت قدرته: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾²، وغيرها في القرآن الكريم كثير.

المطلب الثاني: مظاهر تفرّيع الكلام للجملة المحصورةً بإلاً:

لوقوع الجملة مفرّغا لها الكلام في الاستثناء المفرّغ أو الناقص عدّة نماذج في العربية، نذكر الآتي منها:

أ- الجملة الواقعة خبراً عن المبتدأ:

ومن شواهد هذا التركيب النحويّ في كتاب الله العزيز، نذكر قول المولى تبارك وتعالى: ﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾³؛ إذ التقدير في هذه الآية الكريمة، هو على: "مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا السَّجْنُ، أَوْ: إِلَّا سِجْنُهُ".

ب- الجملة الواقعة فاعلاً بعد إلا:

ولهذا التركيب اللغويّ بعضُ الصُّور في القرآن العظيم، وفي كلام العرب، منها على سبيل التمثيل لا الحصر قوله، عزّ وجلّ: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾⁴، وقوله عزّ من قائل: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ

¹ يوسف: 25.

² الأنعام: 158، والنحل: 33.

³ يوسف: 25.

⁴ الإسراء: 59.

سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ قُبُلًا¹، وقوله جلّ في علاه: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا²﴾.

وأما بخصوص ما ثبت عن هذه المسألة في كتب النحاة، فتكاد تنحصر في وجهين اثنين، هما: وقوع "أَنْ" و"أَنَّ" الموصوليتين بعد "إِلَّا". وأوّل ما نجده في كتب النحاة عن هذه المسألة بشكل واضح جليّ، ما أورده سيويه في باب الاستثناء؛ إذ ثبت عنه ما يصبّ في هذا المعنى، أي: شغل الجملة الواقعة بعد "إِلَّا" دور الفاعل في "باب ما تكون فيه "أَنَّ" و"أَنْ" مع صلتها بمنزلة غيرهما من الأسماء"³، وينصّ على ذلك بقوله: «وذلك قولهم: مَا أَتَانِي إِلَّا أَنَّهُمْ قَالُوا كَذَا وَكَذَا. فـ "أَنَّ" في موضع اسم مرفوع كأنه قال: مَا أَتَانِي إِلَّا قَوْلُهُمْ كَذَا وَكَذَا". ومثّل ذلك قولهم: مَا مَنَعَنِي إِلَّا أَنْ يَغْضَبَ عَلَيَّ فَلَانٌ⁴».

ويُفهم من كلام سيويه، أنّه كما يؤوّل المصدر "إِلَّا أَنَّهُمْ قَالُوا" في موضع اسم مرفوع على الفاعليّة للفعل "أَتَانِي"⁵، فكذلك الحال مع المصدر الثاني المتكون من "أَنَّ" المصدريّة، والفعل المضارع "يَغْضَبُ"؛ إذ إنه يقدر على: "مَا مَنَعَنِي إِلَّا غَضَبُ فَلَانٍ عَلَيَّ"، لأنّه يُعربُ فاعلاً لما قبله، وهو الفعل الماضي "مَنَعَنِي"⁶.

وواضح هنا، أنّ وجه إعمال ما قبل إلّا في الجملة بعدها، إنّما يرجع أساساً إلى حذف المستثنى منه من الكلام؛ لأنّ الأصل في العبارتين هو: "مَا أَتَانِي شَيْءٌ إِلَّا أَنَّهُمْ قَالُوا كَذَا وَكَذَا (أي:

¹ الكهف: 54.

² الإسراء: 94.

³ وليس ذلك وفقاً على ما دخل في أسلوب استثناءٍ مفرّغٍ فحسب، بل أولى منه ما كان في كلامٍ خالٍ من الاستثناء، إذ إنّ سيويه قد بيّن هذا في "باب إنّ و أنّ" من مؤلفه، إذ تقع "أنّ" الموصوليّة مع ما بعدها معربةً حسب موضعها من الكلام، كقولنا: "قَدْ عَرَفْتُ أَنَّكَ مُنْطَلِقٌ"، فَأَنَّكَ في موضع اسم منصوب، كَأَنَّكَ قُلْتُ: قَدْ عَرَفْتُ ذَلِكَ. وتقول: "بَلَعَنِي أَنَّكَ مُنْطَلِقٌ"، فَأَنَّكَ في موضع اسم مرفوع، كَأَنَّكَ قُلْتُ: بَلَعَنِي ذَلِكَ». وهو ما شرحه السيّرا في مبرزاً وقوع "أَنَّ" المشدّدة فاعلةً، و مفعولةً، ومخفوضةً، ويعمل فيها العوامل جميعها إلّا أنّها لا تقع مبتدأة في اللفظ. ينظر: سيويه، الكتاب: 119/3. من الهامش.

⁴ المرجع نفسه: 329/2.

⁵ ينظر: ابن السّراج، الأصول في النّحو: 298/1.

⁶ ينظر: المبارك، مازن، التّرمانيّ التّحويّ في ضوء شرحه لكتاب سيويه: 399، وياقوت، سليمان محمّد، شرح جمل سيويه: 499/2.

إِلَّا قَوْلُهُمْ كَذَا وَكَذَا)، و: "مَا مَنَعَنِي شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يَغْضَبَ عَلَيَّ فَلَانَ" (أي: إِلَّا غَضَبُ فَلَانٍ عَلَيَّ).¹

والحجّة على أنّ هذا في موضع رفع، رواية سيويه أنّ أبا الخطاب حدّثه أنّه سمع إنشاد بعض العرب الموثوق بهم هذا البيت للكنانيّ رفعاً:²

لَمْ يَمْنَعْ الشُّرْبَ مِنْهَا غَيْرٌ أَنْ نَطَقْتُ .: حَمَامَةٌ فِي غُصُونِ ذَاتِ أَوْقَالٍ

والظاهر أنّ الوجه في الاسم "غير" في هذا البيت عند صاحب الكتاب هو الرفع على

الفاعليّة

على أنّها فاعلٌ للفعل "يَمْنَعُ"، كأنّه قيل: "لَمْ يَمْنَعْ الشُّرْبَ مِنْهَا غَيْرُ نَطْقِ حَمَامَةٍ، لِأَنَّ مَعْنَاهُ: "لَمْ يَمْنَعْهَا أَنْ تَشْرَبَ غَيْرُ مَا سَمِعْتُ مِنْ صَوْتِ حَمَامَةٍ فَنَفَرْتُ".³

ومن غير باب الاستثناء، شاهدٌ آخر قد ساقه سيويه كشاهدٍ ثانٍ لوقوع الجملة بعد "إِلَّا" في موضع الفاعل، وذلك في معرض حديثه عن استعمالات "إِنَّ وَأَنَّ" في أساليب العربيّة، ممثلاً له

¹ ينظر: المبارك، مازن، الرّمانيّ التّحويّ في ضوء شرحه لكتاب سيويه: 399.

² البيت في: سيويه، الكتاب: 329/2، ويرويه صاحبُ الأصول في التّحو: "غير أن هتفت" في: ابن السّراج، الأصول في التّحو: 298/1. وهو أيضاً في: التّحّاس، أبو جعفر، شرح أبيات سيويه: 246، والبغداديّ، الخزانة: 45/2، والدّر اللّوامع: 477/1. ومنها: أي "مِنَ الْوَجَنَاء" في بيت قبله. والأَوْقَالُ: جمع وَقْلٍ، وقيل: وَقْلٌ بالتّسكين، شجرٌ المقلّ اليابس، ويروى في "سَحْوَق"، وهو بالفتح: ما طال من شجر الدّوم، وفي البيت إخبارٌ بخوف النّاقة وفزعها الشّدّيد حين سمعت صوت الحمامة. ينظر: سيويه، الكتاب: 329/2، الحاشية رقم: 04، والجوهريّ، الصّحاح: باب اللّام، فصل الواو (1744/4).

³ ينظر: الشّنقيطيّ، الدّر اللّوامع: 477/1.

ونشير هنا أنّ "غير" تعمل عمل "إِلَّا" في الاستثناء، سواءً أكانَ تامّاً أم مفرّغاً، وهو سيوضّح لاحقاً. وعليه، فوجه الإعمال في بيت الكنانيّ أنّ قوله: "غَيْرٌ أَنْ نَطَقْتُ" عوض عن قولنا: "إِلَّا أَنْ نَطَقْتُ"؛ إذ يكون التقدير هنا: "لَمْ يَمْنَعْ الشُّرْبَ مِنْهَا إِلَّا نَطْقُ حَمَامَةٍ". فلمّا جاء الكلام بالاسم "غير"، زُفّت على أنّها فاعلٌ لأنّها تُعامل في الاستثناء معاملة الاسم الواقع بعد "إِلَّا"، فتأخذ إعرابه، ينظر: الشّنتمريّ، النّكت: 623/1.

وعلّة النّصب أنّها -أي: الاسم "غير"- مضافةٌ إلى مبنيٍّ غير متمكّن، وهو مذهب نخاة البصرة، بخلاف ما لو أُضِيفَتْ إلى متمكّنٍ فتُعَرَّب. أمّا الكوفيّون، فيرون جواز بناء "غير" على الفتح في كلّ موضع يحسن فيه "إِلَّا" سواءً أُضِيفَتْ إلى متمكّن أم إلى غير متمكّن، وذلك نحو قولهم: "مَا نَفَعَنِي غَيْرٌ قِيَامٍ زَيْدٍ"، و"مَا نَفَعَنِي غَيْرٌ أَنْ قَامَ زَيْدٌ". وهو ما يجعل "غيراً" و"أَنَّ" اسماً واحداً مفتوحاً كما تفتح خمسة عشر، ويكون الاستثناء بذلك هاهنا من المنقطع. ينظر: التّحّاس، أبو جعفر، شرح أبيات سيويه: 246، والشّنتمريّ، النّكت: 634/1، وابنُ الأنباريّ، الإنصاف في مسائل الخلاف: 290/1-291، وابنُ هشام، مغني اللّبيب: 180/1، والمبارك، مازن، الرّمانيّ التّحويّ في ضوء شرحه لكتاب سيويه: 399-400.

بقول الله، جلّ في علاه: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ﴾¹؛ إذ علق على قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا﴾ من الآية السابقة، بقوله: "إنّها محمولة على "مَنَعَهُمْ".²

وقد ذهب الفراء إلى أنّ «أَنَّهُمْ» في موضع رفع، لأنّه اسمٌ للمنع؛ فكأنّك قلت: "ما مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ إِلَّا ذَاكَ". كما أنّه مَيَّزَهَا عن "إِنَّ" المكسورة الهمزة في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾³؛ فقد قَدَّرَ فِيهَا واواً مضمرّةً، وهي مُسْتَأْنَفَةٌ ليس لها موضعٌ، ولو لم يكن في جوابها اللام لكانت أيضاً مكسورةً كما تقول: "ما رَأَيْتُ مِنْهُمْ رَجُلًا إِلَّا إِنَّهُ لَيُحْسِنُ، وَإِلَّا إِنَّهُ يُحْسِنُ". ويُعرف أنّها مستأنفةٌ أن تضع "هُوَ" في موضعها فتصلح، وذلك قولك: "ما مِنْهُمْ رَجُلًا إِلَّا هُوَ يَفْعَلُ ذَلِكَ"؛ فَذَلَّتْ "هُوَ" على استئناف "أَنَّ". فالواضح، أنّ "إِنَّ" إذا جاءت بعد "إِلَّا" تكون جملة مستأنفةً، لأنّها لا تُقَدَّرُ بمصدرٍ مؤوّلٍ.⁴

ومعنى هذا أنّ المصدر المؤوّل من "أَنَّ" ومعموليهما في هذا الموضع المذكور، في موضع الرفع على الفاعليّة لأنّه معمولٌ للفعل المتعدّي "مَنَعَ" المتّصل به مفعوله⁵ وجوباً لحصره في الفاعل المؤخّر بعد "إِلَّا"، وتقديره: "ما مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا كُفْرُهُمْ بِاللَّهِ"، برفع كلمة "كفر" لأنّها تشغل وظيفة الفاعل في هذا الشاهد النحويّ.

ج-المفعول به جملةٌ بعد إلّا في المفرغ:

أمّا عن ورود الجملة محصورةً بوساطة إلّا في موضع المفعول به، فلها في كتاب الله المجيد أربعة شواهد كما ذكرها الدكتور محمّد عبد الخالق عزيمة، وهي كما يأتي ذكرها:

¹ التوبة: 54. والآية كاملة: ﴿إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.

² ينظر: سيبويه، الكتاب: 146/3، والزّمخشرّي، الكشاف: 196/2.

أمّا العكبريّ (ت616هـ)، فقد أعطى تحريجاً آخر لهذه الآية الكريمة، وهو جواز عدّ فاعل "مَنَعَ" لفظ الجلالة "الله"، ويكون المصدر المؤوّل "أَنَّهُمْ كَفَرُوا" في محلّ نصب على أنّه مفعولٌ لأجله على تقدير: "ما مَنَعَهُمْ اللهُ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا لِأَنَّهُمْ كَفَرُوا"، ينظر: العكبريّ، التبيان في إعراب القرآن: 496/1.

³ الفرقان: 20.

⁴ كاظم، إبراهيم كاظم، الاستثناء في التّراث النّحويّ والبلاغيّ: 222.

⁵ وهو الضّمير المتّصل "هَاء" الذي هو في محلّ نصبٍ، و"الميم" للجمع.

1- قول الخالق جلّ وعلا: ﴿وَيَأْتِي اللَّهَ إِلَّا أَنْ يُنَمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾¹، وهو من شواهد النحويين على جواز وقوع الاستثناء المفرغ في الكلام الموجب لفظاً المنفي معني، إذ الفعل "يَأْتِي" يُؤوّل على: "لا يُريد"، وعليه يكون التقدير في الآية الكريمة على: "لا يُريد الله إلا إتمام نُوره ولو كره الكافرون"؛

2- وقوله عزّ من قائل: ﴿إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً فِي الْأَرْضِ﴾²؛

3- وقوله تبارك اسمه وتقدّست أسماؤه: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾³؛

4- وقوله سبحانه جلّ في علاه: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾⁴.

د- الجملة الواقعة مفعولاً لأجله بعد إلا:

ومن شواهد هذه المسألة في كتاب الله العزيز، نذكر هذه الآية الكريمة، وهي قوله سبحانه: ﴿فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينَ﴾⁵.

وأما عن مظاهر معالجة النحويين لهذا المبحث اللغوي المتمثل في مجيء الجملة في موضع المفعول لأجله، فنجد لصاحب الكتاب كلاماً في معرض حديثه عن أوجه "أن" و"أن" مع صلتها بمنزلة غيرها من الأسماء⁶، إذ تنسبك مع ما بعدها في مصدر يُؤوّل حسب حاجة الكلام الإعرابية الإعرابية والمعنوية، وينصّ على ذلك بقوله: «وذلك قولهم: مَا أَتَانِي إِلَّا أَنَّهُمْ قَالُوا كَذَا وَكَذَا». ف

¹ التوبة: 32.

² القصص: 19.

³ البقرة: 210.

⁴ الأنعام: 158. ينظر: عزيمة، محمد عبد الخالق، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، دار الحديث بمصر، د.ط، د.ت: 294/1.

⁵ الأعراف: 20.

⁶ وليس ذلك وفقاً على ما دخل في أسلوب استثناء مفرغ فحسب، بل أولى منه ما كان في كلام حالٍ من الاستثناء، إذ إن سيويوه قد بيّن هذا في "باب إنَّ و أن" من مؤلفه، إذ تقع "أن" الموصولة مع ما بعدها معربة حسب موضعها من الكلام، كقولنا: "قَدْ عَرَفْتُ أَنَّكَ مُنْطَلِقٌ"، فأنَّكَ في موضع اسم منصوب، كأنَّكَ قلت: قَدْ عَرَفْتُ ذَلِكَ. وتقول: "بَلَّغَنِي أَنَّكَ مُنْطَلِقٌ"، فأنَّكَ في موضع اسم مرفوع، كأنَّكَ قلت: بَلَّغَنِي ذَلِكَ». وهو ما شرحه السيرافي مبرزاً وقوع "أن" المشددة فاعلة، و مفعولة، ومخفوضة، ويعمل فيها العوامل جميعها إلا أنَّها لا تقع مبتدأة في اللفظ. ينظر: سيويوه، الكتاب: 119/3. من الهامش.

"أَنَّ" في موضع اسم مرفوع كأنه قال: مَا أَتَانِي إِلَّا قَوْلُهُمْ كَذَا وَكَذَا". ومثل ذلك قولهم: "مَا مَنَعَنِي إِلَّا أَنْ يَعْضَبَ عَلَيَّ فُلَانٌ"¹.

وسيبيويه إذ يمثل لفتح همزة "أَنَّك" في قولنا: "مَا غَضِبْتُ عَلَيْكَ إِلَّا أَنَّكَ فَاسِقٌ"، مُعَلِّلاً ذلك بأنّ هناك "لاماً" مقدّرة قبلها، فالظاهر أنّه إنّما يشير هاهنا إلى أمرين اثنين: أوّلهما: أنّ الأصل في همزة "أَنَّك" هو الكسر لو لم يكن شيءٌ يعمل فيها²، كما هو شأن هذا المثال.

ثانيهما: أنّ هذه اللام المحذوفة في أصل الكلام، إنّما هي لام التعليل الجارة تقديرًا للمصدر المنسبك من "أَنَّ"، واسمها وخبرها؛³ دلالةً على أنّ موقعه من الإعراب هو كونه مفعولاً لأجله مجروراً في موضعه هذا⁴؛ إذ المعنى في قولنا: "مَا غَضِبْتُ عَلَيْكَ إِلَّا أَنَّكَ فَاسِقٌ"، هو: "غَضِبْتُ عَلَيْكَ لِفَسَاقِكَ"، ثمّ دخلت صيغة النفي والاستثناء "ما...إلا" على العبارة من أجل حصر سبب

¹ الكتاب : 146/3.

² معلوم، أنّ "أَنَّ" وما بعدها يكون بتأويل المصدر، تماماً كما هو حال "أَنَّ" المحقّفة التي تُؤوّل وما بعدها بمنزلة المصدر ولكنّ السّؤال المطروح هنا، هو: لمّ جاز كسر همزة "إِنَّ" في ابتداء الكلام، دون "أَنَّ" على الرّغم من أنّهما من خبرٍ واحدٍ في الأصل؟ جواب ذلك أنّ النحاة قد «اختاروا الابتداء للفظ "إِنَّ" المكسورة وجعلوها بمنزلة الفعل المبتدأ به، وجعلوا "أَنَّ" لما تعلّق بشيء قبله ممّا يحتاج إلى تقديمه عليه وتعليق معناه به. ومن الدّليل على أنّهما بمعنى واحدٍ، أنّك تقول: "ظَنَنْتُ إِنْ زَيْدًا مُنْطَلِقًا"، فإذا أسقطت اللّام قلت: "ظَنَنْتُ أَنْ زَيْدًا مُنْطَلِقًا"، فالمكسورة هي المفتوحة». الشّنتمريّ، التّكت في تفسير كتاب سيبويه: 764/2. وينظر: عضيمة، محمّد عبد الخالق، فهارس كتاب سيبويه ودراسة له: 192 و 306-307.

³ ينظر: ياقوت، محمّد سليمان، شرح جمل سيبويه: 653/3.

⁴ وليسيبيويه عن هذه المسألة كلاماً في موضع قبل هذا في كتابه، والكلام لا يحوي استثناءً؛ إذ وضّح بأنّه يجوز قولنا: "جِئْتُكَ أَنَّكَ تُرِيدُ الْمَعْرُوفَ"، بأنّ معناه المقصود، هو: "جِئْتُكَ لِأَنَّكَ تُرِيدُ الْمَعْرُوفَ"، ولكنّ اللّام حُذفت هنا، كما يحدث أن تحذف أحياناً مع المصدر، كما في قول الشّاعر:

وَأَغْفِرُ عَوْرَاءَ الْكَرِيمِ ادِّخَارُهُ .: وَأَعْرِضُ عَنْ ذَنْبِ اللَّيْمِ تَكْرُمًا

إذ رأى أنّ أصله في الكلام، هو: "لِادِّخَارِهِ". هذا في حين يرى الخليل أنّ موضع "أَنَّك" في "جِئْتُكَ أَنَّكَ تُرِيدُ الْمَعْرُوفَ" التّصّب، بـ "جِئْتُكَ" بعد حذف اللّام؛ إذ وصل الفعل إلى ما بعدها.

ولكنّا نستدرك هنا قائلين: إنّ سيبويه، وإن كان يرى أنّ الجرّ في المصدر هو الأقوى، فذلك لا يعني أنّه أبطل قول الخليل، وإن كان الشّنتمريّ صاحب التّكت في تفسير كتاب سيبويه يرى رأي سيبويه القائل بالجرّ. ينظر: سيبويه، الكتاب: 126/3-127، والقرطبيّ، شرح عيون كتاب سيبويه: 188-189، و الشّنتمريّ، التّكت: 769/2، وابن عقيل، شرح الألفية : 271-272، وعضيمة، محمّد عبد الخالق، فهارس كتاب سيبويه: 192.

غضب المتكلم على مخاطبه في كونه فاسقا، من دون ان يتعداه إلى أي سبب آخر قد يدور في ذهن المخاطب أو السامع.

وبناءً عليه، يمكننا القول إن هذه العبارة شاهد على وقوع المفعول لأجله جملة محصورة بواسطة إلا.

وفي السياق نفسه تقريباً، يذكر محمد عبد الخالق عزيمة أن في القرآن العظيم ثماني آيات كريمة جاءت فيها بعد "إلا" لأم التعليل المضمر بعدها "أن"، منها: قول الباري سبحانه جل في علاه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾¹؛ فهو مفرغ من المفعول لأجله، أي: "وما أرسلنا من شيء من الأشياء إلا لأجل الطاعة".²

وأما عن المواضع السبعة الأخرى، فهي مضمّنات في الآيات الكريمة الآتي ذكرها: البقرة: 143، و: التوبة: 31، و: النحل: 64، و: سبأ: 21، و: الزمر: 03، و: الذاريات: 56، و: البينة: 05.³

هـ- آيات كريمة تحتمل المفعول به والمفعول لأجله:

وفي كتاب الله المجيد من هذه الأساليب ذات الوجوه الإعرابية المحتملة بين المفعول به والمفعول لأجله ثلاث مواضع⁴، هي:

قول المولى تبارك وتعالى: ﴿هَلْ تَنْقُومُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾⁵، وقوله جل في علاه: ﴿وَمَا تَنْقُومُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا﴾⁶، وقوله عز من قائل: ﴿وَمَا نَقْمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ اللَّهُ وَسُؤْلُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾⁷.

¹ النساء: 64.

² ينظر: عزيمة، محمد عبد الخالق، دراسات لأسلوب القرآن الكريم: 293/1.

³ ينظر: المرجع نفسه: 293/1.

⁴ ينظر: المرجع نفسه: 301/1.

⁵ المائدة: 59.

⁶ الأعراف: 126.

⁷ التوبة: 74.

و- الجملة الحالية بعد إلاً:

تتعدد أشكال الحال في العربية من مفردة وجملة وشبه جملة في كلام لا يشتمل على إحدى أدوات الاستثناء. كما يحدث أن تأتي هذه الحال جملة أو شبه الجملة حالا محصورة بإلاً. فما أحوال هذه المسألة في العربية؟ وكيف عالجها النحاة عموماً؟

ومعنى أن تقع الجملة الحالية محصورةً بإلاً أنها تكون أيضاً في تأويل حال مفردة يُقصر فيها صاحبها على الاتصاف بها من دون غيرها عند حدوث الفعل. ومثل ذلك قول البارئ، جلّ في علاه: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾¹؛ فالاستثناء في هذه الآية الكريمة «مفرغٌ من أحوالٍ عامّةٍ من الضمير في "يأتيهم"، أي لا يأتيهم رسولٌ في حالٍ من أحوالٍ من أحوالهم إلا في حالة استهزائهم»². وهذا ما يعني أنّ الضمير "هُم" في "يأتيهم" قد قُصر على صفة الاستهزاء بالرسول، وهذا جائزٌ لفظاً، من حيث مناسبة الضمير "هُم"، الذي هو للجمع، لجملة "إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ" الفعلية التي جاءت جملةً حاليةً منه³، ومعنى؛ لأنّ تقدير الكلام في هذا الموضع هو: «ما جاءَهُمْ رسولٌ إلا استهزؤوا به، وكذبوه، وجحدوا ما أُرسل به من الحق»⁴.

وتقع الحال المحصورة بإلاً في غير باب الحال المفردة على ثلاثة أنماط، هي: الجملة الفعلية، والجملة الاسمية، وشبه الجملة. وهذا بيان ذلك بإيجاز:

1- الحال المحصورة جملة فعلية بعد إلاً:

ومن مواضع ما جاء بعد "إلاً" حالاً جملة فعلية في كتاب الله العزيز⁵، نذكر قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ

¹ يس: 30.

² المراغي، مصطفى، تفسير المراغي، دار الفكر - بيروت، ط3، د.ت: 5/23.

³ ينظر: ابن عمر، العجلي الشافعي سليمان المشهور بالجمال، الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر، د.ط، د.ت: 511/3.

⁴ المراغي، تفسير المراغي: 05/23.

⁵ وقد مهّدنا قبل قليل حديثنا عن حصر الحال بإلاً حين ترد جملةً بقوله جلّ وعلا في الآية الثلاثين من سورة يس: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾، وفيه شرحٌ لوجه القصر الحاصل فيه.

شُهُوداً¹، وقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْتَوٍ﴾²، وقوله ذي الجلال والإكرام: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾³.

وقد عرض علماء النحو في مصنفاتهم لمثل هذه التراكيب اللغوية، وحاولوا تسليط الضوء عليها، والزّمخشرّي واحدٌ من هذه الطّائفة؛ إذ تناولوا مسألة دخول الاستثناء على الفعل في قولنا مثلاً: "مَا لَقِيْتُهُ إِلَّا بِدَائِي بِالسَّلَامِ"، و"مَا دَخَلْتُ عَلَيْهِ إِلَّا قَامَ"، و"مَا دَخَلْتُ عَلَيْهِ إِلَّا وَقَدْ قَامَ لِي"؛ إذ يذهب الرّضي صاحب شرح الكافية أنّ إلّا مع النّفي في الأفعال يجوز أن تُصاغ صوغَ الشرط، ويلزم في ذلك أن يكون الزّمن واحداً في ما بعد إلّا وما قبلها، أي بكون الفعل الذي قبل إلّا والفعل الذي بعد إلّا في زمن الماضي معاً، أو متصرفان في المضارع كلاهما. ولذلك يرى الرّضي جواز عدم اقتران الفعل الماضي في مثل هذا بـ "قَدْ" وبواو الحال، بخلاف الفعل المضارع الذي يجوز معه عدمُ اقترانه بهما حسب الرّضي دائماً⁴.

غير أنّ الثّابت في هذه المسألة أنّ المحقّقين من أهل النّحو واللّغة، قد ردّوا شرط الرّضي بخصوص اقتران الفعل الماضي بقَدْ والواو؛ ودليلهم في ذلك أنّ في القرآن العظيم ثمانية عشر آيةً تفرّغ فيها الكلام للحال حين ترد جملة فعلية فعلها ماضٍ من دون تحقّق أحد الشرطين المذكورين آنفاً⁵، كقول الله جلّ وعزّ مثلاً: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ اللَّهُ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئاً يَعِظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾⁶.

وأما عمّا أورده صاحبُ الكتاب في هذه المسألة في "باب الفاء"⁷، إذ يرى أنّ النّصب في الفعل المسبوق بحرف "الفاء" في نحو قولنا: "مَا تَأْتِينِي فَتُحَدِّثْنِي" على وجهين من المعاني: «أحدهما: مَا تَأْتِينِي فَكَيْفَ تُحَدِّثْنِي، أي: لَوْ تَأْتِينِي لَحَدَّثْتَنِي. وأما الآخر: فَمَا تَأْتِينِي أَبَدًا إِلَّا لَمْ تُحَدِّثْنِي، أي: مِنْكَ إِتْيَانٌ كَثِيرٌ وَلَا حَدِيثَ مِنْكَ.

¹ يونس: 61.

² الذّارّيات: 52.

³ الفرقان: 33.

⁴ الرّضي، شرح الكافية: 250/1.

⁵ ينظر: كاظم، إبراهيم كاظم، الاستثناء في التّراث النّحويّ والبلاغيّ: 223-224.

⁶ التّوبة: 120.

⁷ الكتاب: 28/3.

وإن شئت أشركت بين الأول والآخر، فدخل الآخر فيما دخل فيه الأول، فتقول: "ما تأتيني فتحدثني، كأنك قلت: ما تأتيني وما تحدثني"¹.

والمفهوم من ظاهر كلام سيوييه، هو أنه يقرر أن الجملة "ما تأتيني فتحدثني" في وجهها الثاني على: "ما تأتيني أبداً إلا لم تحدثني"، أنه يجعل مجيء هذا المخاطب بهذه الكلام محصوراً دائماً في كونه متلبساً بالصمت والانقطاع عن محادثة صاحبه، وكأنه في معنى: "ما تأتيني أبداً إلا متلبساً بالصمت والسكوت"، أو: "إلا منقطعاً عن أي كلام"؛ وهو دليل عدّ هذا الأسلوب من باب الاستثناء المفرغ مؤداه قصر الفعل المسند إلى ضمير الخطاب "التاء" في "تأتيني" على حالة واحدة، وهي انعدام المحادثة والتزام الصمت المطبق، من دون تعديها إلى صفة أخرى غيرها مما يناقض صفة الكلام.²

ومن النماذج الشعرية التي يمكن سؤفها في هذا مقام الحديث عن حصر الجملة الفعلية بإلا، قول الشاعر:³

وَلَا أُكَلِّمُهَا إِلَّا عَلَانِيَةً *** وَلَا أُخَبِّرُهَا إِلَّا أَنْادِيَهَا

وقد جاء في شرحه، أن جملة «وَلَا أُكَلِّمُهَا إِلَّا عَلَانِيَةً» انتصب على أنه مصدر في موضع الحال، وكذلك قوله: "إِلَّا أَنْادِيَهَا": الجملة في موضع الحال، ونظام الكلام يقتضيه أن يقول: لَا أُخَبِّرُهَا، إِلَّا أَنَّهُ لَهَا كَانَ الْغَرَضُ إِلَّا مُنَادِيًا لَهَا، نَابَ الْفِعْلُ عَنِ الْمَصْدَرِ، وَلَا يَجُوزُ فِي "عَلَانِيَةً" أَنْ يَكُونَ

¹ الكتاب: 30/3. ويرى الشنتمري أن العطف بالفاء على وجهين: «أحدهما عطف ظاهر، والآخر عطف متأول». فالعطف الظاهر أن تدخل الثاني في إعراب الأول وفي معناه ويجوز مكان ذلك "ثم". وأما العطف المتأول المحمول على المعنى، فهو أن يكون ما قبل الفاء غير موجب، ويكون معلقاً على ما بعد "الفاء" شرطاً على وجوه مختلفة أخرجت إلى التغير وإظهار أن لتدل على تلك الوجوه، فمن ذلك "ما تأتيني فتحدثني" بالنصب من وجهين. الشنتمري، النكت: 709/1-710.

² ينظر: الشنتمري، النكت: 710/1. ونحوه قولنا مثلاً: "ما تكلم فلان إلا قال خيراً" المقدر فيه الكلام على أن ما بعد "إلا" جملة حالية من فلان؛ لأنها في معنى: "ما تكلم فلان إلا قائلاً خيراً". لذلك، يعد الاستثناء هنا مفرغاً من أحوال عامة محذوفة. ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب: 473/2. كما ننبه هنا على مسألة الضمير في الجملة الحالية بعد "إلا"، في قولنا: "إلا لم تحدثني"، والنص أنه مستتر في الفعل "تحدثني" وجوباً تقديره: "أنت" العائد على ضمير مناسب للمخاطب المفرد المذكور في "ما تأتيني"، وهو مستتر لزوماً أيضاً.

³ هو للشاعر حجر بن حية العبسي، ويقول قبله:

وَلَا أَدُومُ قَدْرِي بَعْدَ مَا نَضِجَتْ *** بَخْلًا لَتَمْنَعَ مَا فِيهَا أَنْفِيهَا
لَا أَحْرُمُ الْجَارَةَ الدُّنْيَا إِذَا اقْتَرَبَتْ *** وَلَا أَقُومُ بِهَا فِي الْحَيْشِ أَخْزِيهَا

تمييزاً؛ بدلالة أنَّ الصِّدر يجب أن يكون حكمه حكمَ العِجز، ومنَ الظَّاهر أنَّ "أُنَادِيهَا" في موضع الحال. والمعنى أنَّه لا يقف لسلامة طريقته وتكامل عقته، الجارة في مواقف التَّهمة، فلا يُخفي مكالمتها، ولا يُخاطبها مُخبراً لها إلَّا برفع صوت ونداء عالٍ؛ كلُّ ذلك هرباً من قرفة تحصل، أو تُهمّة تتوجّه، وهذا هو الغاية في العفاف، والدرجة القصية في التَّوقّي من العار».¹

2-الحال المحصورة جملة اسمية بعد إلّا:

تقع الجملة الاسمية حالاً في الكلام في جملة استثناء مفرغ، وتكون حينئذ مكوّنة من مبتدأ وخبر موضوعان معاً موضع الحال عن الاسم قبلهما. وهو تركيب لغويّ حفل به أسلوب القرآن الكريم، نذكر منه على سبيل المثال، قول الله، عزّ من قائل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.²

والشَّاهد في هذه الآية الكريمة وقوع ثلاث جمل متوالية محصورة بوساطة "إلّا"، وكلّها جمل اسمية من مبتدآت وأخبارٍ عنها، وهي كما وردت في الآية كما يأتي تباعاً: "إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ"، و: "إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ"، و: "إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ".³

ولأنَّ الاستثناء مفرغٌ هنا، يكون الوجه في إعراب هذه الجمل المستشهد بها عن حصر الجملة الاسمية الواقعة حالاً في محلّ نصب على الوجه التالي:

"ما": نافية، و: "يَكُونُ" مضارعٌ تامٌّ «مِنْ نَجْوَى» مجرورٌ لفظاً بمن الزائدة مرفوعٌ محلاً فاعل يكون، وهو مضافٌ. و: "ثَلَاثَةٌ": مضافٌ إليه، و: "إِلَّا": حرف حصر، و: "هُوَ رَابِعُهُمْ": مبتدأ وخبره، والجملة حالٌ.

والواو: حرف عطف، و: "لا": نافية، و: "خَمْسَةٌ": معطوفٌ على ثلاثة، و: "إِلَّا" حرف حصر، و: "هُوَ سَادِسُهُمْ": مبتدأٌ وخبره، والجملة حال، و: "ولا": الواو حرف عطف، و: "لا": نافية

¹ المرزوقي، أحمد بن محمّد (ت421هـ)، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، علّق عليه وكتب حواشيه: غرید الشيخ، ووضع فهارسه العامة: إبراهيم شمس الدّین، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، ط1، 1424هـ/2003م: 1464/4-1465.

² المجادلة: 07.

³ ينظر: الأندلسي، البحر المحیط: 235/8.

"أَدْنَى": معطوف على لفظ نجوى "مِنْ ذَلِكَ" متعلقان بـ "أَدْنَى"، و: "وَلَا أَكْثَرَ": معطوف على "وَلَا أَدْنَى"، و: "إِلَّا": حرف حصر، و: "هُوَ مَعَهُمْ": مبتدأ وخبره، والجملة حال.

وإن كان باختصار عن بعض الأساليب الواردة في هذا الشأن في كتاب الله المجيد، فإن لهذه المسألة أيضاً حضوراً في كتب التحويين وشروحهم، نورد منها ما مثل به سيبويه في أول كتاب جامع لقواعد العربية، وهو ما أورده سيبويه حين عرض بالحديث عن استعمال أفعال القسم، وحذف "لا" النافية معها أحياناً، لأن من كلام العرب قولهم: "وَاللَّهِ أَفَعَلُ ذَلِكَ أَبَدًا"، والمراد به: وَاللَّهِ لَا أَفَعَلُ ذَلِكَ أَبَدًا¹، ومثله قول الشاعر:²

فَخَالَفَ فَلَا وَاللَّهِ تَهْبِطُ تَلْعَةً .: مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا أَنْتَ لِلذَّلِّ عَارِفُ

إذ فرغ الكلام فيه لجملة "أَنْتَ لِلذَّلِّ عَارِفُ" التي هي في موضع نصب حال من الضمير المستتر في الفعل "تهبط"، وهو "أنت"، المنفي معنىً بالحرف "لا" المقدر بعد القسم، لأن الفعل الموجب بعد القسم تلزمه اللام والنون؛ فَتَرُكُ اللَّامِ. والنون مُشْعِرٌ بَأَنَّ الفعل منفي.³

3- الحال شبه جملة:

ولهذا الأنموذج النحوي في لغتنا العربية بعض الشواهد في كتاب الله المجيد، وقد حصرها محمد عبد الخالق عزيمة في عشرة آيات كريمة⁴، نذكر منها قول الخالق جلّ في علاه: قوله جلّ جلاله: ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾⁵، شاهداً على حصر الحال جازاً ومجروراً

¹ ينظر: سيبويه، الكتاب: 105/3.

² البيت في المرجع نفسه: 105/3، و في: النحاس، شرح أبيات سيبويه: 297، بلا نسبة.

وقد ذكر الجرجاني أن سودة بنت زمعة أم المؤمنين، رضي الله عنها، أنشدت: *عُدِّي وَنَيْمٌ تَبْتَغِي مِنْ تَخَالُفٍ* فَظَنَّتْ عائشة وحفصة، رضي الله عنهما، أنها عرّضت بهما، فجرى بينهما كلام في هذا المعنى. فأعلم النبي صلى الله عليه وسلم، فأخبرهن فيمن قيل هذا الشعر، وهذه الحادثة من دلائل الجرجاني على علم الرسول الكريم، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، بالشعر. ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز: 21، وما بعدها. والتلعة: هي من الأضداد، لأنها بمعنى ما ارتفع من الأرض، وما انهبط منها. ينظر: الجوهري، الصحاح: باب العين، فصل التاء، (1192/3).

³ ينظر: سيبويه، الكتاب: 104/3، و 105، الحاشية رقم: 04، والنحاس، شرح أبيات سيبويه: 297، والسننمري، التكت في تفسير كتاب سيبويه: 756/2. ولمزيد بسط في موضع هذا الشاهد النحوي في القرآن العظيم، ينظر: عزيمة، محمد عبد الخالق، دراسات لأسلوب القرآن الكريم: 291/1-292.

⁴ ينظر: عزيمة، محمد عبد الخالق، دراسات لأسلوب القرآن الكريم: 292/1.

⁵ البقرة: 102.

بوساطة إلّا، وكقوله عزّ من قائل: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾¹، والمعنى: أي: "أنّ الملك المؤكّل بالإنسان يكتب كلّ ما تكلم به من خيرٍ أو شرٍّ؛ فكلُّ هذا الذي يتكلّم به إلّا وله من يراقبها معتد لذلك يكتبها، لا يترك كلمة ولا حركة إلّا سجّلها في صحيفته.

ز- الجملة الابتدائية بعد إلّا نعتا:

تتميّز لغتنا العربيّة ببعض الأساليب التي تزيدها ثراءً وحركةً وجمالاً من جهة، وتتفرّد بها عن كثيرٍ من اللّغات الإنسانيّة الأخرى من جهةٍ أخرى، ومن ذلك، أن تتفرّع فيها عن الجملة الأصليّة في الكلام، جملةً ثانيةً أخرى تأتي بعدها، وترتكز في تمام معناها، لأنّ هذه الجملة الثّانية المتفرّعة عن نظيرتها السّابقة لها، تصبح موضوعاً في الكلام بمنزلة أحد عناصر الجملة الأساسيّة التي لا يمكن الاستغناء عنها في تمام فهم معنى الجملة وإدراك الغرض من الكلام بدقّة.

و«الجمليّ سواء كانت اسميّة أو فعليّة إذا وقعت بعد النّكرة المنفيّة جاز أن تكون صفةً للنّكرة، أو حالاً منها، فإذا جاءت هذه الجملة بعد إلّا في الاستثناء المفرض فجمهورها يُعرّبها حالاً؛ لأنّ إلّا الاستثنائيّة لا تفصل بين الصّفة والموصوف. قال الأخفش: لا يُفصل بين الموصوف والصّفة بإلّا، ونحو: "مَا جَاءَنِي إِلَّا رَاكِبٌ" تقديره: "مَا جَاءَنِي إِلَّا رَجُلٌ رَاكِبٌ"، وفيه فُبحّ لجعلك الصّفة كالاسم.

وقال أبو علي الفارسيّ: تقول: "مَا مَرَرْتُ بِأَحَدٍ إِلَّا قَائِماً"؛ ف "قائماً" حالق من "أحدٍ"، ولا يجوز: "إلّا قائمٌ"؛ لأنّ إلّا لا تعترض بين الصّفة والموصوف.

وأجاز الزّمخشريّ الوصفية في هذه الجملة، حتّى و اقترنت بالواو، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾².

وقال: الواو لتأكيد لصوق الصّفة بالموصوف»³.

كما يذهب الزّمخشريّ أيضاً إلى عدّ الجملة الواقعة بعد إلّا في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾⁴ صفةً لـ: "قَرْيَةٍ" في محلّ جرّ.⁵

¹ ق: 18.

² الحجر: 04.

³ عزيمة، محمّد عبد الخالق، دراسات لأسلوب القرآن الكريم: 304/1.

⁴ الشعراء: 208.

⁵ ينظر: الزّمخشريّ: الكشّاف: 128/3.

وقد يكون واضحاً من هذه الآية الكريمة وقوع الجملة صفة لما قبلها، مِنْ قِيلَ أَهْأ وَرَدَتْ فِي كَلَامٍ مَنْفِيٍّ بَوَسَاطَةِ "مَا" أَوَّلًا، ثُمَّ ضَمَّ نَقْضُ هَذَا النَّفْيِ بِإِلَّا الْخَارِجَةَ عَنْ كَوْنِهَا لِلِاسْتِثْنَاءِ هُنَا إِلَى غَرَضٍ بِلَاغِيٍّ آخَرٍ وَهُوَ الْقَصْرُ أَوْ التَّخْصِصُ.

وَمَا ثَبَتَ فِي هَذَا الشَّأْنِ فِي كُتُبِ النَّحَاةِ، نَذَكَرَ مَا وَقَرَ عَنْ صَاحِبِ الَّذِي تَحَدَّثَ عَنْ هَذِهِ الْحَالَةِ، فِي "بَابِ مَا يَكُونُ مُبْتَدَأً بَعْدَ إِلَّا"؛ إِذْ يَقُولُ مُوضَّحاً: «مَا مَرَرْتُ بِأَحَدٍ إِلَّا زَيْدٌ خَيْرٌ مِنْهُ، كَأَنَّكَ قُلْتَ: مَرَرْتُ بِقَوْمٍ زَيْدٌ خَيْرٌ مِنْهُمْ»¹، لِيُؤَكِّدَ وَظِيفَةَ إِلَّا فِي مِثْلِ هَذَا الْأَسْلُوبِ مَعْلَلاً بِقَوْلِهِ رَأْيُهُ فِي ذَلِكَ قَائِلاً: «إِلَّا أَنَّكَ أَدْخَلْتَ "إِلَّا" لِتَجْعَلَ زَيْدًا خَيْرًا مِنْ جَمِيعِ مَنْ مَرَرْتُ بِهِ»².

وَالظَّاهِرُ مِنْ كَلَامِ سَيَبَوِيهِ، أَنَّهُ يَرِيدُ بِأَنَّ الْمَعْنَى الْمُؤَدَّى فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ إِنَّمَا هُوَ حَصْرُ صِفَةِ الْخَيْرِيَّةِ فِي الْمُبْتَدَأِ "زَيْدٌ" مِنْ دُونِ أَنْ يَشَارَكَهُ فِي هَذِهِ الصِّفَةِ أَحَدٌ مِنَ الْأَشْخَاصِ الَّذِينَ تَمَّ فِعْلُ الْمُرُورِ بِهِمْ فَعَلِيًّا.

وَلَكِنِّي يُجَلِّي صَاحِبُ الْكِتَابِ مَسْأَلَةَ قَصْرِ صِفَةِ الْخَيْرِيَّةِ فِي زَيْدٍ وَحْدَهُ مِنْ بَيْنِ الْأَشْخَاصِ الْمُرُورِ بِهِمْ، زَادَ كَلَامَهُ السَّابِقَ إِضَاحاً؛ إِذْ أَكَّدَ عَمَلِ "إِلَّا" بِدَقَّةٍ فِي مِثْلِ هَذَا التَّرْكِيبِ النَّحْوِيِّ، وَهُوَ الْقَصْرُ عَلَى الشَّيْءِ مُوَازِنًا لِإِيَّاهُ بِتَرْكِيبٍ آخَرَ يَشَابُهُ، وَلَكِنْ لَا اسْتِثْنَاءَ فِيهِ، مُبَيِّنًا أَنَّهُ لَوْ قِيلَ: «مَرَرْتُ بِنَاسٍ زَيْدٌ خَيْرٌ مِنْهُمْ»، لَجَازَ أَنْ يَكُونَ قَدْ مَرَّ بِنَاسٍ آخَرِينَ هُمْ خَيْرٌ مِنْ زَيْدٍ، فَإِنَّمَا قَالَ: مَا مَرَرْتُ بِأَحَدٍ إِلَّا زَيْدٌ خَيْرٌ مِنْهُ؛ لِيُخَبِّرَ أَنَّهُ لَمْ يَمَرَّ بِأَحَدٍ يُفْضَلُ زَيْدًا»³.

وَلَعَلَّهُ بَعْدَ هَذَا الشَّرْحِ الْمُسْتَفِيزِ مِنْ سَيَبَوِيهِ، ذَهَبَ الرَّقْمَانِي إِلَى تَفْسِيرِ كَلَامِهِ هَذَا بِأَنَّهُ يَقَرَّرُ صَرَاحَةً أَنَّ لِدُخُولِ "إِلَّا" عَلَى الْجُمْلَةِ السَّابِقَةِ وَظِيفَةَ دَلَالِيَّةٍ مُبَاشِرَةً، وَهِيَ إِفَادَةُ مَعْنَى الْاِخْتِصَاصِ⁴، بِمَعْنَى أَنَّ: نَجْعَلَ زَيْدًا خَيْرًا مِنْ جَمِيعِ الْأَشْخَاصِ الَّذِينَ مَرَّ بِهِمْ؛ بِخِلَافِ لَوْ قُلْنَا بَدَلًا عَنْهُ مِثْلًا:

¹ سَيَبَوِيهِ، الْكِتَابُ: 342/2. وَلِلرُّقْمَانِيِّ فِي مَطْلَعِ شَرْحِهِ لِهَذَا الْبَابِ تَعْلِيْقٌ يَقُولُ فِيهِ: إِنَّ «الَّذِي يَجُوزُ فِي الْاسْتِثْنَاءِ الَّذِي يُبْتَدَأُ فِيهِ مَا بَعْدَ إِلَّا إِذَا كَانَ الْاسْتِثْنَاءُ يَرْجِعُ إِلَى مَعْنَى الْجُمْلَةِ فِي النَّفْيِ أَنْ يَقَعَ بَعْدَ إِلَّا مُبْتَدَأً وَخَيْرٌ. وَلَا يَجُوزُ ذَلِكَ فِي الْإِيجَابِ لِأَنَّهُ بِمَنْزِلَةِ مَفْعُولٍ "ضَرِبْتُ" وَنَحْوِهِ فِي أَنْ لَا يَكُونُ إِلَّا مَفْرَدًا إِذَا كَانَتْ إِلَّا فِيهِ لَتَعْدِيَةِ الْفِعْلِ عَلَى جِهَةِ إِخْرَاجِ بَعْضٍ مِنْ كُلِّ». الْمُبَارَكُ، مَازَن، الرُّقْمَانِيُّ التَّحْوِي فِي ضَوْءِ شَرْحِهِ لِكِتَابِ سَيَبَوِيهِ: 427-428.

² سَيَبَوِيهِ، الْكِتَابُ: 342/2.

³ الْمَرْجِعُ نَفْسُهُ: 342/2.

⁴ وَهُوَ مَا يَرَاهُ الرُّقْمَانِيُّ الَّذِي عَبَّرَ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: «ثُمَّ أَدْخَلْتَ (إِلَّا) لِمَعْنَى الْاِخْتِصَاصِ، فَقُلْتَ: مَا مَرَرْتُ بِأَحَدٍ إِلَّا زَيْدٌ خَيْرٌ مِنْهُ». الْمُبَارَكُ، مَازَن، الرُّقْمَانِيُّ التَّحْوِي فِي ضَوْءِ شَرْحِهِ لِكِتَابِ سَيَبَوِيهِ: 428.

"مَرَزْتُ بناسٍ زيدٌ خيرٌ منهم"، فإنَّ الكلام لا يشتمل على قرينة لفظية أو معنوية تدلّ على أنَّ المقصود بكلمة "ناس" هو الناس جميعاً؛ وهو ما يحتمل معه أن يكون فعلُ المرور قد تمَّ بناسٍ آخرين قد يُفضّلون زيداً.¹

أمّا ابنُ هشامٍ، فيرى أنَّ الجملة الابتدائية المحصورة بـ"إلا" واقعةٌ موقعَ الحال لا النعت؛ مُعلِّلاً ذلك بأنَّ النعت لا يُقرَّغ له الكلام، مستنداً إلى رأي الأخفش القائل في هذا الصدد: «لا تفصل (إلا) بين الموصوف وصفته فإن قلت: "ما جاءني رجلٌ إلا رَكِبَ"، فالتقدير: "إلا رجلٌ رَكِبَ". يعني أنَّ "رَكِبَ" صفةٌ لبدلٍ محذوف. وفيه قبح؛ لجعلك الصفة كالاسم، يعني في إيلائك إيّاها العامل. قال: الفارسي: لا يجوز: ما مَرَزْتُ بِأَحَدٍ إِلَّا قَائِمٌ". فإن قلت: "إلا قائماً"، جاز.²

ح- الجملة ظرف زمان بعد إلا:

يحدث في العربية أن تقع الجملة موقع ظرف الزمان، وتكون مصدراً مؤولاً محصوراً بوساطة حرف الاستثناء (إلا) المفيد دلالة قصر الشيء على شيء آخر من دون مجاوزته إلى غيره. ولهذا الأسلوب بعض النماذج في القرآن العظيم، عدّها محمد عبد الخالق عزيمة³ ثلاثة حسب ما وقّر من إعرابها لدى الزحشري، وهي الآيات الكريمات الآتي ذكرهنّ:

أولها: قول الباري سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾⁴؛

ثانيها: قوله ذو الجلال والإكرام: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾⁵؛

ثالثها: قول ربّ العزة جلّ في علاه: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾⁶؛

ومن الأساليب التي مثّل بها علماء النحو في مسألة حصر الجملة بـ"إلا" حين تقع ظرف زمان، نجد في كتاب سيبويه أنّه قد أشار إلى ما يمكن أن يكون داخلاً في هذا الشأن، ولو كان ذلك مفهوماً من سياق الكلام فقط؛ إذ نقل إلينا قول العرب: (وَاللَّهُ لَا أَفْعَلُ إِلَّا أَنْ تَفْعَلَ)؛ إذ

¹ ينظر: المبارك، مازن، الزماني النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه: 428، وياقوت، محمد سليمان، شرح جمل سيبويه:

506/2

² ابن هشام، مغني اللبيب: 491/2 و497.

³ ينظر: عزيمة، محمد عبد الخالق، دراسات لأسلوب القرآن الكريم: 296/1.

⁴ الأنعام: 80.

⁵ الإنسان: 30، والتكوير: 29.

⁶ الأحزاب: 53.

علّق عليه قائلاً: «(فَأَنْ تَفْعَلَ) في موضع نصب، والمعنى (حَتَّى تَفْعَلَ)، أو كأنّه قال: (أَوْ تَفْعَلَ)، والأوّل مبتدأ ومبنيّ عليه».¹

والمفهوم هنا، أن سيويه يرى جواز ورود "حتى" مرادفة لمعنى "إلا" الاستثنائية بدليل حمله المصدر "أَنْ تَفْعَلَ" على معنى "حَتَّى تَفْعَلَ"²؛ وهو ما قد بيّنه في معرض حديثه عن "حَتَّى" الدّاخلية على المضارع المنصوب بأنّ تكون تأتي على ثلاثة معاني، هي: أن تكون مرادفة لـ "إلى"، أو مرادفة لـ "كَي" التعليلية، أو مرادفة لـ "إلا" في الاستثناء، وهذا المعنى ظاهرٌ من كلام سيويه في قوله في تفسير قولهم: "وَاللّٰهُ لَا أَفْعَلُ إِلَّا أَنْ تَفْعَلَ" ب: (حَتَّى تَفْعَلَ).³

وما يلفت الانتباه في كلام سيويه في مقام شرحه لهذا الشّاهد النّحويّ، عبارة استخدمها في هذا المقام، وهي: "والأول مبتدأ و مبنيّ عليه" ؟ هل يريد أن جملة: "وَاللّٰهُ لَا أَفْعَلُ إِلَّا أَنْ تَفْعَلَ" محمولة على الابتداء والخبر، كما مرّ معنا في جملة: "مَا مَرَرْتُ بِأَحَدٍ إِلَّا زَيْدٌ خَيْرٌ مِنْهُ" في جزئها الثاني؟

هذا، وقد أجاب الرّماني عن هذا التّساؤل بخصوص جملة: "وَاللّٰهُ لَا أَفْعَلُ إِلَّا أَنْ تَفْعَلَ" في قوله، مُبَيِّنًا بأنّه: «في موضع المصدر وليس هو من باب الاستثناء بالابتداء والخبر، وإن كان فيه معنى الجملة. ووجه رجوعه إلى أصل الاستثناء أنّ فيه معنى "وَاللّٰهُ لَا يَقَعُ مِنِّي إِلَّا فِعْلٌ مُنْعَقِدٌ بِفِعْلِكَ"».⁴

ويزيد الأعلام الشنتمريّ كلام الرّماني شرحاً وإيضاحاً بالنّص أنّ هذه العبارة مقدّرة على «لَا أَفْعَلُ إِلَّا بَعْدَ فِعْلِكَ وَإِلَّا مَعَ فِعْلِكَ. فَأَنْ وما بعدها منصوبة على الظرف، وتقديرها تقدير مصدر وُضعت مع ظرف زمان».⁵

وبناءً على هذا كلّه، نستنتج أنّ موضع هذه الجملة "إِلَّا أَنْ تَفْعَلَ" هو كوئها في محلّ نصب على الظرفيّة الزمانيّة.

¹ سيويه، الكتاب: 342/2.

² ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب: 144/1.

³ ينظر: السيوطي، جلال الدين، النّكت على الألفيّة والكافيّة والشّافية والشّدور والنّهة، دراسة وتحقيق: فخر جبر مطر، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، د.ط، 1971م: 214/2.

⁴ المبارك، مازن، الرّماني النّحويّ في ضوء شرحه لكتاب سيويه: 428.

⁵ الشنتمريّ، النّكت في تفسير كتاب سيويه: 644/1.

المبحث السابع: تكرار "إلا" في الاستثناء المفرغ:

قد يحدث في بعض التراكيب أن تجيء "إلا" مكررة في أسلوب الاستثناء الذي لا يخلو من أن يكون مفرغاً أو غير مفرغ. فمثال غير المفرغ أن تقول: "جاء القوم إلا سعيداً، إلا خالداً، إلا إبراهيم"، فتنصب كل المستثنيات على الاستثناء؛ لأن الكلام موجب. والمعنى أن الجميع يخرجون من حكم المجيء. والأمر نفسه في وجوب النصب إذا تقدمت المستثنيات على المستثنى منه، سواء أ كان ذلك في الإيجاب أم في النفي.¹ وأما إن تأخرت المستثنيات والكلام منفي، أُبدلَ واحدٌ منها من المستثنى منه، ونُصب الباقي على الاستثناء. والأولى إبدال الأول ونصب الباقي، نحو: "ما أتاني أحدٌ إلا عمروٌ إلا بشراً"، إذ يجوز فيه التقديم، فيقال: "ما أتاني إلا عمراً أحدٌ إلا بشراً".

هذا، وقد بين الرّماني أن النصب واجب أيضاً في المستثنيات إذا قدّمت جميعها على المستثنى منه، نحو: "ما أتاني إلا عمراً إلا بشراً أحدٌ". كما أنه أبرزَ عدم صحة قولنا: "ما أتاني أحدٌ إلا عمروٌ إلا بشراً" مثلاً، بالرفع في الأخيرين على البديل، إذ لا يجوز ذلك فيهما؛ «لأنك إذا أبدلت الأول صار المبدل منه في تقدير المتقّى، فلم يصلح أن يُبدل منه بعد ذلك».² وكثيراً ما تُكرّر "إلا" والكلام مفرغ، إذ إنها لا تخرج عن كونها مكررة، إمّا بقصد التوكيد، أو لغيره.

المطلب الأول: تكرار "إلا" للتوكيد:

وفي هذا، يقول ابن مالك صاحب الألفية:³

وَأَلْغِ إِلَّا ذَاتَ تَوْكِيدٍ كَلَامًا . تَمَرُّزُ بِهِمْ إِلَّا الْفَتَى إِلَّا الْعَلَى

والقصد من قوله هذا، هو أنه إذا تكررت "إلا" للتوكيد المحض، فإنها تعتبر ملغاة في هذا الموضوع، أي: كأنها غير موجودة؛ لأنه «إذا كُرِّرت "إلا" لقصد التوكيد، لم تؤثر فيما دخلت عليه

¹ ينظر: المبارك، مازن، الرّماني التّحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه: 420-421، وابن عقيل، شرح ابن عقيل: 224/2، والغلاييني، مصطفى، جامع الدروس العربية: 135/3.

² المبارك، مازن، الرّماني التّحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه: 421. وينظر: سيبويه، الكتاب: 339/2، وابن السّراج، الأصول في النحو: 283/1، والزّخشي، المفصل: 101، وابن عقيل، شرح ابن عقيل: 224/2، والدّقر، عبد الغني، معجم القواعد العربية: 77، وياقوت، محمود سليمان، شرح جمل سيبويه: 505/2.

³ ينظر: ابن عقيل، شرح ابن عقيل: 219/2، وابن النّاطم، شرح الألفية: 300.

شيئا، ولم تُفدَ غَيْرَ توكيد الأولى»¹. ولِ "إلا" المكررة توكيداً موضعان، فإما أن تكون في البدل أو العطف.

أما مثال البدل، فما جاء على لسان الناظم في قوله: "لَا تَمُرُّ بِهِنَّ إِلَّا الْفَتَى إِلَّا الْعَلَى"؛ «لأنَّ العَلَا أو العَلَاء هو اسم الفتى، فالفتى هو العلاء، والعلاء هو الفتى. وهو بدل كل، أو عطف بيان من كلمة "الفتى"، ولو حُذِفَت إلا المكررة ما تَغَيَّرَ الإعراب. فوجودها وعدمه سواء من هذه الوجهة الإعرابية وحدها»².

ونذكر هنا، أن شرط مجيء "إلا" مكررة في البدل؛ أن يكون الاسم هو نفسه المبدل منه. يقول سيبويه: «لو قلت: مَا أَتَانِي إِلَّا زَيْدٌ إِلَّا عَبْدُ اللَّهِ، إذا كان عبدُ الله زيداً، ولم يكن غيره؛ لأنَّ هذا يُكْرَرُ توكيداً، كقولك: رَأَيْتُ زَيْدًا زَيْدًا»³. ويضيف سيبويه قائلاً إنه «قد يجوز أن يكون غير زيد على الغلط والنسيان، كما يجوز أن تقول: رَأَيْتُ زَيْدًا عَمْرًا، لأنَّه إنما أراد عَمْرًا فَنَسِيَ، فَتَدَارَكَ»⁴.

ومن أمثلة تكرار "إلا" في البدل قولُ الشاعر، وهو حارثة بن بدر الغدراي:⁵
يَا كَعْبُ صَبْرًا عَلَى مَا كَانَ مِنْ حَدَثٍ .: يَا كَعْبُ لَمْ يَبْقَ مِنَّا غَيْرُ أَجْلَادٍ
إِلَّا بَقِيَّاتُ أَنْفَاسٍ تُحْشِرُجُهَا .: كَرَائِحِ رَاحِلٍ أَوْ بَاكِرٍ غَادِي

¹ ابن عقيل، شرح ابن عقيل: 219/2-220.

² حسن، عباس، النحو الوافي: 338/2.

³ سيبويه، الكتاب: 341/2. وهو ما يؤكده ابن السراج. ينظر: ابن السراج، الأصول في النحو: 306/1.

⁴ سيبويه، الكتاب: 341/2.

⁵ البيتان في: سيبويه، الكتاب: 340/2، وفي: التّخاس، أبو جعفر، شرح أبيات سيبويه: 251، وفي: الأصفهاني، الأغاني: 31/21. والشاعر هو حارثة بن بدر بن حصين بن قطن بن غدانة بن يربوع بن بدر، من فرسان بني تميم ووجهها. والغالب أنه أدرك النبي الكريم، عليه أفضل الصّلاة وأزكى التسليم، في صباه وحداثته، وقيل: إنَّ له أخباراً في الفتوح، كما ذكر أنه غرق في ولاية عبد الله بن الحارث على العراق، سنة أربع وستين.

ويُروى أنَّ حارثة لما اشتكى وأشرف على الموت طلب من قومه الذين كانوا يَعُوذُونَهُ كَسَرَ رجل موله كعب لثلاً يبرح من عنده، لأنَّه يُؤْنِسُهُ، ففعلوا وأنشأ يردّد هذا الشّعر. ينظر: الجاحظ، الحيوان: 71/3، الحاشية رقم: 01، والأصفهاني، الأغاني: 31-14-13/21. والأجلاذ: جسم الإنسان وجماعة شخصه. ينظر: سيبويه، الكتاب: 340/2، الحاشية رقم: 01.

ويُعلّق سيبويه على هذين البيتين، بقوله: إنّ كلمة «غَيْرٍ» هاهنا بمنزلة "مثل"، كأنّك قلت: لَمْ يَبْقَ مِنَّا مِثْلُ أَجْلَادِ إِلَّا بَقِيَّاتٌ وَأَنْفَاسٌ».¹ ويعني هذا، أنّ موضع الاسم "غَيْرٍ" من الإعراب هنا هو كونه فاعلاً للفعل المجزوم بلم في قوله: "لَمْ يَبْقَ"، وليست باستثناء مُقَدَّم فُتْنَصَب؛ لأنّها محمولة في موضعها هذا على "مثل" في وضعها للإخبار عنها. ولهذا كان الشاهد فيه: إِبْتِغَاءُ "إِلَّا" وما بعدها على البدلية من قوله "غَيْرُ أَجْلَادٍ"؛ أي برفع كلمة "بَقِيَّاتٍ" على أنّها بدلٌ أو وصفٌ من "غير" المرفوعة للفاعلية، وتقدير الكلام إذ ذاك، هو: "لَمْ يَبْقَ مِنَّا شَيْءٌ هُوَ غَيْرُ أَجْلَادِنَا إِلَّا بَقِيَّاتٌ أَنْفَاسِنَا".²

وعلى هذا يُحْمَل مثل قولنا: "مَا اشْتَهَرَ مِنْ أَمْرَاءِ الْعَبَّاسِيِّينَ إِلَّا هَارُونُ إِلَّا الرَّشِيدُ"، إذ يُبْدَل "الرّشيد" رفعاً من كلمة "هارون" الواقعة فاعلاً، لأنّ إِلَّا الثانية مكرّرة تأكيداً، ودليله أنّ هارون هو نفسه الرّشيد.³

وكما تجيء "إِلَّا" مكرّرة في البدل، فإنّها تُكْرَّرُ أيضاً في العطف، وذلك بأن تقع بعد الواو العاطفة، ولا يصحّ وقوعها بعد غيرها من حروف العطف.⁴

ومما كرّرت فيه "إِلَّا" تأكيداً بعد واو العطف، قول أبي ذؤيب الهذلي:⁵

هَلِ الدَّهْرُ إِلَّا لَيْلَةٌ وَنَهَارُهَا . : وَإِلَّا طُلُوعُ الشَّمْسِ ثُمَّ غِيَارُهَا

والشاهد فيه قوله: "وَإِلَّا طُلُوعُ الشَّمْسِ"، إذ كُرِّرَتِ "إِلَّا" تأكيداً للأولى؛ لذلك أُلْغِيَتْ، و عُطِفَ ما بعدها على ما قبلها. ونشير هنا، أنّ زيادة "إِلَّا" في هذا الموضع هو نظير زيادة "لا"

¹ سيبويه، الكتاب: 340/2.

² ينظر: المرجع نفسه: 340/2، الحاشية رقم: 02، والتّحّاس، أبو جعفر، شرح أبيات سيبويه: 251، المبارك، مازن، الرّيماني التّحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه: 422، والأعلم الشّتمري، التّكت: 641/1، وياقوت، محمود سليمان، شرح جمل سيبويه: 505/2.

³ ينظر: حسن، عبّاس، النّحو الوافي: 338/2.

⁴ ينظر: المكودي، أبو يوسف صالح، شرح المكودي على الألفية في علميّ النّحو والصّرف، جمال الدّين محمد ابن مالك الطّائي، دار رحاب، باتنة- الجزائر، د.ط، د.ت: 682، والنّحو الوافي: 338/2.

⁵ البيت في: ابن جني، اللّمع: 111، وابن عقيل، شرح ابن عقيل: 220/2.

والشاعر هو خويلد بن خالد بن محرز بن مضر بن نزار، أحد المخضرمين. أدرك الإسلام، فحسّن إسلامه، كان متمكناً فصيحاً في الشّعْر، مات بمصر بعد فتح إفريقية في زمن عثمان رضي الله عنه. ينظر: الأصفهاني، الأغاني: 56/6. والغيار: الغروب.

التأفية" في نحو قولنا: "مَرَزْتُ بِرَجُلٍ لَا كَرِيمٍ وَلَا شُجَاعٍ". فالواو تعطف ما بعد "لا" الثانية على ما بعد "لا" الأولى، وهو ما يعني أنّ "لا" الثانية زائدة لمجرد تأكيد أنّ ما بعدها معطوف على الاسم الذي دخلت عليه "لا" الأولى.¹

وتجدر الإشارة هنا أيضاً، أنّه قد اجتمع تكرار "إلا" في العطف والبدل، في قول الشاعر:²

مَا لَكَ مِنْ شَيْخِكَ إِلَّا عَمَلُهُ .: إِلَّا رَسِيمُهُ وَإِلَّا رَمْلُهُ

وشاهد، عبارة: "إلا رسيمة وإلا رملة"، إذ الأصل في الكلام هو: "إلا عمله": "رسيمة ورملة"، على أنّ "رسيمة ورملة" بدل تفصيل من "عمله" وتبيين له، وإلا فيهما مؤكّدتان للأولى. ومن التحويين من يذهب إلى عدّ العطف في قوله: "وإلا رمله" واجبا؛ لأنّ "الرمل" مخالف "الرسيم"، بخلاف هذا الأخير الموافق لمعنى "عمله" فكان إبداله منه أولى، وعليه فالبیت عندهم شاهد شعريّ لاجتماع البدل والعطف مع "إلا" المكررة للتوكيد.³

وإن كان هذا عن مجيء "إلا" مكررة في الاستثناء المفرغ بقصد التوكيد اللفظي فقط، حيث يلزم اشتراك المستثنى بعد "إلا" في الإعراب نفسه والمعنى ذاته؛ من قبل أنّ ثانيهما بدل من أولهما بدل كلّ أو معطوف عليه. فماذا عن الوجه الثاني لاستعمال الحرف "إلا" حين يُكرّر لغير معنى التوكيد؟ وما حال الأسماء المستثنى إذ ذاك من جهة إعرابها؟ وهل حكم الاستثناء يكون مسلطاً على اسم واحد منها؟

¹ ينظر: ابن عقيل، شرح ابن عقيل: 220/2، الحاشية رقم 01، وابن الناظم، شرح الألفية: 300.

² البيت غير منسوب في: سيبويه، الكتاب: 341/2، والتخاس، أبو جعفر، شرح أبيات سيبويه: 252، والشنقيطي، الدرر اللوامع: 492/1، وفي مراجع أخرى سُنذكر. والرسيم: ضرب من السير سريع مؤثّر في الأرض. أمّا الرمل، فهو بالتحريك: الهرولة. ورملت بين الصفا والمروة رملاً ورملاً. ولذلك قيل في الرمل، إنّه: سيرٌ فوق المشي ودون العدو. ينظر: سيبويه، الكتاب: 341، الحاشية رقم: 04، والجوهري، الصحاح: مادة "رسم" (1933/5)، ومادة "رمل" (1713/4).

³ ينظر: سيبويه، الكتاب: 341/2، وياقوت، محمود سليمان، شرح أبيات سيبويه: 252، والمبارك، مازن، الرّمانيّ التحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه: 423، والأعلم الشنمري، النكت: 643/1، وابن عقيل، شرح ابن عقيل: 221/2، وابن هشام، أوضح المسالك: 305-306 وابن الناظم، شرح الألفية: 301، والسيوطي، الهمع: 227/1، والشنقيطي، الدرر اللوامع: 492/1، والدّقر عبد الغني، معجم القواعد العربية: 77.

المطلب الثاني: تكرار "إلا" لغير التوكيد:

إذا كانت "إلا" تُكرَّر «بقصد التوكيد اللفظي المحض، وتقوية "إلا" الاستثنائية الأولى بغير إفادة استثناء جديد»¹، فإن تكرارها قد لا يكون توكيداً، وإنما يكون الغرض منه استثناءً جديداً؛ بحيث لو حُذِفَتْ لم يُفْهَم هذا الاستثناء الجديد، ولم يتحقق المراد منه، ويكون للكلام حالات ثلاث حينئذ. أمّا الأوليان، فإمّا أن تُنْصَب جميع المستثنيات في إحداها وجوباً، إذا كان الكلام تاماً موجباً، وإمّا إبدال أحدها من المستثنى منه، مع نصب الباقي على الاستثناء، إن ورد الكلام تاماً منفيّاً في الأخرى.²

والحالة الثالثة، هي التي يكون فيها الكلام مفرغاً، نحو قولنا: "مَا أَتَانِي إِلَّا زَيْدٌ إِلَّا عَمْرًا"؛ إذ «لا يجوز الرفع في "عمرو"، مِنْ قَبْلِ أَنْ الْمُسْتَثْنَى لَا يَكُونُ بَدَلًا مِنَ الْمُسْتَثْنَى، وَذَلِكَ أَنَّكَ لَا تَرِيدُ أَنْ تُخْرِجَ الْأَوَّلَ مِنْ شَيْءٍ تُدْخِلُ فِيهِ الْآخِرَ».³

ويُفْهَم من هذا، أنه إذا جاءت "إلا" مكرّرة لغير التوكيد، فإنها وقتئذٍ تفيد استثناءً جديداً، لذا يجب إخضاع أحد المستثنيات لحاجة العامل الذي قبل "إلا" الأولى، مع نصب باقي المستثنيات، نحو: "مَا نَبَتْ إِلَّا قَمْحٌ جَيِّدٌ، إِلَّا شَعِيرًا غَزِيرًا، إِلَّا قَصَبًا قَوِيًّا". وهو ما يؤكده صاحب الكتاب في ذهابه إلى مَنْع الرفع في كلمة "عمرو" إذا قلنا: "مَا أَتَانِي إِلَّا زَيْدٌ إِلَّا عَمْرًا"؛ إذ رُفِعَ الاسم "زيد" لأنه فاعل للفعل "أتاني"، ونصب "عمرا" على الاستثناء وجوباً؛ لأنه لا وجه لجواز الرفع فيه.⁴ يقول أبوسعيد السيرافي موضحاً: «الاسمان المستثنيان، وإن اختلف إعرابهما فهما مشتركان في معنى الاستثناء، وإمّا رُفِعَ أحدهما ونُصِبَ الآخر على ما يُوجِبُه تصحيح اللفظ. فإذا قلت: "مَا أَتَانِي إِلَّا زَيْدٌ إِلَّا عَمْرًا"، فلا بدّ من رفع أحد الاسمين لأنّ الفعل المنفي لا فاعل معه. وإن جعلنا المرفوع "زيداً" وبعده "إلا عمرو" لم يجز رُفِعَ "عمرو"؛ لأنّ المرفوع بعد "إلا" إمّا أن يُرْفَعَ

¹ حسن، عباس، النحو الوافي: 338/2.

² ينظر: سيويه، الكتاب: 339/2، وابن السراج، الأصول في النحو: 283/1، والزنجشيري، المفصل: 101.

³ سيويه، الكتاب: 338/2.

⁴ ينظر: ابن هشام، أوضح المسالك: 306/1، والسيوطي، الهمع: 228/1، وحسن، عباس، النحو الوافي: 339/2، وياقوت، محمود سليمان، شرح جمل سيويه: 505-404/2، والدقر، عبد الغني، معجم القواعد العربية: 77.

إذا فُرِّغَ له الفعل الذي قبل "إلا"، أو يُجْعَلُ بدلا من المرفوع الذي قبله، وليس في "عمرو" وجهٌ من وجهي الرفع، لأنَّ الفعل قد ارتفع به زيدٌ وفُرِّغَ له، ولا اسم قبله يُبدَلُ منه».¹

وبيانُ هذا، أنه إذا كُرِّرَتِ "إلا" في الاستثناء المفرغ نحو: "مَا أَتَانِي إِلَّا زَيْدٌ إِلَّا عَمْرًا"، فإنه يكونُ واجبا رفعُ أحدِ الاسمين ونصبُ الآخر، لأنَّه لو رُفِعَا معاً لكان مخالفاً للصواب شَعْلُ فعلٍ واحدٍ بفاعلين. ولو أُبدِلَ "عمرو" من زيد، لما كان لذلك معنى؛ لأنَّه غيره ممَّا ليس المعنى مشتملاً عليه، كما أنَّه لا يجوز نصبهما جميعاً؛ لأنَّ الفعل "أتاني" يبقى من غير فاعل. وبناءً عليه، وَجَبَ الرفعُ في أحدهما والنصبُ في الآخر، على أنَّ فعل "الإتيان" مثبت لهما فقط، منفي عن غيرهما.

وقد استدَلَّ السَّيرافي على أنَّ الاسمين معا في معنى الاستثناء، بقوله إِنْكَ «لَوْ أَخْرَجْتَ الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ وَقَدْ مَتَّهَمَا نَصَبَهُمَا كَقَوْلِكَ: مَالِي إِلَّا عَمْرًا إِلَّا بِشَرًّا أَحَدٌ».²

وإلى هذا المعنى ذهب ابن مالك في قوله:³

وَإِنْ تُكْرَّرُ لَا لِتَوْكِيدٍ فَمَعْ .: تَفْرِيعُ التَّأْثِيرِ بِالْعَامِلِ دَعْ

فِي وَاحِدٍ مِّمَّا بِإِلَّا أُسْتُثْنِي .: وَلَيْسَ عَنْ نَصْبِ سِوَاهُ مُعْنَى

ونذكرُ هنا، أنَّه ليس لازماً إعراب الاسم الواقع بعد "إلا" حسب حاجة الجملة ونصب الباقي، بل يجوز العكس كذلك. وفي هذا الصدد يقول سيبويه: «وَإِنْ شَتَّ قُلْتَ: "مَا أَتَانِي إِلَّا زَيْدًا إِلَّا عَمْرًا"، فَتَجْعَلُ الْإِتيَانَ لِعَمْرٍو، وَيَكُونُ زَيْدٌ مُنْتَصِبًا مِنْ حَيْثُ انْتَصَبَ عَمْرٍو؛ فَأَنْتَ فِي ذَا الْخِيَارِ إِنْ شَتَّ نَصَبْتَ الْأَوَّلَ وَرَفَعْتَ الْآخَرَ، وَإِنْ شَتَّ نَصَبْتَ الْآخَرَ وَرَفَعْتَ الْأَوَّلَ».⁴

وشَعْلُ العامل بواحد من المستثنيات، في حال تكرُّرِ "إلا" لغير التوكيد، دون تعيين لواحد منها رأيُ الجمهور، إذ يصرِّح السيوطي مثلاً أنَّه: «إِذَا كَانَ الْعَامِلُ مَفْرَغًا؛ شَعْلَ بَوَاحِدٍ مِنْهَا أَيَّامًا كَانَ مُتَقَدِّمًا أَوْ مُتَأَخِّرًا، أَوْ مُتَوَسِّطًا؛ وَنُصِبَ مَا سِوَاهُ، نَحْوُ: مَا قَامَ إِلَّا زَيْدٌ إِلَّا عَمْرًا إِلَّا بَكْرًا. وَ لَكَ أَنْ تَرْفَعَ بَدَلَ زَيْدٍ عَمْرًا أَوْ بَكْرًا، وَلَكِنَّ الْأَوَّلَ أَوْلَى».⁵

¹ سيبويه، الكتاب: 339/2، الحاشية رقم: 01.

² سيبويه، الكتاب: 339/2، الحاشية رقم: 01، والمبارك، مازن، الرَّمَّانِي النَّحْوِي فِي ضَوْءِ شَرْحِهِ لِكِتَابِ سَيْبَوِيهِ: 421، والأعلم الشَّتْمَرِي، التَّكْت: 640/1-641، وياقوت، محمود سليمان، شرح جمل سيبويه: 504/2-505.

³ ابنُ عقيل، شرح ابن عقيل: 222/2، وابنُ النَّاظِم، شرح الألفيَّة: 301.

⁴ سيبويه، الكتاب: 338/2.

⁵ السيوطي، المجمع: 228/1.

غير أننا نستدرك هنا، فنقول متسائلين: إذا كان واضحاً بعد الذي ذكر الفرق بين عمل إلا المكررة تأكيداً، ونظيرتها المكررة للاستثناء في كون أن:

الأولى: يأتي الاسم بعدها تابعا لما قبله في الإعراب، بأن يكون إما بدلا منه، نحو: "ما أتاني إلا عبدُ الله إلا زيداً"، إذا كان عبدُ الله زيدا، ولم يكن غيره، مع جواز عدّه، بدلاً حملاً للكلام على الغلط والنسيان إذا لم يكن الأول هو الثاني نفسه، كما أشار إلى ذلك سيويوه¹، وإما معطوفاً على ما قبله، نحو قول الهذلي: *وإلا طُلوعُ الشَّمْسِ ثمَّ غِيَارُهَا*

الثانية: إنما ترد مفيدة لمعنى الاستثناء الإعرابي والمعنوي معاً؛ إذ يلزم نصب أحد الأسماء بعدها على أنه مستثنى، وإعراب واحد من المستثنيات حسب موقعه من الكلام بسبب التفرغ، نحو: "ما أكرمني إلا سعيدٌ إلا خالداً"، على أن سعيد فاعل "أكرمني"، و"خالداً" مستثنى منصوب، وكلاهما داخلان في حكم إثبات صفة "الإكرام" لهما دون سواهما.

فإذا كان الأمر على هذا النحو، فما موقع مثال سيويوه، الذي ساقه في معرض حديثه عن حال الاسم المعطوف على الاسم المستثنى بغير في الاستثناء المفرغ، حيث نصّ على أنه لو قيل مثلاً: "ما أتاني غيرُ زيدٍ وإلا عمرو"؛ فلا يقبح الكلام، كأنك قلت: ما أتاني إلا زيدٌ وإلا عمرو² من ذلك كله؟ أي: هل الحرف "إلا" مكرّر في موضعه هذا تأكيداً أو استثناءً؟

قبل تحديد الوجه في جملة سيويوه المذكورة، وبعد عرضنا لعمل إلا المكررة إما تأكيداً، وإما بغير ذلك، جديرٌ بنا أن نوضح أن "إلا" الثانية في قولنا: "ما أتاني إلا زيدٌ وإلا عمرو"، لا يجوز حملها على الوجوه الآتية:

1- كونها مكررة للتوكيد في البدل لأمرين اثنين:

أولهما: لو افترضنا أن "عمرا هو نفسه زيدا حتى يصحّ الإبدال هنا، لكان دخول الواو العاطفة مانعا من ذلك.

ثانيهما: كما أشار إلى ذلك سيويوه، حين اشترط لصحة عدّ "إلا" مكررة تأكيداً بأن يكون الاسم الأول هو الثاني نفسه، مع إمكان حمل الكلام على أن فيه بدلا على الغلط والنسيان إذا

¹ ينظر: سيويوه، الكتاب: 341/2.

² المرجع نفسه: 344/2.

كان المستثنيان مختلفين مُثَلًّا له بلا واو، في: "مَا أَتَانِي إِلَّا زَيْدٌ إِلَّا عَبْدُ اللَّهِ". وعليه يبطل حمل العبارة المدروسة هنا على هذا المعنى، لدخول الواو في تركيبها.

2- عدّها مكرّرة بقصد الاستثناء؛ لأنّها لو كانت كذلك لَوَجِبَ النَّصْبُ فِي أَحَدِ الاسْمَيْنِ

مع حذف الواو.

وبناءً على هذا كلّهُ، نقول: إنّ جملة: "مَا أَتَانِي إِلَّا زَيْدٌ وَإِلَّا عَمْرُو"، شاهد على تكرار "إِلَّا" في العطف، على أنّ الواو حرف عطف لكلمة "عمرو" على "زيد"؛ دلالة على أنّهما مقصودان دون سواهما بحكم الإتيان حصراً له فيهما، تماماً كما هو المعنى المستفاد من جملة: "مَا أَتَانِي غَيْرُ زَيْدٍ إِلَّا عَمْرُو".

المبحث السابع: الاستثناء المطرد بين إلا ولما:

من الأساليب التي ورثنا أسلافنا أسلوب مطرد يحوي نوعاً آخر من التفرغ، غير أنه مشروط بسياق معين، وهو أن «يكون مشتملاً على جملة قسمية، ظاهرها مثبت ولكن معناها منفي، وجواب القسم جملة فعلية ماضية لفظاً، مستقبلية معنى، مصدرة بإلاً»¹. يقول سيبويه في هذا الصدد: «وسألت الخليل عن قولهم: أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ إِلَّا فَعَلْتُ²، وَلَمَّا فَعَلْتُ، ولم جاز هذا في هذا الموضع وإنما "أَقْسَمْتُ" هاهنا كقولك: وأ الله؟ فقال: وجه الكلام لتَفَعَّلَنَّ هاهنا، ولكنهم أجازوا هذا؛ لأنهم شَبَّهوه بِـ "نَشَدْتُكَ الله" إذ كان فيه معنى الطلب»³.

وقد بيّن أبو سعيد السيرافي المراد بكلام سيبويه هذا قائلاً: «وأما أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ إِلَّا فَعَلْتُ وَلَمَّا فَعَلْتُ، فإن المتكلم، إذا قال: "أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ لَتَفَعَّلَنَّ" فهو مُحْزِرٌ عن فعل المخاطب أنه يفعله ومُفَسِّمٌ عليه، فإذا لم يفعله فهو كاذب لأنه لم يوجد خبره على ما أخبر به. وإذا قال: "أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ إِلَّا فَعَلْتُ وَلَمَّا فَعَلْتُ، فهو طالبٌ منه سائل، ولا يلزمه فيه تصديق ولا تكذيب. وللفرق بين المعنيين فُرِّقَ بين اللفظين»⁴.

وإذا كان السيرافي يرى أن قولنا: "أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ لَتَفَعَّلَنَّ" إخبارٌ للمتكلم عن فعل المخاطب بإقسامه عليه، وأن قولنا: "أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ إِلَّا فَعَلْتُ" و"لَمَّا فَعَلْتُ" متضمنان معنى

¹ حسن، عباس، النحو الوافي: 326/1.

² معلوم، أن للحرف "لَمَّا" استعمالاً عدّة في العربية، إذ لا يردُّ بعدها إلا الفعل غير مفصولة عنه، ولذا حُمِلَتْ "قد" عليها. وأوجه "لَمَّا" ثلاثة، هي: ورودها جازمةً للمضارع ماضي المعنى مثل "لم"، وحرف وجوب لوجوب لا يليها إلا ماضي اللفظ والمعنى، نحو: "لَمَّا جَاءَنِي زَيْدٌ أَكْرَمْتُهُ"، واستثنائية بمعنى (إلا)، ولا يأتي بعدها إلا فعل ماضي اللفظ، مستقبل المعنى، كما سيبيّن. ينظر: سيبويه، الكتاب: 114/3 و 234/4 وفائز، عبد المنعم، السيرافي النحوي من خلال شرحه لكتاب سيبويه، دار الفكر - دمشق، ط 1، 1983م: 550، والأعلم الشنتمري، التكت: 759/2 و 1132، والمرادي، الجني الداني: 592-593، وابن هشام، مغني اللبيب: 310/1-311، وابن هشام، قطر الندى: 49، وبسيوني، كمال، المفردات النحوية: 162-163.

³ سيبويه، الكتاب: 105/3-106.

⁴ المرجع نفسه: 106/3، الحاشية رقم: 02. وينظر: الأعلام الشنتمري، التكت: 755/2، وياقوت، محمود سليمان، شرح جمل سيبويه: 623/2.

الطلب الذي لا يلزم عنه تصديق ولا تكذيب بوصفه أسلوباً إنشائياً¹؛ فإنّ واحداً من الدارسين المحدثين يذهب إلى عدّ نحو قولنا: "أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ إِلَّا لَيْسَتْ دَرْعِي" أنّه بمعنى فعل الأمر: "إِلْبَسْهُ"، كما يقرّر أنّ أصل ذلك في النشيد ظاهر، وهو حذف الجزاء (أي جواب) الشرط؛ إذ تقديره حينئذ، هو: "إِلَّا لَيْسَتْ دَرْعِي كُنْتُ مَلْعُوناً"، أو مثل ذلك.²

ولعلّ معنى الشرط الذي أُشير إليه في هذا الموضع، إنّما يتحقّق معناه في العبارة السابقة لكون أنّ الأصل فيه أنّ يقال: "نَشَدْتُكَ اللَّهُ إِلَّا لَيْسَتْ دَرْعِي"، وإنّ لم تفعل كنت ملعوناً.

وإذا كان الشائع المعروف في التعبير عن هذا المعنى، هو قولنا: "أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ إِلَّا فَعَلْتَ"، و"نَشَدْتُكَ بِاللَّهِ إِلَّا فَعَلْتَ" إيقاعاً للفعل موقع الاسم المستثنى³، فإنّ في العربية من التراكيب ما يشترك مع فعل "القسم"، والنشيد في تأديته (أي المعنى المحذّر عنه أعلاه)، وذلك نحو قولنا: "سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ إِلَّا نَصَرْتَ الْمَظْلُومَ"، و"نَاشَدْتُكَ بِاللَّهِ إِلَّا تَرَكْتَ الْإِسَاءَةَ"⁴، و"حَلَفْتُ بِرَبِّي إِلَّا عَاوَنْتَ الضَّعِيفَ". ففي هذه الأمثلة، واضح أنّ الكلام غير تامّ وغير موجب معنى، ممّا يقتضي حتماً أن يكون الكلام مفرّغاً؛ لأنّ تقدير الكلام في هذه العبارات هو: "مَا سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ إِلَّا نَصَرْتُكَ الْمَظْلُومَ"، و"مَا نَاشَدْتُكَ بِاللَّهِ إِلَّا تَرَكْتُ الْإِسَاءَةَ"، و"مَا حَلَفْتُ بِرَبِّي إِلَّا عَلَى مُعَاوَنْتِكَ الضَّعِيفَ".⁵

والملاحظ على هذه التراكيب اللغوية، أنّه قد تمّ تكوين مصدر مؤوّل بالفعل والفاعل، و هو مصدر منسبك بغير سابق⁶، حتّى يُتِمَّكَنَ من إعرابه (أي المصدر) حسب حاجة الجملة قبل

¹ وذلك كما أشار إليه سيبويه في كلامه السابق، إذ صرّح أنّ قولنا: "أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ إِلَّا فَعَلْتَ وَ مَا فَعَلْتَ" فيه معنى الطلب. هذا الطلب الذي يتأتّى التعبير عنه في العربية بطرق شتى، كطلب الفعل في "افعل"، وطلب الكفّ في "لا تفعل"، وطلب المحبوب في التمني، وطلب الفهم في الاستفهام، و طلب الإقبال في النداء. فإنّ هذا الطلب يحصل بهذه الألفاظ المتلفظ بها نفسها. ينظر: الهاشمي، أحمد السيد، جواهر البلاغة: 69.

² ينظر: برجستراسر، التطور التحويلي للغة العربية: 175.

³ وهذا ما أورده الزمخشري في معرض حديثه عن هذا الأسلوب الخاص. ينظر: الزمخشري، المفصل: 101.

⁴ أوردنا هذا المثال هنا، فقط للإشارة على جواز استعمال الفعل "نَشَدَ" بمدّ حَرْفِهِ الأوّل بالألف، فيقال: "نَاشَدَ".

⁵ ينظر: حسن، عباس، النحو الوافي: 326/2، والدقر، عبد الغني، المعجم الوافي في النحو العربي: 286، وقبابة، فخر

الدّين، إعراب الجمل وأشباه الجمل، منشورات دار الآفاق الجديدة-بيروت، ط3، 1401هـ-1981م: 190.

⁶ يُفَصَّدُ بالمصدر المنسبك بغير سابق، هو عدم تقدم "أنّ" المصدرية على الفعل والفاعل في الجملة.

"إِلَّا"، كَأَنَّ نُعْرِبَ الْمَصْدَر "نَصْرَكَ" مَفْعُولًا بِهِ فِي: "مَا سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ إِلَّا نَصْرَكَ الْمَظْلُومَ"، أَوْ نَعْرِبُهُ اسْمًا مَجْرُورًا بِحَرْفِ الْجَرِّ فِي نَحْو: "مَا حَلَفْتُ بِرَبِّي إِلَّا عَلَى مُعَاوَنَتِكَ الضَّعِيفِ".¹

كَمَا أَنَا نَجِدُ سِيبُوه يُورِدُ أَوْجَهَا أُخْرَى تَرِدُ فِيهَا "إِلَّا" فِي مِثْلِ هَذِهِ التَّرَاكِيبِ، وَذَلِكَ فِي الْبَابِ الَّذِي عَقَدَهُ مُتَحَدِّثًا فِيهِ عَنْ نَوْعٍ خَاصٍّ مِنَ الْمَصَادِرِ الَّتِي تُسْتَعْمَلُ اسْتِعْمَالًا خَاصًّا، حَيْثُ يَكُونُ الْاسْمُ "غَيْرٌ" مُتَصَرِّفًا فِي الْكَلَامِ تَصَرُّفٌ مَصَادِرٍ أُخْرَى.² وَفِي هَذَا الْمَوْضُوعِ يَقُولُ صَاحِبُ الْكِتَابِ: «وَذَلِكَ قَوْلُكَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَمَعَادَ اللَّهِ، وَرِيحَانَهُ، وَعَمْرُكَ اللَّهُ إِلَّا فَعَلْتَ، وَ قَعْدَكَ اللَّهُ إِلَّا فَعَلْتَ، كَأَنَّهُ حَيْثُ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، قَالَ تَسْبِيحًا، وَحَيْثُ قَالَ: وَرِيحَانَهُ، قَالَ: وَاسْتَرْزَاقًا؛ لِأَنَّ مَعْنَى الرَّيْحَانِ: الرِّزْقُ؛ فَتَنْصَبُ هَذَا عَلَى أَسْبَحُ اللَّهُ تَسْبِيحًا، وَأَسْتَرْزِقُ اللَّهُ اسْتَرْزَاقًا، فَهَذَا بِمَنْزِلَةِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَرِيحَانَهُ، وَخَزَلَ الْفِعْلَ هَاهُنَا لِأَنَّهُ بَدَلٌ مِنَ اللَّفْظِ بِقَوْلِهِ: أُسَبِّحُكَ وَ أُسْتَرْزِقُكَ».³

وَكَمَا يُؤَوِّلُ سِيبُوه نَصْبَ الْمَصَادِرِ الْآتِيَةِ: "سُبْحَانَ، وَمَعَادَ، وَرِيحَانًا" عَلَى حَذْفِ أَفْعَالٍ قَبْلَهَا مُشْتَقَّةٍ مِنْهَا، أَوْ فِي مَعْنَاهَا⁴؛ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ نَصْبَ الْمَصْدَرِ "عَمْرُكَ" عَلَى ذَلِكَ؛ إِذْ يَقُولُ: «وَأَنَّهُ حَيْثُ قَالَ: عَمْرُكَ اللَّهُ وَقَعْدَكَ اللَّهُ، قَالَ عَمَرْتُكَ اللَّهُ، بِمَنْزِلَةِ نَشْدُتُكَ اللَّهُ، فَصَارَتْ "عَمْرُكَ اللَّهُ" مَنْصُوبَةً بِ"عَمَرْتُكَ اللَّهُ"، كَأَنَّكَ قُلْتَ: "عَمَرْتُكَ عَمْرًا، وَنَشْدُتُكَ نَشْدًا، وَلَكِنَّهُمْ خَزَلُوا الْفِعْلَ لِأَنَّهُمْ جَعَلُوهُ بَدَلًا مِنَ اللَّفْظِ بِهِ».⁵

فَوَاضِحٌ هُنَا، أَنَّ الْمَعْنَى هُوَ أَنَّ الْمَصْدَرِ "عَمْرُكَ" إِنَّمَا هُوَ مُتَصَرِّفٌ بِدَلِيلِ أَنَّهُ لَهُ فِعْلًا يَنْتَصِبُ بِهِ، وَهُوَ "عَمَّرَ"، وَيَرَوِي فِي هَذَا الصَّدَدِ قَوْلُ الشَّاعِرِ:⁶

¹ ينظر: حسن، عباس، النحو الوافي: 326/2.

² وعنوان هذا البحث كما ثبت عند سيبويه، هو قوله: "هذا بابٌ أيضًا من المصادر ينتصب بإضمار الفعل المتروك إظهاره، ولكنها مصادر وُضِعَتْ موضعًا واحدًا لا تتصَرَّفُ في الكلام تصَرُّفٌ ما ذكرنا من المصادر، وتصَرُّفُهَا أَمَّا تَقَعُ فِي مَوْضِعِ الْجَرِّ وَالرَّفْعِ، فَدَخَلَهَا الْأَلْفُ وَاللَّامُ". سيبويه، الكتاب: 322/1.

³ سيبويه، الكتاب: 322/1.

⁴ لأنَّ المصْدَر "رِيحَانًا" لَا فِعْلَ لَهُ، وَكَانَ بِمَعْنَى الرِّزْقِ كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ سِيبُوه، فَإِنَّهُ هُوَ الْمَقْصُودُ بِالْجَحْيِ مُتَضَمِّنًا مَعْنَى الْفِعْلِ "أَسْتَرْزِقُ". ينظر: الأعلام الشَّتَمَرِي، النَّكْتُ: 373/1، وعُضَيْمَةُ، مُحَمَّدٌ عَبْدُ الْخَالِقِ، فَهَارِسُ كِتَابِ سِيبُوه وَدِرَاسَةٌ لَهُ: 171.

أَمَّا "مَعَادًا"، فَقَدْ بَيَّنَّ صَاحِبُ الْكِتَابِ فِي الْمَوْضِعِ نَفْسَهُ أَنَّهُ مَنْصُوبٌ بِالْفِعْلِ "أَعُوذُ".

⁵ سيبويه، الكتاب: 322/1.

⁶ البيت في: سيبويه، الكتاب: 323/1، وفي: النَّحَّاسُ، أَبُو جَعْفَرٍ، شَرْحُ أَيْيَاتِ سِيبُوه: 148، غَيْرُ مَنْسُوبٍ. أَمَّا فِي: الْبَغْدَادِيِّ، عَبْدِ الْقَادِرِ، الْخَزَانَةِ: 231/1، وَالْأَصْفَهَائِيِّ، الْأَغْنِي: 40/4، فَقَدْ تُسَبِّبُ إِلَى الْأَحْوَصِ؛ حَتَّى إِنَّهُ مَوْجُودٌ فِي شَعْرِ

عَمَّرْتُ اللَّهَ إِلَّا مَا ذَكَرْتُ لَنَا .: هَلْ كُنْتُ جَارِتَنَا أَيَّامَ ذِي سَلَمٍ ؟

إذ ليس يخفى أنه كما أول الكلام في جملة: "سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ إِلَّا نَصَرْتُ الْمَظْلُومَ" على أن معناه: "مَا سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ إِلَّا نَصَرْتُ الْمَظْلُومَ" نصباً لما بعد "إِلَّا" على أنه مفعولٌ لما قبلها؛ فكذلك الحال في قول الشاعر هنا؛ إذ إنَّ عبارة: "عَمَّرْتُكَ اللَّهُ إِلَّا مَا ذَكَرْتُ لَنَا" مُقَدَّرٌ فيها الكلام على أنه في معنى: "عَمَّرْتُكَ اللَّهُ إِلَّا ذِكْرَكَ لَنَا"، أي: "مَا أَسْأَلُكَ إِلَّا ذِكْرَكَ لَنَا"، لأنَّ الفعل "عَمَّرْتُكَ" قبلها في صورة الموجب، وهو منفيٌّ في المعنى، ليتأتى التفرُّغ في الكلام¹؛ فيعمل العامل الذي قبل "إِلَّا" الحاصرة فيما بعدها، كما سبق شرحه وثبوته في تعريفنا لمفهوم الاستثناء المفرَّغ، أو الناقص.

وأما المصدر "قَعَدَكَ" في قولنا: "قَعَدَكَ اللَّهُ"، فيذهب سيبويه إلى أنه يَجْرِي مجرى "عَمَّرَكَ"، وإن لم يكن له فعل، موضحاً أنَّ جملتي: "عَمَّرَكَ، وَقَعَدَكَ اللَّهُ" إنما هما بمنزلة قولنا: نَشُدُّكَ اللَّهُ، وإن لم يُتَكَلَّمْ بِنَشُدِّكَ اللَّهُ.²

وهو المعنى الذي أخذه عن الخليل، الذي كان قد سبق إلى إبانته حين قال: «وتقول: عَمَّرَ اللَّهُ، وَعَمَّرَكَ اللَّهُ... ومثله: قَعَدَكَ اللَّهُ، على معنى: نَشُدُّكَ اللَّهُ، ولا فِعْلَ لِقَعَدَكَ. وأما عَمَّرَكَ اللَّهُ، فعلى معنى: عَمَّرْتُكَ اللَّهُ».³

وإن كان هذا عن استعمال بعض المصادر المنصوبة في هذا النوع من الاستثناء، فإنَّ الأداة لما⁴ أيضاً قد تشترك مع "إِلَّا" في هذا الأسلوب استثنائي الشكل، وذلك حين تكون حرف استثناء بمعنى "إِلَّا"؛ إذ يكون لها وقتئذ موضعان:

الأحوص الأنصاري: 252. وعَمَّرْتُكَ اللَّهُ: أي: سَأَلْتُكَ تَعْمِيرَكَ وطول بقائك، كما يُقال: أَطَالَ اللَّهُ عُمُرَكَ، مِنْ عَمَرَ الرَّجُلُ يَعْمُرُ عُمُرًا عَمْرًا على غير قياس، أي: عَاشَ زَمَنًا طَوِيلًا، أَمَا قَوْلُهُمْ: عَمَّرَكَ اللَّهُ، فهو طلب للشخص بطول العمر والبقاء. وقيل إنَّ معنى "عَمَّرْتُكَ" في بيت الأحوص: ذَكَّرْتُكَ بِهِ، وأصله مِنْ عَمَارَةِ الْمَوْضِعِ، فَكَأَنَّهُ جَعَلَ تَذْكِرَهُ عِمَارَةً لِقَلْبِهِ. ينظر: سيبويه، الكتاب: 323/1، الحاشية رقم: 02، والنَّحَّاس، أبو جعفر، شرح أبيات سيبويه: 148، وابن جني، الخصائص: 220/2، والأعلم الشنتمري، التكت: 373/1، والجوهري، الصَّحاح: مادة (عَمَرَ) (756/2).

¹ ينظر: سيبويه، الكتاب: 323/1، الحاشية رقم: 02.

² ينظر: المرجع نفسه: 323/1، وعُضَيْمَة، مُحَمَّد عبد الخالق، فهارسُ كتاب سيبويه ودراسة له: 171.

³ عبادة، مُحَمَّد إبراهيم، الجمل في النَّحو المنسوب للخليل بن أحمد الفراهيدي - دراسة تحليلية، منشأة المعارف بالإسكندرية، د. ط، د. ت، نقلاً عن: الخليل، بن أحمد الجمل: 108: 147.

⁴ ينظر: سيبويه، الكتاب: 105/3، والزَّخَشَرِي، المفصل: 101، والمرادي، الجنى الدَّاني: 593-594.

أحدهما: بعد القسم، نحو قولنا: "أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ لَمَّا فَعَلْتُ"، و"نَشَدْتُكَ اللَّهُ لَمَّا فَعَلْتُ"، ومثله قول عمر بن الخطاب، رضي الله عنه لأبي موسى الأشعري في كتاب له وقد لحن: "عَزَمْتُ عَلَيْكَ لَمَّا ضَرَبْتُ كَاتِبَكَ سَوْطًا". ومنه أيضاً ما روي عن عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه، أنه لَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ «ابنه اشترى فصَّ خاتمٍ بألف دينار، فكتب إليه: عَزَمْتُ عَلَيْكَ إِلَّا بَعْتَ خَاتَمَكَ بِأَلْفِ دِينَارٍ، وَجَعَلْتَهَا فِي بَطْنِ جَائِعٍ، وَاسْتَعْمِلَ خَاتِماً مِنْ وَرَقٍ، وَانْقُشَ عَلَيْهِ: رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا عَرَفَ قَدْرَ نَفْسِهِ».¹

والآخر: بعد النفي، ومنه قول الله، جلَّ شأنه: ﴿وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾²، وقوله عزَّ مِنْ قائل: ﴿وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾³. والمعنى في هذين الآيتين الكريمتين: مَا كُلُّ إِلَّا جَمِيعٌ، وَمَا كُلُّ ذَلِكَ إِلَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.⁴ وواضح هنا، أَنَّ "لَمَّا" حين ضُمِّنت معنى "إلا" الاستثنائية، فَإِنَّ ما بعدها يُؤوَّلُ على حسب موضعه من الكلام، فقولنا مثلاً: "أَنشَدَكَ اللَّهُ لَمَّا فَعَلْتُ"، في تقدير: "مَا أَسْأَلُكَ إِلَّا فَعَلْتُكَ".⁵

وفي هذا الأسلوب نجد جملتين، الأولى هي جملة القسم الاستعطائي "سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ" أو ما جاء في معناها، نحو: "نَاشَدْتُكَ اللَّهُ، وَأَقْسَمْتُ عَلَيْكَ". والثانية: هي جواب القسم "لَمَّا فَعَلْتُ"، وقد توسَّطت الأداتان: "إلا" و"لَمَّا" بين الجملتين.⁶

ولهذا، فَإِنَّ النُّحَاةَ، بعد سيبويه، قد عدُّوا هذا الأسلوب المطَّرد في كلام العرب من نوع الاستثناء المفرغ، نحو قولنا: "أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ لَمَّا وَقَرَّتْ الْكَبِيرَ وَرَحِمْتَ الصَّغِيرَ"، على الرِّغم من كون الكلام مُثَبِّتاً، ولا وجود لاسم بعد "إلا" و"لَمَّا" حتَّى يُعرب حسب العوامل التي قبلهما؛ لأنَّهم

¹ الأبيشي، شهاب الدِّين، المستطرف في كلِّ فنٍّ مستطرف، تحقيق: محمد قميحة، دار الكتب العلمية-بيروت، د.ط، د.ت: 291.

² يس: 32.

³ الزُّحُف: 35.

⁴ ينظر: الفراء، معاني القرآن: 377/2، والألوسي، البغدادى، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي-بيروت، د.ط، د.ت: 26/3، وابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير: 11/23.

⁵ ينظر: ابنُ النَّاطِم، شرح الألفية: 292، والدَّقَر، عبد الغني، معجم القواعد العربية: 389.

⁶ ينظر: الأنطاكي، محمد، المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها: 350/2-351.

اعتبروا جملة القسم الاستعطائي منفية المعنى، وإن كانت مثبتة اللفظ. كذلك لما كان التفرغ يقتضي وجود اسم مفرد بعد أداة الاستثناء ليكون خاضعاً لتأثير العوامل التي قبلها، فقد اعتبروا جملة القسم الاستعطائي مسبوكاً بمصدر، وإن لم يكن في العبارة سابق. وبناءً عليه، يكون التقدير في جملة: "سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ إِلَّا أَكْرَمْتُ الْفَقِيرَ"، هو: "مَا سَأَلْتُكَ إِلَّا إِكْرَامَ الْفَقِيرِ" على أَنَّ "سَأَلْتُكَ": فعل، وفاعل، ومفعول أول (الكاف)، و"إِلَّا" أداة حصر لا عمل لها. و: "أَكْرَمْتُ الْفَقِيرَ": فعل، وفاعل، ومفعول، والجملة بتأويل مصدرٍ في محلِّ نصب مفعولٍ ثانٍ للفعل "سَأَلْتُكَ".¹

¹ ينظر: الأنطاكي، محمد، المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها: 351/2.

المبحث الثامن: أسلوب القصر بآئما عند النحاة:

تعدُّ "آئما" واحدة من مجموعة الحروف (أو الأدوات) اللُّغوية المركّبة في اللغة العربيّة التي يكثر استعمالها في الكلام، مراعاةً لأمر مرتبطٍ ارتباطاً وثيقاً بمقام إلقاء الخطاب وظروفه، كأخذ غرض المتكلّم بعين الاعتبار من جهة، والنظر في حال الشّخص المخاطب من جهة أخرى. وبعد، فما الأصل اللُّغويُّ لـ "آئما" هذه؟ وما الوظيفة الجديدة التي تُعْهَدُ إليها بعد تركيبها؟ وما مذهب علماء النّحو العربي، وعلى رأسهم سيبويه في ذلك كلّ؟ وهل هي أخيراً من طرق القصر عندهم، وما بيان ذلك؟ هذا ما سنحاول بَحْلِيَّة معانيه فيما يأتي ذكره:

المطلب الأوّل: آئما المركّبة: أصلها:

الحرف "آئما" يتركّب من حرفين اثنين. هذا مذهب سيبويه، وقد أشار إلى ذلك في موضعين من كتابه، في حدود ما أمكننا استنتاجه.

أولهما: ما أوردّه في معرض حديثه عن دخول "إن" على "ما" النافية، إذ قال: «وأما "إن" مع "ما" في لغة أهل الحجاز فهي بمنزلة "ما" في قولك: "آئما" الثّقيلة، تجعلها من حروف الابتداء، وتمنعها أن تكون من حروف "ليس" وبمنزلتها».¹

ويُفْهَم من كلام سيبويه هنا، أنّ دخول "إن" الزائدة على "ما" النافية العاملة عمل "ليس" يبطل حكمها هذا، إذا قلنا مثلاً: "ما إن زَيْدٌ قائمٌ"؛ إذ يصبح ما بعدها مبتدأ وخبراً. ويشبه ذلك بدخول "ما" على "إن"؛ فتكفّها عن عمل النصب والرفع في معموليها اللذين يُرْفَعان كلاهما على الابتداء والخبر أيضاً، في نحو: "آئما زَيْدٌ قائمٌ".²

وثانيهما، هو قوله في شأن "إن" النّاسخة الجديد بدخول "ما" الكافّة عليها؛ إذ نصّ على أنّ الأخيرة «قد تغيّر الحرف حتّى يصير يعمل بمجيئها غير عمله الذي كان يعمل قبل أن تجيء، وذلك نحو قوله: آئما، وكأئما، ولعلّما: جعلتهنّ بمنزلة حروف الابتداء».³

¹ سيبويه، الكتاب: 221/4.

² ينظر: فائز، عبد المنعم، السّيرافي النّحوي من خلال شرحه لكتاب سيبويه: 524-525.

³ سيبويه، الكتاب: 222/4. وينظر: المرجع نفسه: 417/2 و418/3 و153.

وهو ما يؤكده السّيرافي في ذهابه إلى أنّ "ما" باتّصالها بـ "إنّ" يَنْتَقِضُ عملها، كما تجعل «إنّ، وكأنّ، ولعلّ بدخولها عليهنّ، يليهنّ الابتداء والخبر».¹

ولعلّه يكون واضحاً بيّناً، بعد عرضنا لقوْلَي سيبويه هذين، أنّ الأخير يقرّر صراحة على أنّ أصل "إنّما" المركّبة أنّما هو من: "إنّ" النّاسخة، و"ما" الكافّة لها عن العمل، وهو على كلّ، مذهب الجمهور كابن جنيّ الذي أشار إلى ذلك في "باب ما يدخل على الكلام، فلا يغيّره"، حيث يبرز إلغاء عمل "إنّ" بعد دخول "ما" عليها، وغيره من النّحاة.²

ولا شكّ أنّ تركيب إنّما الذي أثبت آنفاً، يقودنا إلى الحديث عن عملها عند سيبويه بخاصّة، وعند عموم النّحويّين؛ محاولةً منا لتبيّن وظيفتها بدقّة أكثر عند صاحب الكتاب، بغية تحديد مذهبه فيها، المتعلّق بعملها الدّلالي والبلاغي المرتكز على جانب إفادتها معنى القصر من عدمه.

المطلب الثاني: عملها:

إذا كان جمهور النّحاة، وعلى رأسهم سيبويه، يروّون، حسب ما سبق، إلغاء أيّ عمل لـ (إنّما) المركّبة؛ فإنّ ذلك ما يعني حتماً أنّ الكلام بعد "إنّما" يُعامل معاملة كما لو لم يسبقه شيءٌ من العوامل التي قد تكون عاملةً فيه، وذلك نحو قولنا: "إنّما زَيْدٌ مُنْطَلِقٌ"، رفعاً لـ "زيد" على أنّه مبتدأ، ونصباً في "منطلق" لأنّه خبره؛ مِنْ قِبَلِ أنّه لا اعتبار لوجود "إنّما" المُلغاة إعراباً، وكأَنَّها لم تُذكر إطلاقاً، تماماً كـلعلّ، وكأنّ، وبعد، وغيرها ممّا يبطل عمله في حال اتّصاله بما الكافّة.³

ولمّا كانت هذه الحروف، ومن بينها "إنّما"، مكفوفةً عن وظيفتها الإعرابية الأصلية إذا اتّصلت بما "ما"، فقد عدّها جمهور النّحاة بمنزلة "هلّ" الاستفهامية؛ إذ تقع بعدها الجمل الاسمية والفعليّة. يقول سيبويه في "باب الحروف التي يجوز أن يليها بعدها الأسماء، ويجوز أن يليها بعدها الأفعال" موضّحاً ذلك: «وهي: لكنّ، وإنّما، وكأَنَّما، وإذّ، ونحو ذلك؛ لأنّها حروفٌ لا تعمل شيئاً،

¹ فائز، عبد المنعم، السّيرافي النّحوي من خلال شرحه لكتاب سيبويه: 526.

² ينظر: ابنُ جنيّ، اللّمع: 302، وابنُ هشام، مغني اللّبيب: 337/1، والغلاييني، جامع الدُّروس العربيّة: 308/2، وبيسوي، كمال، المفردات النّحويّة: 175.

³ ينظر: سيبويه، الكتاب: 137/2-138، وابنُ النّاظم، شرح الألفية: 174، والبغداديّ، الخزانة: 67/4، وياقوت، محمود سليمان، شرح جمل سيبويه: 390/2، والحمد عليّ توفيق، والرّعي، يوسف جميل، المعجم الوافي في النّحو العربي: 295.

فتركت الأسماء بعدها على حالها كأنه لم يُذكر قبلها شيء؛ فلم يجاوز ذا بها، إذ كانت لا تُغيّر ما دخلت عليه، فيجعلوا الاسم أُولَى بها من الفعل».¹

فأمّا مثال دخولها على جملة المبتدأ والخبر، فقول المولى، تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾²، إذ لم تُغيّر "إِنَّمَا" فيما بعدها شيئاً من جهة الإعراب؛ فلفظُ الجلالة، الله: مبتدأ، و"وَاحِدٌ": خبره.

وأمّا دليل عدم عملها في جملة الفعل والفاعل، فهو قوله، عزّ وجلّ: ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾³؛ إذ لو كانت "كأَنَّمَا" مؤثّرة عملاً لما وقع الفعل بعدها، لأنها إِنَّمَا تعمل في الأسماء بمشابهتها للأفعال، والفعلُ معلومٌ، أنّه لا يدخل عليه فعلٌ ولا مشابهه للفعل. وعلى هذا صحَّ وقوعها في نحو: "إِنَّمَا قَامَ زَيْدٌ"، و"إِنَّمَا زَيْدٌ أَخُوكَ"، و"كأَنَّمَا الْعِلْمُ نُورٌ"، و"لَكِنَّمَا جَعْفَرٌ مُنْطَلِقٌ"، و"لَعَلَّمَا اللَّهُ يَرْحَمُنَا".⁴

وعلى هذا يُحمّل قول الشاعر الذي رواه سيبويه عن أحد محدّثيه:⁵

كَأَنَّا يَوْمَ قُرَى إِيَّا نَا نَقْتُلُ

قَتَلْنَا مِنْهُمْ كُلَّ فَيٍّ أَيْبُضَ حُسَانَا

إذ دخلت الأداة "إِنَّمَا" على قوله: "نَقْتُلُ إِيَّا نَا"، وهو جملة فعلية، مِنْ دون أن تُغيّر فيها شيئاً، هذا مع ملاحظة بناء الكلام هنا على الضمير المنفصل "إِيَّا نَا"؛ لعدم القدرة على الإتيان بالضمير المتصل "نَا"؛ إذ لا يُقال: "نَقْتُلُنَا"، فَمِنْ بابِ أُولَى، لا يكون جائزاً قولنا: "إِنَّمَا نَقْتُلُ نَا".

¹ سيبويه، الكتاب: 116/3.

² النساء: 171.

³ الأنفال: 06.

⁴ ينظر: ابنُ جنيّ، اللّمع: 302، وابنُ هشام، مغني اللّبيب: 337/1، والغلاييني، مصطفى، جامع الدّروس العربية: 308/2.

⁵ البيت في: سيبويه، الكتاب: 111/2، والجاحظ، الحيوان: 12/4، والبغداديّ، الخزانة: 406/2، والأصفهانيّ، الأغاني: 12/4. وقُرئ: بالضمّ وتشديد الرّاء: موضع في بلاد بني الحارث بن كعب، والحُسَانُ: الحَسَنُ الجميل كما يقال: رجلٌ كريمٌ وكُرَامٌ، ومليحٌ ومُلاحٌ، وجميلٌ ومُلاحٌ، وحَسِينٌ وحُسَانٌ، وقيل: الحُسَانُ أَحْسَنُ مِنَ الحُسْنِ، والأنثى حُسَانَةٌ. ينظر: سيبويه، الكتاب: 111/2، الحاشية رقم: 01، وابنُ السّكّيت، إصلاح المنطق: 308-309، والأعلم الشّنتمريّ، النّكت: 499/1، والجوهريّ، الصّحاح: مادّة (حَسَنَ)، (2099/5).

وقد استعمل الضمير "إيانا" الذي هو في محل نصب على المفعولية مكان كلمة "أنفسنا"؛ لأكما مترادفان.¹

وإذا كان الخليل يجعل إنما بمنزلة فعل ملغى، نحو: "أشهد لزيد خير منك"؛ إذ لا تكون عاملة فيما بعدها ولا تكون إلا مبتدأة مثل "إذا"، فإن ذلك ما يزيده سيويه إيضاحاً بموازنته لعمل "إنما" بعمل "أن" المفتوحة؛ إذ يذهب إلى أن كل موضع تجوز فيه "أن" لا تكون فيه "إنما" إلا مبتدأة، وذلك نحو قولنا: "وجدتُك إنما أنت صاحب كل خي"؛ لأنه لو قيل: "وجدتُك أنك صاحب كل خي" ما جاز، تماماً كما لا يصح: "رأيتُك أنك مُطلق"، لأن إنما في هذا المثال على كلام مبتدأ قد عمل بعضه في بعض²، وأصله: "وجدتُك أنت صاحب كل خي"، ولم تُوضع إنما في موضع "ذاك" إذا قلت: "وجدتُك ذاك"، لأن ذاك هو الأول. ولأن "إنما" و"أن" تُصيران الكلام شيئاً وحديثاً باعتبارهما موصولتين فإنه لا يجوز وقوعها موقع كلام مبتدأ دخلت عليه إنما³، بخلاف جواز إخلال "إنما" المكسورة محل "إنما"، لأن "ما" في هذه الأخيرة صلة، كقول الخالق، سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾⁴، وكقول ابن الإطنابة: ⁵

أبلغ الحارث بن ظالم المو .: عد والتأذر الندور علياً
إنما نقتل النيام ولا نقتل .: ثل يفظان ذا سلاح كميّاً

حيث يجوز فيه فتح همزة "إنما" حملاً لها على "أبلغ"؛ لأن المعنى: "أبلغه ذاك"، وإنما الكسر في همزتها، لأن "ما" ليست كافّة هنا، بل هي صلة.⁶

¹ ينظر: سيويه، الكتاب: 111/2، الحاشية: رقم: 01، والبغدادى، الخزانة: 407/2. وفصل الضمير "إيانا" هاهنا واجب تماماً كالشاهد الذي سبقه مع الضمير "أنا" المنفصل للرفع، بسبب أنه محصور بيلاً.

² أي أن الجملة اسمية مرفوع فيها المبتدأ "أنت" بالابتداء، والآخر رافع لخبره "صاحب"؛ لأن أصل الجملة الأول: "أنت صاحب كل خي".

³ ينظر: سيويه، الكتاب: 130/3-131، وياقوت، محمود سليمان، شرح جمل سيويه: 639/3-640.

⁴ الأنبياء: 108.

⁵ البيت في: سيويه، الكتاب: 129/3، والكمي: من كمي الشيء إذا تكماه، أي ستره. والكمي: الشجاع المتكفي في سلاحه لأنه كمي نفسه، أي: سترها بالدرع الأبيض. والجمع: كماء. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، دار صادر-بيروت، ط1، 1374هـ-1955م/1412هـ-1992م: باب الياء، فصل الكاف (231/15-232).

⁶ ينظر: سيويه، الكتاب: 130/3، الحاشية رقم: 05، والنحاس، أبو جعفر، شرح أبيات سيويه: 302.

وإذا كان هذا، باختصار، عن عمل "إنما" عند سيبويه خصوصاً، والنحاة عموماً، فهل هذه الأداة مفيدة معنى قصر الشيء على الشيء؟ وما دليل ذلك من أول كتاب نحوي جامع لقواعد العربية، ومن بطون كتب نحويينا؟

المطلب الثالث: تحقق القصر بها:

إذا ثبت مما سبق ذكره، أن "إنما" أداة غير عاملة فيما تدخل عليه، سواءً أكان جملة اسمية أم فعلية، فإن الذي يبدو من كلامه في هذا الشأن أنه جاء ذا صبغة نحوية في معظمه، حتى إن تبين حقيقة رأيه في مسألة تأدية الحرف "إنما" معنى القصر ليتطلب طرق أبواب مختلفة من كتابه، قد أومأ فيها سيبويه بإشارات معنوية دقيقة في معرض شرحه لعمل بعض الحروف اللغوية، وكذا إبانته الوجهة في بعض أساليب العربية من حيث دلالتها وإعرابها. ولهذا الأمر موضعان:

أولهما: ما أورده سيبويه متحدثاً عن انتصاب المصدر الواقع في جملة الخبر، نحو: "زَيْدٌ سَيْرٌ سَيْرًا"، و"إِنَّ زَيْدًا سَيْرًا"، و"أَنْتَ مُذِ الْيَوْمِ سَيْرًا سَيْرًا"، حيث أبرز أن السَّيرَ المخبر عنه في هذا الباب، ومنه قولنا في الاستثناء: "مَا أَنْتَ إِلَّا سَيْرًا، وَإِلَّا سَيْرًا"، إنما هو سير متصل بعبءه ببعض في أي الأحوال كان، مقابلًا إيَّاه بقولنا: "إِنَّمَا أَنْتَ سَيْرٌ"، إذ المصدر فيه مرفوع لأنه خبر للمبتدأ "أَنْتَ"، على تقدير: "مَا أَنْتَ إِلَّا صَاحِبُ سَيْرٍ"، بحذف المضاف "صاحب"؛ لأنَّ المبتدأ ليس هو نفسه الخبر.¹

وإذا كان المعنى في "مَا أَنْتَ إِلَّا سَيْرٌ" هو: "مَا أَنْتَ إِلَّا صَاحِبُ سَيْرٍ"، فكذلك الحال في: "إِنَّمَا أَنْتَ سَيْرٌ"²؛ إذ تقديره أيضا على أن في جملة حذفًا للمضاف، وتقديره: "إِنَّمَا أَنْتَ صَاحِبُ سَيْرٍ"، دلالةً على إكثار القيام بفعل السَّير ومواصلته قياساً له على: "مَا أَنْتَ إِلَّا سَيْرًا"، إذ كان معناه كمعناه.³

ونتساءل هنا قائلين: إنه إذا تحقق أن مؤدَى قولنا: "مَا أَنْتَ إِلَّا سَيْرٌ"، هو حصر المبتدأ في خبره من دون تعدّيه إلى غيره مبالغةً في الوصف من ناحية، ونلاحظ أن هذا قد حُمِلَ عليه الكلام

¹ ينظر: سيبويه، الكتاب: 335-336/1، 364، وياقوت، محمود سليمان، شرح جمل سيبويه: 223/1.

² ينظر: سيبويه، الكتاب: 336/1.

³ ينظر: الأعلام الشنتمري، التكت: 378/1.

ذاثه باستخدام إنما على أن فيه بيانا لكثرة فعل السير من المبتدأ المكثى عنه بالضمير "أنت" وتكرره من ناحية أخرى. أ فليس يُعدُّ ذلك إشارةً من سيويه إلى وظيفة "إنما" البلاغية والدلالية؟

وعن هذا نجيب فنقول: إنه لما كان معروفاً أن الحرف في العربية حين يُركَّب مع حرف يطل عمله الذي كان عليه، ويكتسب وظيفة أخرى ثانية، كالحرف "لولا" مثلاً، ولأنَّ معنى: "إنما أنتَ سَيَّرَ" محمول على ما هو عليه: "مَا أَنْتَ إِلَّا سَيَّرَ" من أداء معنى القصر للاسم الأول على الثاني؛ فإنَّ ذلك ما يسوِّغ لنا أن نُعَدَّ هذا تلميحاً واضحاً من سيويه على تضمُّن الأداة "إنما" معنى القصر فيها، وهو ما يؤكده بتأويله لبیت الخنساء التي تقول فيه:¹

تَرْتَعُ مَا رَتَعْتَ حَتَّى إِذَا ادَّكَّرْتُ .: فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ

إذ يعلِّق عليه بقوله: «فجعلها الإقبال والإدبار، فجاز هذا على سعة الكلام، كقولك: نَهَارُكَ صَائِمٌ وَلَيْلُكَ قَائِمٌ».²

ومفهومٌ هنا، أن سيويه يجعلها (الناقة أو البقرة المحدث عنها) الإقبال والإدبار اتساعاً، كما قيل: "مَا أَنْتَ إِلَّا سَيَّرَ"؛ وهو تعبير دقيق من سيويه غرضه وصف هذه الناقة بأنها لا تنفك تقبل وتدبر كلِّما تذكَّرت ولدها الذي فقدته. أي: أنَّها في حال تذكُّرها لذلك، فإنَّ اضطرابها وحيرتها يجعلانها لا تفارق حالةً مخصوصةً وهي كونها مقبلةً ومدبرةً، فكأنَّها قُصِرَتْ بسبب ذلك على هذين الوصفين³، تماماً كما كان المعنى في قولنا: "مَا أَنْتَ إِلَّا قَائِمٌ وَقَاعِدٌ"، على أنَّ المقصود به هو جعل المخاطب بهذا الكلام متردداً بين صفتي القيام والقعود فقط، فكأنَّه غير مباح لهما لكثرة ما يُرى عاجزاً متقاعساً مثلاً، أو لأيِّ سبب آخر يكون المتكلِّم قد بنى عليه كلامه هذا.

ونشير هنا إلى أنَّه كما يجوز وقوع المصدر المرفوع خبراً عن اسم قبله، كما سبق، فإنَّه يمكن أن يرد مفرغاً له الاستثناء في حال انتصابه بتقدير فعل من لفظه، على أنَّ الجملة خبر للمبتدأ

¹ البيت في: الخنساء، الديوان، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع-بيروت، ط8، 1401هـ-1981م: 50.

² سيويه، الكتاب: 337/1.

³ وفُسِّرَ بعض الدارسين معلِّقين على قول الخنساء، كأنَّها قالت: إِنَّ النَّاقَةَ هَذِهِ قَدْ خُلِقَتْ مِنَ الْإِقْبَالِ وَالْإِدْبَارِ، أي: كأنَّها مجسَّمةٌ منهما فقط، وهذا أبلغ في الوصف وأبعد من حمل الكلام على أنَّ فيه حذفاً للمضاف، تقديره: "فإنَّما هي ذاتُ إقبالٍ وإدبارٍ"، أو بجعل المصدر مؤوَّلاً باسم فاعل، كقولنا: مقبلةً ومُدْبِرَةٌ. ينظر: النَّحَّاس، أبو جعفر، شرح أبيات سيويه: 55، والزَّخَشَرِيُّ، الكشاف: 330/1 و407/4، وحسنين، محمَّد أبو موسى، دلالات التراكيب-دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني: 93-95.

المقصور عليها، نحو: "إنّما أنت سيّرًا". وأصل العبارة يكون على: "إنّما أنت تسيّر سيّرًا"، دلالةً على إدخال المبتدأ "أنت" في شيء واحد لا يتعداه إلى غيره، وهو كونه موصوفاً بعملية "السيّر" فقط مبالغة في وصفه بذلك.¹

وثانيهما: حديثه عن عمل الحرف "حتى"، وحال ورود الفعل بعده بين الرفع فيه على إرادة معنى معيّن، وبين نصبه على قصد معنى آخر. يقول سيبويه: «وتقول: إنّما سرّْتُ حتىّ أدخلُها، وحتىّ أدخلُها، إنّ جعلت الدّخول غاية. وكذلك: ما سرّْتُ إلّا قليلاً حتىّ أدخلُها، إنّ شئت رفعت، وإنّ شئت نصبت؛ لأنّ معنى هذا معنى: "سرّْتُ قليلاً حتىّ أدخلُها"، فإن جعلت الدّخول غايةً نصبت».²

وقد شرح الشنتمريّ هذا الكلام، بأنّ سيبويه إنّما أجاز الرفع والنّصب في موضع، ولم يجزه في موضع آخر إذا قلنا: "إنّما سرّْتُ حتىّ أدخلُها"، معللاً ذلك بأنّ الأداة "إنّما" تكون على وجهين. أحدهما: تحقير الشيء، والآخر: الاقتصار عليه. فأنّ تقول في رجل أدّعي له شجاعة وكرمٍ وغير ذلك: "إنّما هو شجاع"، فعلى هذا الوجه ترفع الفعل بعد "حتىّ"؛ لأنّك قد أثبتت فعلاً يؤدّي إلى ما بعدها. وأمّا تحقير الشيء، فقولك لمن تحقّر صنيعه: "إنّما تكلمت فسكّت"، لم تعتدّ بكلامه.³ فعلى هذا الوجه نصب سيبويه: "إنّما سرّْتُ حتىّ أدخلُها"؛ لأنّه لم يعتدّ بسيره سيرا فصار بمنزلة المنفيّ، وقبح الرفع لأنّك لم تجعل السيّر مؤدّياً إلى الدّخول فيكون منقطعاً بالدّخول، ولا نصبت يدخل فيكون غاية السيّر، وهذا معنى قول سيبويه: (ليس في هذا دليل على انقطاع السيّر كما يكون في النّصب)⁴ هذا يعني إذا رفعت في التّحقيق.⁵

¹ ينظر: سيبويه، الكتاب: 335/1، الحاشية: رقم 01، و360/1، والقرطبي، أبو نصر، شرح عيون كتاب سيبويه: 103-104، والزمخشريّ، المفصل: 56، وابن هشام، أوضح المسالك: 287/1.

² سيبويه، الكتاب: 21/3.

³ نذكر هنا، أنّ قول سيبويه بتضمّن إنّما معنى التّحقيق، قد ردّه بعض النّحاة محتجّين في ذلك بمثل قول الله جلّ جلاله في الآية السّبعين بعد المائة، من سورة النساء: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾، وبقولنا مثلاً: "إنّما أنا بشرٌ"، إذ يتساءلون: أين معنى التّحقيق هنا؟ مؤكّدين دلالة "إنّما" على غرض القصر فقط، وحجّتهم قول الرسول الكريم -عليه أفضل الصّلاة وأزكى التّسليم-: "إنّما الولاء لمن أعتق". ينظر: ابن فارس، الصّاحي: 93-94.

⁴ ينظر: سيبويه، الكتاب: 22-23/3.

⁵ ينظر: الأعلام الشنتمريّ، النّكت: 705/1.

وإذا كان مفهوما من هذا، أنّ الحرف إمّا قد يأتي متضمّنا معنى القصر في أحد وجهيه، فإنّ ذلك ما يسمح لنا، قياسا على ذلك، أن نُسقط وظيفتها (إمّا) الدّلالية هذه على بعض ما ساقه صاحب الكتاب من أمثلة دخلت "إمّا" في تركيبها، نحو: "إمّا زَيْدٌ مُنْطَلِقٌ"، وقول الشاعر: *إمّا نَقْتُلْ إِيَّانَا* المؤوّلين على أنّ إمّا فيها حاصرةٌ لزيد في صفة الانطلاق ليس إلّا، وحاصرةٌ لقتل قوم الشاعر أنفسهم لا أحدا غيرهم، بقتلهم لبني عمّهم، تنزيلا لهم منزلة كما لو أنّهم قتلوا أنفسهم لرابطة الدّم التي تجري بينهم. وعليه، فتقدير الكلام هنا بالنفي والاستثناء، هو: "مَا زَيْدٌ إِلَّا مُنْطَلِقٌ"، و"مَا قَتَلْنَا إِلَّا أَنْفُسَنَا" على التّرتيب، وعلى هذا يُحمّل قول كُثَيّر: ¹

أَرَانِي وَ لَا كُفْرَانَ لِّلّهِ إِنَّمَا .: أُوَاحِي مِّنَ الْأَقْوَامِ كُلِّ بَحِيلٍ

الذي تُعدّ فيه "إمّا" واجبة الكسر في هزتها؛ لأنّها «واقعة موقع الجملة المبتدأة النّائبة مناب المفعول الثّاني لأرى»، و"أرى" هاهنا بمعنى: "أجد، وأعلم". ولا يجوز فتح إمّا هنا. وإمّا ذكّر أنّه لا يُؤاخي إلّا أهل البُخل لأنّه مُتَعَزِّلٌ، والنّساء موصوفات بالبخل، فجعل ذلك عامّا في كلّ من يؤاخيه مبالغة في الوصف». ²

وكذلك الحال في قولنا للمرأة إذا كَبُرَ حجم بطنها، يُقال فيها: "إمّا أَنْتَ بُطَيْنٌ" ³، حصراً لها في صفة واحدة وهي كِبَرُ بطنها؛ تنزيلا لصفاتها الأخرى منزلة العدم، مبالغة في وصفها بتلك الصّفة بطريقتين معا، هما: إمّا الحاصرة، والتّصغير.

وإفادة إمّا معنى القصر مذهب الجمهور، إذ يروي ابن فارس اللّغوي (ت368هـ) أنّه سمع من ينسب إلى الفراء (ت207هـ) قوله إنك: «إذا قلت: "إمّا قُلْتُ"، فقد نفيت عن نفسك كلّ فعل إلّا القيام، وإذا قلت: "إمّا قَامَ أنا"، فقد نفيت القيام عن كلّ أحد وأثبتته لنفسك». ⁴

ويواصل هذا الدّارس بيانه لعمل "إمّا" المتمثّل في إدخال الشّيء في شيء واحد دون غيره، أنّه إذا قلنا مثلاً: "إمّا أَنْتَ أَخِي"، فإنّما معناه أنّنا نثبت صفة الأخوة فقط، وننفي بذلك كلّ ما سواها، تماماً كما لو قيل: "مَا أَنْتَ إِلَّا أَخِي". هذا مع ملاحظة أن هذين المثالين لا يكونان إلّا ردّاً

¹ البيت في: كثير عزة، الدّيان: 508، والتّحّاس، أبو جعفر، شرح أبيات سيبويه: 302.

² كثير عزة، الدّيان: 508. وينظر: الأعلام الشّتمري، التّكت: 772/2.

³ ينظر: سيبويه، الكتاب: 483/3، والأعلام الشّتمري، التّكت: 947/2.

⁴ ابن فارس، الصّاحبي: 93.

أي أن قولنا: "ما أنت إلا أخي"، و"إنما أنت أخي" لا يكون ابتداءً، بل يأتي جواباً لكلام سابق له، كأن يدعي صاحبه أنه أخ، أو مولى، أو أشياء أخرى؛ فنفاه كله وأقر له بصفة الأخوة وحدها، أو يزعم زاعم أنه كانت منك أشياء سوى القيام، فنفيتهما جميعاً ما عدا صفة القيام، بقولك: إنما قمْتُ. الأمر نفسه يُقال في نحو: "إنما في الدار زيدٌ"، أي: ليس فيها غيره، وهو معنى الحصر¹، المتحقق أيضاً كما في قول الفرزدق:²

أَنَا الضَّامِنُ الرَّاعِي عَلَيْهِمْ، وَإِنَّمَا .: يُدَافِعُ عَنْ أَحْسَابِهِمْ أَنَا أَوْ مِثْلِي

إذ جاء فيه الضمير المنفصل "أنا" محصوراً بإنما لتأخّره في الكلام؛ دلالة على أن المراد في هذا الموضع، هو: بيان من المدافع، وبَيَّنَّ أنه المتكلم المعبر عنه بـ "أنا"، العائد إلى الشاعر، لا غيره أو مَنْ كان مثله، وقد تعيَّن فصل الضمير هنا؛ لأنَّ معناه على النفي والاستثناء: "ما يُدافع عن أحسابهم إلا أنا"، كقول الله جلَّ ثناؤه: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظِيكُمْ بِوَاحِدَةٍ﴾³، وقوله سبحانه: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَخُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾⁴، وقوله جلَّ في علاه: ﴿وَإِنَّمَا تُؤَقِّونَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾⁵؛ إذ

¹ ينظر: ابن فارس، الصحاحي: 93، والشيرازي، أبو إسحاق، شرح اللّمع: 541/1، وابن النّاطم، شرح الألفية: 115 و118، والدّقر، عبد الغنيّ، معجم القواعد العربية: 106، والجويني، مصطفى الصّاوي، المعاني-علم الأسلوب، دار المعرفة الجامعية: د.ط، 1993م: 38.

وإدخال "إنما" الشيء في أمرٍ لا يشاركه فيه أحدٌ، هو مرجع تسميتها (أو عدّها) بأداة قصر، أو حصر، والمقصود عليه معها هو المتأخّر دائماً في الكلام، لا الذي يليها مباشرة، سواء أ كان دخولها على جملة اسميّة نحو قوله تعالى في الآية الثانية عشرة من سورة هود: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ﴾، أم على الجملة الفعلية في قوله عزّ وجلّ في الآية التاسعة والعشرين من سورة المائدة: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.

ويعلّل بعض الدّارسين المحدثين مرجع تأخّر المقصور عليه في مثل هذا إلى آخر الجملة، إلى أنّ "إنما" تغبّر نظام ضغط العبارة، بنقلها إياه إذا كان في الأوّل إلى آخرها، خلافاً لنظيرتها "أما" التي تشدّد الضّغط على أوّل الجملة. ينظر: ابن هشام، أوضح المسالك: 116/1 و118 و246، وبرجشتراسر، التطور التّحوي للغة العربية: 133، والحمد، علي توفيق، والرّعي، يوسف جميل، المعجم الوافي في النّحو العربي: 93.

² البيت في: الفرزدق، الديوان، شرحه وضبطه وقَدَّمَ له: فاعور، علي، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، ط1، 1407هـ- 1987م: 488، وفي: الحاي، إيليا، شرح ديوان الفرزدق، منشورات دار الكتاب اللبناني، ومكتبة المدرسة، بيروت- لبنان، ط1، 1983م: 315/2.

³ سبأ: 46.

⁴ يوسف: 86.

⁵ آل عمران: 185.

الحصر فيهن واقع في جانب الظرف لا الفاعل والمعنى: "مَا أَعْظُمُكُمْ إِلَّا بواحدة، وما أشكو بئني وحزني إِلَّا إلى الله، وما تُؤَقِّوْنَ أَجُورَكُمْ إِلَّا يوم القيامة".¹

ولكننا نتساءل هنا، فنقول: إنّه إذا ثبت تضمّن إنّما مكسورة الهمزة معنى القصر، فماذا عن نظيرتها المفتوحة "أئماً"؟ هل تأتي هي الأخرى حاصرة كائّما، بالنظر إلى كون "إنّ" و"أنّ" من أصل خبر واحد أولاً، وجواز إحلال "إنّ" محلّ أختها "أنّ"، ومنه وقوع موقع "أئماً" كما في *أئماً نَقُتْلُ النَّيَّامَ* ثانياً؟

في الحقيقة، وجواباً عن هذا نقول: إنّه ليس في كلام سيبويه ما يدلّ على احتمال دلالة "أئماً" المفتوحة على القصر، سوى إنّ أوّل كلامه بخصوص وقوع "إنّما" مكان "أئماً" أحياناً في الكلام على هذا المعنى. وعموماً فالذي يظهر لنا في هذه المسألة هو مَيْلُ النُّحَاة على وجه العموم إلى عدم إفادة "أئماً" هذا الغرض البلاغيّ والمعنويّ الدقيق، إلّا ما ذكره ابن هشام في مُغْنِيهِ² متكلّماً عن "أنّ" المفتوحة المشدّدة؛ إذ يرى أنّ مِنْ وجهي ورودها، أئماً: «تكون حرف توكيد، تنصب الاسم والخبر، والأصحّ أئها فرع عن "إنّ" المكسورة، ومنّ هنا صَحَّ للزّخشي أن يدّعي أنّ "أئماً" بالفتح تفيد الحصر كائّما، وقد اجتمعتا في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾³، فالأولى إنّما (لقصر) الصّفة على الموصوف، والثانية (أئماً) بالعكس».⁴

وهو ما يراه الزّخشي في تفسيره لهذه الآية الكريمة، إذ ذهب إلى أنّ "إنّما" لقصر الحكم على شيء كقولنا: "إنّما زيد قائم"، و"إنّما يقوم زيد"، موضّحاً أنّه «قد اجتمع المثالان في هذه الآية لأنّ ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ﴾ مع فاعله بمنزلة "إنّما يقوم زيد"، و﴿أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ بمنزلة "إنّما زيد قائم"، وفائدة اجتماعهما الدّلالة على أنّ الوحي إلى رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، مقصور على استئثار الله بالوحدانية».⁵

¹ ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب: 338/1-339، والسيوطي، جلال الدين، شرح شواهد المغني: 719/2، والشنقيطي، الدرر اللوامع: 100-99/1.

² هذا في حدود اطلاعنا الضيق طبعاً، وقد يكون هناك غيره.

³ الأنبياء: 108.

⁴ ابن هشام، مغني اللبيب: 49/1.

⁵ الزّخشي، الكشاف: 86/2. وينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، عالم الكتب- بيروت، د.ط، د.ت: 592.

ومن المفسرين مَنْ خالفوا صاحب الكشف فيما قاله بخصوص تضمّن هذه الآية الكريمة معنى القصر؛ إذ لو كانت كذلك هنا لاقتضى عنه أنّه لم يُوحَ إليه صلى الله عليه وسلّم، غير التّوحيد¹. وقد رُدَّ على هذا، بأنّه هنا حصرٌ مُقيّدٌ، أي إضافي؛ لأنّ الخطاب مع المشركين، ومعناه: "مَا أُوحِيَ إِلَيَّ فِي أَمْرِ الرُّبُوبِيَّةِ إِلَّا التَّوْحِيدُ، لَا الْإِشْرَاقُ"، ويُسمى ذلك قصر قلب لقلبه اعتقاد المخاطب الَّذي كان عليه قبل إلقاء هذا الخطاب عليه. ومثله في التّفي والاستثناء، قول المولى تبارك وتعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾². فـ "ما" نافيةٌ، و"إلا": للحصر قطعاً، فهل يعني هذا أن ليست صفته، عليه الصّلاة والسّلام، شيئاً إلّا كونه منحصراً في الرّسالة، لا يتعدّها إلى غيرها؟ طبعاً، لو حَمَلَ الكلام هنا على هذا المعنى، ما خَفِيَ بطلان مراده، وفساد اعتقاده؛ لأنّ الصّحابة رضي الله عنهم، لمّا استعظّموا موته، صلواتُ الله وسلامه عليه، جُعِلُوا كأهمّ أثبتوا له البقاء الدّائم، فجاء الحصر باعتبار ذلك، ويسمّى قصر أفراد؛ لإفراده المحدّث عنه بصفة واحدة لا يجاوزها إلى ما سواها، ولو مجازاً، بالنّظر إلى حال المخاطب المنزّل منزلة من ادّعى للرّسول الكريم صفتي الرّسالة (أو النّبوة)، والخلود معاً.³

وإجمالاً لما سبق، نقول: إنّ الحرف "إنّما" مكسور الهمزة يُعَدُّ من طرق القصر عند جمهور النّحاة، إذ يدخل على الكلام فيجعل أوّلَه مقصوراً على آخره من دون تعدّيه إلى غيره. و الظّاهر، أنّه يجوز وقوع معمولات مختلفة، كالفاعل والمفعول، والمبتدأ والخبر، والظرف، والحال، وغيرها محصورةً بالأداة المذكورة.

¹ ينظر: الفيروز آبادي، البحر المحيط: 344/6. وإذا كان هذا رأي أبي حيان التّوحيديّ (ت654هـ) في "إنّما" المفتوحة غير الدّالة على الحصر عنده، بعدّه إيّاها حرفاً مصدريةً ينسبُ منه مع ما بعده مصدر، فهو يذهب إلى أبعد من ذلك؛ إذ يقرّر عدم إفادة "إنّما" مكسورة الهمزة أيضاً معنى القصر، مِنْ قِبَلِ أَنَّ "ما" مع "إنّ"، مثلها مع "كأنّ"، ومع "لعلّ"؛ فكما أنّها لا تفيد حصراً في التّشبيه ولا في التّرجي، فهي كذلك لا تفيده مع "إنّ"، كما لم تُفدّه في قوله، حلّ جلاله، في الآية الرّابعة والعشرين من سورة يونس ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلْنَاهُ مِنْ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ﴾ لأنّ "إنّما"، حسبه ليست موضوعة للحصر بذاتها، ولكنّ إنّ فهم معنى الحصر فإنّما يُفهم من سياق الكلام. ينظر: المرجع نفسه: 61/1 و19/5-20 و27-28 و57-58 و139-144 و448-449.

² آل عمران: 144.

³ ينظر: التّخشيبيّ الكشف: 468/1، والسّكاكيّ، مفتاح العلوم: 125، وابن هشام، مغني اللّبيب: 50/1، ولاشين، عبد الفتّاح، البهاء السّبيكي وآراؤه البلاغيّة والنّقديّة، دار الطّباعة الحمّديّة بالأزهر - القاهرة، ط1، 1978م: 101-102.

المبحث التاسع: القصر بالعطف:

إنّ طرائق التعبير في لغتنا العربية تختلف أساليبها، وتتعدّد أشكالها بحسب المعنى المراد إصابته في الكلام أولاً، وحال المخاطب به من حيث علمه بالخبر أو عدمه ثانياً. والعطف واحد من هذه الوسائل اللغوية التي يقتضي استخدامها البناء اللغوي لتراكيب نحوية خاصّة يهدف من ورائها إلى تحقيق معاني ودلالات مقصودة بذاتها من جهة، وطلباً للحقّة والإيجاز من جهة أخرى.

والحروف الموضوعة لتأدية وظيفة العطف في العربية تسعة، وهي: الواو، والفاء، وثمّ، وحتىّ، وأو، وأمّ، ولكنّ، وبل، ولا. فإذا كانت الأربعة الأولى منها تنسّق بين الاسمين مفيدةً اشتراكهما في اللفظ (الإعراب) والمعنى، أحياناً كثيرة، كقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾¹. وإنّ ثبت أنّ الحرف "أو" يأتي لإفادة معنى التخيير بين معطوفاته، نحو قوله، جلّ شأنه: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسْكِ﴾²، وأنّ الحرف "أمّ" لأحد الشيئين: للتعدية كانت كما في قوله عزّ من قائل: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾³، أمّ للتسوية، كقول الخالق جلّ في علاه: ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾⁴. فإذا كان هذا حال الحروف العاطفة المذكورة آنفاً عموماً، فما شأن الثلاثة المتبقية منها ؟ وما شروط عملها عند النحاة ؟ وأيّة أغراض بلاغية، ودلالات معنوية يمكن أن تُستفاد من استعمالها عاطفةً في العربيّة في نحو قولنا مثلاً: "ما جاء خالدٌ بلّ سعيدٌ"، و"جاء خالدٌ لا سعيدٌ" ؟ وأخيراً، هل تفتنّ علماء النحو وعلى رأسهم صاحب الكتاب إلى مسألة إفادة هذه الحروف معنى القصر، أو الحصر ؟

¹ عيس: 25، 26، 27، 28، 29.

² البقرة: 195.

³ الواقعة: 68، 69.

⁴ يس: 10. ولمزيد بسط في عمل هذه الحروف، ينظر على سبيل المثال لا الحصر: سيبويه، الكتاب: 299/1 و 39 و 42، و 8/2، و 52-16/3 و 89 و 169 و 170-175 و 18 و 269، و 126/ و 200 و 217، وابنُ فارس، الصحاحي: 87-90، و 103 و 105 و 108، والشيرازي، شرح اللّمع: 537/1-540، وابنُ النّاظم، شرح الألفية: 519، وابن هشام، جمال الدّين، شرح شذور الدّهب في معرفة كلام العرب، تحقيق: الدّقر، عبد الغني، الشركة المتّحدة للتّوزيع-دمشق، ط1، 1984م: 576/1-577.

ولعمل هذه الحروف في العربية أوجهٌ مختلفة، وشروطٌ معيَّنة، وهو الآتي بيانه:

المطلب الأول: دلالة "بَلْ" على القصر عند النحاة:

له أوجه عدّة في كلام العرب، بياؤها ما يأتي:

1- عملها في جملة النعت والعطف:

معروفٌ، أنّ الحرف "بَلْ" من الحروف التي تأتي في الكلام بمعنى الإضراب عمّا قبلها، وإثبات الذي هو بعدها، وهي في عملها هذا، لها حالتان:

الأولى: أن تقع بعدها جملة، فتكون للإضراب عن الأول إمّا على:

* جهة إبطاله كلياً، وإثبات ما يليها فقط، نحو قول الله، جل ثناؤه: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ﴾.¹

* جهة الانتقال من غرض إلى آخر من دون إبطال حكم الأول، كقوله، عز وجل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾²، وقوله عزّ من قائل: ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ بَلْ فُلُوبُهُمْ فِي غَمَرَةٍ﴾³، وهذه المعاني كلّها قد أشار إليها سيبويه في كتابه، وزادها السّيرافي إيضاحاً من أنّ "بَلْ" لا تأتي دائماً مُبْطِلَةً حُكْمَ ما قبلها على كلّ حال، بل إنّها قد تأتي أحياناً أخرى للإيذان (أي الإعلام) أنّ قصّة الأول قد تَمَّتْ وشُرِعَ في غيرها، كما يقول الشاعر مثلاً: "دَعْ ذَا وَاتْرُكْ ذَا"، وما شابه ذلك عند تمام ما تكلم به، والانتقال إلى غيره.⁴

الثانية: أن يليها مفرد، ولها في ذلك وجهان أيضاً:

¹ المؤمنون: 70.

² الأعلى: 14، 15، 16.

³ المؤمنون: 62، 63.

⁴ ينظر: سيبويه، الكتاب: 224/4، والمبارك، مازن، السّيرافي التّحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه: 529، وابنُ فارس، الصّاحبي: 90، والمراديّ، الجنى الدّاني: 235-236، والتّخشيّ، الكشّاف: 36/3-37، و244/4-245، وابنُ هشام، مغني اللّبيب: 130/1، وابنُ هشام، أوضح المسالك: 482/1، الحاشية رقم: 01، والغلايينيّ، مصطفى، جامع الدّروس العربيّة: 248/3، وعضيمة، محمّد عبد الخالق، دراساتٌ لأسلوب القرآن الكريم: 59/2-60، وبسيوني، كمال، المفردات التّحوية: 90.

أحدهما: أن يجيء الكلام قبلها موجباً غير منفي، فتكون "بل" حينئذ حرف عطف بمعنى الاستدراك، وهو ما يقرره سيبويه في "باب مجرى النعت على المنعوت، والشريك على الشريك، والبدل على المبدل منه، وما أشبه ذلك"¹؛ إذ يرى أن من أوجه ورود النعت في العربية، أن يُفصل بينه وبين منعوته بـ "بل"، كأن يُقال: «مَرَرْتُ بِرَجُلٍ رَاكِبٍ بَلٍّ سَاجِدٍ؛ إِمَّا غَلَطَ فَاسْتَدْرَكَ، وَإِمَّا نَسِيَ فَذَكَرَ»². وهو ما يؤكده في الباب نفسه بقوله إنَّ من النعت أيضا قولنا: «مَرَرْتُ بِرَجُلٍ صَالِحٍ بَلٍّ طَالِحٍ، وَمَا مَرَرْتُ بِرَجُلٍ كَرِيمٍ بَلٍّ لَيْسٍ، أَبَدَلْتُ الصِّفَةَ الْآخِرَةَ مِنَ الصِّفَةِ الْأُولَى، وَأَشْرَكْتُ بَيْنَهُمَا "بَلٍّ" فِي الْإِجْرَاءِ عَلَى الْمَنْعُوتِ. وَكَذَلِكَ: مَرَرْتُ بِرَجُلٍ صَالِحٍ بَلٍّ طَالِحٍ، وَلَكِنَّهُ يَجِيءُ عَلَى النَّسِيَانِ وَالْغَلَطِ؛ فَيَتَدَارَكُ كَلَامُهُ، لِأَنَّهُ ابْتَدَأَ بِوَاجِبٍ»³.

وإذا كان سيبويه يذهب إلى عدِّ "بل"، و"لا بَلٍّ"⁴، و"لكن" حروفَ عطف تُشرك بين النعتين إجماعاً لهما على حُكْمٍ منعوتيهما في الإعراب، تماماً كما هو شأن حروف العطف الأخرى كالواو، والفاء، وثم، وأو، ولا، وإمّا، وما شابهها، كقولنا مثلاً: "مَرَرْتُ بِرَجُلٍ رَاكِبٍ وَذَاهِبٍ، وَ"مَرَرْتُ بِرَجُلٍ رَاكِبٍ فَذَاهِبٍ"، و"مَرَرْتُ بِرَجُلٍ رَاكِبٍ ثُمَّ ذَاهِبٍ"⁵، مشيراً في أثناء ذلك إلى كون هذين الحرفين (أي: بَلٍّ وَلَكِنْ) لا يُبْتَدَأَنَّ، ولا يكونان إلا على كلام سابق تشبيها لهما بإمّا، وأو، ونحوهما⁶؛ فإنه مما يكون جائزاً أيضاً في كلام العرب استخدام هاتين الأداتين العاطفتين في

¹ سيبويه، الكتاب: 421/1.

² المرجع نفسه: 430/1. ويذكر ابن فارس أن "بل" في مذهب بعضهم بمعنى "إن"، كما في قوله تعالى في الآية الأولى من سورة "ص": ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ بَلَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ معللين ذلك أن القسم لا بدَّ له من جواب. ينظر: ابن فارس، الصّاحي: 104.

³ سيبويه، الكتاب: 434/1.

⁴ يحدث أن تُزاد "لا" النافية قبل "بل" على اختلاف النحاة في موضع زيادتها، أ هو خاصُّ بالكلام الموجب، نحو قول الشاعر:

وَجْهُكَ الْبَدْرُ، لَا بَلَّ الشَّمْسُ لَوْ لَمْ .: يُقْضَى لِلشَّمْسِ كِسْفَةٌ أَوْ أَفْؤُلُ

وقولنا: "جَاءَنِي خَالِدٌ لَا بَلَّ سَعِيدٌ"، أم يتعداه إلى ما ورد فيه الكلام منفيّاً، أو شبهه كالنهي، نحو قول الشاعر:

لَا تَمْلِكُ طَاعَةَ اللَّهِ لَا بَلَّ .: طَاعَةُ اللَّهِ مَا حَيَّتْ اسْتَدْبَحًا

ينظر: سيبويه، الكتاب: 439/1-440، وابن هشام، مغني اللبيب: 131/1، والسيوطي، شرح شواهد المغني: 348/1، والشنقيطي، الدرر اللوامع: 250/2-252، والغلاييني، مصطفى، جامع الدروس العربية: 248/3، والدقر، عبد الغني، معجم القواعد العربية: 124.

⁵ ينظر: سيبويه، الكتاب: 429/1 و433.

⁶ ينظر: المرجع نفسه: 90/1، و435-436.

باب البدل كذلك، حيث تُشرك بين الاسم المبدل والمبدل منه في حكم الجرّ مثلاً، في نحو قولنا: "مَرَزْتُ بِرَجُلٍ بَلَّ حِمَارٍ، وَ"مَرَزْتُ بِرَجُلٍ لَأَ بَلَّ حِمَارٍ"؛ إذ إنّه يكون على تفسير: "مَرَزْتُ بِرَجُلٍ حِمَارٍ"، الذي لا يخلو من أن يكون على وجه محالٍ لو قَصَدَ أَنَّ الرَّجُلَ حِمَارٌ، ووجه حسن في حال إرادة إبدال الحمار مكان الرجل. وإما على الغلط والتّسيان فاستدرك، وإما على إضراب المتكلم عن الأوّل وجعل الثاني مكانه؛ لأنّه هو الذي كان معنيّاً ومقصوداً بحكم المرور عليه في أوّل الأمر، لا الذي قبله¹، كشأن المعرفة تماماً التي «تكون بدلاً من المعرفة، فهو كقولك: مررت بعبد الله زيد، إمّا غلطت فتداركت، وإمّا بدا لك أن تُضرب عن مرورك بالأوّل وتجعله للآخر»².

وأمّا الآخر: فأَنْ يتقدّم "بل" نفياً، أو نهيّاً، وتكون إذ ذاك لتقرير ما قبلها على حالته منفياً وجعل ضده لما بعدها، نحو قولنا: "قَامَ زَيْدٌ بَلَّ عَمْرُو"، و: "لَا يَقُمُ زَيْدٌ بَلَّ عَمْرُو"³. وقد مثّل سيبويه لذلك بجملة: "مَا مَرَزْتُ بِرَجُلٍ كَرِيمٍ بَلَّ لَيْمٍ"، حيث أُبدلت الصّفة الآخرة من الأولى، وأشركت بينهما "بل" في الإجراء على المنعوت. وكذلك لو قيل: "مَا مَرَزْتُ بِرَجُلٍ صَالِحٍ بَلَّ طَالِحٍ"، إذ القصد بهذين المثالين، تقرير حكم عدم اتّصاف الرجل الممرور به بصفة الكرم، وإثبات ما هو ضدّ له، وهو كونه لئيماً في الأوّل، ونفي المرور برجل ذي صلاحٍ و النصّ على أنّه عكس ذلك لأنّه طالح في الثاني، وكذلك الحال في: "مَا قَامَ زَيْدٌ بَلَّ عَمْرُو"، و "لَا يَقُمُ زَيْدٌ بَلَّ عَمْرُو"؛ إذ المراد بهما جعل صفة القيام خاصّة بعمره فقط لا زيد، على أنّ الجملة الأولى تدلّ على حدوث فعل القيام لهذا ونفيه عن الآخر في زمن مضى، وهو في الثانية على معنى طلب عدم قيام زيد، وإصاق الفعل في مقابله بعمره؛ لأنّ الكلام مسبوق هنا بحرف التّهي "لا" دلالةً على وقوع الحدث إمّا في وقت إلقاء الخطاب، وهو الحاضر، أو على تنبيه لضرورة وقوعه على هذا الوجه في مستقبل الزّمان⁴.

¹ ينظر: سيبويه، الكتاب: 439/1، وابن فارس، الصّاحي: 103، وابن جني، اللّمع: 93، وابن عقيل، شرح ابن عقيل: 247/3-249، والغلاييني، مصطفى، جامع الدّروس العربية: 145/3.

² سيبويه، الكتاب: 16/2.

³ ينظر: ابن هشام، مغني اللّبيب: 130/1.

⁴ ينظر: التّخشي، المفصل: 405، والمرادي، الجنى الدّاني: 236، وابن هشام، مغني اللّبيب: 130/1، و ابن هشام، شرح شذور الذهب: 577.

ولكن السؤال المطروح هاهنا، هو: إذا كان سيبويه يتحدث عن عطف "بل" لنعتين، إعراباً لا معنى، خاصتين باسم مذكور في أول الكلام، فما الذي يقصده باستخدامه هنا لفظ البدل بقوله: إن الصفة الآخرة أُبدلت من الصفة الأولى؟

يجيب الشنتمري عن هذا، فيقول: إن سيبويه قد استعمل «في هذا الموضع لفظ البدل على غير ما يعتاده التحوّيون، لأنّ البدل في كلامهم هو أن يُقدّر ما قبله مُسقطاً، ويُقَام الثاني مقامه. ونحن إذا قدرنا هذا في هذا الموضع لم يصلح الكلام لأنك لو قلت في كلامك: "مَا مَرَرْتُ بِرَجُلٍ كَرِيمٍ بَلْ لَيْمٍ": "ما مررت برجل لئيم" على قَصْدِكَ المعنى ذاته لانقلب المعنى، فليس هذا المراد، وإنما المراد أنك أبدلت الإيجاب من النفي على ما يصلح من اللفظ والمعنى، فيصير التقدير: "مَا مَرَرْتُ بِرَجُلٍ كَرِيمٍ بَلْ مَرَرْتُ بِرَجُلٍ لَيْمٍ". وكذلك "مَا مَرَرْتُ بِرَجُلٍ صَالِحٍ وَلَكِنْ مَرَرْتُ بِرَجُلٍ طَالِحٍ"، فالأول من الكلام مُطَرَّحٌ غير معمول به، والثاني هو المعتمد عليه؛ فأبدل كلاماً معتمداً عليه من كلام مُطَرَّحٍ وهو معنى البدل».¹

وإتباع النعتين المعطوفين بالحرف "بل"، في إعرابهما على منعوتهما ليس واجبا في كل حال، حسب سيبويه الذي يوضح ذلك قائلا: «وإن شئت رفعت فابتدأت على "هو"؛ فقلت: "مَا مَرَرْتُ بِرَجُلٍ صَالِحٍ وَلَكِنْ طَالِحٍ"، و"مَا مَرَرْتُ بِرَجُلٍ صَالِحٍ بَلْ طَالِحٍ"، و"مَرَرْتُ بِرَجُلٍ صَالِحٍ بَلْ طَالِحٍ"؛ لأنها من الحروف التي يُبتدأ بها.

ومن ذلك قوله: عز وجل: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾². فالرفع هاهنا بعد النصب كالرفع بعد الجرّ، وإن شئت كان الجرّ على أن يكون بدلا على الباء».³

وسيبويه إذ يمثّل بجملة: "مَا مَرَرْتُ بِرَجُلٍ صَالِحٍ بَلْ طَالِحٍ"، برفع كلمة "طالح"، فهو يشير إلى جواز قطع النعت المعطوف بـ "بَلْ"، في قولنا: "مَا مَرَرْتُ بِرَجُلٍ صَالِحٍ بَلْ طَالِحٍ"، إلى الرفع على أنّه خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: "مَا مَرَرْتُ بِرَجُلٍ صَالِحٍ بَلْ هُوَ طَالِحٍ"، بدليل تعليل صاحب

¹ الأعلام الشنتمري، التكت: 437/1-438.

² الأنبياء: 26. وواضح أنّ عمل "بل" في هذه الآية الكريمة ممّا يَظَل فيه حكم الأول إبطالا كلياً؛ لأنّ "بَلْ" واقعة هنا بعد غلط بَيّن، ولكنّه ليس من جهة الخالق، فحاشاه سبحانه وتعالى عن كلّ خطأ ونسيان، ولكنّه خطأ إمّا لحق الكافرين القائلين به، فردّ عليهم، ربّ العزّة أنّه "مَا اتَّخَذَ وَلَدًا" ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾. ينظر: سيبويه، الكتاب: 440/1، وابن فارس، الصحاحي: 90، والزمخشري، الكشاف: 569/2، وعزيمة، محمد عبد الخالق، دراسات لأسلوب القرآن الكريم: 60/2.

³ سيبويه، الكتاب: 435/1.

الكتاب لذلك بقوله: "وإن شئت رفعت فابتدأت على "هُوَ"، على أن "بل" من الحروف التي يمكن الابتداء بها بعد كلام سابق لها.¹

وليس قطع التعت إلى الرفع بعد "بل" للخبرية وقفا على ما كانت فيه "بل" عاطفة لنتع على آخر، وإنما يطرد هذا الأمر حتى على ما ورد فيه هذا الحرف متوسطا (واقعا) بين المبدل منه والبديل، عطفا للثاني منهما على الأول إعرابا. يوضح سيبويه هذا المعنى قائلا: «ومن ذلك: مَا مَرَرْتُ بِرَجُلٍ بَلْ حَمَارٌ، و"مَا مَرَرْتُ بِرَجُلٍ وَلَكِنْ حَمَارٌ". أَبَدَلْتُ الْآخِرَ مِنَ الْأَوَّلِ وَجَعَلْتُهُ مَكَانَهُ. وقد يكون فيه الرفع على أن يُذَكَّرَ الرَّجُلُ، فيقال: مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرِهِ، فتقول أنت: قَدْ مَرَرْتُ بِهِ، فما مررتُ بِرَجُلٍ بَلْ حَمَارٌ، ولكن حَمَارٌ. أي بل هو حَمَارٌ. ولكن هو حَمَارٌ».²

والقصد بهذا الكلام، أن الرفع في كلمة "حَمَارٌ" في هذين المثالين، ببلٍ ولكن، محمول أيضا على أن في الجملة مبتدأ مضمرا، تقديره: "هُوَ"، خبره "حَمَارٌ".³ وهو ما يزيده سيبويه جلاءً، إذ قال مبيّناً أن «لو ابتدأت، فقلت: مَا مَرَرْتُ بِرَجُلٍ وَلَكِنْ حَمَارٌ، تريد: ولكن هو حَمَارٌ؛ كان عربياً، أو: لَا بَلْ هُوَ حَمَارٌ كَانَ ذَلِكَ، كَأَنَّهُ قَالَ: وَلَكِنْ الَّذِي مَرَرْتُ بِهِ حَمَارٌ»⁴، ليعبر أن الرفع في مثل هذا إنما يكون أحسن «إذا كان قبل ذلك منعوت فأضمّرتَه، أو اسم فأضمّرتَه أو أظهرتَه فهو أقوى لأنك تُضَمِّرُ ما ذكرتَ، وأنت هنا تُضَمِّرُ ما لم تذكرَ، وهو جائز عربي؛ لأنّ معناه: "مَا مَرَرْتُ بِشَيْءٍ هُوَ رَجُلٌ"، فجاز هذا كما جاز المنعوت المذكور، نحو قولك: "مَا مَرَرْتُ بِرَجُلٍ صَالِحٍ بَلْ طَالِحٍ».

ومثل ذلك قوله، عز وجل: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾⁵. فهذا على أنهم قد كانوا ذكروا الملائكة قبل ذلك بهذا، وعلى الوجه الآخر. والمعرفة والتكررة في "لكن"، و"بل"، و"لا بل" سواء.⁶

¹ ينظر: ياقوت، محمود سليمان، شرح جمل سيبويه: 295/1.

² سيبويه، الكتاب: 439/1.

³ ينظر: ياقوت، محمود سليمان، شرح جمل سيبويه: 499/1.

⁴ سيبويه، الكتاب: 440-439/1.

⁵ الأنبياء: 26.

⁶ سيبويه، الكتاب: 440/1.

والظّاهر هنا، أنّ سيبويه، وإن كان يُجيز رفع ما بعد "بل" العاطفة سواء أكانت واقعة في الكلام بين نعتين، أم بين بدلٍ ومبدلٍ منه، فهو يرى أنّ إظهار المبتدأ: "هو" بعد "بل" إنّما يكون قوياً في مثل هذا، إذا كان صدر الكلام قد سبق وأن عُرِف فيه بالاسم الذي يعود عليه الضمير "هو" بالتعرّض لذكره، والتّنبية إليه، نحو قولنا في باب النّعت: "ما مررتُ برجلٍ صالحٍ بل طالحٌ"، إذ كان رفع "طالح" فيه على أنّه خبر مبتدأ محذوف تقديره: "هو"، وهذا الأخير يرجع إلى المنعوت المذكور "رجل" فحسُن الإضمار من أجل ذلك. في حين أنّ قولنا: "ما مررتُ برجلٍ بل حمّارٌ" لا يقوى فيه الرّفع في الاسم التّالي لـ "بل"، على تقدير مبتدأ محذوف "هو"؛ لأنّ الأخير لم يجزِ ذكره في أوّل الجملة، إذ كان أصلها: "ما مررتُ بشيءٍ هو رجلٌ"، فلمّا حُذِف لفظ "شيء" الذي يعود عليه الضمير "هو" لم يكن حسناً فيه الرّفع، وإن كان جائزاً عريّاً.¹

وعموماً، فسواء أكان الرّفع في مثل هذا قوياً أم جائزاً، فإنّ الواضح هنا أنّ سيبويه يعرض لأحوال الاسم المعطوف بالحرف "بل" حين تكون أداة عطف بمعنى الاستدراك، إذ كما يتجلّى من شواهد هاهنا، وكما يشترط جمهور النّحاة لعملها هذا شرطين اثنين: أولهما: إفراد معطوفها، أي: أن يكون مفرداً، لا جملة.

وثانيهما: أن تُسبق بنفي أو نهي، هذا مع ملاحظة أنّ "بل" لا يُعطف بها بعد الاستفهام، فلا يقال مثلاً: "أَضَرَّتْ أَخَاكَ بَلٌ زَيْدًا"؟²

هذا كلّهُ، دون إغفال التّظّر، كما أشار إلى ذلك سيبويه، عن مسألة حكم الاسم المعرفة المعطوف بـ "بل"، و"لا بل"، و"لكن"، والنّصّ على أنّه هو نفسه المدروس، الذي سبق توضيحه في حال مجيء هذا الاسم نكرة؛ إذ كما كان المعنى في: "ما مررتُ برجلٍ صالحٍ بل طالحٌ" على نفي ما قبل "بل"، ولكن، وإثبات ضده لما بعدها، فكذلك الحال مع كون هذا المعطوف معرفة، إذا قلنا: "ما مررتُ بالرّجلِ الصّالحِ بل الطّالحِ"، هذا إضافة إلى جواز قطع ما بعد هذه الحروف على الخبرية بتقدير مبتدأ محذوف في الكلام، تقديره: "ما مررتُ بالرّجلِ الصّالحِ بل هو الطّالحُ". وهذا ما بيّنه

¹ ينظر: الأعلام الشّتمري، التّكت: 441/1.

² ينظر: الرّمحشري، الفصل: 405، والمرادي، الجنى الدّاني: 591، وابن هشام، مغني اللّبيب، 130/1، وابن هشام، أوضح المسالك: 482/1، والغلاييني، مصطفى، جامع الدّروس العربيّة: 248/3، والدّقري، عبد الغني، معجم القواعد العربيّة: 124، وبسيوني، كمال، المفردات النّحوية: 91.

سيبويه في "باب مجرى نعت المعرفة عليها"¹، إذ يقول: «وإذا قلنا: مَرَرْتُ بِرَجُلٍ الرَّاعِ ثُمَّ السَّاجِدِ، أَوِ الرَّاعِ فَالسَّاجِدِ، أَوِ الرَّاعِ لَا السَّاجِدِ... فَإِنْ أَدَخِلْتَ "بَلَّ" وَلَكِنْ" جاز فيهما ما جاز في التَّكْرَةِ، فعلى ذلك فَقَسْ في المعرفة، وقد مضى الكلام في التَّكْرَةِ، فأغنى عن إعادته في المعرفة لأنَّ الحكم واحد»².

وبعد، إن كان هذا عن تأدية الحرف "بل" لوظيفة العطف في العربية، وحال الاسم المعطوف بها. فما الوجه في إفادة هذه الأداة اللغوية معنى القصر عند النحاة؟ وهل صرَّح بذلك أم أنَّ ذلك ممَّا يُسْتَنْطَق استنتاجاً؟

2- بل الحاصرة عند النحاة:

إنَّ النُّحَاةَ، وإنَّ لم يفصلوا الكلام في مسألة العمل البلاغيِّ والدلالي لـ (بل) العاطفة من جهة تضمنها لمعنى القصر من عدمه؛ فإن ذلك ممَّا يمكن تحديد بعض جوانبه المعنوية، من خلال الآتي ذكره:

أ- إيراد النُّحَاة لشواهد عمل "بل" العاطفة، و"لكن" برفقتها، منفيةً كُلُّها من ناحية، وتعليقُهم على ما جاء منها في تراكيب موجبة نحو: "مَرَرْتُ بِرَجُلٍ صَالِحٍ بَلَّ طَالِحٌ"، أنَّه إمَّا يجيء على الغلط أو النسيان من ناحية أخرى، يوحي أنَّ هذا المثال إمَّا قيل ابتداءً فغلط فيه صاحبه، بينما استعمال "بل" بعد النفي لا يكون إلَّا ردًّا على كلام سابق، كأنَّ صاحبه قال لآخر: "مررت برجلٍ صالحٍ"، فأنكر المخاطب ذلك نافيةً إيَّاه بالحرف "ما" أولاً، ومُثَبِّتاً في الوقت نفسه عكس ذلك تماماً بوساطة "بل" ثانياً. وهو ما قد يوحي بتفطُّن سيبويه لدور "بل" العاطفة في الكلام المنفي على أنَّ فيها تضمناً لقصر شيء على شيء، كما هو هنا بالنسبة إلى المرور الذي كان بالرجل الطالح مع انتفائه عن أن يكون قد تمَّ برجل صالح.

ب- كما سبق، فسيبويه يبيِّن إدخال "لا" النافية بعد "بل"، كما في: ما مررت برجلٍ حمارٍ، الذي يرى أنه على معنى لو قيل: ما مررت برجل لا بل حمارٍ تأكيداً لحكم النفي أو النهي

¹ سيبويه، الكتاب: 5/2.

² المرجع نفسه: 8/2.

عن الأول بلا¹ هو ما استطاع تأويله على أن فيه قصداً إلى إبانة وتحقيق معنى النفي عما ذكر ابتداءً، وإثبات ضده لما بعد "بل" انتهاءً، كأنه قد قيل: "إنما مررتُ بحمارٍ لا برجلٍ".

ج- كما أُشيرَ إلى ذلك، فسيبويه قد استخدم لفظ البدل في معرض بيانه لمعنى قولنا: "ما مررتُ برجلٍ كريمٍ بل لئيمٍ، وما مررتُ برجلٍ صالحٍ بل طالحٍ"، وهو ما شرحه الشنتمري بكون المراد به أنما هو إبدال الإيجاب من النفي، أي: طرح أول الكلام الوارد منفيًا لأنه غير معمول به، وإثبات الثاني وهو الموجب بـ "بل" لأنه هو المعتمد عليه. ولعلَّ هذا ما يدلُّ بوضوح على عمل "بل" عاطفة في كلام منفي المتمثل في إدخال الشيء في حكم واحد، أو الحكم في شيء واحد كفعل المرور الحاصل هنا بالرجل اللئيم والرجل الطالح، لا بالكريم والصالح على الترتيب.

3- حقيقة القصر بـ بل :

بما أنّ عدَّ "بل" حرف عطف مشروطٌ بكون المعطوف بها اسماً مفرداً، والكلام قبلها مسبوق بنفي أو نهي، كما في نحو: "ما جاءَ خالدٌ بلٌ سعيدٌ"، و"لا تُقاطعِ الجامعةَ بلٌ أصدقاءُ السوءِ"؛ فإنَّ ذلك ما يدلُّ على أنّ لتركيب أسلوب القصر المستفاد بوساطة بل بناءً خاصاً. وبيانه أننا لو أخذنا العبارة الأولى مثلاً؛ لوجدنا أنّها قد صُدِّرت بنفي فعل المجيء عن خالد، ثم استُدِّرِكَ الكلام بعدها بـ "بل" التي أثبتت هذا المجيء المنفي عن الاسم المذكور آنفاً، لشخص آخر، وهو سعيدٌ وحده، عكس اعتقاد المخاطب الذي تَوَهَّه أنّ الجائي إنّما كان خالداً لا سعيداً.

ولأنَّ في الجملة قلباً كلياً لما كان يعتقد المخاطب بهذا الكلام من جهة، فإنَّ هذا ما معناه تحقُّق القصر هنا لا محالة. وهو من قبيل قصر القلب، لأنَّ "بل" لا ترد مستعملة بعد نفي إلا في قصر القلب؛ إذ كان الكلام ردّاً على آخر سابق له. وكذلك الحال إذا وردت بعد حرف نهي، نحو: "لا تُقاطعِ الجامعةَ بل أصدقاءُ السوءِ"، إذ الغرض منه أمر المخاطب بمقاطعة هؤلاء الأصدقاء لا بمقاطعة الجامعة كما ظنَّ هو واعتقد.²

¹ ينظر: الشنقيطي، الدرر اللوامع: 450/2.

² ينظر: ابن هشام، قطر الندى وبل الصدى: 333-334، و ابن هشام، أوضح المسالك: 488/1.

المطلب الثاني: (لكنّ) الحاصرة:

معلوم أنّ "لكنّ" المشدّدة من أخوات "إنّ" النّاصبة الّتي تدخل على جملة المبتدأ والخبر، فتنبص الأوّل على أنّه اسمها، وترفع الثّاني لأنّه خبرها. وتأتي مفيدةً معنى الاستدراك في الكلام، نحو: "ما هذا أبيض لكنّه أسود"، و"ما هذا متحرّكاً لكنّه ساكن".¹

ويحدث أن تُخفّف "لكنّ" المشدّدة هذه، فتؤول إلى "لكنّ" الساكنة، فتُهمَل عند جمهور النّحاة، ويبقى ما بعدها على ما كان عليه من دون أن تغيّر فيه شيئاً. وتعدّ إذ ذاك عاطفة لما بعدها على الّذي قبلها إعراباً، لا معنى، نحو قولنا: "ما بَحَّحَ سَعِيدٌ لكنّ عَمْرُو"، و"لا تَضْرِبْ زَيْدًا لكنّ خَالِدًا".²

وإذا كان عمل "لكنّ" المخفّفة يصير إلى إفادة معنى العطف، فما شروط ذلك فيها عند سيبويه ؟ وأيّة دلالات بلاغية ومعنوية تُستفاد من دخولها في تراكيب نحوية كالمثالين الأخيرين ؟ ثمّ أخيراً هل تلمّس النّحاة إفادتها معنى القصر مثل نظيرتها بل ؟

1- شروط عملها:

يرى سيبويه، وجمهور النّحاة على اختلاف بينهم، أنّ "لكنّ" إذا توسّطت جملتين، في نحو: "ما لقيت زيدا ولكن عمراً مررت به"، وقولنا: "ما رأيت زيدا بل خالدا لقيت أباه"، فإنّها تكون حينئذ حرف عطف، لأنّ هذا يجري مجرى قولنا: "لقيت زيدا وعمرا لم ألقه"، على إعمال الفعل في الاسم الّذي بعد "لكنّ" ؛ لأنّها و"بل" «لاتعملان شيئا وتُشركان الآخر مع الأوّل، لأنّهما كالواو، وثمّ، والفاء. فأجرهما فيما كان النّصب فيه الوجه، وفيما جاز فيه الرفع».³

أمّا في حال عطفها مفرداً على مفرد، فيشترط سيبويه كون الكلام قبلها منفياً لا موجبا، في نحو: "ما مررت برجل صالح لكن طالح"؛ إذ إنه لو قيل: "مررت برجل صالح لكن طالح"، «فهو

¹ نشير هنا أن معنى الاستدراك الذي تفيده "لكنّ" المشدّدة، هو تعقيب الكلام بنفي ما يتوهم ثبوته، أو بإثبات ما يتوهم نفيه. ومثال الأوّل: "عليّ شجاع لكنه بخيل"، إذ دفعت "لكنّ" توهم أنه كريم ملازمة الكرم للشجاعة. ومثال الثّاني: "خالّد فقيّر لكنّه كريم"، حيث رُدّ ولكن اعتقاد كون خالد بخيلاً لفقره. ينظر: ابنُ فارس، الصّاحي: 124-125، وابنُ النّاظم، شرح الألفية: 161، وابنُ هشام، مغني اللّبيب: 320/1، وابنُ هشام، قطر النّدى: 162، والدّقر، عبد الغني، معجم القواعد العربيّة: 376، وبسيوني، كمال، المفردات النحوية: 160.

² سيأتي بيان ذلك لاحقاً إن شاء الله تعالى.

³ سيبويه، الكتاب: 90/1. وينظر: ياقوت، محمود سليمان، شرح جمل سيبويه: 59/1.

محال؛ لأنّ لكنّ لا يُتدارك بها بعد إيجاب، ولكنها يُثبت بها بعد النفي¹. وهو ما يؤكّده في موضع آخر بقوله: «وأما "لكنّ" خفيفة، وثقيلة فتوجب بها بعد نفي²».

ومعنى هذا، أنّ "لكنّ" لا يجوز أن تدخل على كلام موجب إلّا لترك قصّة إلى قصّة تامة، نحو قولنا: "جاءني عبد الله لكنّ زيد لم يجرى"، ولو قيل: "مررت بعبد الله لكن عمرو"، لم يجر؛ لأنّ "لكنّ" لما خففت، وصارت عاطفة مفرداً على مفرد، وُضعت للاستدراك بعد النفي، إذ يُثبت بوساطتها للتّاني ما نُفي عن الأوّل، وهي إنّما كانت كذلك لأنّها للاستدراك فلا تقع مبتدأة³. وإذا ثبت أنّ "لكنّ" تأتي بمعنى العطف بعد النفي، أو النّهي، فما حقيقة دخول الواو عليها؟ وهل يكون العطف إذ ذاك "لواو" أم لها؟ وما دليل ذلك من الكتاب؟

إنّ الظاهر في هذا الموضوع، هو تباين آراء النحاة في مسألة مجيء لكنّ مسبوقاً بواو العطف من مجيز لذلك، ومانع، كما اختلف كثيرا في تأويل كلام سيبويه وفهمه. وبيان ذلك أنّ صاحب الكتاب قد نوّع في استعمال لكنّ العاطفة لمفرد على مفرد؛ إذ إنه مثّل لها في مواضع قليلة بلا واو، كما في قوله: "مَا مَرَزْتُ بِرَجُلٍ صَالِحٍ لَكِنْ طَالِحٌ"⁴، وساقها مع الواو في أمثلة كثيرة من كتابه⁵. ومن هنا، تعدّدت تأويلات النحاة بَعْدَهُ بخصوص عمل لكنّ عنده. فمنهم من يرى أنّ الواو معها زائدة، وعليه ينبغي أن يُحمّل كلام سيبويه. وهناك من قال إنّ "لكنّ" تبقى عاطفة، والأمر بالخيار في الإتيان بواو العطف. ومنهم من فهم أنّ "لكنّ" ليست عاطفة، بل هي حرف استدراك، والواو قبلها عاطفة لما بعدها، مفرداً على مفرد، وآخرون ذهبوا إلى الرّأي الأخير، لكنّها عاطفة جملة على جملة. على أنّ منهم من يذهب إلى بقاء "لكنّ" على معنى الاستدراك، سواء سُبِقَتْ بواو أو لا⁶.

¹ سيبويه، الكتاب: 435/1.

² المرجع نفسه: 232/4.

³ ينظر: ابن السّراج، الأصول في التّحو: 290/1، والمبارك، مازن، السّيرافي التّحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه: 545.

⁴ ينظر: الكتاب: 435/1.

⁵ ينظر: المرجع نفسه: 435/1 و439 و440 و77/3.

⁶ ينظر: الرّمحشريّ، المفصل: 405، والمراديّ، الجنى الداني: 587-589، وابن هشام، مغني اللّبيب: 322/1، وابن هشام، أوضح المسالك: 481/1، وابن النّاظم، شرح الألفية: 538، والشّنقيطيّ، الدّرر اللوامع: 456/2، ونحلة، محمد أحمد، مدخل إلى دراسة الجملة العربية، دار التّهضة العربيّة للطّباعة والنّشر-بيروت، د.ط، 1480هـ-1980م: 151-152،

وعلى كلٍّ، فما يهَمُّنا هنا بيان وظيفة "لكن" الدلالية إذا عطفت مفرداً على مفرد في كلام غير موجب، إذ تكون للاستدراك.

2- "لكن" الحاصرة:

قد تكون كذلك في:

أ- في الجملة الفعلية:

في واقع الأمر، إنَّ موضوع عدِّ الحرف "لكن" للقصر من عدمه، أمر يكون قد تبَيَّن ملاحظه الكبرى في معرض حديثنا عن وظيفة "بل"، حيث كما ظهر جلياً من استعمالات سيبويه لشواهد هذه الأداة العاطفة، أنَّها جاءت مقترنة في أغلب أحوالها بإيراد "لكن" إلى جانبها استشهاداً من صاحب الكتاب على نوع وظيفتها المشابهة تماماً لما تُؤدِّيهِ "بل" من دور العطف لاسم على اسم آخر قبله، في كلام مسبوق إمَّا بنفي أو نهي. وعموماً، فمظاهر عمل الحرف "لكن" العاطف، دلالة على "معنى القصر" بوساطتها تتمثل في:

1- إنَّ عمل "لكن" مشروط، كما سبق، إفادتها معنى القصر بأمرين، هما:

أ- عطْفُها مفرداً على مفرد.

ب- وجوب كون الكلام قبلها منفياً لا مثبتاً؛ لأنَّ إدخالها في جملة موجبة يقتضي عنه كلام محال، كما عبَّرَ عن ذلك سيبويه، وعموم النحويين من بعده.¹

أمَّا فيما يخصُّ اقتراحها بالواو، فصاحب الكتاب لم يُثبِت عنه مذهبه الدقيق في ذلك، بالنظر إلى تمثيله لـ "لكن" بالواو، وبدونها أحياناً كثيرة.

2- يتَّضح مما مضى تفصيله أثناء الكلام عن عمل "بل"، أنَّه كما يجوز الرفع في المعطوف

بعدها قطعاً له من الإتيان على النعتية (الوصفية) إلى الرفع على الخبرية، في نحو: "ما مررتُ برجلٍ صالحٍ بل طالح"، فإنَّ ذلك ينطبق أيضاً على "لكن"، إذ نقول: "ما مررتُ برجلٍ صالحٍ لكن"

والغلاييني، مصطفى، جامع الدروس العربية: 248/3، و الحمد، علي توفيق، والزعي، يوسف جميل، المعجم الوافي في النحو العربي: 282-283، وبسيوني، كمال، المفردات النحوية: 160.

¹ ينظر: سيبويه، الكتاب: 35/1، وابن السَّراج، الأصول في النحو: 290/1، وابنُ الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف: 284/2-285، والمرادي، الجنى الداني: 590-591.

طاح¹، على أنّ "طاح" خبر لمبتدأ محذوف تقديره: "هو".¹ وكذلك الحال في باب البدل، إذ يجوز قولنا: "ما مررتُ برجلٍ ولكنّ حمّاز"، إبدالا للآخر من الأوّل، إذ معناه: "و لكنّ هو حمّاز".²

3- لأنّ عطف "لكنّ" ما بعدها يوجب إثباتها الحكم المنفيّ عمّا قبلها للاسم المعطوف بها فقط؛ فإنّ ذلك مما يلزم عنه أنّ "لكنّ" تشترك مع "بل" في إفادتها لمعنى القصر من وجهين: أحدهما: أنّها عاطفةٌ مثلها.

وثانيهما: أنّها لا تستعمل إلّا لقصر القلب كـ "بل" لأنّها تقلب اعتقاد السّامع رأساً على عقب برّدّه عن الخطأ في الحكم إلى الصواب، كمن يظنّ أنّ خالداً شاعر، فيصحّ اعتقاده هذا على أنّه "ناثر"، بجملة: "ما خالّد شاعراً لكنّ ناثر"، أو ناثرًا، كما كنّا نوّدي الغرض نفسه بـ بل، إذا قلنا: "ما خالّد شاعرٌ بل ناثر". وهو معنى جملة سيبويه: "ما رأيّتك عاقلاً ولكنّ أحمقاً"³؛ إذ المراد بها سلب حكم ما قبل "لكن" كأنّه مسكوت عنه، وإثبات ضده للذي بعدها، قلباً لما كان يعتقده في نفسه من اتّصافه بالعقل، فأنكر ذلك عليه ظنّه هذا وأثبت له صفة الحمق. وكذلك يكون المعنى على ردّ اعتقاد السّامع إلى نقيضه، إذا قلنا مثلاً: "ما أنت صالحاً ولكنّ طاح⁴؛ برفع كلمة "طاح" على الخبرية لمبتدأ محذوف، تقديره: "أنت".⁴

ب- في الجملة الاسميّة:

ولعلّه ممّا يكون جديراً بنا الإشارة إليه في هذا المقام، هو التّنبية إلى أنّه إذا كان تقدير النّحاة للكلام الوارد بعد "لكنّ" العاطفة مفرداً على مفرد مختلفاً فيه، بحسب مذهب كلّ منهم في مسألة إعمال هذا الحرف عمل "لكنّ" المشدّدة من عدمه⁵ فابن مالك مثلاً يرى أنّ "لكنّ" في قولنا: "ما قام سعدٌ ولكنّ سعيدٌ" حرف استدراك، والواو قبلها عاطفة جملة على جملة، مع إضمار عامل مناسب لها؛ إذ يكون تقدير الكلام في المثال السابق: "ما قام سعدٌ ولكنّ قام سعيدٌ". أمّا ابن

¹ ينظر: سيبويه، الكتاب: 435/1.

² ينظر: المرجع نفسه: 439/1-440.

³ ينظر: المرجع نفسه: 77/3. وقد ساق سيبويه هذه العبارة مثلاً عن إهمال "لكنّ" الساكنة، في معرض حديثه في "باب يذهب فيه الجزاء من الأسماء؛ عن حروف لا تحدث فيما بعدهن من الأسماء شيئاً، فتدخل على المبتدأ والخبر ولا يغيّر الكلام عن حاله". ينظر: المرجع نفسه: 74/3-75.

⁴ ينظر: المرجع نفسه: 136/2.

⁵ ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب: 322/1، والمرادي، الجني الداني: 588.

يعيش، فينصّ على أنّ "لكنّ" في مثل هذا عاملة على الرغم من تخفيفها، فلو قلنا: "ما جأني زيدٌ لكنّ عمرو"، ف (عمرو) مرتفعٌ بـ "لكنّ"، والاسم مضمر محذوف، كما في قوله: *ولكنّ زنجي عظيم المشافر* آنف الذكر؛ فالظاهر أنّ جمهور النحويين يتفقون في عمومهم على لزوم رفع الاسم الواقع بعد "بلّ ولكنّ" في حال كون الجملة قبلها اسميةً منفيةً بـ "ما"، وذلك نحو قولنا: "ما زيد قائماً بل قاعدٌ"، أو "لكنّ قاعدٌ"، بدليل أنّ صاحب الكتاب قد علّق على قول الشاعر، وهو الأخضر بن هبيرة: ¹

فَمَا كُنْتُ ضَعْفًا وَلَكِنْ طَالِبًا .: أَنَا حَقْلِيًّا فَوْقَ ظَهْرٍ سَبِيلٍ

بأنّه على معنى: "ولكنّ طالبا منيخا أنا"، بحذف خبر "لكنّ" المشدّدة "أنا"، مبرهنا بذلك على أنّ النصب فيما بعد "لكنّ" على حذف خبرها أجود في كلام العرب، بخلاف قول الفردق: ² *ولكنّ زنجي عظيم المشافر* الجائز فيه حذف اسم "لكنّ"، على أنّ "زنجي" خبره؛ إذ يرى سيبويه أنّ النصب في مثل هذا أجود و أكثر؛ «لأنّه لو أراد إضممارا لحقّف، ولجعل المضمر مبتدأ، كقولك: "ما أنت صالحاً ولكنّ طالح"، ورفع على قوله: "ولكنّ زنجي". ³

والذي يفهم من ظاهر كلام سيبويه هنا، أنّه إذ يحمل (يشبّه) حذف اسم "لكنّ" في جملة: "ولكنّ زنجي"، المقدّر بكاف الخطاب للمفرد، على إضممار المبتدأ بعد "لكنّ" المخفّفة، إنّما يشير إلى إهمال هذه الأخيرة؛ إذ قدّر ما بعدها مبتدأ وخبراً، ولو كانت عاملة ما جاز ذلك أبداً، بل لكان واجبا أحد أمرين: إمّا الرفع في كلمة "طالح" على أنّها خبر لكنّ واسمها محذوف، أو النصب فيها كونها اسم "لكنّ" والخبر محذوف، كما سبق مع لكنّ.

وإذا ثبت من هذا، أنّ "لكنّ" في جملة: "ما أنت صالحاً ولكنّ طالح"، مهملةٌ مقدّرٌ فيها الكلام على: "ما أنت صالحاً ولكنّ أنت طالح"، فعليه يُحمَل قولنا: "ما زيدٌ قائماً بلّ هو قاعدٌ"،

¹ البيت في: سيبويه، الكتاب: 136/2. والضّفاف: الذي يختلف على الإبل أو الحُمُر من قرية إلى قرية يجلب الميرة والمتاع، والطّالب هنا: طالب الإبل الضّالة. ينظر: المرجع نفسه: 136/2، الحاشية رقم: 05، والجوهري، الصحاح: مادة (ضَفَّ) (1391/4).

² البيت في: سيبويه، الكتاب: 136/2. والمشافر: واحده شُفْرٌ، واحدٌ أَشْفَارٍ العين، وهي حروف الأجناف التي ينبت عليها الشعر، وهو الهُدْبُ. ينظر: الجوهري، الصحاح: باب الرّاء، فصل الميم (701/2).

³ ينظر: سيبويه، الكتاب: 136/2.

أو: "لكنّ قاعدٌ"، أنّ فيه حذفاً لمبتدأ بعد "بل" و"لكن" تقديره"، كأنّه قيل: "ما زيدٌ قائماً بل هو قاعدٌ"، أو: "لكنّ هو قاعدٌ".

ولكنّ، لمّ كان واجبا الرّفْع فيما بعد هذين الحرفين إذا رُكبا في جملة اسمية منفية بما الحجازية، وامتنع النّصب فيه عطفاً له على ما قبله ؟

إنّ علّة ذلك تكمن في كون "ما" الحجازية لا تعمل في كلام موجب، كما إذا انتقض خبرها بإلّا الحاصرة، وهي لما كانت لا تعمل إلّا في منفيّ من ناحية، ولأنّ "بل" و"لكن" توجبان الحكم المنفيّ عما قبلهما لما بعدهما من ناحية أخرى؛ لم يصحّ نصب الاسم الواقع بعدهما عطفاً له على ما هو منفيّ قبله بما، فلا يقال مثلاً: "ما أنت صالحاً ولكنّ طالحاً" ولا: "ما زيدٌ قائماً بلّ (لكنّ) قاعداً"، وكان لازماً مخالفتُهُ في اللفظ لاختلافهما في المعنى.

وهو شأن "ليس" من باب أولى، بالنّظر إلى أنّ "ما محمولة" عليها، إذ لا يجوز مثلاً: "ليس خالد شاعراً بل كاتباً"، ولا: "ليْسَ المحسِنُ عَمراً لكنّ سليماً". بل يجب الرّفْع هنا أيضاً لئلاّ يُعطف كلام موجب بـ (بلّ ولكنّ) على آخر منفيّ بليس، مع ملاحظة صواب نحو: "ليْسَ خالدٌ شاعراً ولا كاتباً"، وجواز، و"لا كاتبٌ" أيضاً، والنصب أولى.

هذا، من دون إغفال التذكير بأنّ "بلّ ولكنّ" لا تُعدّان في مثل هذه التراكيب اللغوية عاطفتين لما مضى شرحه، بل هما حرفا ابتداء؛ لأنّ ما بعدها جملة مبتدأ و خبر.¹

وإنّ كان هذا عموماً، عن عمل الحرفين "بلّ ولكنّ" في أسلوب القصر، وأحوال الاسم الّذي يليهما. فما موقع "لا" العاطفة من هذا كلّهُ ؟ وما الوجه في إفادتها معنى الحصر؟

المطلب الثالث: "لا" العاطفة:

ويجدر بنا التذكير أولاً بما يلزم توفّره لتكون كذلك:

¹ نشير هنا، أنّ المبرّد من النّحاة القلائل الّذين أجازوا أن تكون "بل" ناقلة حكم التّفي والتّهي المقرّر لما قبلهما إلى ما بعدهما، فيصحّ حسبهم، قولنا: "ما زيدٌ قائماً بلّ قاعداً، وبلّ قاعدٌ" على اختلافٍ في المعنى. ينظر: ابن هشام، مغني اللّبيب: 131/1، وابن هشام، أوضح المسالك: 145/1، والشّنقيطي، الدّرر اللّوامع: 449/2-450، والغلاييني، مصطفى، جامع الدّروس العربيّة: 293/2، وياقوت، محمود سليمان، شرح جمل سيبويه: 295/1.

1- شروط عملها العطف عند جمهور النحاة:

يعدّ الحرف "لا" ثالث حروف العريية، بعد "بل" ولكن، العاطفة المتحقّق بوساطة استخدامها في تركيب لغوي معين معنى قصر الشّيء على شيء آخر، بالنسبة إلى كونه منفياً عن اسم سبق في الكلام قبله.

ومن أجل ذلك، يشترط جمهور النحويين لعملها هذا شروطاً ثلاثة، هي:

أولاً: أن يتقدّمها إثبات، كـ "جاء زيد لا عمرو"، أو أمر نحو: "إضرِبْ خالدًا لا سعيداً"، و"خُذِ القلمَ لا الكتاب"، وأضاف سيبويه: أو نداء، كقولنا: "يا ابنَ أخي لا ابنَ عمّي"، هذا مع ملاحظة لزوم كون معطوفها مفرداً، لا جملة.

ثانياً: عدم اقترانها بحرف عاطف، فإن قيل مثلاً: "جاءني زيد لا بل عمرو"؛ فـ "بل" هي حرف العطف هنا، و"لا" ردّ لما قبلها (أي: تأكيد لحكم التنفي)، وليست بعاطفة، كما أنّه إذا قلنا: "ما جاءني زيد ولا عمرو"، فالعاطف "الواو"، و"لا" تأكيد للتنفي، هذا الأخير، الذي يعتبر مانعاً آخر، من عدّ "لا" حرفاً عاطفاً.

ثالثاً: أن لا يصدّق أحد متعاطفيها على الآخر، وهو أمر ضروري من جهة المعنى؛ إذ إنّ لا يجوز أن تقول مثلاً: "جاءني رجل لا زيد"، و"اشتريت أرضاً لا ضيعة"، من قبل أنه يصدّق على "زيد" اسم الرجل، كما تصدق الأرض على الضيعة والضيعة على الأرض، بخلاف لو قيل: "جاءني رجل لا امرأة"، و: "اشتريت ضيعة لا داراً"، فهو جائز.¹

وواضح من هذه الأمثلة، أن العطف بلا إنّما يكون من جهة أنّها تأتي لتحقّق للأوّل ما نفته عن الثاني. وعليه، فيلزم لزوماً لا بدّ منه أن يرد الكلام قبلها موجباً؛ إذ كانت لا تعمل في منفي.²

¹ كما نشير هنا، أنه يجوز خلافاً لما ذهب عليه الرّجّاحي، العطف بلا على معمول الفعل الماضي، نحو قول امرئ القيس:

كَأَنَّ دَنَارًا حَلَقْتُ بَلْبُونَهُ .: عُقَابُ تَنُوفِي لَا عُقَابُ الْقَوَاعِلِ

وشاهده: عطف "عقَاب القواعِل" على "عقَاب تنوفي"، قصراً لفعل التحليق على الأوّل مع انتفائه عن الثاني. ينظر: الجاحظ، الحيوان: 180/3، وابن السكّيت، إصلاح المنطق: 359، والرّخشي، المفصل: 405، وابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف: 250/1، وابن النّاطم، شرح الألفية: 539-540، وابن هشام، أوضح المسالك: 482/1-483 و488، وابن هشام، مغني اللّبيب: 269/1، وابن هشام، شرح شذور الذهب: 577، والمرادي، الجني الدّاني: 294-295، والغلاييني، مصطفی، جامع الدّروس العربية: 249/3، والدّقّر، عبد الغني، معجم القواعد العربية: 366.

² ينظر: ابن السّراج، الأصول في علم النّحو: 281/1-282، وابن جني، اللمع: 150.

وليس يخفى هنا، أنّ معنى القصر إنّما هو ثابت مفهوم فيما مضى من الشواهد، لما أوجب للاسم الأول حكماً انتفى عن الآخر بدخول الحرف "لا" عليه؛ دلالة على أنّ المجيء "في قولنا: "جاء زيد لا عمرو"، مثبت لزيد لا عمرو، ردّاً على من اعتقد أنّ الذي جاء إنّما هو زيد وعمرو معاً؛ فيكون القصر من قبيل قصر الأفراد، لإفراده شخصاً بالمجيء، أو تصحيحاً لظنّ من رأى أنّ الجائي عمرو لا زيد؛ فقلب اعتقاده هذا ببيان الصواب فيه، بإثبات فعل المجيء لشخص واحد من الاثنين، وهو زيد، مع انتفائه عن عمرو الذي ظنّ أنه صاحب الفعل. وعليه يعدّ القصر هاهنا، قصر قلب، وهذا شأن "لا" العاطفة التي لا تستعمل إلاّ لقصريّ القلب و الأفراد.¹

2- الحرف "لا" ومعنى القصر:

وإنّ كان هذا باختصار، عن عمل "لا" العاطفة عند جمهور النحاة، فما كانت نظرة سيبويه السابقة إلى هذا الموضوع؟ وهل في كتابه من إشارة دالة على تلمسّه لوظيفة هذا الحرف المعنوية، والدلالية المتمثلة في تحقّق معنى القصر البلاغي بها في الكلام؟ في حقيقة الأمر، وردّاً عن هذا التساؤل نقول: على الرّغم من اتّسام مباحث دراسة "لا" في الكتاب بصبغة نحوية محضة في معظم جوانبها، إلّا أنّ هذا لم يمنع سيبويه من تضمين بعض تنفّات من كلامه، في معرض حديثه عن أحوال ورود النّعت في العربية مع حروف العطف كـ بل، ولكنّ، وإمّا، وغيرها نزراً قليلاً من إشارته المعنوية الهامة؛ حيث صرّح أنّ قولنا: "مررتُ برجلٍ راعٍ لا ساجدٍ"، أنّه إنّما يكون لأحد شيئين: إمّا لإخراج الشكّ، وإمّا لتأكيد العلم فيهما.²

ولعلّه يتّضح من ظاهر كلام صاحب الكتاب هنا، أنّه يومئ إلى أنّه في حال دخول "لا" النّافية على كلامٍ موجبٍ صدره، نافيةً حكمه المثبت لما قبلها عما بعدها؛ فإنّ ذلك ما يجعلها مفيدة معنى إمطة الشكّ الذي يساور ذهن السّامع بخصوص صفة الرّجل الممرور به، إذا قلنا: "مررتُ برجلٍ راعٍ لا ساجدٍ"، أ هو راعٍ أم ساجدٌ؟ فيبيّن أنّه كان راعياً لا ساجداً. وقد تُستعمل "لا" في مثل هذه التّراكيب بقصد تأكيد خبر قد علمه المخاطب، أو السّامع، مفاده أنّ الرّجل الذي مرّ به إنّما كان في حالة ركوع، ثمّ دخلت "لا" لتزيد هذا المعنى بيانا وتأكيداً بأنّ قيل: لا ساجدٍ، تماماً كما تدخل "إنّ" النّاصبة التوكيدية على جملة المبتدأ والخبر، في نحو: "إنّ العلم نورٌ"

¹ ينظر: ابنُ النّاظم، شرح الألفية: 539، وابنُ هشام، قطر النّدى: 333-334.

² ينظر: سيبويه، الكتاب: 430/1.

توكيدا، ونفياً لكلّ اعتقاد قد لا يصل في هذا إلى درجة اليقين إذا سمع صاحبه جملة: "العلم نور"، من دون استعمال لأيّ مؤكّد معنوي.¹

وعلى أيّ الوجهين حُمِلَ كلام سيبويه، عموماً، فإنّ ذلك لا يردّ إطلاقاً أنّ عين المعنى من هذا كله، أنه يقرّر للحرف "لا"، العاطف مفرداً على مفرداً في الإيجاب، وظيفة إدخال الشيء في حكم معين مع نفيه عن شيء آخر؛ وهو ما يجوز لنا تأويله أنّ سيبويه قد تفتّن بذكائه الفطري، وحسّه اللّغوي إلى إفادة "لا" العاطفة معنى القصر، إذ يكون: "مررتُ برجلٍ راعٍ لا ساجدٍ"، في معنى لو قيل: "ما مررتُ إلّا برجلٍ راعٍ". هذا مع ملاحظة أنّ الأول معناه: الإثبات لشيء مع نفيه عن آخر، وأنّ الثاني يُفهم منه النصّ على مرور المتكلّم برجل راعٍ، دون سواء أكان ساجداً، أم على حال أخرى.

وإذا كان النّعت المعطوف بلا، في أسلوب القصر، واجب الإتيان، على حركة منعوته سواء أورد هذا النّعت نكرة، كما في المثال السابق، أم معرفة كما في: "مررتُ بزيد الرّاع لا السّاجد"²، فما الوجه في هذا لو جاءت الجملة مسبوقه بأنّ النّاصبة مثلاً؟

لم يُغفل التّحويّون تناول هذه المسألة بالتّناول، وعلى رأسهم سيبويه في "باب ما يكون محمولاً على إنّ فيشاركه فيه الاسم الذي وليّها ويكون محمولاً على الابتداء"³؛ إذ بعد إبانته حالّ الاسم المعطوف على اسم منصوب، بأنّ من جواز الرّفْع فيه، إمّا على الابتداء، أو بحمله على الاسم المضمر في كلمة "منطلق" مثلاً، إذا قلنا: "إنّ زيداً منطلقٌ وسعيدٌ" من ناحية، وبإمكانية جعل هذا الاسم المعطوف منصوباً بالواو على موضع ما قبله المنصوب، بأنّ، فيقال: "إنّ زيداً

¹ إذا كان قد سبق الإشارة إلى كون استعمال "لا" العاطفة لأسلوب القصر الإضافي، والإفراد فقط، فالذي يلفت الانتباه في كلام سيبويه السّابق الذي تحدّث فيه عن إخراج "لا" للشكّ، كما في "مررتُ برجلٍ راعٍ لا ساجدٍ"، وهو ما يمكن حمله على أنّ هذه الأداة اللّغوية، قد تستخدم في قصر التّعيين أيضاً، إذا علمنا أنّ هذا الأخير سُمّي كذلك؛ لأنّه يعيّن المقصود بالحكم في الجملة، بعد تردّد السّامع في نسبة أيّ الوصفين إلى الموصوف قبلهما، كما في المثال آنف الذكر، أو في عدم ترجيحه للفاعل من هو الذي جاء، أمّا خالد أو سعيد، فيُجاب على ذلك رفعا للبس (أو الشكّ) بالقول: "جاء خالدٌ لا سعيدٌ"، بتعيين أنّ صاحب فعل الجي، أمّا هو خالد، وانتفائه عن سعيد. ولعلّ صحّة وقوع قصر التّعيين بواسطة "لا" العاطفة في مثل هذا، هو ما يبرّر قول جمهور البلاغيّين إنّ قصر التّعيين أعمُّ من نظيريه الآخرين؛ بدليل أنّه كل ما يصلح أن يكون مثالا لقصر الإفراد، أو قصر القلب يصلح أن يكون مثالا لقصر التّعيين من غير عكس، وهو ما سيُشرح لاحقاً إن شاء الله تعالى.

² ينظر: سيبويه، الكتاب: 8/2.

³ المرجع نفسه: 144/2.

منطلق وعمرًا¹. فكما يصحّ هذا مع "الواو" التي قد تكون حرف ابتداء، أو عاطفة؛ فالأمر نفسه بالنسبة إلى الأداة "لا"، التي يجوز معها الوجهان أيضا في مثل ما سبق، إذ نقول: "إنّ زيدا منطلق لا عمرو، بالرفع في "عمرو"، ونقول: "إنّ زيدا منطلق لا عمرا"، بالنصب فيه. هذا مع ملاحظة أنّ تفسير الرفع والنصب فيما بعدها، هو نفسه الذي مضى ذكره مع الواو.²

هذا، ونذكر أنّه إذا كان المقصور عليه مع "بل" و"لكن" هو الواقع بعدهما، نحو: "ما الفخر بالمال بل بالعلم"، و"ما الفخر بالنسب لكن بالتقوى"، فإنّ الأمر يختلف مع "لا" العاطفة التي يكون المقصور عليه معها هو الاسم المتقدّم عليها، كما في: "إنّ زيدا منطلق لا عمرو، والفخر بالعلم لا بالمال".³

ومن كلّ الذي ذكر، نستنتج أنّ حروف العطف الثلاثة: "بل، ولكن، ولا" كلّها من أدوات القصر عند النحاة الذين تفتّن إلى تأديتها هذا المعنى الدلالي الدقيق، بفضل فقههم أساليب العربية، وذوقهم اللغوي المرتكز أساسا على إحاطتهم بقواعد اللغة أولا، وإدراكهم العميق لأسرار تراكيبها المختلفة في سياقاتها، وجوانبها الدلالية، والمعنوية، والجمالية ثانيا. هذا، وإن لم يكن صاحب الكتاب قد صرح بمصطلح هذا الموضوع النحوي، ولا البلاغي، بخلاف نحاة العربية الذين جاؤوا بعده.

¹ ينظر: سيبويه، الكتاب: 144/2-145.

² ينظر: المرجع نفسه: 146/2.

³ ينظر: الجويني، مصطفى الصاوي، المعاني-علم الأسلوب: 38.

المبحث العاشر: القصر بالتقديم والتأخير:

اهتمَّ عموم النحويين واللغويين بموضوع أسلوب التقديم والتأخير فعكفوا على معالجته ودراسته، وتحليل أدق جزئيات أبوابه؛ إحساساً منهم ببالغ أهميته في إثراء اللغة، أي لغة، من حيث مساهمته في إعطائها فرصة النماء في تراكيبها، والتنوع في تعبيراتها ومحاوراتها؛ إذ بوساطته يُسَمَّح للمتكلِّم بتحويل البناء العام لكلامه عن وجهه المعروف المعتاد، فتخرج عناصر الجملة وفقاً لذلك عن الرتبة المحفوظة فيها، ويعكس الإعراب يجعل الفاعل مفعولاً، أو في موضع المفعول، والمفعول فاعلاً، أو في موضع الفاعل. ويقدم الخبر إلى محلِّ المبتدأ، وغيرها من الأنماط التشكيلية التي تكتسبها اللغة بوساطة هذا الأسلوب ذي الصلة الوطيدة والعلاقة الحميمة بما يطرأ على الجملة من معاني بلاغية، ودلالات جمالية.

فكيف تناول نحويُّونا العرب أسلوب التقديم يا ترى ؟ وإذا كانت البلاغة علماً لم يستقلَّ برأسه آنذاك، فهل كان لذلك أثر في طبيعة الطريقة التي انتهجوها في دراستهم لهذه المسألة اللغوية، من حيث تبويبها وتحديد مصطلحاتها، وإبانة إمكانية خروجها (إفادتها) إلى أغراض بلاغية، ودلالات معنوية دقيقة كالقصر مثلاً ؟

المطلب الأول: الدراسة النحوية لمسألة القصر بالتقديم والتأخير:

معلومٌ، أنه قد يحدث أن تقع في أساليب اللغة العربية تغييراتٌ في رُتب عناصر الجملة، وهو الأمر الذي ينجم عنه تبدُّلاتٌ في معانيها أحياناً حسب مواقع المعمولات النحوية داخل الجملة سواءً أكانت فعلية أم اسميةً، وهو ما يترتب عليه إفادة بعض منها معنى قصر الشيء على الشيء كما سنرى عند عموم النحويين.

1- القصر في الجملة الفعلية:

لا يخفى على أحد أنَّ الأصل في ترتيب عناصر الجملة الفعلية، هو أن يتقدَّم الفعل ويليه الفاعل، ثمَّ المفعول به إذا تعدَّى إليه فعل الفاعل، في نحو: "ضَرَبَ عَبْدُ اللَّهِ زَيْدًا"، موضَّحاً جواز تقديم المفعول، وتأخير الفعل عنه، فيقال: "ضَرَبَ زَيْدًا عَبْدُ اللَّهِ"، بإجراء اللَّفْظ كما جرى في الأوَّل؛ لأنه أُريدَ به هنا مؤخَّراً ما أُريدَ به مقدَّماً، تماماً كما لو بُني فيه الاسم على الفعل، فُقِدَّ عليه في قولنا: "زيداً ضربتُ"، إذ كان أصله: "ضربتُ زَيْدًا". وقد علَّق سيبويه على تقديم المفعول

في المثالين السابقين، أنّ ذلك عربيّ جيد؛ لأنّه ممّا يقصد به إظهار العناية بالاسم المقدّم، اهتماماً بشأّنه، وإنّ كانا جميعاً يهّمّانهم ويَعْنِيَانهم.¹

وكما أنّه قد تمّ طرقُ مسألة أخرى، وهي حالة بناء الفعل على الاسم، حين يقدّم المفعول على فعله، فيصير الكلام على الابتداء والخبر، كقولنا: "زَيْدٌ ضَرَبَتْهُ"²، المحمولُ في إعرابه على جملة: "عبدُ الله منطلقٌ"، مبرزاً جواز النصب في هذا المفعول، فنقول: "زيداً ضَرَبَتْهُ"، بإظهار "الهاء" في "ضَرَبَتْهُ"؛ لأنّ العبارة على تقدير حذف فعل يفسّره المذكور بعده، كأنّه قيل: "ضَرَبْتُ زَيْدًا ضَرَبَتْهُ". هذا إضافة إلى حديثه عن الاسم المعطوف على اسم مبنيٍّ عليه الفعل (أي مبتدأ وخبر) نحو: "زَيْدٌ ضَرَبَنِي وَعَمْرُوٌ مَرَرْتُ بِهِ"، مع جواز النصب في عمرو³، وكذا تقدّم الاسم مع أفعال القلوب، نحو: "ظَنُّ وَأَخَوَاتُهَا"⁴، وأحوال أخرى كمجيئه مع الظرف⁵، وإيراده منصوباً في الأمر والتّهي، نحو: "زَيْدًا إِضْرِبْهُ، وَأَمَّا بَكَرًا فَلَا تَمُرُّ بِهِ"⁶، مِنْ دُونِ إِغْفَالٍ لِكَلَامِهِ عَنْ مَسْأَلَةِ انْتِصَابِ الضَّمِيرِ الْمُنْفَصِلِ "إِيَّاكَ" فِي بَابِي الْأَمْرِ وَالتَّحْذِيرِ، نَحْوُ قَوْلِنَا: "إِيَّاكَ نَحْ، وَإِيَّاكَ اتَّقْ"، وَ "إِيَّاكَ بَاعِدْ".⁷

إلّا أنّ الملحوظ هاهنا، هو عناية سيبويه بالجانب الإعرابي البحت للكلمات داخل تراكيبها، مِنْ دُونِ الغوص في عمق دلالاتها السّياقية، وارتباط المعمولات ببعضها، وما ينجم عنه من توليد، وإفادة لمعاني ومفاهيم بلاغية جديدة في الكلام.

¹ ينظر: سيبويه، الكتاب: 34/1 و 8 و 83 و 84، والأعلم الشّتمريّ، التّكت: 165/1-166.

² ينظر: سيبويه، الكتاب: 81/1، والأعلم الشّتمريّ، التّكت: 216/1، وياقوت، محمود سليمان، شرح جمل سيبويه: 51/1. والجدير بالذكر هنا، أنّ سيبويه يرى لزوم إظهار "الهاء" بالفعل، في نحو: "زَيْدٌ ضَرَبَتْهُ"، مؤنّ دون تعليلٍ معنويٍّ لذلك، وهو ما فسّره ابن جني بأنّ ذلك يُبيّنُ بجلاءٍ مَنْ الَّذِي وقع عليه فعل الضّرب، والنّصّ على أنّه "زيدٌ" لا محالة، فيقطع بالضّمير سبب الإشكال الحاصل بإظهار الاسم في قولنا: "زَيْدٌ ضَرَبْتُ زَيْدًا"، إذ قد يُفْهَمُ منه توقع تمام الكلام، أو أنّ يظنّ أنّ الثّاني غير الأوّل. وهو ما يؤكّده برجستراسر في معرض حديثه عن تقدّم الاسم والإخبار عنه بفعلٍ عائِدٍ إليه، نحو: "زَيْدٌ جَاءَ"؛ إذ يرى أنّ المراد بها تنبيه السّامع إلى أنّ الَّذِي جاء هو زيدٌ لا غيره، بسبب أنّ الضّغط في العربية ينصرف إلى أوّل الكلام عموماً. ينظر: ابنُ جنيّ، الخصائص: 193/2، وبرجستراسر، التّطوّر التّحوي للغة العربيّة: 132-134.

³ ينظر: الكتاب: 92/1.

⁴ ينظر: المرجع نفسه: 119/1، والتّكت: 251/1-252، وشرح جمل سيبويه: 79/1.

⁵ ينظر: سيبويه، الكتاب: 137/1.

⁶ ينظر: المرجع نفسه: 137/1.

⁷ ينظر: المرجع نفسه: 273/1، وابنُ فارس، الصّاحي: 97-98، وابنُ هشام، أوضح المسالك: 262/1-265.

2-القصر في الجملة الاسمية:

لم يُغفل التحوّيون، وعلى رأسهم سيبويه، الحديث عن الجملة الاسمية، إذ إنّه قد طرق أنماطها المختلفة التي ترد مصوغة في قالبها، كقولنا: "زيدٌ لقيته"، و"زيدٌ لقيتُ أباه وعمرا مررتُ به"، مع جواز الرفع في "عمرو"¹، وقولنا في الاستفهام: "أأنتَ عبدُ الله ضربته؟" المجرى على جملة: "أنا زيدٌ ضربته".² كما وضّح في "باب الرفع فيه وجه الكلام، وهو قول العامة"³، أنّ الأحسن في الكلام والأقوى في مثل: "مررتُ بِسَرَجٍ خَزْرٍ صُفْتُهُ"، و"مررتُ بِصَحِيفَةٍ طِينٍ خَاتَمُهَا"، و"مررتُ برجلٍ فضةٌ حِلَّةٌ سَيْفُهُ"، هو الرفع؛ من قِبَلِ أنّ المفردات: (خَزْرٌ، وَطِينٌ)، وفضةٌ أسماء جواهر واقعة في موضعها هذا أخبارا عن مبتدآت بعدها، مع جواز الجرّ فيها على أنّها نعوت، إذا أُريدَ بها المماثلة والحمل على المعاني؛ فيكون معنى "طين" كمعنى "مُطَيّن"، ومعنى "خَزْر" كمعنى "لَيّن"، أو يكون التقدير: مثل "خَزْر"، ومثل "طين".⁴

هذا، وقد نبّه سيبويه على استقباح الخليل بن أحمد لقولنا: "قائمٌ زيدٌ" وذلك إذا لم تجعل قائما مبنيا على المبتدأ، كما تؤخّر وتقدّم فتقول: "ضرب زيدا عمرو"، وعمرو على "ضرب" مرتفع. وكان الحدّ أن يكون مقدّما ويكون "زيدٌ" مؤخرا. وكذلك هذا، الحدّ فيه أن يكون الابتداء فيه مقدّما، وهذا عربي جيّد، و ذلك قولك: "تيميّ أنا، ومسنوءٌ من يشنؤك، ورجلٌ عبدُ الله، وخزّ صُفْتُكَ".

أمّا في حالة عدم إرادتهم هذا المعنى وأرادوا أن يجعلوه فعلا، كقوله: "يقومُ زيدٌ، وقامَ زيدٌ" قُبْح؛ لأنّه اسم، وإنّما حسُن عندهم أن يجري مجرى الفعل إذا كان صفة جرى على موصوف، أو جرى على اسم قد عمل فيه، كما أنه لا يكون مفعولا في "ضارب" حتى يكون محمولا على غيره،

¹ ينظر: سيبويه، الكتاب: 91/1.

² ينظر: المرجع نفسه: 104/1.

³ ينظر: المرجع نفسه: 23/2.

⁴ ينظر: المرجع نفسه: 23/2-24 و 27 و 41 و 117، والقرطبي، شرح عيون كتاب سيبويه: 133-134، والأعلم الشنتمري، التكت: 451/1-452. ولعلّ الذي يحمل بنا أن نشير إليه هنا، هو تقوية سيبويه لرفع الكلمات: "خَزْرٌ، وَطِينٌ"، و"صُفَّةٌ" الذي قد يُحمَلُ ظاهرُ كلامه في ذلك، أمّا له غرضٌ بلاغيّ دقيقٌ يتمثل في جعل الأسماء المرفوعة للخبرية، مقدّمة، محصوراً فيها ما بعدها. أي: بقصر المبتدآت: "صُفَّةٌ"، و"خاتمها"، و"حليّةٌ سَيْفُهُ"، في كونها مهيأةً (مصنوعة) من (الخزّ، والطين، والفضّة)، دون سواها من الموادّ الأخرى.

فتقول: "هَذَا ضَارِبٌ زَيْدًا"، و"أَنَا ضَارِبٌ زَيْدًا"، ولا يكون "ضَارِبٌ زَيْدًا" على "ضَرَبْتُ زَيْدًا"، و"ضَرَبْتُ عَمْرًا".¹

وقد فَصَّلَ أحدُ شَرَّاحِ الكتاب، وهو أبو سعيد السَّيرافي القصد بهذا، مَبَيَّنًا أَنَّ معناه: قُبِّحَ جعل الأول مبتدأ، والثاني خبرا إذا قلنا: "قائِمٌ زَيْدٌ". أمَّا إعراب "قائِمٌ" خبرا مقدِّما، والنِّية فيه التَّأخير، و"زَيْدٌ" مبتدأ فحسَنُ جائِزٌ.²

ويرى بعض النحويين أنَّ تقديم الخبر على المبتدأ عموما أولى من تأخيره عند السامع؛ لأنَّ المعنى يثبت في نفسه من الابتداء. كما يوجب آخرون تقديمه إذا كان يفهم بتقديمه معنى لا يفهم بتأخيره نحو قولنا: "تَمِيحِي أَنَا"، إذا كان المراد التَّفاخر بتميم، تماما كما يجب تقديمه إذا كانت دلالة الخبر على ما يُفهم بالتَّقديم ولا يفهم بالتَّأخير، نحو قولنا: "للهِ دُرُّكَ"؛ فلو أُخِّرَ لم يفهم منه معنى التَّعجب الذي يفهم منه عند التَّقديم.³

ونشير هنا إلى إفادة تقديم الاسم مبتدأ، مع الإخبار عنه بالفعل إلى معنى لطيف، هو التَّنبيه، كقولنا: "عَبْدُ اللَّهِ إِضْرِبْهُ"؛ إذ «ابْتَدَأْتُ عَبْدَ اللَّهِ فَرَفَعْتَهُ بِالْإِبْتِدَاءِ، وَتَبَّهْتُ الْمَخَاطَبَ لَهُ لَتَعْرِفَهُ بِاسْمِهِ، ثُمَّ بَنَيْتُ الْفِعْلَ عَلَيْهِ كَمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ فِي الْخَبَرِ».⁴

وفي ختام عرضنا هذا لكيفيَّة معالجة النحاة موضوع التَّقديم والتَّأخير في مصنَّفه، "الكتاب" الذي اتَّسم بصبغته النحوية على العموم؛ بيانا لعلاقة العوامل والمعمولات ببعضها في أصلها، بعد حدوث التَّقديم بينها، كما يظهر ممَّا سبق ذكره. فإنَّنا سنورد هنا بإيجاز مسألة دقيقة لها صلة بهذا الأسلوب اللُّغوي المعروف بالقصر، وهو كما سيأتي بيانه.

3- القصر بتقديم المعمولات النحويَّة:

رأينا قبل قليل سبب تعليل نحائنا العرب اختيار الرِّفع في بعض المصادر بجعلها مبتدآت، وما بعدها خبر عنها؛ من قَبْلِ أَنَّها مصادر معارف، فقويت في الابتداء، نحو قولنا: "الحمدُ لله"،

¹ ينظر: سيويه، الكتاب: 127/2. وينظر: ياقوت، محمود سليمان، شرح جمل سيويه: 380/2-381.

² ينظر: سيويه، الكتاب: 127/2، الحاشية رقم: 02، وابنُ جَنِّي، اللَّمع: 76، والزَّخَشَرِيُّ، المفصَّل: 44، وابنُ النَّاظم، شرح الألفية: 114.

³ ينظر: العكبري، اللَّباب: 467، ونحلة، محمود أحمد، صور تأليف الكلام عند ابن هشام، دارالمعرفة الجامعيَّة-الإسكندريَّة، د.ط، 1994م: 50-51.

⁴ سيويه، الكتاب: 138/2.

و"العَجَبُ لَكَ"، و"الْوَيْلُ لَكَ"، و"الْحَبِيبُ لَكَ"، بمنزلة كلمتي "عبد الله" و"الرجل" الجائز بدء الكلام بهما؛ إذ كانتا معرفتين. ثم بعد إبانة سيبويه أنّ الأصل والأقوى ابتداء الكلام بالاسم المعرفة، وتوضيحه قبح جعل المبتدأ نكرة، نحو: "رَجُلٌ ذَاهِبٌ" حتّى يُعرّف بشيء، كتخصيصه بوصف أو غيره، وصَلَّ سيبويه حديثه هنا بذكره لأشياء قد ابتدأت العرب فيها بالنكرة، ووجَّه لها وجهاً¹، بيانه أن قولنا: "شيءٌ ما جاء بك"، يجوز، بل «إنَّه يحسن وإن لم يكن على فعل مضمر²؛ لأنَّ فيه معنى "ما جاء بك إلّا شيءٌ"، ومثله مثل للعرب: "شَرُّ أَهَرِّ ذَا نَابٍ"³.

ويُفهم من هذا، أنّ من مسوِّغات الابتداء بالنكرة، في كلام العرب أن تكون في معنى المحصور، كما في قولنا: "شيءٌ ما جاء بك"؛ إذ كان معناه: "ما جاء بك إلّا شيءٌ" قصراً للفعل "جاء" على فاعل واحد من دون سواه، وهو "شيءٌ". والظاهر أنّ هذا الكلام قد جرى مثلاً يقوله الشّخص لرجل جاءه في وقت غير معهود أن يجيئه فيه، ومعناه: "ما جاء بك إلّا شيءٌ حَدِثْ لا يُعْهَد بمثله"⁴.

والأمر نفسه في قولنا: "شَرُّ أَهَرِّ ذَا نَابٍ"، الذي ابتدئ بكلمة "شَرُّ" الواردة نكرة؛ «من حيث كان الكلام عائداً إلى معنى النفي، أي: ما أَهَرِّ ذَا نَابٍ إلّا شَرُّ». وإنّما كان المعنى هذا لأنّ الخبريّة عليه أقوى؛ ألا ترى أنك لو قلت: "أَهَرِّ ذَا نَابٍ شَرُّ"، لكنت على طرف من الإخبار غير مؤكّد، فإذا قلت: "ما أَهَرِّ ذَا نَابٍ إلّا شَرُّ" كان ذلك أوكّد. ألا ترى أن قولك: "ما قام إلّا زيدٌ" أوكّد من قولك: "قام زيدٌ". وإنّما أُحتجّج إلى التّوكيد في هذا الموضع من حيث كان أمراً عاتياً مهمّاً⁵. ومعنى هذا كأثم سمعوا هريز كلب في وقت لا يَهْرُ في مثله إلّا لسوء، ولم يكن غرضهم

¹ ينظر: سيبويه، الكتاب: 328/1-329، والأعلم الشنتمري، النكت: 375/1.

² قد أشار سيبويه إلى أن الابتداء بالنكرة مذهب ضعيف إلّا أن يكون في معنى المنصوب، من دون أن يمثل لذلك. كما ذكر أن قولنا: "الحمد لله"، في الابتداء بالمصدر "الحمد" فيه معنى المنصوب، وهو بدل من اللفظ بقولك: "أحمد الله". ينظر: سيبويه، الكتاب: 329/1.

³ المرجع نفسه: 329/1. و"أَهَرِّ: فعل متعدي، معناه: جعله يَهْرُ، وَهَرَّ الكَلْبُ يَهْرُ هَريراً: صَوْتُهُ دُونَ بُجَاةٍ مِنْ قَلَّةٍ صَبْرِهِ عَلَى الْبَرْدِ. وَ"ذُو النَّابِ": قِيلَ السَّبُعُ، وَقِيلَ: الْكَلْبُ. ينظر: الجاحظ، الحيوان: 181/2-184، و316/3، و434/5، و132/7-133، والميداني، جمع الأمثال: 467/1، و343/5.

⁴ ينظر: الأعلام الشنتمري، النكت: 375/1، وابن عقيل، شرح ابن عقيل: 291/1.

⁵ ابن جني، الخصائص: 319/1.

الإخبار عن شرٍّ، وإِنَّمَا يريدون أَنَّ الكلب أَهْرَهُ شَيْءٌ، فقالوا: "شَرُّ أَهْرٍ ذَا نَابٍ". أي: "مَا أَهْرٌ ذَا نَابٍ إِلَّا شَرٌّ"، فَسَرَى مثالا، أو مثلاً، يُضْرَبُ في ظهور أمارات الشرِّ ومخايله.¹

وَمِنْ أمثلة ما نحن فيه، ممَّا يحدث وقوعه مبتدأً، وهو نكرة، على غير ما ذُكِرَ من المعنى، قولهم: "أَمْتُ في الحَجَرِ لَا فيكَ".²

وقولُ سيبويه «في هذا الباب: إِنَّ قول العرب: أَمْتُ في حَجَرٍ لَا فيكَ، إِنْهم ابتدأوا بالتَّكْرَةِ على غير معنى المنصوب، وإِنَّمَا هو شاذٌّ ليس مثل: "سَلَامٌ عَلَيْكَ"، الذي فيه معنى الدَّعاء. قال محمد: وهذا خلافُ مذهب العرب، لأنَّ المعنى: جَعَلَ اللهُ العِوَجَ في الحَجَرِ لَا فيكَ، فهو على القياس وعلى معنى المنصوب المدعُوُّ به.

قال أحمد: هذا ليس على معنى الدَّعاء، لأنَّ الدَّعاء لا وجهَ له في هذا الكلام، وذلك أنَّه نفى عنه العيبَ والسَّوءَ، وجعله للحجر الذي هو أولى بالعيب، ولو كان يدعو له بأن لا يجعل الله فيه العِوَجَ وأن يجعله للحجر لما كان مادحاً له؛ وذلك أنَّ الرَّجُلَ يُمدِّحُ بما ثَبَتَ له، والدَّعاءُ فَإِنَّمَا هو للمستأنف لا لِمَا ثَبَتَ. ومعنى هذا المثل، أعني: "أَمْتُ في حَجَرٍ لَا فيكَ"، كمعنى قول القائل: العيبُ لِغَيْرِكَ لَا لَكَ، وهذا كقولهم: العِوَجُ لِلْحَجَرِ لَا لَكَ؛ فالعِوَجُ ثابتٌ للحجر على كلِّ حالٍ ومُنتَفٍ عن الرَّجُلِ على وجه المدح لا على معنى الدَّعاء على الحجر بأن يَعِوجَ، وهو كذلك لا محالة، ولو كان على الدَّعاء لكان كلاماً غيرَ بليغ، ولا وجه له على ما ذكرنا، وإِنَّمَا هو على المدح والتَّنْزِيهِ للرَّجُلِ من العيب؛ فنفاه له تنزيهاً له، وجعله للحجر الذي هو موضعه».³

هذا، ويشرح الشنتمريُّ ذلك، أَنَّهُ إِنَّمَا جاز وحسن؛ لأنَّه مَثَلٌ، معناه: "إِعْوجاجٌ في الحَجَرِ لَا فيكَ" فحملة على أَنَّهُ إخبارٌ محضٌ.⁴

¹ ينظر: الأعلام الشنتمري، التكت: 375/1، والميداني، جمع الأمثال: 467/1، وابن عقيل، شرح بن عقيل: 291/1.

² ينظر: سيبويه، الكتاب: 329/1، و"الأُمْتُ": المكان المرتفع، وهو قد يستعمل بمعنى "النُّتُو" اليسير، كما في قوله جلّ في علاه في الآية السادسة والسابعة بعد المائة من سورة طه: ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾، وقول العرب: "مَدَّ حَبْلَهُ حَتَّى مَا فِيهِ أَمْتُ"، و"امْتَلَأَ السَّقَاءُ فَمَا بِهِ أَمْتُ"؛ دلالة على الدقة المتناهية في القياس. ينظر: الزمخشري، الكشاف: 553/2، والجوهري، الصحاح: مادة (أَمْتُ) (241/1).

³ ابنُ ولاد التميمي، أبو العباس، الانتصار لسيبويه على المبرد، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1416هـ-1996م: 102-103، وينظر: ابن جني، الخصائص: 318/1.

⁴ ينظر: الأعلام الشنتمري، التكت: 376/1.

وبعد هذا، نستطيع الاستنتاج قائلين: إنّ مجيء المصدر نكرةً متقدماً في أول الكلام على أنّه مبتدأ، وما بعده خبر عنه قد يفيد قصرًا في بعض التراكيب النحوية الخاصة عند سيبويه وعموم النحويين، تأكيداً لمعنى الكلام لعناية المتكلم بالإخبار عنه (أي المبتدأ النكرة) عن شيء آخر، وهو مرجع ورود هذا المبتدأ محصوراً في معنى الجملة بإلّا، كقولنا: "شيءٌ ما جاء بك"، و"شرٌّ أهرّ ذا ناب"، و"أمتٌ في الحجرٍ لا فيك"، ويكون التقدير في مثل هذا، على أنّ معنى الحصر مؤدّى في المثالين الأولين بوساطة النفي والاستثناء، كأنّه قيل: "ما جاء بك إلّا شيءٌ"، و"ما أهرّ ذا نابٍ إلّا شرٌّ"، وأمّا الثالث، فصياغته ذاتها تدلّ على معنى الحصر في الشيء، إذا قلنا: "أمتٌ في الحجر لا فيك"؛ إذ واضحٌ أنّ طريقه (أي القصر) هنا هو العطف بالحرف "لا" الدّاخل على الجملة هذه؛ تقريراً وتوكيداً على نسبة (إلصاق) صفة "الإعوجاج" المحدّث عنها هاهنا، بالاسم الذي قبلها مع انتفائه عمّا بعدها. هذا مع ملاحظة أنّ القصر في هذه العبارة قد يكون من قبيل قصر القلب إذا اعتقد المخاطب بهذا الكلام أنّ "الإعوجاج" المذكور فيه لا في الحجر، ويجوز عدّه قصرَ أفرادٍ إنّ هو (أي المخاطب) ظنّ أنّ هذا الوصف مُلصَقٌ شركةً بينه وبين الحجر؛ فأُفردَ الأخير باتّسامة به، حصراً له فيه، بالنسبة إلى السّامع غير المقصود بهذا الحكم. كما يُحتمل أيضاً، اعتباره قصرًا للتّعيين، بالنّظر إلى كون الأخير أعمّ من نظيريه، القلب والأفراد كما ذُكرَ آنفاً.

الباب الثاني

أسلوب القصر

عند البلاغيين

الفصل الأول

أسلوبُ القصر

مصطلحاته، وأقسامه،

وفوائده

المبحث الأول: "القَصْرُ والحَصْرُ والاختصاص" في اللغة الاصطلاح والفروق الكامنة بينها: بدايةً، سنعرضُ بالشرح والتوضيح لمصطلحات الدراسة التي سنلاقيها ويدور استعمالها في بحثنا، وهي: "القَصْرُ والحَصْرُ والاختصاص" من أجل بسط معانيها أولاً، وبقصد إبراز أهمّ وجوه التشابه والاختلاف بينها ثانياً.

المطلب الأول: مصطلح "القَصْر":

إنّ من العلماء من يرى أنّ ألفاظ (القَصْر والحَصْر والإختصاص) تؤدّي كلّها معنىً واحداً، في حين يرى البعض الآخر أنّه توجد فروقٌ بينها. ولهذا، سنحاول هنا أن نسلط الضوء على معاني هذه المصطلحات لغةً واصطلاحاً؛ بقصد تحديد أهمّ أوجه الاختلاف والتشابه بينها استناداً على ربط المعنى اللغوي بالمعنى الاصطلاحي للنظر في مدى حقيقة هذه الاختلافات لموجودة بينها حسب القائلين بذلك.

1- حده:

المعروف، أنّ الأصل في الجملة العربية الواحدة أن تؤدّي حكماً واحداً مقصوداً، نحو قولنا: "أتاني زيد" إذ معناه: الإخبار بمجيء "زيد" فحسب. غير أنّ الجملة الواحدة قد تؤدّي حكمتين مقصودتين مختلفتين، وذلك إذا حُكِمَ فيها بثبوت شيءٍ لآخر على جهة الاختصاص، فتصدّر الجملة بنفي، أو شبهه، ثم يُنْقَضُ هذا الأخير بـ "إلا" أو بما يكون في معناها، متضمناً عملها كـ "غير" و"سوى"، ومثال ذلك أن نقول: "ما أتاني إلا زيد". وهذا ما اصطلاح علماء البلاغة على تسميته بأسلوب القصر.¹

فما هو القصر؟

أ- القَصْرُ في اللغة:

الحُبْس، يقال: قَصَرَ الشيء، أي: حَبَسَهُ، وهو في اللغة أيضاً: عدم المجاوزة. نقول: "قَصَرَ الشيء على كذا" إذا لم يجاوز به إلى غيره، وقَصَرَ الشيء: ضَدَّ طَالَ، يَقْصُرُ قِصْراً بوزن عَنَب، وقولهم: "قَصْرُكَ أَنْ تَفْعَلَ كَذَا"، و"قَصَارَكَ" بفتح القاف فيها، و"قُصَارَكَ" بضمّها، أي: غَايْتُكَ

¹ القصر مصطلحٌ يدور أكثر في بيئة البلاغيين. أما الحَصْر، فيدور في بيئتي المفسرين والأصوليين، والمصطلحان معاً يُستخدمان عند بعض النحاة من المتأخرين. وأمّا الاختصاص، أو التخصيص، فليسا بمصطلحين، وإنّما هما معنيان يُستفادان عن التراكيب. ينظر: الجويني، مصطفى الصاوي، المعاني - علم الأسلوب، دار المعرفة الجامعية، د. ط، 1993م، 88.

وَأَحْرُ أَمْرِكَ، وَالْقَصْرَةُ بَفَتْحَتَيْنِ: أَصْلُ الْعُنُقِ، وَالْجَمْعُ: قُصْرٌ.¹ وَمِنْهُ قَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾²، بَضَمَ الْقَافَ وَالصَّادَ، وَفَسَّرَهُ بِأَسَافِلِ الشَّجَرِ الْعِظَامِ، أَيْ: قُصْرُ النَّخْلِ، وَيَعْنِي أَعْنَاقَهَا.³

وَأَقْصَرَ عَنْهُ: كَفَّ وَنَزَعَ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ، فَإِنْ عَجَزَ، قَلَّتْ قَصْرَ عَنْهُ بِلَا أَلْفٍ مَعَ فَتْحِ الصَّادِ. وَأَقْصَرَتِ الْمَرْأَةُ: إِذَا وَلَدَتْ أَوْلَادًا قِصَارًا.

وَأَمْرَأَةٌ مَقْصُورَةٌ، وَقَصِيرَةٌ وَقِصُورَةٌ: مَحْبُوسَةٌ فِي الْبَيْتِ لَا تُتْرَكُ أَنْ تَخْرُجَ.⁴ وَمِنْهُ قَوْلُهُ، تَعَالَى: ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾⁵، أَيْ مَحْبُوسَةٌ فِيهَا. قَالَ كَثِيرٌ:⁶

وَأَنْتِ الَّتِي حَبَبْتَ كُلَّ قَصِيرَةٍ .: إِلَيَّ وَمَا تَذْرِي بِذَاكَ الْقَصَائِرِ

عَنَيْتُ قَصِيرَاتِ الْحِجَالِ، وَلَمْ أُرِدْ .: قِصَارَ الْخَطَايِ شَرُّ النِّسَاءِ الْبَحَائِرِ

وَقَصْرُنَا، وَأَقْصَرْنَا: دَخَلْنَا فِيهِ، وَتَقَوَّصَرَ: دَخَلَ بَعْضُهُ فِي بَعْضٍ، وَسُورَةُ النِّسَاءِ الْقُصْرَى: سُورَةُ الطَّلَاقِ، وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ كُلُّهَا، وَأَمْرَأَةٌ قَاصِرَةُ الطَّرْفِ: لَا تَمُدُّهُ إِلَى غَيْرِ بَعْلِهَا.⁷

أَمَّا الْقَصْرُ مِنَ الْبِنَاءِ مَعْرُوفٌ، وَهُوَ الْمَنْزِلُ، وَقِيلَ: كُلُّ مَنْزِلٍ مِنْ حِجَرٍ سَمِّيَ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ تُقْصَرُ فِيهِ الْحُرُمُ، أَيْ تُحْبَسُ، وَجَمْعُهُ: قُصُورٌ، وَقُصِيرَ الرَّجُلُ: عُرِفَ بِالنِّسَبِ الْقَصِيرِ.⁸

¹ ينظر: ابنُ السَّكِّيتِ، يَعْقُوبُ، إِصْلَاحُ الْمَنْطِقِ، تَحْقِيقُ: أَحْمَدُ مُحَمَّدُ شَاكِرٌ وَعَبْدُ السَّلَامِ هَارُونُ، دَارُ الْمَعَارِفِ بِمَكْرِ، د.ط، 1970: 41، وَالْجَوْهَرِيُّ، إِسْمَاعِيلُ بْنُ حَمَّادٍ، تَاجُ اللَّغَةِ صَحَاحُ الْعَرَبِيَّةِ. تَحْقِيقُ: أَحْمَدُ عَبْدُ الْغَفُورِ عَطَّارٌ، دَارُ الْعِلْمِ لِلْمَلَايِينِ-بَيْرُوتَ، ط2، 1399هـ-1979م. وَالصَّحَّاحُ: مَادَّةُ (قَصْرَ) (793/2-795).

² المرسلات: 32.

³ ينظر: الْفَيْرُوزُ أَبَادِي، تَنْوِيرُ الْمَقْيَاسِ مِنْ تَفْسِيرِ ابْنِ عَبَّاسٍ، تَحْقِيقُ: عَبْدُ الْعَزِيزِ سَيِّدُ الْأَهْلِ. مَكْتَبَةُ وَمَطْبَعَةُ الْمَشْهَدِ الْحُسَيْنِيِّ-الْقَاهِرَةِ، ط2، د.ت: 467.

⁴ ينظر: ابنُ السَّكِّيتِ، إِصْلَاحُ الْمَنْطِقِ: 184، وَابْنُ مَنْظُورٍ، جَمَالُ الدِّينِ، لِسَانُ الْعَرَبِ، دَارُ صَادِرِ-بَيْرُوتَ، ط1، 1968م: مَادَّةُ "قَصْرَ" (97/5).

⁵ الرَّحْمَنُ: 72.

⁶ الْبَيْتُ فِي: كَثِيرٌ عَزَّةٌ، الدَّبَّانُ تَحْقِيقُ: إِحْسَانُ عَبَّاسٍ، دَارُ الثَّقَافَةِ-بَيْرُوتَ، د.ط، 1391هـ-1971م: 369. وَالْبَحَائِرُ: الْقِصَارُ: جَمْعُ نَحْثٍ بِالضَّمِّ، وَهُوَ الْقَصِيرُ الْمُجْتَمِعُ الْخَلْقِ، وَكَذَلِكَ الْحَيْثُورُ بِالْفَتْحِ، وَهُوَ مَقْلُوبٌ مِنْهُ. يَنْظُرُ: ابْنُ السَّكِّيتِ، إِصْلَاحُ الْمَنْطِقِ: 184، وَالْجَوْهَرِيُّ، الصَّحَّاحُ: بَابُ الرِّاءِ، فَصْلُ الْبَاءِ (586/2).

⁷ ينظر: الْفَيْرُوزُ أَبَادِي، مَجْدُ الدِّينِ، الْقَامُوسُ الْمَحِيطُ، الْمَطْبَعَةُ الْمِصْرِيَّةُ، ط3، 1352هـ-1933م: مَادَّةُ "قَصْرَ".

⁸ ينظر: الْعَامِلِيُّ، مُحَمَّدُ رِضَا، مَعْجَمُ مَتْنِ اللَّغَةِ. مَنَشُورَاتُ دَارِ وَمَكْتَبَةُ الْحَيَاةِ-بَيْرُوتَ، د.ط، 1960م: مَادَّةُ "قَصْرَ".

ب-القصر اصطلاحاً:

وإذا عَرَّجْنَا على معنى القصر في الإصلاح، فيُعَرِّفه رجالُ البلاغة، بأنَّه: «تخصيصُ شيءٍ بشيءٍ، أيُّ تخصيصُ موصوفٍ بصفةٍ أو صفةٍ بموصوفٍ بطريقٍ مخصوصٍ من الطرق الأربعة الآتية من التقي والاستثناء، وغير ذلك».¹ وإنما جاء بقوله: (بطريقٍ مخصوصٍ)؛ احترازاً من نحو: «خصَّصْتُ زيداً بالعلم، فلا يُسمَّى تخصيصاً اصطلاحاً، وإنما قلنا: أحد الشيئين موصوف، والآخر صفة؛ لأنَّ التخصيص يتضمن مطلق النسبة المستلزمة لمنسوبٍ ومنسوبٍ إليه. فإن كان المخصَّص منسوباً فهو الصِّفة، وإن كان منسوباً إليه فهو الموصوف».²

والقصد من قوله: "تخصيصُ شيءٍ بشيءٍ"، أي تخصيص موصوف بصفة، أو صفة بموصوف. فالباء داخلة على المقصور، والشيء الأول إن أُريدَ به الموصوف كان المراد بالشيء الثاني الصِّفة والعكس صحيح.

ومعنى تخصيص الشيء بالشيء: الإخبارُ بثبوت الشيء الثاني للشيء الأول دون غيره، فالقصر مطلقاً يستلزم التقي والإثبات.³ ومثال ذلك تخصيص "زيد" بصفة الكتابة، في نحو: "ما زيدٌ إلا كاتبٌ"، وتخصيص الكتابة بزيد نحو: "ما كاتبٌ إلا زيدٌ"، أو لنقل: قصر "زيد" على الكتابة في الأول، وقصر الكتابة على "زيد" في الثاني.⁴

¹ ابن يعقوب، المغربي، (شرح التلخيص): "مواهب الفتاح"، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، د.ط، د.ت 1960م: 166/2.

² المرجع نفسه: 166/2.

ونشير هنا، أنَّ القصد بكلمة صفة في قولنا مثلاً: قصر صفة على موصوف أو عكسه، هو الصِّفة المعنوية، أي المعنى القائم بالغير، وهو ما يقابل الذات، ولا يُراد بالصِّفة النَّعت النَّحوي أي التابع الذي يدلُّ على معنى في متبوعه غير الشَّمول، كالعالم في قولنا: "جاءني زيدٌ العالمُ"؛ فقد دلَّ العالم على معنى "العلم" في متبوعه، وهو "زيد". والمقصود بعبارة "غير الشَّمول" هو الاحتراز عن نحو قولنا: "كلهم" وهو التأكيد كما في: "جاء القومُ كُلُّهم"، إذ خرج بالدلالة على المعنى في المتبوع البديل، وعطف البيان، والتأكيد الذي ليس للشَّمول؛ لأنها كُلُّها لا تدلُّ على المعنى في المتبوع لأنها نفسها. ينظر: القزويني، الخطيب، التلخيص في علوم البلاغة، تحقيق: عبد الرحمن البرقوقي: 137، دار الفكر العربي، د.ط، د.ت، والتفتازاني: (شرح التلخيص): "مختصر التفتازاني": 169/2-170، (مواهب الفتاح): 169/2-171، والدسوقي: (شرح التلخيص)، "حاشية الدسوقي"، 169/2-171.

³ ينظر: الدسوقي، (شرح التلخيص): حاشية الدسوقي: 166/2.

⁴ ينظر: القزويني، التلخيص في علوم البلاغة: 137.

هذا، وإذا كان القصر أو التخصيص؛ هو ثبوت الشيء الثاني للأول فقط دون غيره، فمعنى ذلك في: "مَا زَيْدٌ إِلَّا كَاتِبٌ" قصر "زيد" على "الكتابة" وحدها، مِنْ دون أن يتجاوزها إلى غيرها من الصفات، هذا مع جواز اتّصاف غيره بالكتابة. وأمّا في "مَا كَاتِبٌ إِلَّا زَيْدٌ"، فالمعنى هاهنا، على قصر صفة الكتابة على زيد وحده، وإن كان هو يتجاوزها إلى صفات أُخَرَ. وبناء عليه، يسمّى الأمر الأول مقصوراً، والثاني مقصوراً عليه، كما في قولنا: "إِنَّمَا زَيْدٌ قَائِمٌ"، و"مَا ضَرَبْتُ إِلَّا زَيْدًا".¹

فالقصر الاصطلاحيّ إذا، هو أن يكون الشيء الأول مقصوراً والشيء الثاني مقصوراً عليه، والطريق المخصوص هو القصر.

ولعلّه ممّا يحسّن بنا، أن نشير إليه هاهنا هو أنّ فائدة القصر في أنّه يجعل الجملة الواحدة في مقام الجمليتين، أي أنّه ضربٌ من ضروب الإيجاز الذي هو أعظم ركنٍ من أركان البلاغة؛ كما يتّضح ذلك من قولنا: "مَا كَامِلٌ إِلَّا اللَّهُ"، فهو في موضع: "الْكَمَالُ لِلَّهِ وَحْدَهُ"، وليس كَامِلاً غيره، وأيضا بوساطته تُحدّد المعاني تحديداً كاملاً دقيقاً، ويكثر ذلك في المسائل العلميّة، وما يماثلها، كما أنّه يمكن الكلام في الدّهن ويقرّره، وينفي عنه كلّ شكٍّ وإنكار، وهو يدلّ على بدائع التعبير الفنيّ في لغتنا العربيّة.

وإذا كان هذا عن معنى مصطلح "القصر" من ناحية اللغة والاصطلاح، فما "الحصر" لغةً واصطلاحاً، وفيما يلتقي ويفترق ربّما مع نظيره مصطلح القصر؟

المطلب الثاني: مصطلح الحصر لغةً واصطلاحاً:

أ- لغةً:

الحَصْرُ: ضربٌ من العِيّ. حَصَرَ الرجلُ حَصْرًا: مثل تَعَبَ تَعَبًا فهو حَصِرٌ عِيّ في منطقته، وقيل حَصِرَ: لم يقدر على الكلام وحَصِرَ صدره: ضاق والحَصْرُ: ضيق الصدر. وإذا ضاق المرء عن أمر قيل حَصَرَ صدر المرء عن أهله يُحَصِرُ حَصْرًا. قال الله عز وجل ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ﴾.² معناه: ضاقت صدورهم عن قتالكم وقاتل قومهم. قال ابن سيده: وقيل تقديره وقد حَصِرَتْ صدورهم وقيل تقديره: أو جأؤوكم

¹ ينظر: السبكي، بهاء الدّين، (شروح التلخيص): "عروس الأفراح": 168/2، والجرجاني، عليّ بن محمّد بن عليّ، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الريان للتراث، د.ط.د.ت: 225.

² النساء: 90.

رجالاً أو قوماً فَحَصَرْتُ صدورهم الآن في موضع نصب لأنه صفة حلت محل موصوف منصوب على الحال وفيه بعض صِنْعَةٍ لإقامتك الصفة مقام الموصوف.

وفي حديث زواج فاطمة رضوان الله عليه فلما رأت علياً جالساً إلى جنب النبي صلى الله عليه وسلم حَصَرْتُ وبكت: أي استحت وانقطعت، كأن الأمر ضاق بها كما يضيق الحبس على المحبوس. والحَصُورُ من الإبل: الضيقة الحاليل، وقد حَصَرْتُ بالفتح وأَحَصَرْتُ. ويقال للناقة إنها لحَصِرَةُ الشَّخْبِ نَشِبَةُ الدَّرِّ والحَصِرُ نَشِبُ الدَّرِّ في العروق من خبت النفس وكراهة الدَّرِّ، وحَصِرُهُ يَحْصِرُهُ حَصراً فهو مُحْصُورٌ وحَصِيرٌ وأَحَصِرُهُ كلاهما: حَبَسَهُ عن السفر، وأَحَصِرُهُ المرضُ مَنْعَهُ من السفر أو من حاجة يريد بها... وفي التَّنْزِيلِ: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾¹. وقال القتيبي: هو من حَصَرْتَهُ، أي: حَبَسْتَهُ فهو محصورٌ، وهذا حَصِيرُهُ أي: مَحْبِسُهُ، وحَصِرُهُ المرضُ حبسه على المثل.

ويقال: قومٌ مُحْصَرُونَ إذا حُوصِرُوا في حصنٍ، وكذلك هم مُحْصَرُونَ في الحج. قال الله عز وجل ﴿فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ﴾². والحِصَارُ: الموضع الذي يُحْصَرُ فيه الإنسان. تقول: حَصَرُوهُ حَصراً، وحاصِرُوهُ، وكذلك قول روبة: (مَدْحَةٌ مُحْصُورٍ تَشْكِي الحَصَرَ) قال: يعني بالمحصور المحبوس. والإحْصَارُ: أن يُحْصَرَ الحاجُّ عن بلوغ المناسك بمرضٍ أو نحوه. وفي حديث الحج: المَحْصَرُ بمرضٍ لا يُجِلُّ حتى يطوف بالبيت.³

وفي تاج العروس، الحَصَرُ: كالضَرْبِ، والنَّصْرُ أي مِنْ بَايَها: التَّضْيِيقُ. يقال: حَصَرَهُ يَحْصِرُهُ حَصراً فهو مُحْصُورٌ: ضَيَّقَ عليه ومنه قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاحْصِرُوهُمْ﴾⁴، أي: ضَيِّقُوا عَلَيْهِمْ. وقومٌ مُحْصَرُونَ: إذا حُوصِرُوا في حصنٍ. ورجلٌ حَصِرَ: كَتُمَ للسرِّ. قال جرير:

ولقد تَسَقَّطَنِي الوُشَاةُ فَصَادَفُوا *** حَصِراً بِسِرِّكَ يَا أُمَيْمَ ضَنِينَا

والحَصِيرُ: الحَاسِيسُ. والله حَاصِرُ الأرواحِ في الأجسام. وأَرْضٌ مُحْصُورَةٌ ومنْصُورَةٌ ومَضْبُوتَةٌ أي: مُمْطُورَةٌ. والحِصَارُ: مدينةٌ عظيمة بالهند. والخطيب المَعْمَرُ عبدُ الواحد بنُ إبراهيم الحِصَارِيُّ محدِّثٌ وُلِدَ سنة 910 وروى عالياً عن الشمسِ مُحَمَّد بن إبراهيم العُمَرِيُّ والشَّرف السَّنْباطِيُّ كلاهما عن الحافظ

¹ الإِسْرَاءُ: 80.

² البقرة: 196.

³ ينظر: ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة- مصر، د. ط، د. ت: (باب الحاء فصل الرَاء)، 17/ 895-896.

⁴ التوبة: 5.

ابن حجرٍ روى عنه شيوخ شيوخ مشايخنا ويقال له البُرْجِيّ أيضاً. وأبو حَصِيرَة: صحابيٌّ قَسَمَ له النَّبِيُّ صَلَّى الله عليه وسلّم من وادي الثُّرَيّ. وذو الحَصِير: كَأَمِير: كَعْب ابنُ رَيْبَعَة البَكَّائِيّ جاهليّ. ومحلّه الحَصِير بِيُخَارَى يُنسَب إليها بعضُ علمائنا.¹

ب- اصطلاحاً:

والْحَصْرُ عند أهل العربية: هو إثبات الحكم للمذكور ونفيّه عمّا عداه، وهو المعروف بالقصر أيضاً.² والذي يذهب إليه عددٌ من العلماء، هو أنّه لا فرق بين مصطلحي القَصْر والحَصْر في معناهما اللّغويّ، وهو ما سنزيده تفصيلاً فيما يأتي.

المطلب الثالث: مصطلح الاختصاص:

وسنعرّفه من جهتي اللّغة والاصطلاح.

أ- لغةً:

يقال: خَصّه بالشّيء يُخَصّه خَصّاً وخُصُوصاً وخُصُوصيّةً وخُصُوصيّةً، والْفَتْحُ أَفْصَحُ، وخِصِيصِي، وخَصَصَه واختَصّه: أَفْرَدَه به دون غيره. ويقال: اختَصَّ فلانٌ بالأمر وتخصَّصَ له إذا انفرد، وخَصَّ غيره واختَصَّ بِرّه. ويقال: فلانٌ مُخَصٌّ بفلان أي خاصٌّ به وله به خِصِيّة؛ فأما قول أبي زيد:

إِنَّ امْرَأً خَصَّنِي عَمْدًا مَوَدَّتَهُ *** على التَّنَائِي، لَعِنْدِي غَيْرُ مَكْفُورٍ

فإنّه أراد خَصَّنِي بمودّته فحذف الحرف وأوصل الفعل، وقد يجوز أن يريد خَصَّنِي لمودّته إِيَّاي فيكون كقوله: (وَأَغْفِرُ عَوْرَاءَ الْكَرِيمِ ادّخارَه).

قال ابن سيده: وإِنَّمَا وَجَّهْنَاهُ عَلَى هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ لِأَنَّا لَمْ نَسْمَعْ فِي الْكَلَامِ خَصَصْتَهُ مُتَعَدِّيةً إِلَى مَفْعُولَيْنِ، وَالْإِسْمُ الْخُصُوصِيَّةُ وَالْخُصُوصِيَّةُ وَالْخِصِيَّةُ وَالْخَاصَّةُ وَالْخِصِيصِي، وَهِيَ تُمَدُّ وَتُقْصَرُ؛ عَنْ كِرَاعٍ، وَلَا نَظِيرَ لَهَا إِلَّا الْمَكِّيَّةُ. ويقال: خاصٌّ بِيٍّ الْخُصُوصِيَّةُ، وَفَعَلْتَ ذَلِكَ بِكَ خِصِيَّةً وَخَاصَّةً وَخُصُوصِيَّةً وَخُصُوصِيَّةً.

¹ ينظر: الزّبيدي، مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الكريم العرابي، راجعه: عبد الستار أحمد فرج، مطبعة حكومة الكويت، د.ط، 1392هـ-1972م: 24/16، وما بعدها.

² ينظر: تواتي، خالد، الحصر عند البلاغيين، عن موقع: <https://academia-arabia.com/ar/reader/2/23214>. تاريخ النقل عنه: 26 فيفري 2022 على الساعة 10 صباحاً.

والخاصة: خلاف العامة. والخاصة الذي اختصته لنفسك، قال أبو منصور: خويصة. وفي الحديث: بادروا بالأعمال ستاً الدجال وكذا وكذا وخويصة أحدكم، يعني حادثة الموت التي تخص كل إنسان، وهي تصغير خاصة وصغرت لاحتقارها في جنب ما بعدها من البعث والعرض والحساب، أي بادروا الموت واجتهدوا في العمل، ومعنى المبادرة بالأعمال الانكماش في الأعمال الصالحة والاهتمام بها قبل وقوعها، وفي تأنيث الست إشارة إلى أنها مصائب. وفي حديث أم سليم: وخويصتك أنس أي: الذي يختص بخدمتك وصغرت لصغره يومئذ. والخصان والخصان: كالخاصة؛ ومنه قولهم: إنما يفعل هذا خصان الناس أي: خواص منهم؛ وأنشد ابن بري لأبي قلابة الهذلي:

والقوم أعلم هل أرمي وراءهم *** إذ لا يقاتل منهم غير خصان

والإخصاص: الإزراء. وخصه بكذا: أعطاه شيئاً كثيراً؛ عن ابن الأعرابي.

والخصاصة من الكرم: الغصن إذا لم يزرّ وخرج منه الحب متفرقاً ضعيفاً. والخصاصة: ما يبقى في الكرم بعد قطافه العنقيد الصغير ههنا وآخر ههنا، والجمع الخصاص، وهو النبذ القليل؛ قال أبو منصور: ويقال له من غذوق النخل الشمّل والشمليل، وقال أبو حنيفة: هي الخصاصة، والجمع خصاص، كلاهما بالفتح.¹

● وأما اصطلاحاً، فالاختصاص عند علماء البيان هو تخصيص أمرٍ بأمرٍ بطريق مخصوص.

المطلب الرابع: الفروق بين هذه المصطلحات:

يكون قد تبين بعد الذي تم إيراده، أنه لا توجد فروق بين مصطلحات القصر والحصر من جهة اللغة بما أنهما يشتركان في الدلالة على معنى الحبس، وعدم التجاوز إلى الغير، فلا خلاف بين علماء اللغة والمعاني بخصوص هذه المسألة كما يظهر، إلا البعض كالدسوقي على سبيل التمثيل لا الحصر الذي ذكر فرقاً بين "الحبس" و"عدم التجاوز"، وأن القصر مأخوذ من عدم التجاوز وليس من "الحبس"، بدليل التعبير بلفظة (على)؛ فقال: «القصر في اللغة: الحبس، ومنه قوله تعالى: ﴿خُورْ مَقْصُورَاتٍ فِي الْخِيَامِ﴾²، أي: محبوسات، ثم يقول: قال بعضهم: هو في اللغة عدم المجاوزة إلى الغير،

¹ ينظر: ابن منظور، لسان العرب: (باب الخاء فصل الصاد)، 1173/24-1174.

² الرحمن: 72.

فهو من قصر الشيء على كذا، إذا لم يتجاوز به إلى غيره، لا من قَصَرْتُ الشيءَ حَبَسْتُهُ بدليل التعبير بِعَلَى¹.

ولكن في العموم، لا خلاف بين العلماء في معنى كلمتي "القَصْرُ والحَصْرُ" من ناحية اللغة، وإنما وقع الخلاف في مصطلحي القصر والاختصاص من جهة الاصطلاح، على الرغم من أنه لا فرق بينهما تقريباً لغةً؛ إذ كما رأين؛ فالفعلُ خَصَّ يُخَصُّه بالشيء خَصّاً وخصوصاً، واختَصَّه، معناه هو: أفرَّده به دون غيره، أي أنَّ التَّخصيص ضد التَّعميم، وهو يشترك فيه مع مصطلح القصر الذي يدلُّ على الحبس وعدم المجاوزة إلى الغير، وتخصيص شيء بشيء من دون تعدّيه إلى غيره. يقول الدسوقي في شأن مصطلحي القصر والاختصاص موضحاً: «واعلم أنَّ الاختصاص والقصر بمعنى واحد عند علماء المعاني، وذلك لأنَّهم نصُّوا على أنَّ تقديم ما حُقُّه التَّأخير يفيد الاختصاص، وقابلوه بالاهتمام؛ فدلَّ على أنه غيره، وعدُّوا التَّقديم المذكور من طرق القصر، وكون القصر لا يتأتَّى في بعض المواضع، ممَّا لا ينكره القوم، لأنَّهم قالوا بإفادته غالباً. وأمَّا قول ابن السُّبكي بالفرق بين القصر والتَّخصيص، فمخالِفٌ لما عليه أهلُ المعاني»².

وعلى كلٍّ، فالذي يظهر حسب ما ورد آنفاً، هو أنَّه لا فروق كبيرة بين مصطلحات القصر والحصر والاختصاص من جهة الاصطلاح؛ إذ تقترب معانيها إلى حدٍّ بعيد، هذا إذا لم يكن من المبالغة القول إنَّ لها معنى واحداً، وأنَّ للمعنى اللغوي صلةً وثيقةً بالمعنى الاصطلاحي.

¹ الدسوقي، (شروح التلخيص)، حاشية الدسوقي: 166/2.

² المرجع نفسه: 153/2.

المبحث الثاني: أغراض القصر وفوائده البلاغية:

إنَّ لأسلوب القصر أغراضاً بلاغيةً وفوائد يفيدها في الكلام، وتُفهم من سياقه، تُورِّدُها تبعاً فيما يأتي:

المطلب الأول: أغراضه:

أ- تمكين الكلام وتقريره في الذهن:

كقول الشاعر: وما المرءُ إلَّا كالهلالِ وضوئه *** يُوافي تمامَ الشهرِ ثمَّ يَغيبُ
فالإنسان كائنٌ حيٌّ يملأُ أسماعَ الدنيا بأفعاله وأقواله، واسمُّه يلمع في كلِّ سماءٍ، وذكره يجري على كلِّ لسانٍ، إلَّا أنَّ صورته بعد موته تختفي، ولمعائه ينطفئ ويصير رماداً بعد أن كان متوهجاً، هذه الصورة الحسية في تشبيه أخيه بالشهاب اللامع الذي يخبو لمعانه سريعاً تؤكد وتقرّر المعنى الذي قصد إليه لبيد في رثاء أخيه وهو يحدّد المعاني تحديداً كاملاً كقوله صلى الله عليه وسلم: "لا صلاةَ إلَّا بسورة الحمد".¹

ب- المبالغة في المعنى:²

كقول دعل الخزاعي: "وما المرءُ إلَّا الأصغران: لِسَانُهُ *** وَمَعْقُولُهُ وَالْجِسْمُ خَلْقٌ مُصَوَّرٌ"
هذا، وقد ينحو فيه الأديب مناحي شتى، كأن يتّجه إلى القصر الإضافي رغبةً في المبالغة كقول الشاعر

:وما الدنيا سوى حُلْمٍ لَذِيذٍ *** تُنبّههُ تَبَاشِيرُ الصَّبَاحِ

وقد يكون من مرامي القصر كذلك:

ج- التعريض:³ كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.⁴ إذا ليس الغرض من الآية الكريمة أن يعلم السامعون ظاهر معناها، ولكنها تعريضٌ بالمشرّكين الذين في حكم من لا عقل له.

¹ ينظر: الهاشمي، السيد أحمد، جواهر البلاغة في البيان والبدیع والمعاني، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، د.ط، 1424هـ-2003م: 171 (الحاشية).

² ينظر: المرجع نفسه: 171.

³ ينظر: المرجع نفسه: 172.

⁴ الزمر: 09.

د-القصر باب عظيم من أبواب البلاغة: وذلك بالنظر على ما فيه من الإيجاز والتقرير، وهو من أهم أركان البلاغة، فجملة القصر تقوم مقام جملتين: مثبتة ومنفية، مثل ذلك قوله جلَّ شأنه: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا هُوَ وَلَعِبٌ﴾¹.

المطلب الثاني: من فوائده التوكيد:

إنَّ القصر توكيدٌ، وأداته التي يقوم عليها هي النفي والاستثناء. ومن المعلوم أنَّ الغرض البلاغي الذي يؤدِّيه القصر ليس جماليًّا، فالقصر من مباحث علم المعاني. والغرض الذي يؤدِّيه أسلوب القصر غرضٌ جوهريٌّ يتعلَّق بمعاني الجمل، وقد يختلف المعنى كليًّا لتقديم كلمةٍ أو تأخيرها بحسب السياق القرآني.

وأسلوبُ القصر يتكوَّن من ركنين المقصور والمقصور عليه، أي أنَّ أحد الشيئين موصوفٌ والآخر صفة.

ومن شواهد ذلك في القرآن الكريم قول المولى تبارك وتعالى: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾²، وذلك أنَّ قوله: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ مُشَابِكٌ لقوله: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ ومُداخل في ضمنه من ثلاثة أوجه. وجهان: هو فيهما شبيهة بالتأكيد، ووجهٌ هو فيه شبيهة بالصفة. فأحد وجهي كونه شبيهاً بالتأكيد، هو أنَّه إذا كان ملكاً لم يكن بشراً، وإذا كان كذلك كان إثبات كونه ملكاً تحقيقاً لا محالة، وتأكيداً لنفي أن يكون بشراً.

وثاني وجهه، هو أنَّ الجاري في العرف والعادة أنَّه إذا قيل: "مَا هَذَا بَشَرًا"، و"مَا هَذَا بِأَدَمِيٍّ"، والحالُ حال تعظيم وتعجب ممَّا يشاهد في الإنسان من حُسْنِ خُلُقٍ أو خُلُقٍ أن يكون الغرض والمراد من الكلام أن يُقال إنَّه مَلَكٌ، وأنَّه يُكْنَى به عن ذلك، حتَّى إنَّه يكون مفهوم اللفظ، وإذا كان مفهوماً من اللفظ قبل أن يُذكر، كان ذكره إذا ذُكِرَ تأكيداً لا محالة؛ لأنَّ حدَّ التأكيد أنَّ تُحَقِّقَ باللفظ معنى قد فُهِمَ من لفظ آخر قد سبق منك، أفلا ترى أنَّه إنَّما كان "كُلُّهُمْ" في قولك: "جَاءَنِي الْقَوْمُ كُلُّهُمْ" تأكيداً من حيث كان الذي فُهِمَ منه، وهو الشَّمول، قد فُهِمَ بديهاً من ظاهر

¹ العنكبوت: 64.

² يوسف: 31.

لفظ "القوم"، ولو أنه لم يكن فهم الشمول من لفظ "القوم"، ولا كان هو من موجهه، ولم يكن "كل" تأكيداً، ولكان الشمول مستفاداً من "كل" ابتداءً.¹

وأما وجه شبه قوله تعالى: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ بالصفة، فمن جهة نفي أن يكون النبي يوسف، عليه السلام، بشراً وهو ما يُدخله في جنس آخر حتماً، وهو جنس "الملك" المثبت له تبييناً وتعييناً لذلك الجنس، تماماً كقولنا: "مَرَرْتُ بِزَيْدِ الظَّرِيفِ" إذ وردت فيه كلمة "الظريف"، تبييناً وتعييناً للذي أُريدَ بالحكم من بين من له هذا الاسم، وكان ذلك إغناءً للمخاطب عن الحاجة إلى التساؤل قائلاً مثلاً: "أيُّ الزَّيْدِينَ أردتَ؟"²

والمفهوم هنا، هو تقرير أن الجملة المؤدّية معنى القصر الواقعة بعد كلام سابق لها، تكون في موضع التوكيد لهذا المذكور أخيراً، كما مثل له أنفاً، وكما أضاف عبد القاهر مبيّن ذلك، أن «مما جاء فيه الإثبات بأنّ وإلا على هذا الحدّ قوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾³، وقوله: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾⁴، أفلا ترى أنّ الإثبات في الآيتين جميعاً تأكيد وتثبيت لنفي ما نفّي؟ فإثبات ما علّمه النبيّ؛ صلى الله عليه وسلّم، وأوحى إليه ذكراً وقرآناً، تأكيد وتثبيت لنفي أن يكون قد علّم الشعر. وكذلك إثبات ما يتلوه عليهم وحياً من الله تعالى تأكيداً وتقريراً لنفي أن يكون نطق به عن هوى».⁵

ففي الآية الأولى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ تضمّن معنى توكيد النفي علم الرسول الكريم، عليه أفضل الصلوة والتسليم، بالشعر وكذا توكيدا لنفي تعليم الله سبحانه إيّاه هذا الفن من القول المنظوم: «على معنى أنّ القرآن ليس بشعر، وما هو بالشعر في شيء، وأين هو من الشعر، والشعر إمّا هو كلامٌ موزونٌ مُقَفًّى يدلّ على معنى، فأين الوزن، وأين التقفية، وأين المعاني التي ينتحيتها الشعراء من معانيه، وأين نظم كلامهم عن نظمه وأساليبه، فإذا لا مناسبة بينه وبين الشعر إذا حققت، اللهم إلا أنّ هذا لفظه عربيٌّ كما أنّ ذلك كذلك... يعني: "ما هو إلا ذكر من الله تعالى

¹ الجرجاني، دلائل الإعجاز: 229-230.

² ينظر: المرجع نفسه: 230.

³ يس: 68.

⁴ النجم: 3، 4.

⁵ الجرجاني، دلائل الإعجاز: 230-231.

يُوعَظُ به الإنسان والجنّ"، كما قال: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾¹، و"مَا هُوَ إِلَّا قُرْآنٌ كِتَابٌ سَمَويٌّ يُقْرَأُ فِي الْمَحَارِبِ، وَيُتْلَى فِي الْمَتَعَبَّاتِ، وَيُنَالُ بِتِلَاوَتِهِ وَالْعَمَلِ بِمَا فِيهِ فَوْزُ الدَّارَيْنِ"².

¹ التّكوير: 27.

² الزّبخشري، الكشّاف: 3/329-330.

المبحث الثالث: أقسامه:

يقسم البلاغيون أسلوب القصر عدّة تقسيماتٍ حسب بعض الاعتبارات، وهي كما يأتي بيانه:

المطلب الأول: باعتبار طرفيه:

1- القصر الحقيقي:

أن يكون جميع ما سوى المقصور عليه، ويسمى عند البلاغيين "قصرًا حقيقيًا" مثل "لا إله إلا الله" أي: "لا يوجد في الوجود كُله معبودٌ بحق سوى الله عزّ وجلّ"، وهذا "القصر الحقيقي" إذا كان مضمونه مطابقاً للواقع سمّوه "حقيقياً تحقيقيًا" أي صادقاً مطابقاً للواقع. وإذا كان غير مطابق للواقع، وإنّما ذُكر على سبيل المبالغة والادّعاء المجازي سمّوه "حقيقياً ادّعائياً أو مجازياً" مثل قولهم: "لا سيف إلا ذو الفقار".

2- القصر الإضافي:

أن يكون المقصور عنه شيئاً خاصّاً يُراد بالقصر بيان عدم صحّة ما تصوّره بشأنه أو ادّعاء المقصود بالكلام، أو إزالة شكّه وتردّده. إذا، الكلام كلّهُ مُنَحْصِرٌ في دائرة خاصّة، ويسمى "قصرًا إضافيًا" أي: ليس قصرًا حقيقياً عامّاً، وإنّما هو قصرٌ بالإضافة إلى موضوع خاصٍّ يدور حول احتماليين أو أكثر من احتمالاتٍ محصورةٍ بعددٍ خاصٍّ، ويُستدلُّ عليها بالقرائن، مثل: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾.¹ لقد جاء هذا البيان لتصحيح تصوّر الذين يتوهّمون أنّ محمّداً - عليه الصّلاة والسّلام - رسولٌ لا يموت كما يموت سائر النّاس.

فالموضوع الخاصّ الذي يدور الكلام حوله هو كون محمّدٍ رسولاً مبرّئاً من أن يكون عرضةً للموت، فجاء النصّ مبيناً قصره على كونه رسولاً فقط، والمقصود عنه أمرٌ خاصٌّ هو كونه لا يموت، لا سائر الصّفات غير صفة كونه رسولاً؛ إذ له صفات كثيرة لا حصر لها، وهي لا تدخل في المقصور عنه. إذا: فالقصر في هذا المثال هو من قبيل "القصر الإضافي".²

وهما أيضاً قسمان. قصرٌ صفة على موصوف، وقصرٌ موصوفٍ على صفة.

¹ آل عمران: 144.

² ينظر: البيدق، فريد، القصر من "البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها"، عن موقع:

<https://www.kulalsalafiyeen.com/vb/showthread.php?t=39057>. تاريخ آخر تحديث: 17

جوان 2012م، على الساعة 01 ليلاً و 29 دقيقة. تاريخ الأخذ عنه: 24 ماي 2021 على الساعة 12 و 54 دقيقة.

الأول: أي قصر الموصوف على الصفة من الحقيقي، نحو: "مَا زَيْدٌ إِلَّا كَاتِبٌ"، إذا أريد أنه لا يتّصف بغيرها، أي غير الكتابة من الصفات وهو لا يكاد يوجد لتعذر الإحاطة بصفات الشيء حتى يمكن إثبات شيء منها ونفي ما عداها بالكليّة، بل هذا محال، لأنّ للصفة المنفيّة نقيضاً، وهو من الصفات التي لا يمكن نفيها ضرورة امتناع ارتفاع النقيضين، إذا قلنا مثلاً: "مَا زَيْدٌ إِلَّا كَاتِبٌ"، وأردنا أنه لا يتّصف بغيره لزم أن لا يتّصف بالقيام ولا بنقيضه وهو محال.

والثاني: أي قصر الصفة على الموصوف من الحقيقي كثير نحو: "مَا فِي الدَّارِ إِلَّا زَيْدٌ" على معنى أنّ الحصول في الدار المعيّنة مقصور على زيد وحده.

وقد يُقصدُ بالنوع الثاني المبالغة لعدم الاعتداد بغير المذكور، كما يقصد بقولنا: "مَا فِي الدَّارِ إِلَّا زَيْدٌ"، على أنّ المقصود هو كون جميع من في الدار ممّن عدا زيداً، في حكم العدم، فيكون قصراً حقيقياً ادّعائياً.¹

3- الفرق بينهما وبين القصر الادّعائي:

ولعلّ فيما سبق ذكره إشارة إلى الفرق بين القصر الإضافي والقصر الحقيقي الادّعائي، وتوضيح ذلك أنّ أقسام القصر أربعة:

1- القصر الحقيقي على وجه الحقيقة؛

2- الحقيقي على وجه المبالغة؛

3- الإضافي على وجه الحقيقة؛

4- الإضافي على وجه المبالغة؛

والفرق بين الحقيقيين: التّحقيقيّ والادّعائيّ واضح لا يحتاج إلى شرح، لأنّ الأقسام الثلاثة قصر الأفراد والقلب والتّعيين المتصورة بحسب ردّ اعتقاد المخاطب لا تجري في القصر الحقيقي وتجري في الإضافة على وجه الحقيقة.

وكذلك الفرق بين الحقيقيّ الادّعائيّ والإضافيّ الادّعائيّ واضح؛ إذ إنّ الأوّل يجعل فيه ما عدا المذكور بمنزلة المعدوم، والثاني يجعل فيه ما يكون القصر بالإضافة إليه منزلة المعدوم كالمثال المذكور إذا قصد أنّ الحصول في الدار مقصور على زيد، لا يتجاوز إلى عمرو، وجعل عمرو بمنزلة العدم، فالأوّل

¹ ينظر: الباماني، محمّد، دروس في البلاغة- شرح مختصر المعاني للتفتازاني، مؤسسة البلاغ، ط1، د.ت: 300/2-306.

يُنَزَّلُ فيه جميع من سوى زيد بمنزلة العدم، والثاني يُنَزَّلُ فيه بعض من سواه، وهو ما يكون القصر بالإضافة إليه منزلة العدم.

ولكنّ الكلام في الفرق بين القصر الحقيقي على وجه المبالغة والادّعاء، وبين القصر الإضافي على وجه الحقيقة، والفرق بينهما دقيق، كثيراً ما يلتبس أحدهما بالآخر، والفرق بينهما لأحد أمرين: الأول: إنّ الحقيقي الادّعائي مبني على المبالغة، والتّزيه، فإذا قلت مثلاً: "ما في الدّار إلّا زَيْدٌ"، وأردت لا غيره، وكان فيها غيره، ونزلته منزلة العدم كان القصر حقيقياً ادّعائياً، وإن أردت لا عمرو، وكان فيها بكرٌ وخالدٌ أيضاً كان القصر إضافياً على وجه الحقيقة. الثاني: إنّ لا يشترط في الحقيقي مطلقاً اعتقاد المخاطب على أحد الوجوه الثلاثة في الأفراد والقلب والتّعيين.¹

المطلب الثاني: باعتبار حال المخاطب:

ربّما يكون قد توضّحت بعض معالم هذا النوع من القصر ممّا ذكر قبل، إذ المعلوم أنّ الكلام يوجّه إمّا لأحد أشخاص ثلاثة:

- لمن يراد إعلامه بمضمونه وهو خالي الذّهن؛
- أو يراد تصحيح تصوّره للذي هو مخطئ فيه بحسب اعتقاد مُوجّه القول؛
- أو يُراد رفع شكّه وتردّده.

ويستخلص من هذا أربعة أقسام في القصر:

القسم الأول: القصر الإعلامي الابتدائي:

أن يكون الكلام المشتمل على القصر موجّهاً لخالي الذّهن، أو إعلاناً عن اعتقاد المتكلم، أو اعترافه بمضمون ما يقول، أو تعبيره عما في نفسه لمجرّد الاعلام به، ويُسمّى "قصرًا إعلاميًا ابتدائيًا".

القسم الثاني: قصر الأفراد:

ونقصد به التّخصيص بشيء دون شيء من يعتقد الشركة، أي شركة صفتين في موصوف واحد في قصر الموصوف على الصّفة، وشركة موصوفين في صفة واحدة في قصر الصّفة على الموصوف، فالمخاطب بقولنا: "ما زَيْدٌ إلّا كَاتِبٌ"، من يعتقد اتّصافه بالشّعر والكتابة، وبقولنا: "ما

¹ ينظر: البامياتي، محمّد، دروس في البلاغة - شرح مختصر المعاني للتفتازاني: 306.

كَاتِبٌ إِلَّا زَيْدٌ"، من يعتقد اشتراك زيد وعمرو في الكتابة، ويسمى هذا القصر قصر أفراد لقطعه الشركة التي اعتقدها المخاطب.¹

ومعنى هذا، أنه حين يكون الكلام المشتمل على القصر موجّهاً لمن يُراد إعلامه بخطأ تصوّره مُشاركة غير المقصور عليه في المقصور، ومثاله: "يعتقد المشرك أنّ الأرباب التي يُؤمن بها تخلق"، كما أنّ الله يخلق، فنقول له: "لَا خَالِقَ إِلَّا اللَّهُ". هذا قصر حقيقي، من قصر الصفة على الموصوف، ويُراد منه أفراد الله عزّ وجلّ بالخلق، ونفّي صفة الخلق عن كلّ ما سواه ومن سواه من الشركاء؛ لتعريف المخالف بأنه مخطئ في تصوّره مشاركة غير الله في الخلق، فهو "قصر أفراد".

القسم الثالث: قصر القلب:

ويكون هذا الكلام موجّهاً إلى المخاطب الذي كان يعتقد عكس الحكم الذي أثبتته المتكلم، فمثلاً، يكون المخاطب بقولنا: "ما زَيْدٌ إِلَّا قَائِمٌ"، من اعتقد اتّصافه بالعود دون القيام، وبقولنا: "ما شاعرٌ إِلَّا زَيْدٌ"، من اعتقد أنّ الشاعر عمرو لا زيد، ويسمى هذا القصر قصر قلب، لقلبه حكم المخاطب واعتقاده إلى عكسه.²

ومن هذا الذي قيل، يتّضح أنّ في حال قصر القلب يكون الكلام المشتمل على القصر موجّهاً لمن يُراد إعلامه بخطأ تصوّره نسبةً المقصور إلى غير المقصور عليه، ومثاله: "يَعْتَقِدُ الملحد الذي يَحْجِدُ وجود الله عزّ وجلّ، وينسب أحداث الكون المتقنة العجيبة إلى التطوّر الذاتي، وإلى المصادفات، فنقول له: "لَا تُحْدِثْ لأحداث الكون إِلَّا الله".

فهذا قصر حقيقي، من قصر الصفة التي هي إحدائ أحداث الكون، على موصوف واحد هو الله عزّ وجلّ، ويُراد منه قلب تصوّر من يُوجّه له الخطاب، وتعريفه بأنّ ما ينسب إليه إلى التطوّر الذاتي وإلى المصادفات هو الله وحده؛ فهو "قصر قلب".

القسم الرابع: قصر التعيين:

أن يكون الكلام المشتمل على القصر موجّهاً لمن يُراد إزالة تردّده وشكّه، هل المقصور منسوب إلى المقصور عليه أو إلى غيره، ويسمى البلاغيون هذا "قصر تعيين". ومثاله: أن يسأل متردّد شكّاً: هل لفظ الكسوف يُستعمل لاختفاء ونقصان ضوء الشمس أو نور القمر؟ فنقول له: "لا

¹ ينظر: البامباني، محمّد، دروس في البلاغة - شرح مختصر المعاني للتفتازاني: 311.

² ينظر: المرجع نفسه: 312.

يُسْتَعْمَل لفظ الكسوف إلاً للشمس، أما ما يحدث للقمر فيُسَمَّى الحُسُوف". هذا قصرٌ إضافي، لأن كلمة "الكسوف" تُسْتَعْمَل لمعانٍ أخرى غير ما يحدث للشمس، ومنها تنكيس الطُّرْف، وهو من قصر الصِّفَة على الموصوف. ويُرادُّ منه إزالة شكٍّ وتردّد من يوجّه له القول بتعيين المقصور عليه، فهو "قصرٌ تعيين".

ويرى البلاغيون إلى أنّ "قَصَرَ الإفراد، وقَصَرَ القَلْب، وقَصَرَ التَّعْيِين" أقسامٌ للقصر الإضافي فقط، والظاهر أنّ الأمر ليس بتلك الدقّة؛ لما في الأمثلة التي تمّ إيرادها شواهداً للأقسام، منها ما هو قصرٌ حقيقي، ومنها ما هو قصرٌ إضافي. فالأقسام الأربعة السابقة نستطيع أن نعتبرها أقساماً للقصر بوجهٍ عامٍّ، وحال المقصود بتوجيه الكلام له هي التي تحدّد كون القصر قصرَ إعلامٍ ابتدائي، أو قصرَ إفراد، أو قصر قلب، أو قصر تعيين.¹

المطلب الثالث: أركانُ القصر:

واضح ممّا ذكر آنفاً أنّها أربعة أركان:

- الركن الأول: المقصور، صفةً كان أو موصوفاً؛

- الركن الثاني: المقصورُ عليه، صفةً كان أو موصوفاً؛

- الركن الثالث: المقصورُ عنه، وهو المنفيُّ المستبعدُ بالقصر؛

- الركن الرابع: القولُ المقصورُ به.

ولنأخذ مثلاً على ذلك، كلمة التوحيد: "لا إله إلا الله" وهي من القصر الحقيقي التحقيقي

قصر صفةٍ على موصوف:

* المقصور: صفة الإلهية للمعبود بحق؛

* المقصور عليه قصرًا حقيقياً: الله عز وجل الموصوف بأنّه الإله بحق؛

* المقصورُ عنه: كلُّ ما سوى الله عز وجل؛

* القول المقصور به: النفي والاستثناء في العبارة: (لا...إلا).

وقد اهتم البلاغيون بتحديد الطريقتين الآتين "الثالث والرابع" وشرحهما وتقسيمهما

وتفصيلهما، فهو القصر الاصطلاحي المدوّن عند علماء البلاغة، والذي وجّهوا له عنايتهم وفيما يلي

¹ ينظر: البيدق، فريد، القصر من "البلاغة العربية- أسسها وعلومها وفنونها"، سابق.

شرحها، وهي أن يكون القصر ببعض الأدوات التي تدلُّ عليه بالوضع اللغوي، وهي: النفي والاستثناء - وكلمتا "إنَّما" و"أمَّا" - والعطف بالحروف: "لا - بل - لكن". وهذا بيان ذلك كلّه.

الفصل الثاني

طرقُ القصر

المبحث الأول: النفي والاستثناء:

وهي من أوسع طرق القصر وأكثرها شهرةً ودوراناً في كتاب الله تعالى، والنفي والإثبات أساس أسلوب القصر؛ إذ من خلال هذا الأسلوب تظهر لنا كل المعاني والصّور المتصلة بأسلوب القصر وقيّمته البلاغية.

المطلب الأول: في معنى القصر بين إنّما وإلا:

وحرّياً بنا في البداية أن نورد هذه الموازنة بين استعمالات إنّما الحاصرة وطريق النفي والاستثناء تمهيداً لما سيأتي، وهو أنّ الأداة إنّما «تجيء لخير لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته، أو لما يُنزل هذه المنزلة. وتفسير ذلك أنّك تقول للرجل: "إنّما هو أخوك"، و"إنّما هو صاحبك القديم": لا تقوله لمن يجهل ذلك ويدفع صحته، ولكن لمن يعلمه ويُقرّ به. إلّا أنّك تريد أن تنبّه للذي يجب عليه من حقّ الأخ، وحرمة الصّاحب».¹ ومثّل ذلك قول المتنبي:²

إنّما أنت والدّ، والأبّ القّا .: طع أخى من واصل الأولاد

فأبو الطيّب المتنبي هنا «لم يُرد أن يُعلّم كافوراً أنّه والدّ، ولا ذاك ممّا يحتاج كافور فيه إلى الإعلام، ولكنّه أراد أن يذكره منه بالأمر ليني عليه استدعاء ما يُوجبه كونه بمنزلة الوالد».³ وهو ما يفهم منه، أنّ المتنبي قصّد إلى مدح كافور، كأنّه قال فيه: «إنّما أنت في تربيتك ابن الإخشيد وقوّمتك عليك كالوالد، والوالد القاطع أبّ بالولد الواصل بأبيه وأخى منه عليه. يريد: أنّك ربّيت ابن سيّدك وأنت أشفق عليه من كلّ أحد».⁴

¹ الجرجاني، دلائل الإعجاز: 330. فطريق "إنّما" يسلك إذا مع مخاطب في مقام لا يصرّ على خطئه، أو يجب عليه أن لا يصرّ على خطئه، إذ لا يقال مثلاً: "إنّما زيد يجيء"، و"إنّما يجيء زيد" إلّا والسماع مُتلقّ هذا الكلام بالقبول. ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم: 128، و اليمني، الطراز، دار الكتب العلمية-بيروت، د.ط، 1400هـ-1980م: 201/2، والقزويني، الإيضاح في علوم البلاغة: 77. والجدير بالذكر هاهنا، أنّ استعمالات كتاب "الإيضاح في علوم البلاغة" فيما تبقي من هذا البحث سيكون المقصود بها هذه الطبعة المذكورة أخيراً.

² البيت في: البرقوقي، عبد الرحمن، شرح ديوان المتنبي، دار الكتاب العربي-بيروت، ط2، 1400هـ-1980: 133/2، وهذا البيت من قصيدة نظمها شاعرنا بمناسبة اصطلاحه مع كافور بعد وحشة وقعت بينهما، ومطلّعهما:

حسَم الصلح ما اشتتهه الأعادي .: وأداعته ألسن الحساد

³ الجرجاني، دلائل الإعجاز: 330.

⁴ البرقوقي، عبد الرحمن، شرح ديوان المتنبي: 133/2، الحاشية رقم: 05.

ونلاحظ هنا، أنّ الأداة "إنّما" في مثل هذه الأنماط قد «أثبتت إثباتاً لما ذكر بعدها ونفيّاً لما سواها. فنلاحظ هذا التأثير النفسي لطابع التعبير وتذوّق المدلول الحيوي للسياق الكلامي، حيث نلاحظ في نمط الإثبات أنّ التأثير النفسي يلعب دوراً في التركيب، ويرجع ذلك إلى تشكيل المدلول اللغوي حسب بنية الإثبات النمط المقصود الذي لا يجب أن ينفصل فيه معنى الدلالة عن مبنائها. فمثل هذه الأنماط نرى الخبر فيها خبراً بأمر يعلمه المخاطب ولا ينكره بحال».¹

وبعد هذه التوطئة الذهنية لوجه بناء القصر بـ "إنّما" بإيجاز، وصلاً له بما سيأتي من كلام، عن "إلا" وتحقيقاً للتساوق الفكري والمعنوي المطلوبين. فما حال مجيئ جملة القصر بالنفي والإثبات بإلا معنى ودلالة؟ وما مزايا هذا الطريق في إفادته معنى الحصر، من حيث تركيبه، وبلاغته، وجماليته؟ كما رأينا سابق، فقد ورد معنا أنّ استعمال "إنّما" يكون في الإخبار عن شيء معلوم لدى السامع، أو لما نُزِّل هذه المنزلة من جهة أخرى، نحو قول ابن قيس الرقيّات:²

إنّما مُصْعَبُ شَهَابٍ مِنَ اللَّهِ . : هَ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظَّلَمَاءُ

الذي «ادّعى في كون الممدوح بهذه الصّفة، أنّه أمر ظاهر معلوم للجميع على عادة الشعراء إذا مدحوا أنّ يدّعوا في الأوصاف التي يذكرون بها الممدوحين أنّها ثابتة لهم، وأنهم قد شهروا بها، وأنهم لم يصفوا إلا بالمعلوم الظاهر الذي لا يدفعه أحد».³ فإذا كان هذا عن "إنّما" الحاصرة عند الجرجاني، فهو يرى أنّ «الخبر بالنفي والإثبات نحو: "ما هذا إلا كذا"، و"إنّ هو إلا كذا"، فيكون للأمر ينكره المخاطب ويشكّ فيه. فإذا قلت: "ما هو إلا مُصِيبٌ"، أو: "ما هو إلا مخطئٌ"، قلته لمن يدفع أنّ يكون الأمر على ما قلت. وإذا رأيت شخصاً من بعيد فقلت: "ما هو إلا زيدٌ"، لم تقله إلا وصاحبك يتوهم أنّه ليس بزيد، وأنّه إنسان آخر ويجدّ في الإنكار أن يكون زيدا».⁴

والجدير بالذكر في هذا الموضع، هو أنّه إذا كان مرجع القصر كلّ، إمّا على قصر موصوف على صفة أو صفة على موصوف؛ فإنّ تحقيق وجه القصر في الأوّل أنّه متى قيل: "ما زيدٌ" توجه

¹ بلعيد، صالح، التراكيب التحوية وسياقاتها المختلفة عند عبد القاهر الجرجاني: 151.

² البيت في: ابن قيس الرقيّات، عبيد الله، الديوان، تحقيق: محمّد يوسف، دار صادر بيروت-د.ط، د.ت: 91، وفي: الأصفهاني، الأغاني: 157/4. وهو بيت من قصيدة بمدح بها مصعب بن الزبير، ويفتخر بقريش. ينظر: ابن قيس الرقيّات، عبيد الله، الديوان: 87.

³ الجرجاني، دلائل الإعجاز: 331. وينظر: السكاكي، مفتاح العلوم: 128، والمني، الطراز: 201/2-202.

⁴ الجرجاني، دلائل الإعجاز: 332.

النفي إلى صفته لا إلى ذاته، لأنّ أنفس الدّوات يمتنع نفيها وإنّما تُنفى صفاتها. وحيث إنّ لا نزاع في طوله وقصره وما شاكل ذلك، وإنّما النزاع في كونه شاعراً أو كاتباً تناولهما النفي. فإذا قيل: "إلا شاعرٌ" جاء القصر. وفي الثاني أنّه متى قيل: "ما شاعرٌ" بإدخال النفي على الوصف المسلّم ثبوته، أيّ الشعر هنا، توجّه النفي بحكم العقل إلى ثبوته للمدّعي كزيد وعمرو مثلاً، فإذا قيل: "إلا زَيْدٌ" مثلاً، أفاد التركيب معنى القصر.¹

ووجه استعمال طريق القصر بما وإلا: «إذا كان الأمر ظاهراً كالذي مضى، لم تقله كذلك؛ فلا تقول للرجل ترققه على أخيه وتنبهه للذي يجب عليه من صلة الرّحم ومن حسن التّحاب: "ما هو إلاّ أحوك". وكذلك لا يصلح في "إنّما أنت والدٌ": "ما أنت إلاّ والدٌ". فأما نحو: "إنّما مُصعّبٌ شهابٌ"، فيصلح فيه أن تقول: "ما مُصعّبٌ إلاّ شهابٌ"؛ لأنّه ليس من المعلوم على الصّحة، وإنّما ادّعى الشّاعر فيه أنّه كذلك. وإذا كان هذا هكذا، جاز أن تقوله بالنفي والإثبات، إلاّ أنّك تُخرّج المدح حينئذ عن أن يكون عن حدّ المبالغة، من حيث لا تكون قد ادّعت فيه أنّه معلوم، وأنّه بحيث لا يُنكره مُنكرٌ، ولا يخالف فيه مخالفٌ».²

ووجه إيراد القصر بالنفي والإثبات أنّه قد يُعبّر بوساطته على شيء معلوم ظاهر خلافاً لأصل ذلك كقوله الله جل ثناؤه: ﴿قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾³، إذ يعلّق عليه بقوله إنه سبحانه وتعالى: «إنّما جاء، والله أعلم، "بإن وإلا" دون "إنّما"، فلم يقل: و"إنّما أنتم بشرٌ مثلنا"؛ لأنّهم جعلوا الرّسل كأهمّ بادعائهم التّبوة قد أخرجوا أنفسهم عن أن يكونوا بشراً مثلهم، وادّعوا أمراً لا يجوز أن يكون لمن هو بشر. ولما كان الأمر كذلك أُخرج اللفظ مخرّجه، حيث يُراد إثبات أمر يدفعه المخاطب ويدّعي خلافه، ثم جاء الجواب من الرّسل الذي هو قوله تعالى: ﴿قَالَتْ هُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾⁴، كذلك ب "إن" و "إلا" من دون "إنّما"؛ لأنّ من حُكم من ادّعى عليه خصمه الخلاف في أمر هو لا يخالف فيه، أن يعيد كلام الخصم على وجهه، ويجيء به على هيئته ويحكيه كما هو. فإذا قلت للرجل: "أنت من شأنك كَيْتَ وكَيْتَ"، قال: "نعم،

¹ ينظر: السّكاكي، مفتاح العلوم : 126.

² القزويني، الإيضاح في علم البلاغة: 332.

³ إبراهيم: 10.

⁴ إبراهيم: 11.

أنا من شأني كيت وكيت"، ولكن لا ضير علي ولا يلزمني من أجل ذلك ما ظننت أنه يلزم. فالرسل، صلوات الله عليهم، كأثم قالوا: "إن ما قلمت من أنا بشر مثلكم كما قلمت، لسنا ننكر ذلك ولا نجعله، ولكن ذلك لا يمنعا من أن يكون الله تعالى قد من علينا وأكرمنا بالرسالة".¹

وفي هذا السياق، فقد أورد الزمخشري شرحاً لطيفاً في هذا المقام؛ إذ يرى أن قول الكفار في خطابهم للرسل: ﴿قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾²، أنه في معنى لو قيل إنه: «لا فضل بيننا وبينكم، ولا فضل لكم علينا، فلم تُخصُّون بالنبوة دوننا؟ ولو أرسل الله إلى البشر رسلاً لجعلهم من جنس أفضل منهم وهم الملائكة».³ ثم جاء ردّ المرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم، في قوله عزّ من قائل: ﴿إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾⁴ مجاراةً لكلام مخاطبيهم، وتسليماً «لقولهم وأثم بشر مثلكم؛ يعنون أثم مثلكم في البشرية وحدها، فأما ما وراء ذلك فما كانوا مثلكم، ولكنهم لم يذكروا فضلهم تواضعا منهم، واقتصروا على قولهم: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾⁵ بالنبوة لأنه قد علم أنه لا يختصهم بتلك الكرامة إلا وهم أهل الاختصاص بهم بها لخصائص فيهم قد استؤثروا بها على أبناء جنسهم».⁶

ومما صادفنا في بحثنا من شواهد داعمة لصحة المذهب في وجه استعمال الخبر بالنفي والإثبات قصراً لشيء، على آخر إذا كان المخاطب بالكلام جاهلاً بالحكم فيه غير منكر لمقتضاه من جهة، وجواز توظيف طريق القصر هذا لخبر معلوم مُنَزَّل منزلة المجهول من جهة أخرى، قول الخالق، جلّ في علاه: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾⁷، إذ يعلل الجرجاني مجيء الكلام مبنياً على "إنما"؛ بأنه «ابتداء كلام قد أمر النبي، صلى الله عليه وسلم، بأن يبلغه إياهم ويقولوه معهم، وليس هو جواباً

¹ الجرجاني، دلائل الإعجاز: 333. وينظر: السكاكي، مفتاح العلوم: 128.

² إبراهيم: 10.

³ الكشاف: 369/2-370.

⁴ إبراهيم: 11.

⁵ إبراهيم: 11.

⁶ الزمخشري، الكشاف: 370/2. وينظر: القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة: 77.

⁷ الكهف: 110.

لكلام سابق قد قيل فيه: "إِنَّ أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا"، فيجب أن يُؤْتَى به على وفق ذلك الكلام، ويُراعى فيه حذوه، كما كان ذلك في الآية الأولى¹.

ويزيد الجرجاني هذه المعاني بسطاً وتفسيراً، بقوله: إنه «متى رأيت شيئاً من المعلوم الذي لا يُشَكُّ فيه قد جاء بالنفي، فذلك لتقدير معنى صار به في حكم المشكوك فيه. فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾² إنما جاء، والله أعلم، بالنفي والإثبات، لأنه لما قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾³، وكان المعنى في ذلك أن يقال للنبي، صلى الله عليه وسلم: "إنك لن تستطيع أن تُحوّل قلوبهم عما هي عليه من الإباء، ولا تملك أن تُوقع الإيمان في نفوسهم، مع إصرارهم على كفرهم، واستمرارهم على جهلهم، وصدّهم بأسماعهم عما تقوله لهم وتتلوه عليهم؛ كان اللائق بهذا أن يُجعل حال النبي، صلى الله عليه وسلم، حال مَنْ قد ظنّ أن يملك ذلك، ومن لا يعلم يقيناً أنه ليس في وسعه شيء أكثر من أن يُنذر أو يحذر؛ فأخرج اللفظ مخرجه إذ كان الخطاب مع من يشكّ، ف قيل: ﴿إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾⁴. ويبين ذلك أنك تقول للرجل يُطيل مناظرة الجاهل ومقاولته: "إنك لا تستطيع أن تُسمع الميت، وأن تُفهم الجماد، وأن تُحوّل الأعمى بصيراً، وليس بيدك إلا أن تُبين وتحتج، ولست تملك أكثر من ذلك، لا تقول هاهنا: "فإنما الذي بيدك أن تبين وتحتج"؛ ذلك لأنك لم تقل له: "إنك لا تستطيع أن تُسمع الميت"، حتّى جعلته بمثابة من يظنّ أنه يملك وراء الاحتجاج والبيان شيئاً، وهذا واضح، فاعرفه»⁵.

المطلب الثاني: لطائف دلالية في القصر بـ "ما و"إلا":

وإذا كان واضحاً بعد الذي سبق، تقرير أصليّة استخدام طريق القصر بالنفي والاستثناء لما كان فيه السامع، جاهلاً بحكم الخبر، أو منكراً إيّاه، أو شاكاً في حقيقته خلافاً للحرف "إنما" الذي

¹ الجرجاني، دلائل الإعجاز: 333.

² فاطر: 22، 23.

³ فاطر: 22.

⁴ فاطر: 23.

⁵ الجرجاني، دلائل الإعجاز: 333-334. وعلى هذا يحمل الجرجاني قول الله تعالى في الآية الثامنة والثمانين بعد المائة من سورة الأعراف: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكُنْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾. ينظر: المرجع نفسه: 334، والسكاكي، مفتاح العلوم: 125.

يجئ الخبر غير مجهول، ولا مدفوع صحته عند المخاطب؛ فإنَّ عبد القاهر يتوسَّع في شأن إيراد جملة الحصر بما وإلا، إذ يذكر أنَّ قولنا: "مَا جَاءَنِي إِلَّا زَيْدٌ" يحتمل أمرين اثنين:

«أحدهما: أن تريد اختصاص "زيد" بالجيء وأن تنفيه عمَّن عداه، وأن يكون كلاماً تقوله، لا لأنَّ بالمخاطب حاجة إلى أن يُعْلَم أنَّ "زيداً" قد جاءك، ولكنَّ لأنَّ به حاجة إلى أن يُعْلَم أنَّه لم يجئ إليك غيره.

والثاني: أن تريد الذي ذكرناه في إنمَّا¹، ويكون كلاماً تقوله ليعلم أنَّ الجائي "زيدٌ" لا غيره. فمن ذلك قولك للرجل يدعي أنَّك قلت قولاً ثم قلت خلافه: "مَا قُلْتُ الْيَوْمَ إِلَّا مَا قُلْتُهُ أَمْسَ بَعِينَهُ". ويقول: "لم تر زيدا، وإنما رأيت فلانا"، فتقول: "بل لم أرَ إلا زيدا". وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾²؛ لأنَّه ليس المعنى: "إني لم أزد على ما أَمَرْتَنِي بِهِ شيئا، ولكنَّ المعنى: "إني لم أدع ما أَمَرْتَنِي بِهِ لأنَّ أقوله لهم وقُلْتُ خلافه".³

والمراد هاهنا، هو بيان القول في مسألة وقوع أسلوب القصر مع مراعاة حال المخاطب به، ودليل ذلك قوله إن المراد بجملة: "مَا جَاءَنِي إِلَّا زَيْدٌ" قد يأتي بمعنى قصر فعل "الجيء" على زيد مع انتفائه عن جميع النَّاس؛ بيانا لهذا المخاطب أنَّه لم يجيء إلى المتكلِّم غيره. وهو ما عبَّر عنه عبد القاهر بعبارة: "ولكنَّ لأنَّ به حاجة إلى أن يُعْلَم أنَّه لم يجئ إليك غيره". وهو ما يمكن لنا حمله على أنَّ القصر هاهنا، من قبيل قصر الصِّفة على الموصوف قصر أفراد؛ لإفراده "زيداً" بصفة "الجيء" مِنْ دون مشاركة أحدٍ له فيها، تماماً كما لو قلنا: "مَا شَاعِرٌ إِلَّا عَمْرُو"، في جعل صفة "نظم الشعر" مختصاً بها "عمرو" فقط.

أمَّا في حال إرادة حمل قولنا: "مَا جَاءَنِي إِلَّا زَيْدٌ" على ما في "إنمَّا" من المعنى لو أنَّه قيل: "إنمَّا جَاءَنِي زَيْدٌ"، حيث يقصد به تخصيص زيد وحده بأنَّه الجائي، لا أحدٌ غيره كما اعتقد المخاطب قبل. وهو ما نستدلُّ عليه من كلام الجرجاني القائل فيه إنَّه "يكون كلاماً تقوله ليعلم أنَّ الجائي "زيدٌ" لا غيره"، مبيناً أنَّ الغرض في هذا الموضع إفادة معنى قصر القلب بأمثلة ثلاثة، بياها أنَّ:

¹ يقصد بذلك حمل إنمَّا في دلالتها على القصر على ما يُستفاد من استعمال "لا" العاطفة من قلب لاعتقاد المخاطب بجملة القصر، كما سنرى ذلك لاحقاً إن شاء الله سبحانه وتعالى.

² المائدة: 117.

³ الجرجاني، دلائل الإعجاز: 337.

1- جملة: "مَا قُلْتُ الْيَوْمَ إِلَّا مَا قُلْتُهُ أَمْسٍ بِعَيْنِهِ" متضمنة معنى قصر القلب، لا لأن ذلك يُفهم من تركيبها، بل لأن المخاطب قد ادّعى على المتكلم قوله كلاماً مخالفاً لما كان قد صدر منه قبل ذلك؛

2- عبارة "بَلْ لَمْ أَرْ إِلَّا زَيْدًا"، هي الأخرى من هذا النوع المذكور؛ لقلبها اعتقاد المخاطب على أن فعل الرؤية لم يقع على الشخص فلان، الذي قصده السامع، ولكن على شخص آخر هو "زيد"؛

3- قوله تعالى حكاية على لسان عيسى، عليه السلام: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ عَبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾¹ مما ورد مندرجاً تحت مُسَمَّى قصر القلب؛ لأنه في «مقامٍ اشتمل على معنى: إِنَّكَ يَا عِيسَى لَمْ تَقُلْ لِلنَّاسِ مَا أَمَرْتُكَ، لَأَنِّي أَمَرْتُكَ أَنْ تَدْعُو النَّاسَ إِلَى أَنْ يَعْبُدُونِي، ثُمَّ إِنَّكَ دَعَوْتَهُمْ إِلَى أَنْ يَعْبُدُوا مَنْ هُوَ دُونِي. أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَبْلَهُ ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾²». ³

ومما يُحْمَلُ على هذا الذي مضى، مِنْ تَضَمُّنِ القصر بالتفني والاستثناء ما هو مستفاد من المعنى إن جاء الكلام بـ "إنّما"، قول الشاعر وهو عمرو بن معد يكرب:

قَدْ عَلِمْتُ سَلَمَى وَجَارَاتَهَا . مَا قَطَّرَ الْفَارَسَ إِلَّا أَنَا

وهو على معنى: «أنا الذي قَطَّرَ الفارسَ، وليس المعنى على أنه يريد أن يزعم أنه انفرد بأن قَطَّرَهُ، وأنه لم يُشْرِكْهُ فيه غيره»⁴.

وظاهرٌ هنا، أنّ صاحب "الدلائل" يقصد بكلامه هذا النصّ على بُعد كون القصر في بيت الشاعر السابق من قبيل قصر الإفراد، بدليل قوله: إنّه لا "يريد أن يزعم أنه انفرد بأن قَطَّرَهُ، وأنه لم يُشْرِكْهُ فيه غيره"، وهو ما يُفهم منه أنّ المعنى فيه هو حمله على قصر القلب؛ لأنه أنّا كان ردّاً من الشاعر على من ظنّ أنّه قَتَلَ شخصاً آخر غير الذي عناه هو نفسه، وهو رُستم قائد المشركين في

¹ المائدة: 117.

² المائدة: 116.

³ السَّكَاكِي، مفتاح العلوم: 126. وينظر: القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة: 79.

⁴ الجرجاني، دلائل الإعجاز: 338.

وقعة القادسيّة، والصّحيح حسب تفسير أحدهم، أنّ عمرو بن معد يكرب كان قد أخطأ التقدير؛ لأنّه إنّما حملَ يومها على رجل اسمه "مرزيان"، وهو يرى أنّه رستم.¹

المطلب الثالث: شرط تحقيق معنى القصر:

إذا بدأنا بالجرجاني، فالظاهر من خلال دراسته لموضوع القصر في الباب الذي خصّه به من "دلائل إعجازه" المعنون بـ "في مسائل إنّما" أنّه لم ييسط القول في شأن وقوع أسلوب القصر في الكلام الموجب من عدمه بشكلٍ صريحٍ، غير أنّ هذا لا يمنع إمكانية تبين ملامح هذا الأمر من مصنفه "الدلائل"؛ إذ نستطيع الحكم على ذلك، باشتراط الجرجاني لصحة وقوع الاستثناء المفرغ أو القصر، كون الكلام غير موجب، أي مسبقاً بنفي، أو شبهه، وهو ما يُستقرأ من طبيعة الشواهد القرآنيّة، وغيرها التي أوردها في معالجته لهذا الموضوع، والتي لم تخرج في أيّ موضع من المواضع عن هذا القيد الإعرابيّ والمعنويّ، وهو ما يذهب إليه جمهور البلاغيين الذين يرون أنّ «السبب في إفادة النفي والاستثناء القصر فيما بين المبتدأ والخبر، والفاعل والمفعول، وغير ذلك، أنّ النفي في الاستثناء المفرغ، الذي حُذِفَ فيه المستثنى منه، وأُعرب ما بعد إلّا بحسب العوامل، يتوجّه إلى مُقدّر هو مستثنى منه، لأنّ "إلّا" للإخراج، والإخراج يقتضي مُخرِجاً منه عامّاً ليتناول المستثنى وغيره فيتحقق الإخراج».² غير أنّهم يشترطون لذلك مناسبة هذا المقدّر العامّ للمستثنى منه في جنسه وصفته. أمّا مناسبتُه له في جنسه بأن يُقدّر في نحو: "ما كَسَوْتُهُ إِلَّا جَبَّةً": "ما كَسَوْتُهُ لِيَأْساً"، وفي نحو: "ما أَكَلْتُ إِلَّا تَمْرًا": "ما أَكَلْتُ مأكولاً"، إلخ.³ كما يجب أن يوافقه في صفته (أي في إعرابه) من فاعلية، ومفعوليّة، وحاليّة، ونحو ذلك. وشرطُ تحقيق القصر هاهنا، أن يكون «النفي متوجّهاً إلى هذا المقدّر العامّ المناسب للمستثنى في جنسه وصفته، فإذا أوجب منه (أي من ذلك المقدّر) شيءٌ بإلّا جاء القصر، ضرورة بقاء ما عداه على صفة الانتفاء».⁴

¹ ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز: 337، الحاشية رقم: 01.

² البامياي، محمد، دروس في البلاغة - مختصر التفتازاني: 230/2-231. وينظر: السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، عالم الكتب - بيروت، د.ط، د.ت: 49/2.

³ ينظر: البامياي، محمد، دروس في البلاغة - مختصر التفتازاني: 231/2-232، وابن يعقوب، المغربي، (شرح التلخيص) مواهب الفتاح: 232/2.

⁴ البامياي، محمد، دروس في البلاغة - مختصر التفتازاني: 232/2. وينظر: السكاكي، مفتاح العلوم: 129.

أما بهاء الدين السبكي¹ (ت755هـ)، فيذهب إلى عدّ الاستثناء على وجه العموم، قصرًا سواء أكان مع النفي أم الإيجاب، نحو قولنا: "قامَ النَّاسُ إِلَّا زيدًا"، فإنَّ فيه قصرًا لعدم القيام على "زيد"، لأنَّ المعنى هو قصر عدم القيام بالنسبة إلى النَّاسِ على "زيد". وكذلك الحال إذا قلنا: "ما قامَ النَّاسُ إِلَّا زيدًا"، إذ ليس فيه قصرٌ للقيام على "زيد" مطلقًا، بل المعنى: قصر صفة "القيام" على زيدٍ بالنسبة إلى النَّاسِ. وبناء على هذا، فإنَّ قول البلاغيين أنَّ من طرق القصر النفي والاستثناء ليس فيه تعرُّضٌ صريحٌ لوجوب النفي.²

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، يوجد من البلاغيين من يمنع إفادة الاستثناء المثبت للقصر، في نحو: "جاءَ القومُ إِلَّا زيدًا". فليس في هذا المثال تضمُّنًا معني القصر؛ لأنَّ الغرض منه الإثبات، والاستثناء قيدٌ مُصَحِّحٌ له، فكأنَّه قيل: "جاءَ القَوْمُ الصَّالِحُونَ"، ولكنَّهم في الوقت نفسه، يُجيزون وقوعه في الاستثناء المنفي، سواء أذكر المستثنى منه أم لا³، نحو: "ما جاءني زيدٌ"؛ إذ غرضه النفي ثمَّ الإثبات المحققان للقصر، وليس الغرض منه تحصيل الحكم فقط، وإلا قيل: "جاءني زيدٌ"، والحكم في ذلك الاستعمال والدُّوق السليم. ولهذا السبب يُستعمل النفي ثمَّ الاستثناء عند الإنكار دون الإثبات ثمَّ الاستثناء.⁴

وفي الأخير نجمل، فنقول: إنَّ جمهور البلاغيين، وعلى رأسهم عبد القاهر الجرجاني⁵، على منع إفادة القصر في الكلام الموجب، ولو أتمَّختلفوا في مسألة إفادة الاستثناء التامَّ لمعنى الحصر، إذ يقصرون ذلك على ما كان بعد نفي، إذ يلاحظ أنَّ الاستثناء المفرغ هو البناء الوحيد، الذي عُدَّ من طرق القصر، وهو في هذه القضية على وفاق شبه كامل مع رأي النحويين.⁶

¹ هو علي بن عبد الكافي بن تمام السبكي الفقيه الشافعي، وُلِدَ مستهلَّ صفر عام 683هـ، له حوالي مائة وخمسون كتاباً مطبوعاً ومختصراً، منها: "تفسير القرآن"، و"نيل العلا في العطف بلا"، و"شرح المنهاج في الفقه"، و"كشف القناع في إفادة لولا الامتناع"، وغيرها. توفِّيَ بمصر عام 755هـ. ينظر: السيوطي، بغية الوعاة: 652/1-653.

² ينظر: السبكي، بهاء الدِّين، (شروح التلخيص) عروس الأفراح: 191/2.

³ وجملة: "سواء أذكر المستثنى منه أم لا" دليلُ إفادة الاستثناء التامَّ للقصر عند هؤلاء، غير أنَّه مشروط بمجيء الكلام قبل أداة الاستثناء.

⁴ ينظر: السبكي، بهاء الدِّين، (شروح التلخيص) عروس الأفراح: 191/2، والدسوقي، (شروح التلخيص) حاشية الدسوقي: 191/2.

⁵ وإنَّ كان ذلك أقلَّ ظهوراً عند الجرجاني، إلَّا باستقراء ما ورد في دراسته من أمثلة، كما سبق.

⁶ إلَّا بهاء الدِّين السبكي كما رأينا، وقد يكون هناك غيره.

المبحث الثاني: القصرُ بوساطة الحرف (إنّما):

سنعرض هنا لأصل الحرف المركّب (إنّما)، وعمله القصر في التّركيب اللّغويّ حسب ما يراه علماء البلاغة.

المطلب الأول: تركيب الأداة (إنّما):

معروف، إنّ (إنّما)، حرفٌ مركّبٌ من حرفين: (إنّ) و (ما)، فهي ليست لفظةً مفردةً. وتدخل الأداة إنّما على الجملتين الفعلية والاسمية، نحو قولنا مثلاً: "إنّما زَيْدٌ قائمٌ" و "إنّما يقومُ زَيْدٌ". فالأداة إنّما واحدةٌ من أشهر الطّرق التي يتحقّق بوساطتها معنى القصر في الجملة العربية.

هذا، وقد ذهب السّكاكي إلى أنّ الحرف (أنّ) للتّأكيد، و(ما) كذلك؛ فأفادت الحصر، مستندا في ذلك إلى قول التّحاة إنّ (إنّما) حرفٌ يأتي إثباتاً لما يُذكر بعدها، ونفيّاً لما سواه.¹ وقد ردّ على هذا ابنُ السّبكي بهاء الدّين، بأنّه لو كان اجتماعُ تأكيدين يفيد الحصر لكان قولنا: (إنّ زَيْداً قائمٌ) يفيد الحصر.

وقد يؤوّل كلام السّكاكي على أنّه أراد أنّه لا يجتمع حرفا تأكيد متواليان إلّا للحصر، وهذا ممنوع. فالتركيب اللّفظي والمعنوي يتكرران، ولكن لا يفيد ذلك حصرًا.² وذكر الجمهور أنّ القصر بوساطة (إنّما) يأتي من قصر القلب والإفراد والتّعيين، كما يأتي من القصر الحقيقي أيضاً. ومثاله من قصر الموصوف على الصّفة في الإفراد:

ألا إنّما الدّنيا بلاغٌ لغايةٍ *** فإنّما إلى غيٍّ وإنّما إلى رُشدٍ

ويكون هذا الكلام موجّهاً لمن ظنّ الدّنيا بلاغاً وغير بلاغ؛ فقُصرت الدّنيا على البلاغ. ومعنى كلمة (بلاغ) هنا، أنّ حياةً دائمةً لنا فيها مآرب غير ما نتزوّد به لغيرها.

ومثاله من قصر الموصوف على الصّفة قلباً أو إفراداً: "إنّما شجاعٌ عليّ"، ويصلح أيضاً مثلاً

للتّعيين.³

¹ ينظر: السّكاكي، مفتاح العلوم: 166.

² ينظر: السّبكي، بهاء الدّين، (شروح التّليخيص) عروس الأفراح: 193/2.

³ ينظر: طاهر، نسرین، (ظاهرة الحصر والقصر مفهوماً وبلاغاً في إطار القرآن الكريم رسالة دكتوراه، الجامعة الوطنية للغات الحديثة والعلوم بإسلام آباد-باكستان، ديسمبر 2007م): 92-93.

المطلب الثاني: دلالتها على القصر:

في الحقيقة يرى عددٌ من الدارسين أنَّ الأداة (إنَّما) تفيد معنى القصر بوضعها، ولا حاجة لدليلٍ على عملها، أو تحقُّق دلالة القصر بوساطتها، في حين يرى آخرون أنَّها مفيدةٌ معنى القصر لكونها تتضمن معنى (ما وإلا)، كما في قول المولى عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾¹، أي: أنَّ المعنى على تقدير: "ما حَرَّمَ رَبِّي إِلَّا الْفَوَاحِشَ". وعليه يُحمَل قول المولى تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ﴾²؛ لأنه على تقدير: "ما حَرَّمَ عَلَيْكُم إِلَّا الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ"، وهو المطابق لقراءة الرِّفع المقتضية لانحصار التَّحريم على الميتة والدَّم بسبب (إنَّ ما) في قراءة الرِّفع يكون موصولاً صلته: حُرِّمَ عليكم: واقعاً اسماً ل (إنَّ). ويكون المعنى: إنَّ المحرَّم عليكم الميتة³. ومما يؤكِّد ذلك قول الفرزدق:⁴

أَنَا الدَّائِدُ الْحَامِي الدِّيَارَ وَإِنَّمَا *** يُدَافِعُ عَنْ أَحْسَانِهِمْ أَنَا أَوْ مِثْلِي

فلما كان المعنى: "ما يُدافعُ إِلَّا أَنَا" فُصِّل الضَّميرُ كما يُفصل في النفي والاستثناء.⁵

1- رأي الإمام أبي حيان التَّوحيدي (ت414هـ):

نقل عددٌ من العلماء أنَّ الإمام أبا حيان يرى أنَّ الأداة إنَّما لا تفيد القصر بل مجرد تأكيد، ومن هؤلاء ابن هشام (ت761هـ)، والشَّهاب الخفاجي (ت466هـ)، والألوسي (ت1270هـ)، وغيرهم كالشُّبكي ووالده -رحمةُ الله عليهم جميعاً-، ويُروى بأنَّ التَّوحيدي كان مصمماً على رأيه بخصوص عدم إفادتها الحصر، وقد رُدَّ عليه في هذه المسألة، ومن أحسن ما جاء في نقض رأيه والاستدلال على تحقُّق القصر بوساطة إنَّما، قولُ الله -جلَّ شأنه-: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾⁶؛ إذ إنَّها لو لم تكن للحصر كانت بمنزلة قولك مثلاً: "وإن تَوَلَّوْا فعليك البلاغ، وهو عليه البلاغ تَوَلَّوْا أم لم يتَوَلَّوْا"، والمراد تَسْلِيْته عليه الصَّلَاة والسلام، وأنَّ تَوَلَّيْهم لا يضرُّ، وهو دلالة الحصر.

¹ الأعراف: 33.

² البقرة: 173.

³ ينظر: السَّكَّاحي، أبو يعقوب، مفتاح العلوم: 291.

⁴ الفرزدق، همام بن غالب بن صعصعة، الديوان، دار صادر- بيروت، 1386هـ: 153/2.

⁵ ينظر: طاهر، نسرین، (ظاهرة الحصر والقصر مفهوماً وبلاغاً في إطار القرآن الكريم): 93-94، والصَّعِيدِي، عبد المتعال، بغية

الإيضاح: 11/2.

⁶ التحل: 82.

ولعلَّ المتنبِّع لشروح أبي حيان لبعض الآيات الكريم المشتملة على الحرف (إنَّما)، يتأكَّد له مذهبه فيها القائل بعدم إفادتها القصر في استعمالاتها، نحو تفسيره قول المولى تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾¹؛ إذ يقول ما نصُّه: «إنَّما: ما: صلة ل (أَنَّ) وتكفُّها عن العمل، فإن وليتها جملة فعلية كانت مهيأة، وفي ألفاظ المتأخرين من التَّحويين وبعض أهل الأصول أنَّها للحصر، وكونها مركبة من (ما) النافية، ودخلت عليها إنَّ التي للإثبات؛ فأفادت الحصر قول ريكف فاسدٌ صادرٌ عن غير عارفٍ بالنحو. والذي نذهب إليه أنَّها لا تفيد الحصر بالوضع، كما أنَّ الحصر لا يُفهم من أخواتها التي كُفَّتْ ب (ما)؛ فلا فرق بين: لعلَّ زيداً قائمٌ، ولعلَّ ما زيداً قائمٌ، فكذلك: إنَّ زيداً قائمٌ، وإنَّما زيدٌ قائمٌ، وإذا فُهِمَ حَصْرٌ، فإنَّما يُفهم من سياق الكلام، لا أنَّ (إنَّما) دلَّت عليه».²

هذا، ويمكن الرجوع إلى تفسير أبي حيان لعدد من آيات الذكر الحكيم المتضمنة الحرف (إنَّما)، لمزيد اطلاع على رأيه في هذه المسألة، كقول سبحانه: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾³، وقوله جلَّ وعلا: ﴿إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ﴾.⁽⁴⁾ (5)

2- رأي الإمام عبد القاهر الجرجاني وغيره:

أ- أدلة المثبتين:

وفي مقابل هذا، نجد من العلماء الذين ردُّوا على التَّوحيدي في هذه المسألة، مثل عبد القاهر، وصاحب المفتاح، ومن الأدلة التي يستندون إليها في مسألة اعتقادهم بإفادة إنَّما الحصر بالوضع، نذكر ما يلي بإيجاز:

1- قول قدامى المفسرين من عرب الصحابة والتابعين العارفين بموضوعات الألفاظ ودلالاتها كابن عباس (ت 68 هـ)، وابن مسعود (ت 32 هـ) -رضي الله عنهم جميعاً- في تفسيرهم لقوله

¹ البقرة: 11.

² التَّوحيدي، أبو حيان محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير. تحقيق: محمد صدقي جميل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، د.ط، 1431-2010م: 100/1.

³ التوبة: 60. وينظر: الأنطاكي، محمد، المحيط: 440/5، وما بعدها.

⁴ هود: 32. وينظر: الأنطاكي، محمد، المحيط: 146/6.

⁵ ينظر: عبید، صباح درانة، (أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية)، مرجع سابق: 211-212.

تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنٌ﴾¹، أي: أنّ المعنى على تقدير: "ما حَرَّمَ رَبِّي إِلَّا الْفَوَاحِشَ"²؛

2- نصّ علماء النحو على أنّ (إنّما) تأتي لإثبات ما بعدها ونفي ما عداها، وهو المعنى ذاته الذي يفيد النفي والاستثناء؛

3- صحّة انفصال الضمير مع إمكان اتّصاله³ من دون أن يكون له صلة من المواطن المعروفة في النحو.⁴

ولعبد القاهر الجرجاني هذا الكلامُ نوره هنا، إذ يؤكّد مسألة تضمّن الحرف "إنّما" معنى القصر بأصل وضعه، حتّى ولو كان السياق نفسه يقتضي حملها على ذلك المعنى، موضحاً أنّه قد «يظنّ الظانّ أنّه ليس في انضمام "ما" إلى "إنّ" فائدة أكثر من أنّها تُبطل عملها، حتّى ترى النحويّين لا يزيدون في أكثر كلامهم على أنّها كافة"، ومكانها هاهنا يزيل هذا الظنّ ويطله. وذلك أنّك ترى أنّك لو قلت: "ما جَاءَنِي زَيْدٌ وَإِنَّ عَمْرًا جَاءَنِي"، لم يُعَقَّلَ منه أنّك أردتَ أنّ الجائي "عمرو" لا "زيد"، بل يكون دخول إنّ كالشيء الذي لا يُحتاج إليه، ووجدت المعنى ينبو عنه».⁵

والمفهوم هنا، كما يظهر لنا من كلام الجرجاني، أنّه يوازن بين نموذجين نحويّين، من مثل قولنا: "ما جَاءَنِي زَيْدٌ وَجَاءَنِي عمرو"، و"ما جَاءَنِي زَيْدٌ وَإِنَّ عمرو جَاءَنِي" من ناحية، وقولنا: "ما جَاءَنِي زَيْدٌ وَإِنَّمَا جَاءَنِي عمرو" من ناحية أخرى؛ بياناً لوظيفة "إنّما" الدلالية المتمثلة أساساً في تحقّق معنى الحصر بها لحكم معين على شيء، مع نفيه عن شيء آخر في الجملة، المؤوّل سابقاً على كونه من قبيل قصر القلب.

وهذا كلّهُ، إنّما مثّل به عبد القاهر لإثبات مذهبه في عمل الأداة "إنّما" الحصر في حال دخولها في تركيب لغويّ أيّاً كان سياقه العام.

ب- استعمالاتُ إنّما:

للقصر بواسطة الحرف إنّما عدّة دلالاتٍ، نذكر منها:

¹ الأعراف: 33.

² وقد سبق الإشارة إليه قبل.

³ ينظر: ما سبق إيرادُه في ذكر هذا البيت للفرزدق في هذا المعنى مع بداية هذا المبحث.

⁴ ينظر: عبيد، صباح درانة، (أساليبُ القصر في القرآن الكريم وأسراؤها البلاغيّة): 213-214.

⁵ الجرجاني، دلائل الإعجاز: 354.

-الحرف (إنما) بجرسه وُعْتته وقوّته ودلالته، لا يكون إلّا في المواقف الهادئة النّاعمة من دون جلبة أو فوضى، فهي تتصدّر الأفكار والحقائق والمشاعر التي لا يصلح فيها ما وإلّا، ولذا قالوا إنّ استعمالها يكون في الأمر الجليّ، أو في الأمر الخفيّ المنزل منزلة الجليّ؛

-كما سبقت الإشارة إليه، فإنّما تُستعمل في الأمر الجليّ الواضح، بمعنى أنّه مقبول في نفسه، ومقبول لدى المتكلّم، كأنّه لا ينبغي أن يكون مثار جدل أو اختلاف أو إنكار بين المتكلّم والمخاطب.¹

ج-المقصور والمقصور عليه بوساطة إنّما:

تختلف دلالة القصر بالحرف (إنما) بالتّقديم والتّأخير بين المعمولات النّحويّة؛ إذ إنّ إذا قُدّم المفعول على الفاعل، كان التّركيز على الفاعل، وإذا قُدّم الفاعل على المفعول، كان التّركيز على المفعول، فإن قلت على سبيل المثال: "إنّما حرّر فلسطين صلاح الدين"، كان التّركيز على الفاعل، أي: "إنّما حرّرها صلاح الدين لا غيره". وإذا قلت: "إنّما يحرّر المؤمنون فلسطين". كان التّركيز عليها، أي: هي القضية الأولى التي ينبغي أن توجّه الأنظار إليها، وتشدّد من أجلها السّواعد.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾²، التّركيز فيه على الفاعل، وهم المؤمنون، ذلك أنّ الآية الكريمة جاءت ردّاً على المشركين الذين يزعمون أنّ لهم عمارة المسجد الحرام، فجاءت الآية، لتقول لهم: لَيْسَتْ العمارة ما تظنّون، وإنّما عمارة المساجد هي الإيمان بالله واليوم الآخر، وإقامة الشّعائر، وأداء الفرائض، فالآية الكريمة تَقْصُرُ العمارة على المؤمنين، ولكنها لا تنفي عن المؤمنين أيّ نوع من أنواع العمارة في الأرض، ولو أنه قيل: "إنّما يَعْمُرُ المؤمنون مساجد الله"، لكان المعنى أنّ المؤمنين لا يعنون بشيء غير المساجد، فعمارتهم تقتصر عليها دون غيرها، وهذا معنى غير صحيح، لأنّ المؤمن إنّما ينبغي على أن يُعَمِّرَ دنياه وآخرته معاً³، وهو معنى: "اعْمَلْ لِدُنْيَاكَ كَأَنَّكَ تَعِيشُ أَبَدًا، واعْمَلْ لآخِرَتِكَ كَأَنَّكَ تَمُوتُ عَدَاً".

¹ ينظر: عبيد، صباح درانة، (أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية): 218، وما بعدها.

² التّوبة: 18.

³ عن موقع: <https://www.startimes.com/?t=27105200>

د- مزية القصر بأنما:

لصاحب الدلائل كلام جميل في هذا الشأن، إذ يصرح قائلاً: إنّ الأداة (إنما) «تفيد في الكلام بعدها إيجاب الفعل لشيء، ونفيه عن غيره، فإذا قلت: "إنما جاءني زيد"، عُقِل منك أنّك أردت أن تنفي أن يكون الجائي غيره. فمعنى الكلام معها شبيه بالمعنى في قولك: "جاءني زيد لا عمرو"، إلا أنّ لها مزية، وهي أنّك تعقل معها إيجاب الفعل لشيء ونفيه عن غيره دفعةً واحدةً في حال واحدة. ليس الأمر في "جاءني زيد لا عمرو"، فإنّك تعقلهما في حالين. ومزية ثانية، وهي أنّها تجعل الأمر ظاهراً في أنّ الجائي "زيد"، ولا يكون هذا الظهور إذا جعلت الكلام "بلا"، فقلت: "جاءني زيد لا عمرو".¹

وواضح هنا، أنّ الجرجاني يقرّر تقريراً صريحاً أنّ لطريق القصر "بأنما" فائدتين اثنتين: -أولاهما: أنّها تثبت الفعل لشيء معيّن، وهو زيد في المثال المذكور، أولاً، وتنفيه عن كلّ ما عداه ثانياً.

ثانيهما: جعلها الأمر المقصور عليه الكلام ظاهراً فيه حكمه ذلك، كدلالتها على أنّ "الجائي" في "إنما جاءني زيد" هو "زيد"، ظاهراً جليّاً، سواءً أكان ذلك حقيقة أم ادّعاءً للمبالغة.

هـ-إنما وأنما:

القصر بالحرف (أنما) المفتوحة مثل القصر بأنما المكسورة الهمزة؛ لأنّ كلاهما متضمّن معنى (ما وإلا). ويقول الدسوقي في هذا الصدد: «واعلم أنّ الموجب للحصر في (إنما) بالكسر موجود في (أنما) بالفتح. فمن قال سبب إفادة إنما الحصر، تضمّنها معنى (ما وإلا)، قال بذلك في أنما المفتوحة لوجود هذا السبب فيها. ومن قال إنّ السبب اجتماع حرفي توكيد، قال به في أنما أيضاً». ²

¹ الجرجاني، دلائل الإعجاز: 355.

² طاهر، نسرین، (ظاهرة الحصر والقصر مفهوماً وبلاغةً في إطار القرآن الكريم): 103، نقلاً عن: شروح التلخيص، شرح الدسوقي: 194/2.

المبحث الثالث: القصر بحروف العطف: "لا" و "بل" و "لكن":

المطلب الأول: القصر بـ (لا) العاطفة:

1- العطف بلا:

قد يتحقق هذا المعنى البلاغي بحروف عطفٍ مخصوصةٍ هي: "لا"، و "بل"، و "لكن" عاطفةً مفرداً على مفرد. وهذا بيان ذلك.

أمّا عن شيخ البلاغة العربية عبد القاهر الجرجاني، فيرى أنّ دلالة الحرف "لا"، عاطفاً ما بعده على ما قبله، على معنى القصر في الكلام تكمن في: نفيها الحكم المقصود الموجب للاسم الأول قبلها، عن الاسم الثاني الذي هو واقعٌ بعدها في نحو قولنا: "جاءني عمرو" من جهة، وأثماً، (أي "لا" العاطفة) لا تجعل الأمر ظاهراً في أنّ الجائي "زيد" في المثال السابق، خلافاً لـ (إنّما) التي تجعله كذلك¹، من جهة أخرى.

ويزيد الجرجاني هذه المعاني بسطاً، بإبانتها القصّد من كون مجيء "لا" العاطفة نافيةً عن الثاني ما وجب للأوّل، بأن «ليس المراد به أن تنفي عن الثاني أن يكون قد شارك الأوّل في الفعل، بل أنّها تنفي أن يكون الفعل الذي قلت إنّّه كان من الأوّل، قد كان من الثاني دون الأوّل. ألا ترى أن ليس المعنى في قولك: "جاءني زيدٌ لا عمرو"، أنّه لم يكن من "عمرو" مجيءً إليك مثل ما كان من "زيد" حتّى كأنّه عكس قولك: "جاءني زيدٌ وعمرو"، بل المعنى: أنّ الجائي هو "زيدٌ لا عمرو"، فهو كلامٌ تقوله مع من يغلط في الفعل قد كان من هذا، فيتوهم أنّه كان من ذلك.

والنكتة أنّه لا شبهة في أنّ ليس هاهنا جائيان، وأنّه ليس إلّا جاء واحدٌ، وإنّما الشبهة في أنّ ذلك الجائي زيدٌ أم عمرو، فأنّت تُحقّق على المخاطب بقولك: "جاءني زيدٌ لا عمرو"، أنّه "زيدٌ" وليس بعمرو².

وقد يكون واضحاً من كلام الجرجاني هنا، أنّه يقرّر صراحةً بالعمل المنوط بالحرف "لا" حين يرُدُّ في جملة نافياً حكماً معيّناً عن اسم مذكور بعده، ويكون هذا الحكم المنفي قد ثبت نسبته إلى اسم آخر تقدّم الحديث عنه والتنبية إليه، كما في: "جاءني زيدٌ لا عمرو"، المستفاد منه التأكيد على إصاق فعل الجيئ بزيد، مع نفسه عن شخص آخر هو عمرو. وهاهنا، معنى دقيقٌ قد أشار

¹ ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز: 335.

² المرجع نفسه: 335-336.

عبد القاهر إلى ضرورة الفطنة إليه، بيانه أنه ليس الغرض من نحو قولنا: "جاءني زيد لا عمرو"، أن يُنفى عن "عمرو" الواقع بعد "لا" النافية، مشاركته لزيد في إتيان المتكلم، وإنما القصد في هذا الموضع هو نفى كون هذا الفعل المحذوث عنه في المثال السابق، أنه قد كان من عمرو دون زيد، وهو ما أكدّه بقوله معلقاً على كلامه آنف الذكر، إنَّ في مثل: "جاءني زيد لا عمرو"، «نكتة أخرى، وهي أنك لا تقول: جاءني زيد لا عمرو، حتى يكون قد بلغ المخاطب أنه كان مجيء إليك من جاء، إلا أنه ظنَّ أنه كان من "عمرو"، فأعلّمتُه أنه لم يكن من "عمرو" ولكن من زيد».¹

وهو ما يذهب إليه أبو يعقوب السكاكي من أن حاصل القصر بلا العاطفة راجع إلى تخصيص الموصوف عند السامع بوصفٍ دون ثانٍ، كقولك: "زيد شاعر لا منجم"، لمن اعتقده شاعراً ومنجماً، أو كقولك: "زيد قائم لا قاعد"، لمن يتوهم زيدا على أحد الوصفين من غير ترجيح، ويسمى هذا قصر إفراد، بمعنى: أنه يزيل شركة الثاني، أو بوصفٍ مكان آخر، كقولك: لمن يتوهم زيدا منجماً لا شاعراً: زيد منجم لا شاعر، ويسمى هذا قصر قلب.²

ومثل ذلك مثلاً نحو قولنا: «زيد كريم لا عمرو»، و"فلان جواد لا بخيل"، و"هو يدعوك إلى الخير لا إلى الشر"، وخالد ينصحك مخلصاً لا مُرائياً، وجاء خالد لا عمرو، وليس حاتم بخيلاً بل جواداً، وواضح أن طريق العطف يُصرّح فيه بكل من المثبت والمنفي؛ أي المقصور عليه والمنفي عنه... و"لا" هذه صالحة لكل أنواع القصر، والمقصور عليه بها هو المقابل لما بعدها، ويشترط لدالتها على القصر أن يكون المعطوف بها مفرداً، وألا يتقدمها نفي أو نهي، وألا يكون ما بعدها داخلاً في عموم ما قبلها، تقول: "زيد شاعر لا غير"، فتفيد قصر "زيد" على صفة الشعر قصرًا حقيقياً، وتقول: "زيد شاعر لا كاتب"، فتفيد قصره على الشعر قصرًا إضافيًا.³

ولنتأمل قول أبي تمام الذي يقول فيه:⁴

¹ الجرجاني، دلائل الإعجاز: 336.

² ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم: 288.

³ مناهج جامعة المدينة العالمية، كتاب رقمي: "كتاب البلاغة"، جامعة المدينة - كود المادة: LARB ٤١٠٣. الناشر: جامعة المدينة العالمية. عدد الصفحات: 519، ترقيم الكتاب موافق للمطبوع: 125-126.

عن موقع: <https://shamela.ws/book/7582/391>. تاريخ الأخذ عنه: 22 فيفري 2022، على الساعة 11 صباحاً.

⁴ ينظر: التبريزي، الخطيب، شرح ديوان أبي تمام، قدّم له، وراجعته، ووضع فهرسه: راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت -

بيضُ الصَّفَائِحِ لَا سُودُ الصَّحَائِفِ *** فِي مُتَوَهِّجٍ جَلَاءِ الشَّكِّ وَالرَّيْبِ

وأبو تمام في كلامه هذا في مقام الرّدّ على المنجّمين، ويريد: أنّ السيوف البيضاء هي التي تزيل الشك وتظهر الحقيقة، أمّا صحائفكم أيّها المنجّمون السوداء، فلا فائدة منها؛ لأنّها تضيّع الحقائق وتنشر الأباطيل، وهذه السيوف البيضاء هي التي تفصل بين الحقّ والباطل لا كتب المشعوذين والدّجالين كما يزعم أهل الدّجل. والبيت من قصيدة له في فتح عمورية.

والشاهد، هنا قد قصّر الشاعر السيوف التي حققت النصر وفتحت عمورية على كونها بيض الصّفائح مشرقة لامعة، ونفى عنها كونها سود الصّحائف، فالمقصود عليه - كما ترى - هو المقابل لما بعد "لا"، ثمّ قصّر جلاء الشكّ والريب على كونه في متون هذه السيوف؛ أي جوانبهنّ، ونفاه عن كتب المنجّمين، وطريق هذا القصر هو التّقديم الآتي بيّانه، ولا يخفى عليك ما وراء أسلوب القصر في البيت من توبيخ وتحقير لهؤلاء المنجّمين، وما نُخبّر به صحفهم.¹

وفي رأي مخالفٍ للقول بدلالة (لا) العاطفة على القصر، يتساءل بهاء الدّين السّبكي عن العطف بلا، «أي قصر فيه؟ إنّما فيه نفى وإثبات، فقولك: "زَيْدٌ شَاعِرٌ لَا كَاتِبٌ" لا تعرّض فيه لنفي صفةٍ ثالثة، والقصر إنّما يكون بنفي جميع الصّفات غير المثبتة إمّا حقيقةً أو مجازاً، وليس هو خاصّاً بنفي الصّفة التي يعتقدونها المخاطب».²

ولعلّه ممّا تحسن الإشارة إليه هاهنا، هو أنّه إذا كان الجرجاني قد مثّل لتحقق معنى القصر عن طريق العطف بلا، بجملة: "جَاءَنِي زَيْدٌ لَا عَمْرُو" المشتملة في تركيبها على أسلوب قصر لصفة، وهي الجيء، على موصوف، وهو زيد؛ فإنّ جمهور البلاغيين بعده قد فصلوا القول في هذه المسألة تفصيلاً فلسفياً، على عادتهم، بتقريرهم أنّ القصر "بلا" يقع بين الموصوف والصفة، نحو: "زَيْدٌ شَاعِرٌ لَا كَاتِبٌ"، وبين الصّفة والموصوف، نحو: "الشّاعِرُ زَيْدٌ لَا عَمْرُو"، و: "زَيْدٌ قَائِمٌ لَا عَمْرُو"، مضيفين أنّ

لبنان، ط2، 1414هـ - 1994م: 32/1. و: الصّحيفة: اسمٌ شائع، يقال للكتاب الذي يكتب فيه، وللدّفت صحيفة. وهو هنا كناية عن كتب المنجّمين، سود الصّحائف: والصّفيحة: الحديدّة العريضة، ويقال السيوف العريض صفيحة، وهي هنا كناية عن السيوف، متونهنّ: يعني جوانبهنّ، جلاء: يعني: كشف الأمر، وإزالة الغطاء. والريب: الظّنون. ينظر: التّبريزي، الخطيب، شرح ديوان أبي تمام: 3232/1-33، الهامش رقم: 02.

¹ ينظر: جامعة المدينة العالمية، مناهج جامعة المدينة العالمية، كتاب البلاغة، مرجع سابق: 127.

² السّبكي، بهاء الدّين، شروح التّليخيص، (عروس الأفراح): 187.

القصر في مثل هذا، قد يكون قلباً، أو إفراداً، أو تعييناً بحسب المقام، أي حال المخاطب¹، وهو تفرّيع لما وقر عند الجرجاني من أنّ القصر فيما جاء بوساطة "لا" إنّما يُستعمل في الكلام ردّاً وتصحيحاً لاعتقاد خاطئ كان مثاراً للجدل بين المتكلم ومخاطبه.

المطلب الثاني: "بل" الحاصرة:

"أما عن حرف العطف بل"، هو يفيد القصر إذا:

- وليها مفرد؛

- وتقدّمها نفي أو نهي؛ لأنها في هذه الحال تقرّر حكم ما قبلها، وتثبت ضده لما بعدها، فتتضمّن النفي والإثبات، وذلك عمادُ القصر، فمثلاً قولنا: "مَا جَاءَ زَيْدٌ بَلْ عَمْرُو"، يفيد نفي المجيء عن زيد وإثباته لعمر، فالمقصود عليه بـ "بل" هو ما بعدها.

وحرف العطف (بل) من الحروف العوامل ومعناها الإضراب عن الأوّل والإيجاب للثاني كما نصّ على ذلك الزّماني (ت384هـ).² وإذا جاءت في القرآن الكريم كانت تركاً لشيء وأخذاً في غيره وأكثر ما تكون بعد الإنكار كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾.³ قال البقاعي (ت885هـ): «ولما دلّ على نفي مطلق الشريك عقلاً ونقلًا فانتفى بذلك كلّ فردٍ يطلق عليه هذا الاسم عَجِبَ من ادّعائهم الشّركة المقيّدة بالولد؛ فقال عطفًا على قوله: ... ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾».⁴

هذا، ويرى عموم البلاغيين أنّها صالحة للقصر الإضائي إفراداً وقلباً وتعييناً، ولا تصلح للقصر الحقيقي؛ لأنّ المنفي معها يكون أمراً محدّداً دائماً، فإن جاء عاماً لا يكون منفياً، بل يكون مسكوتاً عنه، نحو قولنا: "مَا جَاءَنِي أَحَدٌ بَلْ زَيْدٌ"، فلا تفيد هذه الجملة سوى إثبات المجيء لزيد، أمّا ما

¹ ينظر: السّكاكي، مفتاح العلوم: 125 و127، والقزويني، جلال الدّين، التّليخيص في علوم البلاغة: 139، والقزويني، جلال الدّين، الإيضاح في علوم البلاغة: 75، والتّفنّازاني، سعد الدّين، مختصر التّفنّازاني: 186/2-190، وابن يعقوب، المغربي، مواهب الفتاح: 186/2-191، والدّسوقي، حاشية الدّسوقي: 186/2-189.

² ينظر: الزّماني، أبو الحسن علي بن عيسى، معاني الحروف، تحقيق: عبد الفتّاح إسماعيل شليبي، دار الشّروق للنّشر والتّوزيع، جدّة، ط3، 1984م: 94.

³ الأنبياء: 26.

⁴ العزّاوي، عقيد خالد حمّودي، (الأساليب البلاغية في تفسير نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور للبقاعي ت885هـ، رسالة دكتوراه، جامعة بغداد، 1422هـ-2002م): 141، نقلاً عن: البقاعي، برهان الدّين، نظم الدّرر: 407/12-408.

قبل "بل، وهو: "أحد" - فمُسكوثُ عنه، والمُسكوثُ عنه لا يوصف بنفي ولا إثبات، بل يرى الجمهور أنَّ ما قبل "بل" مُسكوثُ عنه، ولو كان محدّداً، نحو: "ما جاءني زَيْدٌ بَلْ عَمْرُو"، و: "ما زَيْدٌ قائماً بَلْ قَاعِدٌ"؛ ولذا فهي لا تفيد قصرًا، ويرى البعض أنَّ النفي لما قبل (بل) ولما بعدها فقولنا مثلاً: "ما جاء زَيْدٌ بَلْ عَمْرُو"، يفيد نفي المجيء عنهما معاً؛ ولذا فهي لا تفيد القصر؛ لأنَّ النفي والإثبات غير محقق.

والصواب أنَّ (بَلْ) تفيد القصر في حال النفي خلافاً للإثبات، وتفيد في حال النفي بأنواعه: الإضافي قلباً وإفراداً وتعييناً، والحقيقي تحقيقيًا وادعائيًا، وهذا ما يُفهم من الأساليب والتعبيرات، ولا يمكن دفعه ولا إنكاره، ففي قولنا على سبيل المثال: "ما جاء زَيْدٌ بَلْ عَمْرُو"، يكون قصر صفة على موصوف قصرًا إضافيًا، وتقول: "ما زَيْدٌ قائماً بَلْ قَاعِدٌ"، فيكون قصر موصوف على صفة قصرًا إضافيًا، وتقول: "ما جاءني أحدٌ بَلْ عَمْرُو"، فيكون قصرًا حقيقيًا، ولا وجه لكون ما قبلها مسكوثًا عنه، ولا لتوجّه النفي لما بعدها. ومن شواهد القصر بـ "بل" قول الشاعر:

لَيْسَ الْيَتِيمُ الَّذِي قَدْ مَاتَ وَالِدُهُ *** بَلْ الْيَتِيمُ يَتِيمُ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ

فقد قصر الشاعر اليتيم على صفة (الحرمان من العلم والأدب)، ونفاه عن فقدان الوالد قبل بلوغ مبلغ الرجال، فهو قصر موصوف على صفة قصرًا إضافيًا، أو إن شئت قلت: قصر قلب؛ لأنّه قلب ما هو راسخٌ في الأذهان من أنَّ اليتيم هو الذي قد مات والده قبل بلوغ سنّ الرجال، وفيه حثٌّ على التزوّد بالعلم والتحلي بالأخلاق والآداب الرفيعة، ففَقَدُهُما هو اليتيم.¹

المطلب الثالث: (لكن) الحاصرة:

1- أصلها:

(لكن) مخففة من (لكنن) التي للاستدراك، «وهي مفردة عند البصريين ومركبة عند الكوفيين من (لا) و(إلا) المكسورة المصدر بالكاف الزائدة. وأصل "لكنن": (لا كإن)، فنقلت كسرة الهمزة إلى الكاف، بعد سلب حركة الكاف، فحذفت الهمزة فصار لكن.

فكلمة (لا) تفيد أنَّ ما بعدها ليس كما قبلها، بل هو مخالفٌ له نفيًا وإثباتًا.

¹ ينظر: الجامعة العالمية، مناهج جامعة المدينة العالمية، كتابُ البلاغة، مرجع سابق: 127-128.

وكلمة إنَّ تخفف مضمون ما بعدها. والاستدراك: دفع توهم يتولد من الكلام السابق. فإذا قلت: "جاءني زيد"، فتوهم السامع أنَّ عمرًا أيضًا جاءك، لما بين زيد وعمرًا من الملازمة في الجيئ وعدمه، فدفعت توهم السامع بقولك: "لكنَّ عمرًا لم يجيئ"¹.

ويفهم من هذا، أنَّ "لكنَّ" المشددة من أخوات "إنَّ" الناصبة التي تدخل على جملة المبتدأ والخبر، فت نصب الأول على أنه اسمها، وترفع الثاني لأنه خبر لها. وتأتي مفيدة معنى الاستدراك في الكلام، نحو قولنا مثلاً: "ما هذا أبيضَ لكنَّه أسود"، و"ما هذا متحركاً لكنَّه ساكن"².

هذا، وقد ذكر عبد القاهر الجرجاني في كتابه "الجمال" في معرض حديثه عن حروف العطف التسعة في العربية، لا العاطفة، نحو: "جاءني زيد لا عمرًا"، وبل التي للإضراب عن الأول والإثبات للثاني مثل قولنا: "ما جاءني عمرًا بل خالد"، وساق أيضاً الحرف "لكنَّ" التي وصفها بأنها للاستدراك بعد النفي، نحو: "ما جاءني زيد لكنَّ عمرًا"³.

2- دلالتها على القصر:

لقد «اختلف النحاة والبلاغيون في إفادة (لكنَّ) القصر؛ فيرى النحاة أنَّ (لكنَّ) لا تُستعمل إلا في قصر الأفراد، لأهم جعلوها للاستدراك، وهو رفع ما يُتوهم من الكلام السابق. أما (لكنَّ) عند البلاغيين، فتُستعمل للإثبات بعد النفي لقصر القلب فقط، ومثار الخلاف بينهما إنما هو النفي دون الإثبات. واشترط بعض البلاغيين أن تُسبق (لكنَّ) بنفي أو نهي. فذكر الدسوقي أن (لكنَّ) تخالف الحرف (لا) في الاستعمال، من حين أنَّ (لا) تُستعمل بعد الإثبات، و(لكنَّ) إنما تُستعمل بعد النفي»⁴.

¹ الجرجاني، عبد القاهر، العوامل المائة التحوية في أصول علم العربية، شرح: خالد الأزهرى الجرجاوي (ت 905هـ). تحقيق: البدر اوي زهران، دار المعارف بمصر، د.ط، د.ت: 68.

² نشير هنا أنَّ معنى الاستدراك الذي تفيد "لكنَّ" المشددة، هو تعقيب الكلام بنفي ما يُتوهم ثبوته، أو بإثبات ما يُتوهم نفيه. ومثال الأول: "عليَّ شجاع لكنَّه بخيل"، إذ دفعت "لكنَّ" توهم أنَّه كريمٌ لملازمة الكرم للشجاعة. ومثال الثاني: "خالدٌ فقيرٌ لكنَّه كريمٌ"، حيث رُدَّ بـ (لكن) اعتقاد كون خالدٍ بخيلاً لفقره. ينظر: ابن فارس، الصاحي: 124-125، وابنُ التَّائِم، شرح الألفية: 161، وابنُ هشام، مغني اللبيب: 320/1، وابنُ هشام، قطر الندى: 162، والدَّقِر، عبد الغني، معجم القواعد العربية: 376، وبسيوني، كمال، المفردات النحوية: 160.

³ ينظر: الجرجاني، عبد القاهر، الجمل، حقيقه وقدم له: علي حيدر أمين مكتبة مجمع اللغة العربية بدمشق، 1392هـ-1972م، د.ط، د.ت: 33.

⁴ الظَّهَار، نجاح أحمد عبد الكريم، (القصر وأساليبه مع بيان أسرارها في الثلث الأول من القرآن الكريم)، رسالة ماجستير، جامعة أم

ومن مظاهر اختلاف علماء البلاغة في هذه المسألة، نمثل لذلك ببعضهم تمثيلاً فقط لا من باب الحصر، كأبي يعقوب السكاكي الذي ذكر في معرض حديثه عن حروف العطف المفيدة معنى القصر؛ إذ اكتفى بذكر "لا" و"بل" من دون ذكرٍ للحرف "لكن" في قوله: «وللقصر طرق أربعة: كما تقول في قصر الموصوف على الصفة إفراداً أو قلباً بحسب مقام السامع: "زَيْدٌ شاعرٌ لَا مُنَجَّمٌ، وَمَا زَيْدٌ مُنَجَّمٌ بَلْ شاعرٌ"، وفي قصر الصفة على الموصوف بالاعتبارين: "ما عمرو شاعرٌ بَلْ زَيْدٌ، أو زَيْدٌ شاعرٌ لَا عمرو...»¹، وابن النّازم في كتابه المصباح²، والخطيب القزويني إذ لم يمثل للحرف "لكن" مع حرفي العطف "لا" و"بل" في قصري الموصوف على الصفة، وفي قصر الصفة على الموصوف إفراداً وقلباً³، وبهاء الدين السبكي⁴، وسعد الدين التفتازاني⁵؛ إذ يقول في هذا الصدد شارحاً: «وفيه إشعارٌ بأنَّ طريق العطف للقصر هو (لا بل) دون سائر حروف العطف، وأمّا "لكن"، فظاهرٌ كلام المفتاح والإيضاح في باب العطف أنّه يصلح طريقاً للقصر، ولم يذكره هاهنا...»⁶، وهو الرأْي نفسه الذي يتبنّاه السيوطي.⁷

وفي مقابل ذلك، نجد من الدارسين مَنْ يرى بأنَّ «هناك مَنْ يشترط لكونها أداة قصرٍ ألا تدخل عليها الواو، وهناك مَنْ يشترط أن يكون المعطوف بها مفرداً، وهذا هو الأشهرُ، وخلافُ الأشهر يُجيزُ أن يكون معطوفها جملةً... وذكر بعضهم أنّها لا تكون للقصر، إلّا إذا سُبقت بنفي أو نهي، وهناك مَنْ لا يشترط. وهكذا ترى حبلاً ممدوداً للخلاف»⁸.

القرى، كلية اللغة العربية - قسم الأدب، 1402-1403هـ-1982-1983م: 47.

¹ ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم: 288-289.

² ينظر: ابن مالك، بدر الدين، المصباح في المعاني والبيان والبديع، حققه وشرحه ووضع فهرسه: حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب وطبعها بالجمايز: 94.

³ ينظر: القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة: 100.

⁴ ينظر: ابن يعقوب المغربي، شروح التلخيص، (مواهب الفتاح): 397/1.

⁵ ينظر: التفتازاني، سعد الدين، مختصر المعاني، تحقيق: عثمان، محمد، مكتبة الثقافة - القاهرة، ط1، 1430هـ-2009م: 184، وما بعدها.

⁶ التفتازاني، سعد الدين، المطول على التلخيص، مطبعة سنده، 1308هـ، د.ط، د.ت: 110-111.

⁷ ينظر: السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: شعيب الأرنؤوط. اعتنى وعلّق عليه: مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة، ط1، 1429هـ-2008م: 522.

⁸ محمد، محمد أبو موسى، دلالات التراكيب - دراسة بلاغية، مكتبة وهبة - القاهرة، ط2، 1408هـ-1987م: 99-100.

هذا، واللافت للانتباه في هذا الموضوع أنّ الجرجاني في معرض حديثه عن طريق القصر بلا العاطفة، لم يتطرق لذكر الأداتين الأخريين "بل" و"لكن".¹

في حين أنّ هناك من الدارسين من يذهب إلى دلالة "لكن" على القصر كابن مالك (ت672هـ) إذ يشترط لعمل لكن القصر في الجملة أن يسبقها نفياً أو نهي؛ إذ يقول في ذلك: «وأما المعطوف بلكن، فمحكوم له بالثبوت بعد نفى كقولك: "مَا قَامَ زَيْدٌ لَكِنْ عَمْرُو"، أو بعد نهي، كقولك: "لَا تَضْرِبْ زَيْدًا لَكِنْ عَمْرًا"»²، وابن يعقوب المغربي في قوله: «... وَمِثْلُ "بَلْ" فِي ذَلِكَ "لَكِنْ"»³، إضافة إلى بعض الدارسين المحدثين كالـدكتور بسيوني فيود، الذي يرى بأنّها تفيد القصر القصر مع اقترانها بالواو؛ وذلك لأنّها قد ثبت ورودها في فصيح الكلام بالواو، وأفادت القصر منه، كقول الخالق عزّ وجلّ في محكم تنزيله: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾⁴؛ فقد قُصِرَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى الرِّسَالَةِ وَالْخْتَمِ، لَا يَتَجَاوَزُهَا إِلَى أَبَوْتِهِ لَزِيدٍ، و"لكن" مقرونة بالواو⁵؛ كما شرح ابن مالك هذه المسألة بقوله: «فإن دخلت عليها الواو كقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ﴾، عَرِيتُ "لَكِنْ" مِنَ الْعُطْفِ، وَقُدِّرَ مَا بَعْدَهَا جُمْلَةً مَعُطُوفَةً عَلَى مَا قَبْلَهَا بِالْوَاوِ؛ لِأَنَّ بَقَاءَ "لَكِنْ" بَعْدَ الْوَاوِ عَاطِفَةٌ مُتَتَّبِعٌ لَامْتِنَاعِ دُخُولِ عَاطِفٍ عَلَى عَاطِفٍ.

وَجَعَلَ الْوَاوِ عَاطِفَةً مَعَ كَوْنِ مَا بَعْدَ "لَكِنْ" مُفْرَدًا مَمْنُوعًا لِمُخَالَفَتِهِ فِي الْحُكْمِ عَلَى الْمَعُطُوفِ عَلَيْهِ، وَحَقُّ الْمَعُطُوفِ بِالْوَاوِ إِنْ كَانَ مُفْرَدًا أَنْ يَسْتَوِيَ هُوَ وَالْمَعُطُوفُ عَلَيْهِ فِي الْحُكْمِ، فَإِنْ كَانَا جُمْلَتَيْنِ أُعْتِفِرَ تَخَالُفُهُمَا فِي الْحُكْمِ كَقَوْلِكَ: "قَامَ زَيْدٌ وَلَمْ يَقُمْ عَمْرُو"، و"أَكْرَمَ خَالِدٌ وَأُهِنَ بِشْرٌ"، و"أَطْعَمَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى"»⁶.

¹ ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز: 328، وما بعدها.

² ابن مالك، جمال الدين، شرح الكافية الشافية، تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي، دار المأمون للتراث، ط1، 1402هـ-1982م 1230/1: 1982م.

³ المغربي، ابن يعقوب، شروح التلخيص: 190/2. وينظر أيضاً: المغربي، ابن يعقوب، مواهب الفتاح: 425/1، 427.

⁴ الأحزاب: 40.

⁵ ينظر: فيود، بسيوني عبد الفتاح، علم المعاني - دراسة بلاغية ونقدية لمسائل علم المعاني، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع - القاهرة، ط4، 1436هـ-2015م: 308.

⁶ ابن مالك، جمال الدين، شرح الكافية الشافية: 1230/1-1231.

ولعلّ ما يَعْضُدُّ هذا الرَّأْيَ القَائِلَ بدلالة الحرف (لكن) ساكن التّون على معنى القصر، ما ذهب إليه الرّماني في معرض حديثه عن حرف العطف (لكن) العاطف الذي يكون مثقلاً ومخفّفاً، مفرّقاً بينهما؛ إذ قال: «إنَّ المخفّفة غير عاملة، والمثقلة عاملة، ومعناها في كلا الحالتين الاستدراك والتّوكيد».¹ وتعطف ما بعدها على ما قبلها، وحكمُ المقصور عليه يكون بعدها، ولا يُعْطَفُ بـ (لكن) إلّا بشروطٍ ثلاثة وهي: أن يكون المعطوف مفرداً لا جملةً، والثاني: ألا تكون مسبوقاً بالواو مباشرة، والثالث: أن تكون مسبوقه بنفي أو نهي.² كما في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾.³

وذكر الفراء (ت207هـ) أنّ قوله تعالى: ﴿الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ من التّوكيد الذي تُريده العرب في الكلام.⁴ وقد فسرها البقاعي بالقول: «ولما كان الضّارُّ للإنسان إنّما هو عمى البصائر دون الأبصار، نفى العمى أصلاً عن الأبصار لعدم ضرره مع إنارة البصائر، وخصّه بالبصائر لوجود الضّرر به... ﴿وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ﴾، وأكّد المعنى لوجود الضّرر بعماها، وإن كان البصر موجوداً فاحتجّ في تصوير عماها إلى زيادة تعيين لما تُعورِف من أنّ العمى إنّما هو للبصر».⁵

وبناءً على هذا كلّهُ نستنتج، أنّ العطف بكلمة "لكن" يفيد القصر، وحالها كحال نظيرتها "بل". فالمقصور عليه بها هو ما بعدها، أي: المعطوف بها، ويصلح هنا مثال: "لا تأكل دهنًا حيوانيًا لكن دهنًا نباتيًا"، بوضع كلمة "لكن" بدل كلمة "بل" ويكون الشّرح هناك هو الشّرح نفسه هنا.

*وفي قولنا: "ما طلع الفجر الصادق لكنّ الفجر الكاذب"؛ ف:

-الفجر الكاذب: هو المقصور عليه، وهو "موصوف"؛

-الفجر الصادق: هو المقصور عنه؛

-الطلوع الخاص: هو المقصور، وهو "صفة".

¹ الرّماني، أبو الحسن علي بن عيسى، معاني الحروف، تحقيق: عبد الفتاح إسماعيل شليبي، دار الشّروق للنّشر والتّوزيع، جدّة، ط3، 1984م: 133.

² ينظر: حسن، عبّاس، النّحو الوافي: 617/3.

³ الحج: 46.

⁴ ينظر: الفراء، معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت والدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، د.ت: 228/2.

⁵ عقيد، خالد حمّودي، (الأساليب البلاغية في تفسير نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور للبقاعي، ت885هـ): 141-142، نقلاً عن: البقاعي، نظم الدّرر: 64/13. وينظر: البقاعي، نظم الدّرر: 200/12.

والقصر في هذا المثال قصرٌ إضافيٌّ من قصر الصّفة على الموصوف؛ إذ لا يقتصر الطّلوع على الفجر.¹

¹ ينظر: البيدق، فريد، مقال: " القصر... من "البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها". مرجع سابق.

المبحث الرابع: القصر بتقديم ما حقه التأخير:

سنعرضُ في الجزء من الدراسة لموضوع تحقق دلالة القصر اللغوي بتقديم ما حقه التأخير، من خلال استعراض آراء علمائنا الأجلاء في هذه المسألة التي تُعدُّ مهمّةً في كلام العرب، وأساليبهم الدائرة في استعمالاتهم، وتستحقُّ العناية والاهتمام.

المطلب الأول: الرتبة المحفوظة وغير المحفوظة في العربية:

معروفٌ، أنَّ القصد بالتقديم والتأخير، هو أن تُخالف عناصر التركيب ترتيبها الأصلي في السياق؛ فيتقدّم ما الأصل فيه أن يتأخّر، ويتأخّر ما الأصل فيه أن يتقدّم. والحاكم للترتيب الأصلي بين عنصرين يختلف إذا كان الترتيب لازماً أو غير لازم، فهو في الترتيب اللازم (الرتبة المحفوظة) حاكمٌ صناعيٌّ نحويٌّ، أمّا في غير اللازم (الرتبة غير المحفوظة) فيكاد يكون شيئاً غير محدّد، ولكن توجد بعض الأسباب العامة التي قد تفسّر الترتيب الأصلي - بنوعيه - بين عنصرين، وهي مختلفةٌ في اعتباراتها، فمنها ما اعتباره معنويٌّ، ومنها ما اعتباره لفظيٌّ، أو منطقيٌّ، أو صناعيٌّ. ومن أهمّ هذه الأسباب:

- أن تكون العلاقة بين العنصرين علاقة المحكوم عليه بالحكم، فمقتضى الأصل أن يتقدّم المحكوم عليه ويتأخّر الحكم، وذلك مثل تقدّم المبتدأ على الخبر؛
- أن تكون العلاقة بينهما علاقة العامل بالمعمول، فمقتضى الأصل أن يتقدّم العامل ويتأخّر المعمول، كتقدّم الفعل على المفعول؛
- أن تكون العلاقة بينهما علاقة المقدمة بالنتيجة، فمقتضى الأصل أن تتقدّم المقدمة وتتأخّر النتيجة كتقدّم فعل الشرط على جواب الشرط؛
- أن تكون العلاقة بينهما علاقة الكلّ بالجزء المقتطع منه، فمقتضى الأصل أن يتقدّم الكلّ ويتأخّر الجزء، كتقدّم المستثنى منه على المستثنى مثلاً؛
- أن يكون تقدّم عنصرٍ ضرورياً لحفظ تقسيم معلوم من اللغة بالضرورة، كتقدّم الفعل على الفاعل؛ لما عُلم من وجود جملة فعلية تقف جنباً إلى جنب مع الجملة الاسمية مكوّنة معها أساساً ثنائياً لورود الجمل.¹

¹ ينظر: صالح، عبد العظيم الشاعر، " التقديم والتأخير في النحو العربي". مدوّنة الدكتور صالح الشاعر، عن موقع: <https://tryarabic.wordpress.com>. تاريخ الأخذ عنه: 07 مارس 2022، على الساعة: 13 و58 دقيقة.

1-الرتبة:

وللتقديم والتأخير علة تسمى الرتبة، والرتبة مبدأ نحويّ لولاه لم يكن ثمّ تقديم ولا تأخير، فما هي الرتبة؟ وما أنواعها؟

أ-تعريفها:

هي قرينة نحويّة من قرائن المعنى، يمكن تعريفها بأنها جزء من النظام النحويّ "يحدّد موقع الكلمة من بناء الجملة"، ويفرض لكلمتين بينهما ارتباط أن تأتي إحداهما أولاً والأخرى ثانياً، ويمتنع العكس إذا كانت الرتبة محفوظة، أمّا إذا كانت الرتبة غير محفوظة فيجوز أن تتقدّم إحدى الكلمتين في تعبيرٍ وتتأخّر في تعبيرٍ آخر من غير اتّصاف أحد التعبيرين بالخطأ النحويّ.

وهناك تجاذبٌ بين الرتبة والإعراب، فالرتبة في اللغات غير الإعرابيّة تُحدّد الوظيفة التركيبيّة لأجزاء الجملة، أمّا في اللغات الإعرابيّة فتُظهر مرونة الرتبة وإتاحتها حرّية الحركة لتلك الأجزاء؛ بسبب تكفّل الإعراب بتحديد الوظيفة التركيبيّة لها، فإذا خفيّ الإعراب انتفى ذلك ووجب الالتزام بالرتبة.

ب-الفرق بين الرتبة المحفوظة وغير المحفوظة:

أنّ الترتيب السيّاقيّ للكلمات في حالة الرتبة المحفوظة يُراعى في نظام اللغة وفي الاستعمال، ولا يقع خلافه إلّا موصوفاً بالخطأ النحويّ. أمّا في حالة الرتبة غير المحفوظة، فترتيب الكلمات في السيّاق أصلٌ افتراضيّ اتّخذ النظام النحويّ، وقد يُحتمّ الاستعمال -حسب المقام والغرض- خلافه بتقديم المتأخّر. ويُوصف العنصر المتقدّم في الرتبة المحفوظة بأنّه متقدّم وجوباً، ومن ذلك تقدّم الموصول على الصلّة، والموصوف على الصّفة، وحرف الجرّ على المجرور، وغيرها. أمّا في الرتبة غير المحفوظة -كالتّي بين المبتدأ والخبر، والفاعل والمفعول به، والضّمير والمرجع، وغير ذلك - فالتقديم والتأخير اختيارٌ أسلوبيّ جائزٌ للمتكلّم بحسب ما يعبر عن غرضه ويُفهم معناه المقصود. وقد يُلغى هذا الاختيار وتُحفظ الرتبة؛ إمّا لاتّقاء لبسٍ، كما في (ضرب موسى عيسى)، أو لاتّقاء مخالفة القاعدة، كما في (رأيتك)، فانتقال الرتبة من دائرة الرتبة غير المحفوظة إلى دائرة الرتبة المحفوظة أمرٌ وارد.¹

ويواصل هذا الدّارس تفصيل الأمر في هذه المسألة، مضيفاً: «والفرق بين الرتبة المحفوظة والرتبة غير المحفوظة هو عينه الفرق بين الواجب والجائز في النحو؛ فالتقديم في الرتبة المحفوظة حكمٌ تركيبيّ نحويّ صرف لا مجال فيه لاختيار المتكلّم، فهو إمّا جارٍ على القاعدة بحفظها، أو مخالفٌ للقاعدة مخلٌّ

¹ ينظر: صالح، عبد العظيم الشّاعر، "التقديم والتأخير في النحو العربي"، مرجع سابق.

بسلامة التركيب بإهماله لها. أمّا الرتبة غير المحفوظة، فالتقديم فيها أمر اختياريّ يمكن من التصرف في العبارة؛ لأنّه يصبح وسيلة أسلوبية تُستجَلَبُ بها المعاني وتُقَلَّبُ العبارة لتناسب مقتضى الحال، ولهذا دار البحث البلاغيّ في علم المعاني حول الرتبة غير المحفوظة».¹

المطلب الثاني: التقديم والتأخير - مفهومه وأهميته في اللغة:

التقديم والتأخير هو أحد أساليب البلاغة؛ وهو أحد أهم مباحث البلاغة العربية. ويؤتى به من أجل إفادة أغراض بلاغية معينة تحكّمها تراكيب وسياقات لغوية خاصة. ولا شكّ في أنّ تقديم الكلام وتأخيره من دلالات التمكن في الفصاحة، وامتلاك ناصية اللّغة، وانقياد أساليبها للمتكلّم، وله في القلوب موقع حسن ومذاق عذب.

هذا، ونشير هنا، إلى أنّ هناك آياتٍ أشكل معناها على كثيرٍ من الناس بحسب ظاهرها، فلما عُرف أنّه من باب التقديم والتأخير اتّضح معناها، وسوف نذكر بعضاً منها تمثيلاً لا حصراً:

1- روى ابن أبي حاتم الرازيّ (ت 327هـ) عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾² قال: هذا من تقاديم الكلام، وتقدير الكلام فيه هو: (لولا كلمة وأجلّ مسمّى، لكان لزاماً)؛³

2- روى ابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا * فَيَمَّا *﴾⁴ قال: هذا من التقديم والتأخير، والتقدير فيه: "أُنْزِلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ قِيَمًا، ولم يجعل له عوجاً".⁵

3- ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَضَحِكْتُ فَبَشَّرْنَاهَا﴾⁶ أي: فبشرناها فضحكّت.

¹ صالح، عبد العظيم الشّاعر، "التقديم والتأخير في النحو العربي"، مرجع سابق.

² طه: 129.

³ ينظر: الدّق، صلاح نجيب، "التقديم والتأخير في القرآن". عن موقع: <https://www.alukah.net/sharia/0/102020/%> تاريخ الإضافة: 2016/4/21 ميلادي - 1437/7/14 هجري. تاريخ النقل عنه: 07 مارس 2022 على الساعة 10 صباحاً و24 د، نقلا عن: تفسير ابن أبي حاتم: 2441/7 - رقم: 13580.

⁴ الكهف: 1-2.

⁵ ينظر: الدّق، صلاح نجيب، "التقديم والتأخير في القرآن"، نقلا عن: تفسير ابن أبي حاتم: 2344/7 - رقم: 12694.

⁶ هود: 71.

المطلب الثالث: الحكمة من التقديم وأساراه:

قد تُستفاد عدّة معاني وحكم من أسلوب التقديم والتأخير، منها:¹

*التبرُّك: كتقديم اسم الله تعالى في الأمور ذات الشأن، ومنه قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾²؛

*التعظيم: كقوله: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾³، و﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ﴾⁴؛

*التشريف: كتقديم الذكر على الأنثى؛ نحو: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾⁵، والحرّ في قوله: الحرّ بالحرّ والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى⁶، والحيّ في قوله: جلّ شأنه: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾⁷، وتقديم المهاجرين في قوله: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾⁸، وأما تقديم كلمة "الأنعام" في قوله: ﴿تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ﴾⁹؛ فلأنه تقدّم ذكر الزرع؛ فناسب تقديم الأنعام، بخلاف آية (عبس)، فإنه تقدّم فيها: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾¹⁰؛ فناسب تقديم (لكم)، وتقديم (المؤمنين) على (الكفار) في كلّ موضع، وأصحاب اليمين على أصحاب الشمال، وغيرها من المواضع الكثيرة والمتنوعة في كتاب الله المجيد؛

*المناسبة: وهي إمّا مناسبة المتقدم لسياق الكلام؛ كقوله تقدّست أسماؤه: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَوْنَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾¹¹؛ فإنّ الجمال بالجمال وإن كان ثابتاً حالتي السراح والإراحة، إلّا أنّها حالة إراحتهما وهو مجيئها من المرعى آخر النهار يكون الجمال بها أفخر؛ إذ هي فيه بظان، وحالة سراحها

¹ ينظر: الدقّ، صلاح نجيب، "التقديم والتأخير في القرآن" - مرجع سابق.

² آل عمران: 18.

³ النساء: 69.

⁴ الأحزاب: 56.

⁵ الأحزاب: 35.

⁶ البقرة: 178.

⁷ الأنعام: 95.

⁸ التوبة: 100.

⁹ السجدة: 27.

¹⁰ عبس: 24.

¹¹ النحل: 6.

للمرعى أول النهار يكون الجمال بها دون الأول؛ إذ هي فيه خاص، ونظيره قوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾¹ قدّم نفي الإسراف؛ لأنّ الشرف في الإنفاق؛ وقوله: ﴿يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾²؛ لأنّ الصواعق تقع مع أول برقة، ولا يحصل المطر إلا بعد توالي البرقات؛

*السبق: وهو إمّا في الزمان باعتبار الإيجاد، بتقديم الليل على النهار، والظلمات على النور، وآدم على نوح، ونوح على إبراهيم، وإبراهيم على موسى، وموسى عيسى، وداود على سليمان - عليهم السلام جميعاً-، والملائكة على البشر في قوله جلّ وعلا: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾³، وعاد على ثمود، والأزواج على الذرية في قوله: ﴿قُلْ لَأَزْوَاجُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ﴾⁴، والسنة على التوم في قوله: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾⁵، على سبيل التمثيل لا الحصر.

*السببية: كتقديم العزيز على الحكيم؛ لأنّه عزّ فحكّم، والعليم عليه؛ لأنّ الإحكام والإتقان ناشئ عن العلم، وأمّا تقديم الحكيم عليه في سورة الأنعام فلائنه مقام تشريع الأحكام .

ومنه: تقديم العبادة على الاستعانة في سورة الفاتحة؛ لأنّها سبب حصول الإعانة، وكذا قوله تعالى: ﴿يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾⁶؛ لأنّ التوبة سبب الطهارة، وقوله سبحانه: ﴿لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾⁷؛ لأنّ الإفك سبب الإثم، وقوله جلّ شأنه: ﴿يَعْضُوبُ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾⁸؛ لأنّ لأنّ البصر داعية إلى الفرج؛

*الكثرة: كقوله: ﴿فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾⁹؛ لأنّ الكفار أكثر، وقوله جلّ ثناؤه: ﴿فَمِنْهُمْ

¹ الفرقان: 67.

² الرعد: 12.

³ الحج: 75.

⁴ الأحزاب: 59.

⁵ البقرة: 255.

⁶ البقرة: 222.

⁷ الجاثية: 7.

⁸ النور: 30.

⁹ التغابن: 2.

ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ¹، قَدَّمَ الظَّالِمَ لكثيرته؛ ثُمَّ المقتصد، ثُمَّ السَّابِق؛ ولهذا قَدَّمَ السَّارِقَ على السَّارِقَةِ؛ لأنَّ السرقة في الذكور أكثر، والزَّانية على الزَّاني؛ لأنَّ الزَّنا فيهنَّ أكثر...

***الترقي من الأدنى إلى الأعلى:** كقوله: سبحانه: ﴿أَلْهَمَّ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا²﴾، بدأ بالأدنى لغرض الترقي؛ لأنَّ اليدَ أشرفُ من الرَّجُل، والعينَ أشرفُ من اليد، والسمعُ أشرفُ من البصر، ومن هذا النوع تأخير الأبلغ، وقد خرج عليه تقديم الرِّحْمَنِ على الرِّحِيم، والرَّؤُوفِ على الرِّحِيم، والرَّسُولِ على النَّبِيِّ في قوله: ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا³﴾، وذكرَ لذلك نُكْتًا، أشهرها: مراعاة مراعاة الفاصلة.

***التدلي من الأعلى إلى الأدنى:** وخرج عليه: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ⁴﴾، ﴿لَا يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا وَلَا كَبِيرَةً⁵﴾، وغيرها من الآيات الكريمة.

***منها كونه أدلَّ على القدرة وأعجب:** كقوله سبحانه: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ⁶﴾، وقوله: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ⁷﴾.

وقد قَدَّمَ الجبال على الطَّير؛ لأنَّ تسخيرها له وتسبيحها أعجبُ وأدلُّ على القدرة، وأدخل في الإعجاز؛ لأنَّها جمادٍ، والطَّير حيوانٌ ناطقٌ.

***رعاية الفواصل:** كقوله جلَّ وعلا: ﴿وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ⁸﴾، بتقديم بتقديم "إيَّاه" على "تعبدون" لمشكلة رؤوس الآي، وكقوله: ﴿فَأَوْحَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى⁹﴾؛ فإنَّه لو

¹ فاطر: 32.

² الأعراف: 195.

³ مريم: 51.

⁴ البقرة: 255.

⁵ الكهف: 49.

⁶ التور: 45.

⁷ الأنبياء: 79.

⁸ فصلت: 37.

⁹ طه: 67.

أَخَّرَ (في نفسه) عن (موسى) فَاتَ تناسُبُ الفواصل؛ لأنَّ قبله: ﴿يُحْيِلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾¹، وبعده: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾².

المطلب الرابع: التقديم والتأخير قبل عبد القاهر الجرجاني:

سنمثّل هنا باختصار شديد لبعض علماء البلاغة العربيّة الذين سبقوا عبد القاهر الجرجاني إلى الحديث عن موضوع أو مبحث التقديم والتأخير.

1- أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت 210هـ):

وقد أضاف إضافة مهمّة في باب "التقديم والتأخير"؛ إذ إنّه قد ذكر أنّ المجاز يكون فيما قُدّم وأخّر، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾³؛ إذ المراد: "رَبَتْ وَاهْتَزَّتْ"⁴. والظاهر في هذا المثال أنّه نظر إلى التقديم والتأخير بين الفعلين من جهة أسبقية أحدهما على الآخر في الواقع، وليس من جهة تقديم وتأخير في المواضع اللفظية. والمجاز عند أبي عبيدة ليس بمفهومه الاصطلاحيّ الذي حدّده البلاغيّون بعده بقرون، بل كان يريد به معناه اللّغويّ، الذي يدلّ على تحوّل وتغيّر في البناء اللّغويّ والمعنويّ في العبارة، لكنّ هذه التحوّلات والمجازات التي ذكرها تلتقي في كثير من صورها مع صور المجاز الاصطلاحيّ، ومع صور تغيير التّركيب لأغراض بلاغيّة كما في التقديم والتأخير.⁵

2- ابن قتيبة الدّينوريّ (ت 276هـ):

وقد كانت له التفاتة إلى "التقديم والتأخير" حين أشار إلى مذهب العرب في "المجازات"، وبين أنّ معناها "طرق القول ومآخذه، وذكر من صور هذه المجازات: الاستعارة، والتّمثيل، والقلب، والتّقديم والتّأخير، والحذف، والتّكرار، والإخفاء، والإظهار، والتّعريض، والإفصاح، والكناية، والإيضاح، ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع، والجميع خطاب الواحد، والواحد والجميع خطاب الاثنين،

¹ طه: 66.

² طه: 68.

³ الحج: 05.

⁴ ينظر: السّديس، أحمد بن صالح، "التّقديم والتّأخير عند عبد القاهر الجرجاني"، نقلا عن: أبو عبيدة بن معمر المثنى، مجاز القرآن: 12/1: 236.

⁵ ينظر: المرجع نفسه: 236.

والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم، ولفظ العموم لمعنى الخصوص. كما أشار إلى أن التقديم والتأخير "قد يراد به التوضيح، وجعل ذلك من القلب؛ لأنّ اللفظ قُلب عن موضعه الأصلي".¹

المطلب الخامس: أقسام التقديم والتأخير عند عبد القاهر الجرجاني:

يعدّ أسلوب التقديم والتأخير واحداً من أهمّ فصول علم المعاني خاصّة، والبلاغة العربيّة عامّة؛ فقد خصّه عبد القاهر الجرجاني بمبحث هامّ من مؤلّفه الشهير "دلائل الإعجاز"، مُفتتحاً إيّاه بقوله في شأنه: «هو باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفترُّ لك عن بدیعة، ويُفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثمّ تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قدّم فيه شيء، وحوّل اللفظ عن مكان إلى مكان».²

ويرى الجرجاني أن تقديم الشيء على نوعين اثنين:

«تقديمٌ يقال إنّهُ على نيّة التأخير، وذلك في كلّ شيء أقرّته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه، وفي جنسه الذي كان فيه، كخبر المبتدأ إذا قدّمته على المبتدأ، والمفعول إذا قدّمته على الفاعل كقولك: "منطلقٌ زيد"، و"ضربَ عمرٌ زيد". معلومٌ أنّ "منطلقٌ وعمرٌ" لم يخرجاً بالتقديم عمّا كانا عليه من كون هذا خبر مبتدأ ومرفوعاً بذلك، وكون ذلك مفعولاً ومنصوباً من أجله، كما يكون إذا أخرت.

وتقديمٌ لا على نيّة التأخير، ولكن على أن تنقل الشيء عن حكم إلى حكم، وتجعل له باباً غير بابهِ، وإعراباً غير إعرابه، وذلك أن تجيء إلى اسمين يحتمل كلّ واحد منهما أن يكون مبتدأ ويكون الآخر خبراً له، فتقدّم تارةً هذا على ذاك، وأخرى في ذاك على هذا، ومثاله ما تصنعه بزيدٍ والمنطلق حيث تقول مرّة: "زيدٌ المنطلق"، وأخرى: "المنطلقٌ زيد". فأنت في هذا لم تقدّم "المنطلق" على أن يكون متروكاً على حكمه الذي كان عليه مع التأخير، فيكون خبر مبتدأ كما كان، بل على أن تنقله عن كونه خبراً إلى كونه مبتدأ. وكذلك لم تؤخّر "زيداً" على أن يكون مبتدأ كما كان، بل على أن تُخرجه عن كونه مبتدأ إلى كونه خبراً».³

¹ ينظر: السديس، أحمد بن صالح، "التقديم والتأخير عند عبد القاهر الجرجاني": 237، نقلاً عن: ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن: 20.

² الجرجاني، دلائل الإعجاز: 106.

³ المرجع نفسه: 106-107.

والمفهوم من هذا الكلام، أنَّ التقديم في نوعه الأول لا يتغيّر فيه الوصف الإعرابي للكلمة المقدّمة، ولا معنى الجملة العامّ من جزاء هذا التقديم المرتبط بخصائص أسلوبية، كما أنَّ معنى الخبر الابتدائي يبقى على حاله أيضاً. وأمّا النوع الثاني، فيحصل عنه تبدّل في إعراب الكلمة المقدّمة فيه، وهو ما يصاحبه تغيّر في المعنى الكلي للعبارة؛ إذ يصبح المحدّث عنه، وهو كلمة "المنطلق"، في نحو: "زيد" المنطلق "محدّثاً به إذا قلنا: "المنطلق زيد".¹

ويزيد عبد القاهر هذا المعنى بياناً، بقوله إنه: «أظهر من هذا قولنا: "ضربت زيدا"، و"زيد ضربه"، لم تقدّم "زيداً" على أن يكون مفعولاً منصوباً بالفعل كما كان، ولكن على أن ترفعه بالابتداء، وتشغل الفعل بضميره، وتجعله في موضع الخبر له».²

المطلب السادس: دلالة أسلوب التقديم والتأخير على معنى القصر:

ويقصد به ذلك الاختصاص الناشئ عن بعض الأساليب في حالات سياقية خاصة لها ارتباط بالمتلقي. فهو يختلف عن الاختصاص التركيبي، في أنَّ التركيبي يفيد الاختصاص قطعاً والسياتي رهناً بالإمكانات الدلالية التي يُحيل إليها السياق. وينضوي تحت هذا المطلب العديد من الأساليب التي تفيد الاختصاص منها:

1- في الكلام المثبت:

وله في ذلك وجهان. أوّلهما في كلام يُقدّم فيه المسند إليه، وثانيهما يكون فيه المسند هو المقدّم. وهذا بيانه:

أ- تقديم المسند إليه المعروف على المسند الفعلي:

ويكون ذلك مشروطاً بأن يتضمّن السياق نفياً زعم المشاركة. ففي هذه الحالة تثبت دلالة الاختصاص. قال عبد القاهر: «فإذا عمدت إلى الذي أردت أن تُحدّث عنه بفعلٍ فقدّمت ذكره ثمّ بنيت الفعل عليه فقلت: "زيد قد فعل"، وأنا فعّلت، وأنت فعلت؛ اقتضى ذلك أن يكون القصد إلى الفاعل. إلّا أنَّ المعنى في هذا القصد ينقسم قسمين: أحدهما جلي لا يُشكّل وهو: أن يكون الفعل فعلاً قد أردت أن تنصّ فيه على واحد فتجعله له، وتزعم أنّه فاعله دون واحدٍ آخر، أو دون كلّ

¹ ينظر: دكّ الباب، جعفر، الموجز في شرح دلائل الإعجاز في علم المعاني - نظرية الإمام الجرجاني وموقعها في علم اللغة العام الحديث: 88 و 110-111.

² الجرجاني، دلائل الإعجاز: 107.

أحد. ومثال ذلك أن تقول: "أنا كتبت في معنى فلان"، و"أنا شفعت في بابه"، تريد أن تدعي الانفراد بذلك والاستبداد به وتزيل الاشتباه فيه، وترد على من زعم أن ذلك كان من غيرك، أو أن غيرك قد كتب فيه كما كتبت. ومن البين في ذلك قولهم في المثل: أتعلمني بضبب أنا حرشته؟
والقسم الثاني: أن لا يكون القصد إلى الفاعل على هذا المعنى، ولكن على أنك أردت أن تحقق على السامع أنه قد فعل، وتمنعه من الشك، فأنت لذلك تبدأ بذكره، وتوقعه أولاً، ومن قبل أن تذكر الفعل في نفسه، لكي تباعده بذلك من الشبهة، وتمنعه من الإنكار، أو من أن يظن بك الغلط أو التزيد. ومثاله قولك: "هو يعطي الجزيل"، و"هو يحب الشاء"، لا تريد أن تزعم أنه ليس هنا من يعطي الجزيل ويحب الشاء غيره، ولا أن تعرض بإنسان وتخطئه عنه، وتجعله لا يعطي كما يعطي، ولا يرغب كما يرغب، ولكنك تريد أن تحقق على السامع أن إعطاء الجزيل وحب الشاء دأبه، وأن تمكن ذلك في نفسه».¹

أما عن الوجه في تحقق غرض القصر بتقديم الفاعل في جمل: "أنا كتبت في معنى فلان" و"أنا شفعت في بابه"، و"أتعلمني بضبب أنا حرشته؟"، فبيانه أن القالب النحوي الذي شكلت فيه هذه العبارات الثلاث ليس هو المعهود في بناء الجملة الفعلية. فلما عُمد إلى الفاعل، وهو التاء المتصلة بأفعالها، وقدم على فعله في نحو: "أنا كتبت في معنى فلان"، كان لازماً التعبير عن هذا المبتدأ بضمير منفصل يعود على "تاء" المتكلم المفرد؛ لئلا يُبتدأ بضمير متصل، فلا يقال: "ت كتبت" مثلاً. فلأن تقديم الفاعل هنا، ليس أصلاً في الكلام، فطبيعي أن يكون ذلك قد تم من أجل تحقيق دلالة بلاغية معنوية مقصودة بعينها، كان ممكناً حملها على معنى التوكيد لو اقتضى المقام ذلك. ولكنها هنا محمولة على إفادة معنى القصر، ولكن ليس ذلك اعتباراً ولا تفضيلاً، وإنما كان ذلك من جهة أن سياق إلقاء الخبر في مثل هذه الشواهد هو الذي يدل على هذا المعنى، وذلك لأن المسند إليه، "أنا"، يُعبر عن معلوم على وجه التحديد بالنسبة إلى السامع، بأن يكون قد ذكر قبل في السياق الكلامي؛ وعليه مُثّل في موضعه هذا بمفردة معرفة، وهي الضمير "أنا".

ومما يؤكد مسألة احتمال دلالة الفاعل المقدم على خبره، جملة فعلية، على معنى القصر أننا نجد لهذا النموذج النحوي شواهد قرآنية كثيرة ومتنوعة، نذكر منها على سبيل المثال، قول الله عز وجل:

¹ الجرجاني، دلائل الإعجاز: 128-129.

﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾¹، إذ كان معناه: "أنه لم يُنشئكم منها إلا هو سبحانه جلّ في علاه، ولم يستعمركم فيها غيره تقدّست أسماؤه".² وكذلك قوله: جَلَّتْ قدرته وتقدّست أسماؤه: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾³، لأنه في معنى لو قيل بدلاً عنه في معناه: إنه «لا يرزق تلك الدّواب الضّعاف»⁴، إلا الله، ولا يرزقكم أيضا أيها الأقوياء إلا هو، وإن كنتم مطيقين لحمل أرزاقكم وكسبها، لأنه لو لم يُقدّرْكم، ولم يُقدّرْ لكم أسباب الكسب لكنتم أعجز عن تلك الدّواب التي لا تحمل»⁵. وعلى هذا يحتمل أيضا قوله، تبارك وتعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِي﴾⁶ حيث أفاد تقديم لفظ الجلالة، سبحانه، في هذه الآية اختصاص الخالق عزّ وجلّ بإنزال القرآن الكريم من لدنه، وتأكيد أمر إسناده إليه جلّ جلاله، وهو على معنى: "أنه لم يُنزلْهُ إلا الله، وأنّ مثله لا يجوز أن يصدر إلا عنه"⁷. ومنه يظهر أنّ المُقدّم في الكلام، إذا أُريد به الحصر، كان هو المقصور عليه. ومن هذا الذي سبق، نستنتج أن الفاعل إذا قُدّم على فعله؛ وجب رفعه على الابتداء لنيّة إسناد الخبر إليه، كما في قولنا مثلاً: "سعيدٌ فازَ بالمسابقة الشعريّة"، ويكون محتملاً لوجهين: إمّا تأكيد حكم الخبر لدى سامع شكّ في صحّته، وإمّا قصر فعل "الفوز" بالمسابقة الشعريّة" على المبتدأ المحذّر عنه أولاً في صدر الكلام، وهو "سعيد"، إذا ثبت أنّ المخاطب قد علم بالخبر، ولكنه متردّد في كنهه الفاعل هنا من هو، أو أنّه كان معتقدا عكس ما قيل له، بأن يكون الفائز شخصاً غير سعيد هذا. هذا، والحقيقة أنّه قد يكون الإمام يمثل هذا الخاصيّة المقاميّة صعباً في بعض الخطابات. وقد يكون سهلاً إذا كانت طبيعة الخطاب حوارية أو أن تكون مناظرة أو جدالاً. ولهذا، لا بدّ في مثل هذه الحالة من أن نلّم بالسياق النفسي للمتكلّم ودافعه من الخطاب، وتمييز ما إذا كان دافعه الادّعاء

¹ هود: 61.

² ينظر: الزّخشي، الكشف: 178/2، وحسنين، محمّد أبو موسى، دلالات التّراكيب - دراسة تحليليّة لمسائل علم المعاني: منشورات جامعة قاريونس، بنغازي - ليبيا، ط1، 1399هـ-1979م: 197.

³ العنكبوت: 62.

⁴ كناية عن قوله تعالى قبل الآية المذكورة من سورة العنكبوت: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾.

⁵ الزّخشي، الكشف: 211/3.

⁶ الزّمر: 23.

⁷ ينظر: الزّخشي، الكشف: 394/3، وحسنين، محمّد أبو موسى، دلالات التّراكيب - دراسة تحليليّة لمسائل المعاني: 197.

والانفراد بالفعل، بمعنى قصر الشيء على الشيء، أم أن دافعه وصف العادة والدأب في مقام المدح والدّم فقط.¹

وعليه، فقد ذهب الزّمخشري (ت538هـ) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ خُنَّ نَعْلَمُهُمْ﴾² بقوله: «﴿خُنَّ نَعْلَمُهُمْ﴾»، أي: لا يعلمهم إلا الله، ولا يطلع على سرهم غيره، لأنهم يُبطنون الكفر في سويدات قلوبهم إبطاناً، ويُبرزون لك ذلك ظاهراً كظاهر المخلصين من المؤمنين، لا تشكّ معه في إيمانهم، وذلك أنهم مردوا على النفاق وضروا به؛ فلهم فيه اليد الطولى».³

ومن الواضح أنّ هذه الحالة لها خصوصيّة سياقيّة؛ لأنّ المنفي لا يستطيع أن يدّعيه أحد. فعلم الغيب يُنفى معه زعم المشاركة، والإخبار في الجملة لإثبات اختصاص الفعل بالفاعل على وجه الحصر.⁴

ب- تقديم المسند إليه (النكرة) على المسند الفعلي:

معلوم، أنّ المبتدأ في العربية يجيء معرّفاً، غير أنّه يحدث أن يردّ في أحيان كثيرة نكرة بمسوّغات مختلفة. ومن هذه المسوّغات إن كان القصد به إبانة جنس المحدث عنه الواقع محصوراً بـ "إلا"، وهو ما يذهب إليه عبد القاهر الجرجاني، حاذياً حذو سيويوه (ت180هـ) في هذا الموضوع، إذ يقول صاحب الدلائل في هذا الصدد موضحاً: «وقولهم: "شَرُّ أَهَرِّ ذَا نَابٍ"، إنّما قُدِّم فيه "شَرٌّ"؛ لأنّ المراد أن يُعْلَم أنّ الذي أَهَرَّ "ذا النّاب" هو من جنس الشّرّ لا جنس الخير، فجرى مجرى أن تقول: "رَجُلٌ جَاءَنِي"، تريد أنّه رجلٌ لا امرأة، وقول العلماء: إنّهُ إنّما يصلح لأنّه بمعنى: "مَا أَهَرَّ ذَا نَابٍ إِلَّا شَرٌّ"».⁵

ومسألة رجوع الابتداء بالنكرة في مثل ما سبق ذكره إلى مردّها إلى كون الغرض منها لتحديد الجنس. وهو ما ينصّ عليه الجرجاني في هذا الصدد شارحاً: «أنّك لا تقول: "مَا أَتَانِي إِلَّا رَجُلٌ"، إلّا

¹ ينظر: الدّنيّات فايز، "الاختصاص وسياقات القراءة في البلاغة العربيّة - دراسة تحليليّة" - المنارة، المجلّد 22، العدد 01، 2016م: 137.

² التوبة: 101.

³ الزّمخشري، محمود بن عمر، الكشّاف عن حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعليّ محمد معوّض، مكتبة العبيكان - الرياض، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط1، 1418هـ - 1998م: 87/4.

⁴ ينظر: الدّنيّات فايز، "الاختصاص وسياقات القراءة في البلاغة العربيّة - دراسة تحليليّة" -، مرجع سابق: 137.

⁵ الجرجاني، دلائل الإعجاز: 143.

حيث يتوهم السامع أنه قد أتتك امرأة، ذاك لأنّ الخبر ينقضّ التّفَيّ يكون حيث يراد أن يُقصرَ الفعل على شيء، ويُنفى عمّا عداه. فإذا قلتَ: "ما جَاءَني إلّا زيدٌ"، كان المعنى أنّك قد قَصَرْتَ الجيء على "زيد"، ونفَيْتَهُ عن كلّ من عداه. وإنّما يُتَصَوَّرُ قصر الفعل على معلوم، ومتى لم يُرَدَّ بالنكرة الجنس، لم يقف منها السامع على معلوم، حتّى تزعم أيّ أقصِرَ له الفعل عليه، وأخبره أنّه كان منه دون غيره¹. ولعلّه يكون واضحاً هنا، أنّ الجرجانيّ، إنّما ينصّ على كون ورود المبتدأ هنا نكرة، وهو كلمة "شُرٌّ"، لا معرفة كقولنا: "الشّرُّ"؛ لأنّ الكلام والمبتدأ نكرة دالٌّ على الجنسيّة، خلافاً للمعرفة التي لا تدلّ على ذلك، تماماً كما لو قلنا مثلاً في السّؤال عن جنس الشخص الذي أتى: "أ رجلٌ أتاك أم امرأة؟"، إذ لا يكون بمنزلة أن يقال: "الرجل أم المرأة أتاك؟" إذاً، فالمراد هنا، هو بيان جنس الذي أهرَّ ذا النَّاب أنّه شرٌّ لا خيرٌ، وكذلك في "أ رجلٌ أتاك أم امرأة؟" للسّؤال عن "الجائي"، أ هو من جنس الرجال أم النساء؟ فالقصدُ بالنكرة في مثل هذا يتّجه إلى الجنس لا إلى العدد². وكما دلّ قولنا: "ما أتاني إلّا رجلٌ" على قصر فعل "الإتيان" على جنس الرجال لا النساء نفيّاً لاعتقاد المخاطب أنّ الجيء وَقَعَ من امرأة، فكذلك قولنا: "شُرٌّ أهرَّ ذا نابٍ"، إنّما جاز وأُسْتُحْسِن؛ لأنّ القصد به بيان الجنس.

والدليل على أنّ إيراد الكلام مبتدأً بنكرة في قولنا: "شُرٌّ أهرَّ ذا نابٍ"، و"رجلٌ جَاءَني" إنّما يفيد تحديد الجنس، لا شيئاً آخر، أنّه لو لم يُرَدَّ به ذلك لما جاز؛ من قبل أنّه لو قيل: إنّ المقصود منه التّنبيه، كما في: "عَبْدُ اللَّهِ ضَرَبْتُهُ"، لكان محالاً³، لأنّ التّنبيه لا يكون إلّا على معلوم، فكيف يُنبّه السّامع على شيء لا يعرفه في جملة ولا تفصيل؟ إذاً، فلمّا كان التّنبيه لا يكون إلّا على معلوم، تماماً كقصر الفعل الذي لا يكون إلّا على معلوم، فإنّ الوجه في الاعتداد بجمليّتي: "شُرٌّ أهرَّ ذا نابٍ"، و"رجلٌ جَاءَني" كونهما كلاماً صواباً مستقيماً هو حملهما على بيان الجنس فيهما، لا غيره⁴.

ويلحق بهذا القسم حالة خاصّة وهي أنّه: إذا كان الخبر اسم فاعل أو شبهه، ولم يكن فعلاً، ففي هذه الحالة قد يفيد الاختصاص وقد لا يفيد تبعاً للسياق. قال الزّخشيّ معلقاً على قوله

¹ الجرجانيّ، دلائل الإعجاز: 143-144.

² ينظر: المرجع نفسه: 144.

³ ينظر: سيبويه، الكتاب: 138/2.

⁴ ينظر: المرجع نفسه: 145.

تعالى: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾¹: "أي: لا تعز علينا ولا تُكرم، حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم. وإنما يعز علينا رهطك"... وقد دل إيلاء ضميره حرف النفي على أن الكلام واقع في الفاعل لا في الفعل، كأنه قيل: "وما أنت علينا بعزير، بل رهطك هم الأعز علينا"، ولذلك قال في جوابهم: أ رهطي أعز عليكم من الله؟ ولو قيل: وما عززت علينا، لم يصح هذا الجواب.²

ومن الواضح أنه يقصد إفادة الاختصاص مع كون الخبر (اسم مفعول) لا فعلا. لكن هذه الحالة لا تفيد الاختصاص إلا في سياقات محدودة.³

ج- تقديم المسند:

وتقديم المسند يفيد جملة من الأغراض البلاغية منها: الاختصاص. والمسند المقصود هنا هو الاسمي، لأن الفعل واجبه التقديم، وهو مذهب جمهور البلاغيين، وذلك كقول المولى، تبارك وتعالى: ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾⁴، وقوله عز وجل: ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾⁵، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾⁶. فتقدم الظروف في هذه الآيات الكريمة كلها يفيد المعاني الآتية على الترتيب: اختصاص الله سبحانه وتعالى بصيرورة الأمور إليه دون غيره، وقصر صفتي "الملك" و"الحمد" على الحقيقة على الباري، عز وعلا، لأنه مبدئ كل شيء ومبدعه، وصاحب كل النعم في الأصل، وكذلك رجوع الخلق لا يكون إلا إلى خالقهم، وحسابهم إنما هو مسند إليه جلّ جلاله دون أي أحد سواه.⁷

إذاً، ففي حال إرادة معنى تخصيص المسند بالمسند إليه يجب تقديم المسند وكقولهم أيضا في قصر الموصوف على الصفة: "تميمي أنا" قصر أفراد لمن يرددك بين قيس وتميم مثلاً، وقصر قلب لمن

¹ هود: 91.

² ينظر: الرمخشي، الكشاف: 229/3-230.

³ الذنبيات فايز، "الاختصاص وسياقات القراءة في البلاغة العربية- دراسة تحليلية". مرجع سابق: 138.

⁴ الشورى: 53.

⁵ التغابن: 01.

⁶ الغاشية: 25-26.

⁷ ينظر: الرمخشي، الكشاف: 112/4 و 248، و: اليمني، الطراز: 70/2، وحسين، محمد أبو موسى، دلالات التراكيب- دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني: 281.

ينفيك عن تميم وينسبك إلى قيس، وكقولنا لمن يردد زيدا مثلاً بين القيام والقعود، فيقال له بحسم الأمر: "قائمٌ زيدٌ" على سبيل حصر صفة زيدٍ في المقام المحذث عنه أنه قائمٌ لا قاعدٌ. هذا في قصر الموصوف على الصفة. أمّا في قصر الصفة على الموصوف، فكأن نقول مثلاً: "أنا كَفَيْتُ مَهْمَكَ" بمعنى وحدي، لمن يعتقد أنّك وزيدا كفيتهما مهمّاه قصرٌ إفرادٍ، وقلباً: "أنا كَفَيْتُ مَهْمَكَ" بمعنى: "لا غَيْرِي" لمن يعتقد أنّ كافيٍ مهمّك غَيْرُهُ.¹

ومن ذلك أيضاً، نذكر على سبيل التمثيل هذه الآية القرآنية التي أفاد تقديم المسند فيها الاختصاص. كقوله: "وتقدّم المجرور في قوله: ﴿إِنَّا مَرْجِعُكُمْ﴾"² لإفادة الاختصاص، أي: "تُرجعون إلينا لا إلى غيرنا تنزيلاً للمخاطبين منزلة من يظنّ أنّه يرجع إلى غير الله".³

د- تقديم بعض متعلقات الفعل:

والمراد بمتعلقات الفعل: المفعول، والحال، والظرف، والمجرور. وتقديمها يفيد جملةً من الأغراض البلاغية أشهرها: الاختصاص. وهذا التقديم "إمّا أن يكون على الفعل نفسه، وإمّا أن يكون تقديم بعض المتعلقات على بعض، وكلّ واحد من الضّربين لا يكون إلّا لغرض، أمّا تقديم المتعلّق على العامل، فإنّه غالباً ما يكون للاختصاص تقول: "زيداً أكرمتُ"، وأنتَ تعني "أنّك ما أكرمتَ إلّا زيداً، ومنه قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾"⁴ أي: نخصّك يا الله بالعبادة، فلا نعبدُ غيرك، ونخصّصك وحدك بالاستعانة فلا نستعين بسواك، وقوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾"⁵ قدّم المفعول؛ لأنّه أراد سبحانه إن كنتم تخصّصونه بالعبادة، فلا تتّجه قلوبكم إلّا إليه، ولا تنحني أصلابكم إلّا في حضرته".⁶

¹ ينظر: السّكاكي، مفتاح العلوم: 219/1، 292.

² يونس: 23.

³ ينظر: ابن عاشور، الطّاهر محمّد، تفسير التّحرير والتّنوير، الدّار التّونسيّة للنّشر، ط1، 1984م: سورة يونس، (140/11).

⁴ الفاتحة: 05.

⁵ البقرة: 172.

⁶ ينظر: الدّنيّات، فايز، "الاختصاص وسياقات القراءة في البلاغة العربيّة - دراسة تحليليّة" -، مرجع سابق: 139.

ولعلنا ممّا سبق ندرك أنّ التقديم لا يفيد دلالة الاختصاص تلقائياً - أي بالوضع اللغوي-؛ وإنما المعوّل في ذلك على السياق. وأنّ مفاد الاختصاص إنّما ينحصر في الحالة المقاميّة الموضّحة لحالة المخاطب أو المخاطب وفي طبيعة السياق اللغوي المرافق للتعبير.¹

2- في الكلام المنفي:

يحدث أن ترد في العربية تراكيب لغويّة متضمّنة لمعنى القصر وهي منفيّة، أي غير مثبتة من دون أن يكون ذلك في صيغة النفي والاستثناء. وهذا بيان ذلك.

أ- حقيقة وقوع معنى القصر في الجملة المنفيّة:

يقول شيخُ البلاغة العربيّة عبد القاهر الجرجاني في هذا الصّدّد: «إذا قلت: "ما فعلت"، كنتَ نفيتَ عنكَ فعلاً لم يثبت أنّه مفعول. وإذا قلت: "ما أنا فعلت" كنتَ نفيتَ عنكَ فعلاً يثبت أنّه مفعول».²

ويوضّح الجرجاني معنى هذا الكلام، بقوله إنّك «إذا قلت: "ما أنا قُلْتُ هَذَا"، كنتَ نفيتَ أن تكون القائلَ له، وكانت المناظرة في شيء ثبت أنّه مَقُولٌ. وكذلك إذا قلت: "ما ضَرَبْتُ زيداً"، كنتَ نفيتَ عنكَ ضربه، وما يجب أن يكون قد ضُرب أصلاً. وإذا قلت: "ما أنا ضَرَبْتُ زيداً"، لم تقله إلّا وزيدٌ مضروبٌ، وكان القصد أن تنفي أن تكون أنتَ الضَّارِبَ.

ومن أجل ذلك صلّح في الوجه الأوّل أن يكون المنفيّ عامّاً، كقولك: "ما قُلْتُ شِعْراً قطُّ"، و"ما أَكَلْتُ اليَوْمَ شَيْئاً"، و"ما رَأَيْتُ أَحَداً مِنَ النَّاسِ"، و لم يصلح في الوجه الثاني، فكان خَلْفاً أن تقول: "ما أنا قُلْتُ شِعْراً قطُّ"، و"ما أنا أَكَلْتُ اليَوْمَ شَيْئاً"، و"ما أنا رَأَيْتُ أَحَداً مِنَ النَّاسِ"؛ وذلك أنّه يقتضي المحال، وهو أن يكون هاهنا إنسانٌ قد قالَ كُلَّ شِعْرٍ في الدُّنْيَا، وأَكَلَ كُلَّ شَيْءٍ يُؤْكَل، ورأى كُلَّ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، فنفيتَ أن تكونه».³

ومن هذا الذي قيل، يتبيّن لنا أنّه إذا كان المعنى في قولنا: "ما فَعَلْتُ" هو على نفي المتكلّم فعلاً عن نفسه ما ثبت أنّه قد حصل؛ فإنّ لقولنا: "ما أنا قُلْتُ" أو: "ما أنا فعلت" هذا غرضٌ غير

¹ ينظر: السّكاكي، مفتاح العلوم: 1/ 292، والدّنيات، فايز، "الاختصاص وسياقات القراءة في البلاغة العربيّة - دراسة تحليليّة-": 140.

² الجرجاني، دلائل الإعجاز: 124.

³ المرجع نفسه: 124.

الذي قصد إليه في الأول. و بيان ذلك، أن تسلط النفي على الاسم المقدم، وهو الفاعل "أنا"، في "ما أنا قلت هذا"، يجعل هذا الفاعل المذكور هو المنفي خصوصاً لا غيره، بعدم قوله لما ثبت أنه مقول واقعاً، وهذا يتضمن أن له فاعلاً آخر غير المذكور. وكذلك يكون المعنى في جملة: "ما أنا ضربت زيدا" على تخصيص نفي ضرب "زيد" عن الفاعل "أنا" المصدّر به الكلام هنا، أي: "لم أكن أنا ضارباً لزيد بخصوص هذا الضرب الذي وقع عليه"، مع ثبوت وجود فاعل آخر له قطعاً. وفي تقديم المفعول به المنفي، يرى الجرجاني أنك إذا قلت: "ما زيدا ضربت"، فقدّمت المفعول، كان المعنى على أن ضرباً وقع منك على إنسان، وظن أن ذلك الإنسان زيد، فنفيت أن يكون إياه.¹

والحكم ذاته يصدق على الجارّ والمجرور حين يُقدّمان؛ « فإذا قلت: ما أمرتك بهذا، كان المعنى على نفي أن تكون قد أمرته بذلك، ولم يجب أن تكون قد أمرته بشيء آخر. وإذا قلت: ما بهذا أمرتك، كنت قد أمرته بشيء غيره».² ومن شواهد الجرجاني على ما جاء فيه القصر واقعاً على الفاعل المنفي، قول أبي الطيّب المتنبي³:

وَمَا أَنَا أَسَقَمْتُ جِسْمِي بِهِ *** وَ لَا أَنَا أَضْرَمْتُ فِي الْقَلْبِ نَاراً

إذ «المعنى، كما لا يخفى، على أن السقم ثابتٌ موجودٌ، وليس القصد بالنفي إليه، ولكن إلى أن يكون هو الجالب له، ويكون قد جرّهُ على نفسه».⁴ فالمعنى هنا، كأنّ الشاعر يقول: "إن هذا السقم الكائن في جسمي، وهذا الضئ المهلك لم أفعله أنا، وإنما تسبّب في فعله غيري". وكذلك الحال في قوله: *وَلَا أَنَا أَضْرَمْتُ فِي الْقَلْبِ نَاراً* المحمول على أن هذا الجوى، وهذا الوجد الذي يستعر في فؤادي لم أنا السبب في حصوله.

¹ ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز: 126. وينظر: السكاكي، مفتاح العلوم: 127، والقزويني، جلال الدين، التلخيص في علوم البلاغة: 124، وحسنين، محمد أبو موسى، دلالات التراكيب - دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني: 331-332، وبلعيد، صالح، التراكيب التحوية وسياقاتها المختلفة عند عبد القاهر الجرجاني: 177.

² الجرجاني، دلائل الإعجاز: 127.

³ البيت في: شرح ديوان المتنبي: 197/2.

⁴ الجرجاني، دلائل الإعجاز: 125.

والمتمم في هذا التركيب الشعري الجميل الظريف يجد معنىً بديعاً لطيفاً، مفاده إبراز الشاعر عجزه التام أمام عواطفه المشبوبة التي أسقمت جسمه، وألهبت نار قلبه. وكأني بالمتنبّي في شعره هذا يقول: "لو كان الأمر بيدي لأنقذت نفسي من هذا العذاب الذي يكبل عقلي، ويأسر فؤادي، ولكن هيهات أن أستطيعه؛ فلا طاقة لي بالصبر عليه، ولا برّده، أو بتخفيفه، وهل يرضى أحد من الناس العقلاء إسقام جسمه بالهم وإذابة قلبه بحرارته؟"¹

ب- مجيئ (لا) العاطفة في هذا التركيب اللغوي:

لا يجوز أن تأتي "لا" العاطفة بعد الجملة المنفية التي تقدّم فيها الاسم؛ «فلو قلت»: «ما أنا قُلتُ هذا، ولا قاله أحد من الناس» و«ما أنا ضربتُ زيداً، ولا ضربته أحد سواي»، كان خُلُقاً من القول، وكان في التناقض بمنزلة أن تقول: «لست الضارب زيداً أمس»، فتثبت أنه قد ضرب، ثم تقول من بعده: «وما ضربته أحد من الناس»، و«لست القائل ذلك»، فتثبت أنه قد قيل، ثم تحيىء فتقول: «وما قاله أحد من الناس». فتقديم الاسم في بداية العبارة أفاد ثبوت الفعل، ونفي الفعل بعد ذلك أوقع في التناقض؛ لأنه أفاد وجود فعل بلا فاعل، وهذا محال».²

ومن الواضح، أن عبدالقاهر جعل عدم ورود هذين المثالين، وعدم سماعهما دليلاً على عدم صحة هذا التركيب، ولن يجد الباحث في لغة العرب الصحيحة الفصيحة مثلاً على هذه الصورة أبداً. والحال مع المفعول به مثله.³ فلو قلنا مثلاً: «ما زيداً ضربت ولا أحدًا من الناس»، كان فاسداً على ما مضى بيانه في الفاعل.⁴

¹ ينظر: البرقوقيّ، عبد الرحمن، شرح ديوان المتنبّي: 197/2، الحاشية رقم: 05.

² الجرجاني، دلائل الإعجاز: 125.

³ ينظر: الدّنيّات، فايز، "الاختصاص وسياقات القراءة في البلاغة العربية": 268.

⁴ ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز: 126.

المبحث الخامس: خلاصة في الفروق بين طرق القصر الأربعة:

على الرغم من اشتراك طرق القصر الأربعة المذكور في إفادة معنى القصر، لكنها تختلف من بعض الوجوه لعل أهمها:

أولاً: إن دلالة التقديم على القصر يكون بالفحوى أي بمفهوم الكلام، ودلالة الطرق الثلاثة الباقية بالوضع؛

ثانياً: الأصل في العطف النص على المثبت والمنفي، فلا يترك النص عليهما إلا لكرهة الإطناب كما إذا قيل: "زَيْدٌ يَعْلَمُ النَّحْوَ وَالتَّصْرِيفَ وَالْعَرُوضَ"، فتقول في رده: "زَيْدٌ يَعْلَمُ النَّحْوَ لَا غَيْرَ" ولا تقول: "لَا التَّصْرِيفَ وَالْعَرُوضَ"، أو قيل: "زَيْدٌ يَعْلَمُ النَّحْوَ وَعَمْرُو وَبَكْرٌ"، فتقول في رده: "زَيْدٌ يَعْلَمُ النَّحْوَ لَا غَيْرَ" ولا تقول: "لَا عَمْرُو وَلَا بَكْرٌ". والأصل في الثلاثة الباقية النص على المثبت فقط؛

ثالثاً: إن النفي بواسطة "لا" العاطفة لا يجامع النفي والاستثناء؛ إذ لا يصح أن نقول مثلاً: "مَا زَيْدٌ إِلَّا قَائِمٌ لَا قَاعِدٌ"؛ لأن شرط المنفي بـ "لا" العاطفة أن لا يكون ذلك المنفي منفياً قبلها بغيرها من أدوات النفي، وهذا الشرط مفقود في النفي والاستثناء؛ ويجامع النفي بـ "لا" العاطفة "إنما والتقديم"؛ فيقال مثلاً: "إنما أنا قُرْشِي لَا حَبَشِي" و"هو يَأْتِينِي لَا عَمْرُو" لأن النفي فيهما غير مُصَرَّح به كما إذا قلنا: "امتنع زيد عن المجيء لَا عَمْرُو"؛ فإنه يدل على نفي المجيء عن زيد ضمناً لا تصريحاً وإنما معناه الصريح إيجاب امتناع المجيء عن زيد فيكون "لا" رفعاً لذلك الإيجاب.

ويرى الجرجاني أنه لا تحسن مجامعة النفي بـ "لا" العاطفة مع "إنما" في الوصف المختص كما تحسن في غيره نحو قوله تقدست أسماؤه وجل شأنه: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾¹؛ فإنه لا يحسن أن يقال: "لا الذين لَا يَسْمَعُونَ" لأن الاستجابة لا تكون إلا ممن يسمع ويعقل بخلاف "إنما يقوم زيد لا عمرو"؛ إذ القيام ليس مما يختص بزيد.

ويستعمل "النفي والاستثناء" في الحكم الذي يُنكره المخاطب بخلاف "إنما" فإنه يُستعمل في خبر من شأنه أن لا يجهله المخاطب ولا يُنكره حتى إن إنكاره يزول بأدنى تنبيه لعدم إصراره عليه،

¹ الأنعام: 36.

نحو: "إِنَّمَا هُوَ أَخَوُكَ" لمن يعلم ذلك ويُقَرُّ به، وأنت تريد أن ترقِّقه وتُشَفِّقَهُ عليه، ونحو قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾¹، و﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ﴾².

- أمَّا بخصوص التنزيلات، فهي مطابقة الكلام على خلاف مقتضى الظاهر مع مطابقتها لمقتضى الحال كما مر، ولها موارد:

- تنزيل المعلوم منزلة المجهول: ويُستعمل له "النفي والاستثناء" نحو قوله جلَّ شأنه: ﴿مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾³ ردًّا على من قال هو رسولٌ وَيَتَّبِرَى مِنَ الْهَلَاكِ لَأَنَّ الْمَخَاطِبِينَ وَهُمْ الصَّحَابَةُ - رضي الله عنهم - كانوا عالمين بكونه مقصوراً على الرسالة لكنهم لما كانوا يُعَدُّونَ هَلَاكَهُ أمراً عظيماً نُزِّلَ استعظائمهم هلاكه منزلة إنكارهم إيَّاه؛ فاستُعمل له النفي والاستثناء. والاعتبار المناسب للتنزيل المذكور الإشعار بعظم هذا الأمر في نفوسهم وشدة حرصهم على بقائه (صَلَّى الله عليه وآله) عنده.

- تنزيل المجهول منزلة المعلوم لادعاء ظهوره: ويُستعمل له "إنما" نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾⁴. ولقد حكى القرآن جوابهم على نصيحة الناصحين وما فيه من تبجح وادعاء، فقال: ﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾. فقد بالغوا في الرد فحسروا أنفسهم أولاً في الإصلاح مبالغة المفجوع الذي أذهلته المفاجأة بكشف أستار حقيقته، فتراهم لم يقتصروا على أن يقولوا: (إِنَّا مُصْلِحُونَ) بل قالوا "إنما"، ثم أكَّدوا الجملة بكونها اسميةً ليدلُّوا بذلك على أنَّ شأنهم في الإصلاح ثابتٌ لازمٌ.

ولكنَّ الردَّ جاءهم قوياً وفاضحاً وحاسماً وصادماً في قوله جلَّ شأنه: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾⁵. وبيان ذلك، أنَّ الجواب جاء كما يأتي:

"ألا": أداة تفيد التنبيه، والتأكيد؛ و"إنهم": تأكيد أيضاً؛ و: "هم": ضمير فصل يفيد التوكيد أيضاً؛ فالجملة مؤكدة بثلاثة مؤكدات: "ألا"، و"إن"، و"هم" وهذا من أبلغ صيغ التوكيد؛ وأتى بـ "أل" الدالة على حقيقة الإفساد، وأنهم هم المفسدون حقاً؛ ووجه حصر الإفساد فيهم أنَّ "هم" ضمير فصل يفيد الحصر. أي: "هم، لا غيرهم المفسدون".

¹ آل عمران: 20.

² الزَّعْد: 7.

³ آل عمران: 144.

⁴ البقرة: 11.

⁵ البقرة: 12.

-ترجيح "إنّما" على العطف: مزيّة "إنّما" على "العطف" أنّه يُعَقِّل منها الحكماء - أي: الإثبات للمذكور، والنّفي عمّا عداه معاً - بخلاف العطف فإنّه يُفْهِم منه أولاً الإثبات ثمّ النّفي، نحو: "زيدٌ قائمٌ لا قاعدٌ"، أو العكس، نحو: "ما زيدٌ قائماً بل قاعدٌ".
وأحسن مواقع "إنّما" التّعريض، في نحو: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾¹؛ فإنّه تعريضٌ بأنّ الكفّار من فرط جهلهم كالبهائم، فطمع النّظر منهم كطمعه منها.²

¹ الزُّمَر: 09.

² ينظر: الشّيرازي، أحمد، البليغ في المعاني والبيان والبدیع: 118-120. عن موقع: <http://shiaonlinelibrary.com>

الباب الثالث

دراسة موازنة

لأساليب القصر

في ديوان الشوقيات لأحمد

شوقي

الفصل الأول

أحمد شوقي: حياته، وثقافته،

وموقع شعره منها

سنسعى من خلال هذا الفصل من الباب الثالث والأخير لبحثنا هذا إلى التعريف بشاعرنا أحمد شوقي، بدءاً ببيان مولده، وأصله، ونشأته، مروراً بالحديث عن أهم ما خلفه للمكتبة العربية والعالمية من مؤلفات نثرية كانت أم شعرية، لنعرج في الأخير على مسألة الخصائص التي اتسم بها شعره عموماً، مبرزين أهم العوامل التي طبعت شعره بالصبغة التي عُرف بها من جهة، والعوامل التي ساعدته على الخروج من الطابع التقليدي في نظم الشعر، ودفعت به إلى التجديد في شعره من جهة أخرى.

المبحث الأول: في ذكرى أحمد شوقي:

المطلب الأول: ترجمته:

1- التعريف بالشاعر:

أحمد شوقي هو أحد أعمدة الشعر العربي الحديث، ورائد النهضة الشعرية العربية. وُلد بالقاهرة عام 1285 هجرية، الموافق لعام 1868 ميلادية، والمتوفى بها سنة 1351 هجرية/ 14 أكتوبر 1932 ميلادية. وقد كان أبواه مصريًا المولد أيضًا. فهو إذا مصريُّ المولد والنشأة والإقامة. ومصريُّ الأب والأمّ مولدًا ومنشأً وإقامةً، وإن كان يضرب بأجداده إلى الأتراك والعرب واليونان والجرس. كما حدّث هو عن نفسه. وقد نشأ أحمد شوقي منذ طفولته في سعةٍ ورغدٍ وصلّةٍ وثيقةٍ بقصر الخديوي إسماعيل.¹

2- نشأته وحياته:

وُلد أحمد شوقي علي أحمد شوقي بك في القاهرة عام 1869م، نشأ وترعرع فيها، وقد حمل اسم جدّه لأبيه ولقبه أحمد شوقي، وانحدر الشاعر أحمد شوقي من أسرةٍ اختلطت دماؤها بأصول خمسة، هي: الكردية، والشركسية، والعربية، واليونانية، والتركية، فجده لأبيه كرديُّ الأصل تولّى عدّة مناصب إدارية في زمن سعيد باشا كان آخرها أمين الجمارك المصرية، وجدّه لأمه تركيُّ الأصل واسمه أحمد حليم التجدي، وكان وكيلًا لخاصّة الخديوي إسماعيل، أمّا جدّته لأمه فكانت يونانية وتعمل وصيفةً في بلاط الخديوي، وقد تولّت أمر رعايته في طفولته، فنشأ في ظلّ القصر

¹ إسماعيل (باشا) بن إبراهيم بن محمد علي الكبير: خديوي مصر. ولد في القاهرة، وتعلّم بها ثم في فرنسا. ووليّ مصر سنة 1279 هـ. وهو أوّل من أطلق عليه لقب (الخديويّة) من رجال أسرته. كان مولعا بالهندسة والرّسم والتّخطيط في طفولته، ولما وليّ اتّجه إلى تنظيم المدن وإنشائها. وفي أ أيامه أوصلت أسلاك البرق (التلغراف) وسكك الحديد إلى بلاد السودان، وأقيمت المنارات في البحر الأحمر وبنيت مدينة الإسماعيلية، وأنشئ المتحف المصريّ والمكتبة الخديويّة المصريّة (وتألّفت شركات المياه والغاز في القاهرة والإسكندرية، وأقيم مرفأ الثانية، وتمّ حفر ترعة السّويس، وكان افتتاحها سنة 1286 هـ - 1869 م، ونكبت مصر بإنشاء المحاكم المختلطة سنة 1876 م وكان مسرفا في الإنفاق على ملاذّه وعلى مشروعاته. ووليّ مصرَ وعليها من الدّين ثلاثة ملايين جنيه. واعتزلها وعليها نحو مئة مليون جنيه. وأنشأ حكومة دستورية. ورضي بالمراقبة الأجنبية لخزائن مصر. وطلبت حكومتها انكلترا وفرنسا من حكومة الآستانة عزله، فعُزل سنة 1296 هـ - 1879 م، وقضى بقية أ أيامه في أوروبا وتركيا إلى أن توفّي في الآستانة، ونقلت جثّته إلى القاهرة. ينظر: الزّركلي، خير الدّين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ط15، 2002م: 308/1.

نشأة أرستقراطية، ما جعله يتفرغ للشعر ويخلص له، فلا يشغل باله غيره، وكان محاطاً بعناية العائلة بأكملها، لا سيما أنه كان وحيد والديه. (1)(2)(3)

تلقى أحمد شوقي علومه الأولى في سنّ الرابعة في كُتّاب الشيخ صالح، وأنهى تعليمه الثانوي في سنّ مبكرة عام 1885م، ثم التحق بمدرسة الحقوق حيث درس القانون، وإلى جانبه درس ترجمة اللغة الفرنسيّة، وانتهى من دراسته عام 1889م، وأثناء دراسته كان يتلمذ علوم الأدب على يدي حسين المرصفي، والشيخ حفي ناصف، والشيخ محمد البسيوني البيباني، وبعد تخرجه من مدرسة الحقوق أرسله الخديويّ توفيق إلى فرنسا لإتمام دراسة الحقوق، حيث قضى أربع سنوات في مدينة باريس ومونبلييه، ثم عاد إلى مصر عام 1892م، ومن الجدير بالذكر أنّ شوقي كان قد تزوّج من السيدة خديجة شاهين وله منها ثلاثة أبناء، هم: حسين، وأمينه، وعلي. (4)(5)(6)

3- مصادر ثقافته:

كان أحمد شوقي مثقفاً ثقافة متنوّعة الأركان، فقد انكبّ على قراءة كتب الأدب العربيّ وداوم على مطالعتها، لا سيما كتب فحول الشعر أمثال: أبي نّوّاس، والبحرّي، والمتنّي، وأبي تمام، وكتب كبار الأدباء ككتاب الحيوان للجاحظ، إضافة إلى كتب اللغة، والفقه، والحديث، وإلى جانب ثقافته العربيّة فقد كان متقناً للغة للفرنسيّة، بسبب الفترة التي قضاها في فرنسا والتي مكّنته من الاطلاع على آدابها، والنهل من فنونها، والتأثر بشعرائها وأدبائها الذين كان متّصلاً بهم اتّصلاً مباشراً، إضافة إلى إتقانه اللغة التّركية والتي اكتسبها من بيته وعائلته، وتأثر الشاعر أحمد شوقي من إقامته في إسبانيا أثناء المنفى حيث اطلع على مظاهر الحضارة الإسلاميّة هناك، واستشعر خسارة المجد العربيّ الإسلاميّ الزّائل فيها. (7)

¹ ينظر: شوقي، أحمد، الشّوقيات، تحقيق: الطّبّاع، عمر، دار الأرقم للطباعة والنّشر، بيروت- لبنان: 5/1-6.

² ينظر: الصّديق، عائشة أم هانيّ محمّد، هناء محمّد، وآخرون، أمير الشعراء أحمد شوقي، جامعة السّودان للعلوم والتّكنولوجيا- السّودان: 3-4.

³ منتصر، أحمد، الصّورة البيانيّة في شعر أحمد شوقي، جامعة السّودان للعلوم والتّكنولوجيا- السّودان، 2018م: 7، 8.

⁴ ينظر: شوقي، الشّوقيات: 05-06.

⁵ ينظر: منتصر، أحمد، الصّورة البيانيّة في شعر أحمد شوقي: 07-08.

⁶ ينظر: الشيخ، ممدوح، أمير الشعراء أحمد شوقي حياته وشعره، دار الورد للنّشر- مصر ط2، 2008م: 8-10.

⁷ ينظر: فرحون، كريمة، رشيد غنّام، الحملة الاعتراضيّة في شعر أحمد شوقي، جامعة العربي بن مهيدي الجزائر، 2013م: 51.

4-بواكير الشاعر أحمد شوقي:

في الشعر بدأ الشاعر أحمد شوقي بنظم الشعر أثناء دراسته الحقوق، وحين كان يتلمذ على يدي الأستاذ محمد البسيوني البياني شاعر توفيق باشا، فكان أحمد شوقي يطلع على قصائد البياني، ويقوم بمراجعتها وتنقيحها وتهذيبها، ما أسعد أستاذة كثيراً بذلك، إذ رأى في شوقي مشروع شاعر مبدع وتوسم فيه خيراً، فقدمه للخديوي توفيق وأخبره عن موهبته الفذة، فاستدعاه الخديوي واطلع على شعره.⁽¹⁾

5-مؤلفات الشاعر أحمد شوقي:

يتألف ديوان الشوقيات من أربعة مجلدات، طبع أول مرة بين عامي 1888-1889م في مطبعة الآداب والمؤيد، ثم أعيد طبعه عام 1911م من دون أية إضافة إليه، كما وقُسمت الشوقيات إلى أربعة أجزاء، طبع الجزء الأول 1926م من دون أية إضافة إليه كذلك، ثم طبع الجزء الثاني عام 1930م، وبعد وفاة أحمد شوقي طبع الجزء الثالث الخاص بالثناء عام 1936م، ثم طبع الجزء الرابع عام 1943م.²

أ-الروايات:

كتب الشاعر أحمد شوقي ثلاث روايات، هن: ³ "عذراء الهند": هي رواية عن تاريخ مصر القديم أيام الملك رمسيس الثاني، وقد ألفها عام 1897م. ورواية: "لادياس": كلمة (لادياس) تعني آخر الفراعنة، وهي أيضاً عن تاريخ مصر القديم، وتعكس حالة مصر قبل القرن الخامس الميلادي، أي بعد عهد بسمافيك الثاني. ورواية: "ورقة الآس": هي أيضاً رواية تاريخية وقعت أحداثها في زمن سابور ملك الفرس. وأيضاً: "مذكرات بنتاؤر"، وهي رواية تدور حول معتقد مصري قديم وهو أن بعض الناس بإمكانهم التكلّم مع الطيور والتعبير عنهم بألسنتهم، فكانت الرواية عبارة عن حوار دار بين طائر الهدهد الذي يرمز إلى الشاعر ذاته وطائر النسر الذي يرمز إلى الشيطان الذي كان يسكن بنتاؤرو الشاعر المصري القديم.⁴

¹ ينظر: عبد الهادي، محمد، "الأخلاق في شعر أحمد شوقي"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الخامس، 2009م: 4-6

² ينظر: الشيخ، ممدوح، أمير الشعراء أحمد شوقي حياته وشعره: 8-10.

³ ينظر: المرجع نفسه: 7-8.

⁴ ينظر: شمس ظهير، أحمد جان، "أمير الشعراء أحمد شوقي نشره الفني ومنهجه"، مجلة الإيضاح، العدد: 34، 2017م:

ب- المسرحيات:

عُدَّ الشاعر أحمد شوقي رائد المسرح العربي، إذ ملأ فراغاً في الأدب المعاصر، فوضع عدداً من المسرحيات الشعرية تناولت مادتها الأولى من التاريخ القديم ومن الحياة الاجتماعية المعاصرة، وجعل لكل مسرحية من مسرحياته هدفاً متمثلاً باتجاه معين أو عبرة أو قيمة أخلاقية، وقد اتسم أدب شوقي المسرحي بتأثره بالأدب الأوروبي، حيث استفاد من مطالعته الأدب الفرنسي والإنجليزي، وهذه المسرحيات فهي:¹

- مسرحية (مصرع كليوباترا) ومسرحية (قمين): تناولتا تاريخ مصر القديم، واعتمد في كليوباترا الاتجاه الوطني وامتازت بكثرة الغنائية الشعرية، أما مسرحية "قمين" فأتجاهها التوضيحية الوطنية.

- مسرحية (علي بك الكبير): استقى الشاعر مادتها من تاريخ مصر القريب، واعتمد فيها الاستقلال الوطني، لكنه غيّر في بعض أحداثها الحقيقية، إذ زاد من صفة الخير للشخصيات بشكلٍ مناقضٍ للواقع التاريخي.

- مسرحية (الست هدى): استوحى الشاعر أحداثها من الحياة الاجتماعية المعاصرة، وهي مسرحية ساخرة انتقد فيها النفعيين والانتهازيين.

- مسرحية (عنتر) ومسرحية (مجنون ليلي): استلهمهما أحمد شوقي من تاريخ العرب القديم، وأكثر فيهما من الغنائية الشعرية، وركز في مسرحية (عنتر) على العقّة في الحب، وعلى التقيّد بالتقاليد في مسرحية (مجنون ليلي).

- مسرحية (أميرة الأندلس): كتب الشاعر هذه المسرحية بطريقة نثرية، وهي مستوحاة من التاريخ العربي، وأساسها الوفاء والالتزام بالعهد.

- مسرحية (البخيلة): تُعدّ مسرحية كوميدية ناقدة مستوحاة من الحياة الاجتماعية المعاصرة، وقد اتّجه شوقي فيها إلى طبقة البسطاء أو الأشخاص العاديين مبتعداً تماماً عن تلك الطبقة الأرستقراطية، فالبخيلة هي امرأة عادية تدخر الثروة وتحرم نفسها من كل شيء.²

232-233.

¹ كور، نعيمة، وقريش، أحمد، مسرحية كليو باترا بين أحمد شوقي ووليام شكسبير، جامعة تلمسان-الجزائر، 2012م: 8-9.

² ينظر: شوقي، أحمد، "البخيلة"، www.hindawi.org، اطّلع عليه بتاريخ: 18 مارس 2020.

ج-الكتب:

لم يكتب الشاعر أحمد شوقي الكثير من الكتب، واقتصر على كتابين هما:

* كتاب (أسواق الذهب):

هو عبارة عن نصوص نثرية بمفردات صعبة لأمير الشعراء، تناول فيها أموراً متعلقة بالحياة البشرية، وقد عرّفها في مقدمة الكتاب قائلاً: (إنّما هي كتاب، اشتملت على معان شتى الصّور وأغراض مختلفة الخبر، جليلة الخطر، منها ما طال عليه القدم، وشاب على تناوله القلم، ولمّ به الغفل من الكتّاب والعلم، ومنها ما كثر على الألسنة في هذه الأيام وأصبح يعرض في طرق الأقلام وتجري به الألفاظ في أعنة الكلام؛ من مثل: الحرّية، والوطن، والأمة، والدستور، والإنسانية، وكثير غير ذلك من شؤون المجتمع وأحواله.¹

* كتاب (دول العرب وعظماء الإسلام):

يُعَدّ هذا الكتاب علامة بارزة في تاريخ الأدب العربيّ، فهو عبارة عن أراجيز مزدوجات تتألّف من ألفي بيتٍ، نظمها الشاعر أحمد شوقي بإبداع، تحدّث فيها عن سيرة سيّدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم، وسيرة الخلفاء الراشدين، وسير رجال آخرين، وذكر دول العرب في العصور الأمويّة، والعباسيّة، والفاطميّة.⁽²⁾⁽³⁾

6-خصائص شعره:

يتميّز شعر أحمد شوقي، بقوة الأساليب، ومتانة التراكيب، وجمال الصّورة البيانيّة، وحسن موقعها من النّفس. وعلى كلّ، هذه أهمّ ما يتّسم بها نظم شاعرنا، كما يأتي بيانه:

أ-أغراض شعره:

نظم شوقي الشعر في عدّة مجالات مختلفة ومتنوعة، حيث كتب الشعر السياسيّ والوطنيّ، بالإضافة إلى شعر الرّثاء، والمدح، والغزل، والوصف، والحكمة، وقد أبدع شوقي في نظمه حتّى صعد إلى القمّة، ومن خلال شعره كان يعكس الشاعر أحمد شوقي ما في نفسه من حبّ للوطن،

¹ ينظر: شمس ظهير، أحمد جان، "أمير الشعراء أحمد شوقي نثره الفنيّ ومنهجه"، (2017م): 232-233.

² ينظر: زادة، جواد، "جذور أدب المقاومة في شعر أحمد شوقي"، الكليّة العلميّة الجامعة، العدد، المجلّد 01، العدد 532: 366.

³ ينظر: شوقي، أحمد، "دول العرب وعظماء الإسلام"، www.hindawi.org، تمّ الأخذ عنه: بتاريخ: 20 مارس 2020.

والدين، والحياة، والحريّة. وقد جاء متّسماً بقوة العاطفة، وسعة الخيال، وسلاسة الألفاظ وعذوبتها، وقوة التراكيب.¹

ب- الأخلاق في شعر أحمد شوقي:

أكثرَ الشاعر أحمد شوقي من ذكر الأخلاق في شعره والحثّ عليها، فبها تحيا الأمم، وبها يسعد الأفراد، وقد شغلت قضية الأخلاق بال شاعرنا فكانت بالنسبة إليه قضية مهمة سعى جاهداً إلى إيصالها إلى الناس بطريقة إبداعية مميزة ما جعلهم يحسّون به ويتفاعلون معه ويدركون أهميتها عليهم وعلى من سيأتي من بعدهم، وقد حقّق شوقي مبتغاه إذ جعل من موضوع الأخلاق هدفاً إنسانياً مهماً، فعبر عن ذلك بمفردات واضحة المعنى والمعزى.²

ج- التأثيرات الإسلامية في شعر أحمد شوقي:

ظهر تأثر الشاعر أحمد شوقي بالجانب الإسلامي بقوة في شعره، لا سيّما تأثره بالقرآن الكريم الذي يُعتبر المرجع الأول لكافة المسلمين بما فيهم الشعراء والأدباء، آيات القرآن الكريم هي المصدر الأول الذي استقى منه أمير الشعراء استشاداته على ما وصف في شعره، والتي يرى شوقي فيها السبيل لحفظ كرامة المسلمين وإقامة العدل الذي أمر الله بإقامته.³

د- اللغة والإيقاع الموسيقيّ في شعر الشاعر أحمد شوقي: كان الشاعر أحمد شوقي متمكناً لغوياً، فقد امتلك ثروة لغوية غزيرة، كان لها أثر بالغ في شعره؛ إذ أكسبته السّمات الآتية:⁴

* المعرفة الجيدة بالتراث العربيّ والعمل على إحيائه والاستلهام منه، فقد نظّم قصائد استلهمها من العصر العباسي وعارضَ بها شعراء أمثال البحري؛

* هدوء العاطفة وضبط النفس؛

* تجلّي الموسيقى في شعره وقدرته على استخدامها بذكاء لإظهار المعنى المراد إيصاله؛

* انبثاق صور فنيّة عديدة من الصّورة الفنيّة العامّة للعمل الفنيّ.

¹ ينظر: العماوي، نضال، الغربة والحنين في شعر أحمد شوقي، الجامعة الإسلامية، غزة، (2015م): 21-22.

² ينظر: عبد الهادي، محمد، الأخلاق في شعر أحمد شوقي: 04-06.

³ ينظر: شفيق الرحمان، أبو سعد، أثر القرآن الكريم في شعر أحمد شوقي، (2016م): 333.

⁴ ينظر: العماوي، نضال، الغربة والحنين في شعر أحمد شوقي، (2015م): 21، 22.

7-مرض الشاعر أحمد شوقي ووفاته:

أصيب أمير الشعراء وهو على أعتاب الستين بمرض تصلب الشرايين، وفي عام 1930م أصيب بمرض آخر مفاجئ أهلك قواه وألزمه الفراش لمدة أربعة أشهر، وعلى الرغم من مرضه وضعفه إلا أن قريحته للكتابة كانت قويةً وزاد إنتاجه الشعري، فقد ألف في تلك الفترة القصيرة: (مجنون ليلي، وقميص، وعلي بك الكبير، والبخيلة، والست هدى). وفي مساء 13 تشرين الأول/أكتوبر عام 1932م أفلت شمس الشاعر المبدع أحمد شوقي، وسلم الروح وسط زهول الحاضرين عنده والذين حاولوا إنقاذه من ضيق النفس ونوبة السعال التي أصابته، وتلقى العرب في جميع الأقطار نبأ وفاة شوقي بالحزن الشديد، ونعتة الصحف والمجلات، وظلوا يتحدثون عن شعره وعن حياته لفترة طويلة، كما رثاه الأدباء والشعراء بكل ألم وأسى، وحين دُفن كُتب على قبره بيتان من قصيدة (هج البردة) التي نظمها في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ كان قد وصى بذلك قبل موته، وهذان البيتان هما:¹

يا أحمدَ الحَيَّر، لي جَاءَ بِتَسْمِيَّتِي *** وَكَيْفَ لَا يَتَسَامَى بِالرَّسُولِ سَمِي؟

إِنْ جَلَّ ذَنْبِي عَنِ الْعُفْرَانِ لِي أَمَلٌ *** فِي اللَّهِ يَجْعَلُنِي فِي خَيْرٍ مُعْتَصِمٍ

المطلب الثاني: مظاهر التجديد في شعره:

يعدُّ شوقي من المجدِّدين في نظم الشعر بما جاء به عموماً، ومن مظاهر ذلك عنده، نذكر:

1-في أغراض شعره:

اطَّلع شوقي على روائع الشعر العربي، وعَرَفَ مِيزَاتِهِ، وتأثَّرَ بفحوله، وقد كان لحركة إحياء التراث العربي الإسلامي دورٌ كبيرٌ في ذلك، وفي تهذيب موهبته وصقلها، فاتَّسم شعره بقوة التسيج، وجزالة الألفاظ، وكان ابتكاره لألوانٍ جديدةٍ من الفن مدعاةً له لابتدع أساليب جديدةً في فنّه في القول والوصف، مثل الشعر المسرحي، وأدب الأطفال، وشعر الوصف والطبيعة، وشعر المناسبات.²

¹ ينظر: الحرّ، عبد المجيد، أحمد شوقي، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان: 75-78.

² ينظر: الرّبيعي، محمّد، "أحمد شوقي"، basiceducation.uobabylon.edu.iq، تمّض الأخذ عنه بتاريخ:

2020/08/17.

أ-الشعر المسرحي:

عُدَّ شوقي رائد الشعر المسرحي، فهو من أوائل الشعراء الذين كتبوا في هذا المجال، وقد جاء شعره المسرحي متأثراً بالمسرح الغنائي لا التحليلي، كما أنَّ شوقي كان قد استسقى موضوعات مسرحياته من التاريخ، ولم يكتب مسرحية اجتماعية واحدة، ومن أشهر مسرحياته التي نظمها في أواخر حياته: (مصرع كيليو باترا، ومجنون ليلي)، ويلاحظ تأثر شوقي في مسرحه بمجموعة من المؤلفين الغربيين، وأنَّ مسرحياته جاءت متأثرةً بالمذهب الرومانسي، كما أنَّه جسّد فيها حسّه الوطني، إذ سعى من خلالها إلى معالجة واقع مصر آنذاك.⁽¹⁾⁽²⁾

ب-أدب الأطفال:

لوحظ اهتمام شوقي بشعرالأطفال، لا سيّما في الجزء الأول من ديوانه شوقيات، حيث قال في مقدّمته: "أتمنّى لو يوفّقني الله لأجعل للأطفال المصريين - مثلما جعل الشعراء في البلدان المتمدّنة - منظوماتٍ قريبة المتناول، يأخذون الحكمة والأدب من خلالها على قدر عقولهم"، وكان شوقي قد ابتكر نوعين جديدين من أدب الأطفال وهما: (القصة الشعرية، والأغنية)، فكتب أكثر من ثلاثين قصةً شعريةً للأطفال، ونظم لهم عشر مقطوعاتٍ بعضها أناشيد وبعضها أغاني، كما وكتب لهم مجموعةً من القصص والحكايات التي تجري على ألسنة الحيوانات والطيور بلغ قارب عددها الأربعة وخمسين حكايةً وقصةً. ومن الجدير بالذكر أنَّ أدب الأطفال عند شوقي جاء متأثراً بالأدب الغربي بشكلٍ عامٍّ وبالأديب الفرنسي لافونتين بشكلٍ خاصٍّ.⁽³⁾⁽⁴⁾

ج-شعر الوصف والطبيعة:

تنوّع شعر الوصف عند أمير الشعراء فقد وصف العديد من المشاهد الحيّة والجامدة، مع إمعانه في وصف الحضارة المصرية القديمة، حيث وصف أبا الهول، والأهرام، ومقبرة (توت عنخ

¹ ينظر: بوعلاوي، محمّد، شعريّة الخطاب في قصيدة أندلسيّة لأحمد شوقي، المركز الجامعيّ أفلو - الجزائر: 4.

² ينظر: سدود، صادق، (الجوانب التجديدية عند أحمد شوقي)، المركز الجامعيّ العقيد أكلي محمد أوالحاج - الجزائر، 2012م: 20، 24-25.

³ ينظر: أوشن، حكيمة، وبوشكة، آمال، (القيم التربويّة في شعر الأطفال في مصر في الربع الأول من القرن العشرين)، جامعة أكلي محمد أوالحاج، الجزائر، 2013: 07.

⁴ ينظر: زنت، أحمد، أدب الأطفال بين أحمد شوقي وعثمان جلال، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط1، 1994م: 104.

أمون)، كما وصف بعض الآلات التي عاصر اختراعها، كالطائرة والغواصة، بالإضافة إلى وصفه للعديد من البلدان والمدن، مثل الأستانة وباريس، ووصفه للطبيعة كوصفه للبحر المتوسط ومضيق البوسفور. كما ووصف شوقي أيضاً أحداثاً ونكبات كانت قد وصلت إليه أخبارها، مثل نكبة دمشق، وزلزال طوكيو، إضافة إلى وصفه لسهرات (قصر عابدين). هذا ويشبه أسلوب شوقي في الوصف أسلوب البحري، فهو في وصفه لا يحيط بكل تفاصيل الموصوف، بل ينتقي بعض أجزائه مبتعداً بذلك عن الإحاطة والشمول، ويجدر الذكر هنا أنّ شوقي لم يكن من أوائل من نظموا هذا النوع من الشعر، بل كان قد سبقه شعراء التجديد الرومانسيين إلى هذين النوعين من الشعر أي شعر الوصف والطبيعة، ثم الشعر الذاتي والوجداني.⁽¹⁾⁽²⁾

د- شعر المناسبات:

أكثر شوقي من شعر المناسبات، فنظم في الخديوي العديد من قصائد المدح في مختلف مناسباته، كما نظم شعر الرثاء في الأبطال المصريين والعرب، وفي العديد من الأدباء والشعراء، والصُحفيين، والوجهاء، وأصحاب النفوذ، ورثى أيضاً شخصيات عالمية مثل: الموسيقار المشهور فردي، والكاتب الروسي تولستوي، ونابليون، والأديب الفرنسي فكتور هوجو، ولم يترك شوقي مناسبة هامة في الشرق أو في الغرب إلا ونظم فيها شعراً. ويرى شوقي ضيف أنّ شوقي في شعره هذا، يختلف عن الشعراء القدامى في مدحهم، فهؤلاء لم يفكروا بغير الخلفاء أو الأمراء الذين كانوا يمدحونهم، بينما شوقي لا يفكر في ممدوحه وحسب، بل في جمهور الناس الذي سوف يقرأ قصائده هذه.³

2- عوامل التجديد في شعره:

أحمد شوقي علي أحمد شوقي بك هو شاعر عربي مصري شهير تُوفي في القاهرة في عام 1932م، وهو من أهم أعلام النهضة الأدبية العربية في العصر الحديث، وقد لُقّب بأمير الشعراء، وحظي بمنزلة رفيعة في الأدب العربي، إذ إنه من أوائل المجددين العرب في الأدب بشكل عام وفي الشعر بشكل خاص، وقد كانت محاولاته في التجديد مقيّدة في بادئ الأمر، ولم تلبي له طموحه في

¹ ينظر: شوقي، أحمد، الشوقيات: 1/ 24.

² ينظر: الشيخ، ممدوح، أمير الشعراء حياته وشعره: 69.

³ ينظر: الحر، هاني، أحمد شوقي شاعر الأمراء وأمير الشعراء، دار مؤسسة رسلان، دمشق- سوريا، 2010م: 13.

التجديد على الرغم نجاح هذه المحاولات، وحين أتاحت له الفرصة وتهيأت له الظروف، وتحرر من قيوده في أواخر عمره انفتح على عالم التجديد فأصاب منه ما كان يريد. (1)(2)(3)

أ- ارتباط أحمد شوقي بالقصر:

نشأ شوقي في قصر الخديوي إسماعيل، فقد كانت أسرته على صلة جيدة بالقصر، مما أتاح له أن يعيش الفترة الأولى من حياته في ذلك القصر مترفاً مرفهاً، وكان يمضي جزءاً من نهاره في القصر وسط عائلته الميسورة الحال، وجزءاً في الكتاب والمدرسة، وقد شكّل ذلك ازدواجية في طبيعة حياته، بسبب التناقض بين البيئتين، بيئة القصر المترفة، وبيئة الكتاب والمدرسة التي تقترب من الشّعبيّة.⁴

وقد كان شوقي في تلك المرحلة من حياته متحفّظاً في أدبه بسبب الظروف السياسية التي كانت تمرُّ بها البلاد بشكل عام، وبسبب ظروف القصر السياسيّة بشكل خاص، فلم يكن يستطيع التعبير عن خلجات نفسه بصراحة أو أن يكون على طبيعته، فكان أدبه محاصراً بتلك الظروف غير قادرٍ على الانطلاق نحو التجديد الذي كان يرنو إليه، فصّلته بالأمير وارتباطه به وفقاً حائلاً دون ذلك التجديد، لذلك كانت تلك المرحلة من حياته مضطربةً اضطراباً شديداً.⁵

ب- الثقافة الغربيّة:

استسقى شوقي ثقافته الغربيّة من أوروبا، إذ أرسله الخديوي في بعثة دراسيّة لفرنسا لدراسة الحقوق، فحصل على شهادة الحقوق فيها، واطّلع على مختلف العلوم الغربيّة أثناء دراسته، فيما كان من الطبيعي أن يتأثر بثقافة تلك البلاد وآدابها، ومن أكثر الأدباء الذين تأثر بهم الكاتب الفرنسي "فيكتور هوغو" الذي اتّخذ قدوةً له في الشعر.⁶

¹ ينظر: الأعمال الكاملة لأمير الشعراء أحمد شوقي، عن موقع: www.noor-book.com، اطّلع عليه بتاريخ: 2020/07/09.

² ينظر: مندور، محمد، "محاضرات عن مسرحيات شوقي - حياته وشعره"، www.hindawi.org، اطّلع عليه بتاريخ: 2020/07/09.

³ ينظر: طه، حسين، تقليد وتجديد، مؤسسة هنداوي سي آي س - المملكة المتّحدة، 2017م: 47-53.

⁴ ينظر: المرجع نفسه: 47-53.

⁵ ينظر: طه، حسين، تقليد وتجديد: 47-53.

⁶ ينظر: سدود، صادق، الجوانب التجديدية عند أحمد شوقي: 20، 24-25.

وبعدما وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها نُفي شوقي إلى إسبانيا، فغادر مصر وابتعد عن الخديوي، ما جعله يبتعد عن القيود التي حدّت من حرّية فنّه، فحلّق في سماء ذلك الفنّ حرّاً، وأطلق لنفسه العنان بأن يقول ما يشاء، وحين عاد من منفاه إلى مصر كان مختلفاً اختلافاً كبيراً، فقد تحوّل تحوّلاً لم يسبق له مثيل عند أيّ من شعراء العرب السابقين، فأصبح شاعر الشعب الذي يتحدث بلسانه ويعبّر عن أحاسيسه ومشاعره، فجاء شعره حرّاً قوياً صادقاً، بعد أن كان مقيداً وتقليدياً حين كان شاعر الأمير، وانطلق شوقي أيضاً بعد عودته من المنفى نحو التجديد الذي حُرّم منه سابقاً، وعلى الرغم من تأخره في ذلك إلا أنّه أدخل إلى الأدب العربي لوناً جديداً من الفنّ لم يسبقه إليه أحد، وهو فنّ التمثيل الشعريّ الغنائي.¹

3- ديوان (الشوقيات):

"الشوقيات"، هو الديوان الذي الشعريّ تركه لنا قبل أن يخترم الموت حياته سنة 1933م، وطبع منه في حياته أوّل مرّة تسعة آلاف بيت من الشعر، ثمّ أعاد طبعه ثانية بعد أن حذف منه الثلثين، وبعد وفاته رحمه الله أعيد طبع الديوان كاملاً من جديد في أربعة أجزاء تضمّ العديد من القصائد والمقطّعات الشعريّة ذات الأغراض المختلفة في المدح والسياسة والرثاء والوصف والغزل وشعر الأطفال، والأمثال والخرافة. والأجزاء هذه التي بين أيدينا وينتظمها في الغالب مجلّدان اثنان هي الجزء الأوّل، وهو في السياسة والتاريخ والاجتماع، والثاني في الوصف، والثالث في المراثي، والرابع وهو الذي طبع بعد وفاة الشاعر في السياسة والتاريخ والاجتماع، وفيه بعض الخصوصيّات، والحكايات والأمثال، وشعر الأطفال، وشعر الصبّاء، والمحجوبيّات، أي الشعر الذي دار بينه وبين صديقه الدكتور محبوب ثابت.²

هذا، ويشير الدكتور يحيى شامي الذي علّق على هذه الطّبعة المزينة والمنقّحة إلى أنّ أشعار الشوقيات التي جمعها جمعاً جديداً، وعلّق عليها، وشرحه ما غمض منها، معتمداً الترتيب الألفبائيّ

¹ ينظر: طه، حسين، تقليد وتجديد: 47-53.

² ينظر: شوقي، أحمد، الشوقيات، تعليق: يحيى شامي. دار الفكر العربي، مؤسسة ثقافيّة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط1، 1996م: 07/1. هذا، ونشير هنا إلى أنّ كلّ إحالة على ديوان الشوقيات فيما تبقي من أجزاء هذا البحث إنّما سيكون القصد بها هذه الطّبعة المذكورة أخيراً بتحقيق الدّارس يحيى شامي، إلّا إذا تمّ الاستعانة بالطّبعة المذكورة قبل هذه؛ فإنّنا سنشير إلى ذلك في موضعه طلباً للدّقة والوضوح.

لرويّ قافية القصيدة أو المقطوعة، هي نفسها أشعار شوقي التي تضمُّها الأجزاء الأربعة المتداولة اليوم.¹

¹ ينظر: شوقي، أحمد، الشوقيات: 07.

الفصل الثاني

موازنة وتطبيق

نشير بأننا قد حاولنا من خلال هذا البحث جاهدين إلى إبراز مسألتين اثنتين:

الأولى منهما: إظهار جهود علماء النحو والبلاغة على حدّ سواء في دراستهم هذا الموضوع، بناء على العلاقة الوطيدة التي تربط وشائج علم النحو بالبلاغة، وخصوصاً علم المعاني، الذي يُعدُّ مكمّلاً للنحو وخادماً له؛

والثاني منهما: هي محاولة إخراج أسلوب القصر بطرقه الأربعة المشهورة، الذي أفرّد له علماء البلاغة العربيّة، وعلى رأسهم عبد القاهر الجرجاني، فصلاً مطوّلة عند تناولهم لمباحث علم المعاني، من حيّز الدراسة النظرية، إلى المجال التطبيقيّ من خلال محاولة إسقاط ما ثبت لدى علمائنا الأجلّاء من نحويّين وبلاغيّين من قواعد تضبط أصول هذا المبحث اللغويّ الدقيق على ما وُفّر عند الشاعر أحمد شوقي في ديوانه "الشوقيّات" من أبياتٍ شعريّة تتضمن أساليب قصر بواسطة واحدٍ من الطّرق الذي تحقّقت به، ومن ثمّ النّظر إلى أيّ حدّ استطاع شوقي أن يتماشى في أشعاره المشتملة على أسلوب القصر مع قواعد النحو وتقسيمات البلاغيّين لهذه الظّاهرة اللّغويّة، وشروحهم لمباحثها، وتحليلاتهم لدقائق أساليبها، وقوفاً على سياقات تراكيبها، وما يستتبع ذلك من دلالاتٍ معنويّة ظاهريّة وخفيّة، ولطائف تبّهوا عليها، وفصّلوا القول فيها شرحاً وتفسيراً وتخرّيجاً.

ومعلومٌ، أن علوم العربية نشأت مختلطة متداخلة من أجل هدف سام ونبيل، وهو فهم النص القرآني، من حيث أحكامه، والوقوف على مواطن الإعجاز فيه، وحفظاً له من كلّ ما قد يعتريه من لحن صوتيّ، أو صرفيّ، أو نحويّ، أو دلاليّ.

وتتكامل هذه العلوم فيما بينها تكاملاً واضحاً بيّناً. فهذا علم الأصوات يقدّم خدماته الجليّة لسائر مستويات البحث اللغوي من صرفٍ، ونحوٍ، وبلاغةٍ، ودلالة. ومثله علم الصّرف الذي يمدُّ علم النحو بمادّة بحثه. وعلى منوال الاثنين نجد علم النحو الذي يزوّد البلاغة بالأحكام اللازمة التي توظّفها في مباحثها، ويتعاونان في خدمة المعنى. فالصلة بين النحو والبلاغة صلة وطيّدة؛ فهما يشتركان في خدمة المعنى وتأديته.¹

¹ ينظر ما سبق في : 14-07 من هذا البحث، وما بعدها.

المبحث الأول: موازنة وتقويم لدراسة التحوين والبلاغيين لأسلوب القصر:

انطلاقاً مما سبق، رأينا أن نجمع في هذا الفصل بين الموازنة والتطبيق، لأنهما جانبان يكمل أحدهما الآخر. وفي الموازنة، سنتناول فيها طريقة كل من علماء النحو والبلاغة، ومنهج كل فريق منهما في دراسة أسلوب القصر.

أولاً: عند النحاة:

أمّا إذا عرّجنا على دراسة علماء النحو لهذه الظاهرة، فللكلام فيها وجهان: من حيث الشكل، ومن حيث المضمون.

أ- شكلاً:

1- لمسألة القصر منابع في كتب التراث قبل عبد القاهر الجرجاني، منها بعض المراجع التي أشار فيها أصحابها إلى جذور هذه الظاهرة اللغوية ذات الأصول النحوية كونها إحدى حالات أسلوب الاستثناء مثل كتاب سيويه (ت180هـ)، التي تُعدّ ملحوظاته أقدمها وأهمها، والتي أورد معظمها في "باب الاستثناء"، وأخرى مبنوثة في ثانيا الكتاب هنا وهناك؛

ثانياً: كتاب "الصاحي"، والذي يقول فيه صاحبه أحمد بن فارس (ت395هـ) عن الفراء (ت207هـ) رأيه بخصوص طريقي القصر بوساطة (إنّما) والنفي والاستثناء بأنهما لا يأتيان في صدر الكلام، وإنّما ردّاً على كلام سابق، ونصّه على أنّ المثبت أو المقصور عليه هو المؤخر بعد إنّما، إضافة إلى رده قول من قال بدلالة "إنّما" في هذا النوع من الأساليب على التحقير؛

ثالثاً: بعض شروح كتاب سيويه، كشرح الرّماني (ت384هـ) الذي يتّضح فيه من الملحوظات والإشارات والإضافات ما أغنى بها إشارات سيويه وأثرها شرحاً وتفسيراً ومناقشةً.

2- عدم إفراد علماء النحو، وعلى رأسهم سيويه، صاحب أول كتاب جامع لقواعد العربية، فصلاً قائماً برأسه يدرسون فيه أسلوب القصر، ويبيّنون مجاله وحدوده بكل الطرق التي يتحقّق بوساطتها. وعليه؛ فإنّ تناوله لهذا الموضوع لم يكن مقصوداً بذاته ولذاته، وإنّما جاء ذلك عَرَضاً ومورّعاً على أبواب النحو المتفرقة، كالحديث عن باب الاستثناء؛ إذ طرق سيويه من خلاله بعض جوانب أسلوب القصر بإبراز عمل "إلا" فيه مثلاً، وحال الاسم الواقع بعدها إعراباً ومعنى، أو عند التطرّق لعمل بعض الأدوات النحوية وشروط تأدية وظائفها، كـ "إلا"، و "غير"، و "سوى"، و "أنّ" المصدرية، وبعض حروف العطف.

3- بخصوص مصطلح "الاستثناء"، هو من مصطلحات المرحلة الأولى من عمر الدرس النحوي العربي، والتي يُطلق عليها اسم المرحلة الشفوية؛ وهي ما فترة المصطلح النحوي قبل أبي الأسود الدؤلي (ت 69هـ)، وهي مرحلة لم يؤلف أصحابها كتباً في النحو؛ إذ يقترب معناه اللغوي، الذي هو إخراج الجزء من دائرة الكل، جداً من معناه الاصطلاحي، بل إنه لا يخرج عنه.

* واستخدام مصطلح "الاستثناء" بهذه الدلالة نقف عليه أيضاً في المراحل اللاحقة لها، مثل «سيبويه» (ت 180هـ) وخلف الأحمر (ت 180هـ)، وهما متعاصران وينتميان إلى مدرسة واحدة، ثم شاع هذا المصطلح بعد ذلك عند الدارسين بهذه الدلالة كالفرّاء (ت 207هـ)، والمبرد (ت 285هـ)، وابن السراج (ت 316هـ)، وابن جني (ت 392هـ)، والجرجاني (ت 471هـ)، وابن مالك (ت 672هـ)، وابن هشام (ت 761هـ)، والصّبّان (ت 1205هـ)، وغيرهم كثير.

4- دقّة استعمال مصطلح "حروف الاستثناء" كان على يد سيبويه وخلف الأحمر (ت 180هـ)، وظلّ مستعملاً حتى القرن الرابع الهجري، ثم قلّ استخدامه في القرن الثامن، ليشيع مصطلح آخر هو "أدوات الاستثناء" الذي استعمله أبو الحسن التميمي، وهو من نحاة القرن السادس الهجري، وآخرين كالجزولي (ت 607هـ)، وابن عصفور (ت 669هـ)، وابن مالك (ت 686هـ)، على سبيل التمثيل لا الحصر، غير أنّه لا فرق بين ما استعمله سيبويه وبين ما استعمله نحاة العربية المتأخرين عنه؛ فإنّها كلّها ذات مدلول واحد، وهو التعبير عن الوسيلة أو الأداة اللغوية التي بوساطتها يتمّ تحقيق معنى الاستثناء في الجملة العربية.

5- أمّا بخصوص المصطلح الدالّ على معنى تفرُّغ ما قبل إلّا للعمل فيما بعدها، فالثابت عن سيبويه أنّه، لم يثبت عنه استعماله في ذلك العهد المبكر من حياة الدراسات اللغوية عند العرب، لأسباب تاريخية وموضوعية، سواء أ تعلق الأمر بالمصطلح النحوي الذي اخترعه علماء النحو بعده كالاستثناء المفرغ، أو الناقص، أم بنظيره البلاغي كألفاظ القصر، أو الحصر، أو الاختصاص.

6- استعمال معظم علماء النحو الذين جاؤوا بعد المبرد الفعل (فَرَّغَ) للدلالة على هذا النوع من الاستثناء، ويريدون به أن يتفرَّغ الكلام السابق لحرف الاستثناء (إلّا) للعمل فيما بعدها، كابن السراج، وأبي القاسم الزجاجي (ت 340هـ) مثلاً اللذين استعملا مصطلح (فَرَّغَ)، وأبي عليّ الفارسي (ت 377هـ) الذي ثبت عنه تعبير: "والفعل (مفرغ)".

7- ظهور مصطلح الاستثناء (المفرغ) في القرن السادس الهجري عند التميمي، وقد جاء استعماله له في قوله: "والمفرغ مثل: "مَا قَامَ إِلَّا زَيْدٌ"، يريد: "والاستثناء المفرغ مثل: ...".

ب- مضموناً:

1- يَعدُّ النحاة (إلا) أصلَ حروف الاستثناء، وقد سُمِّيَتْ بـ "أَمَّ باب الاستثناء" لأنها الأداة الأكثر استعمالاً، وأكثرها أحكاماً، وهي عبارة عن حرفٍ مبنيٍّ لا محلَّ له من الإعراب، وكلُّ ما عداها من أدواتٍ تُستعمل في هذا الباب إنما هي مُضمَّنةٌ معناها، وعاملةٌ عملها مع اختلافٍ في بعض الأحكام النحويَّة فيما بينها بطبيعة الحال.

2- الاستثناء المفرغ عند النحاة، هو تلك الحالة التي ترد فيها جملة الاستثناء محذوفة المستثنى منه، ولذلك يعمل ما قبل أداة الاستثناء فيما بعداً رفعاً ونصباً وجرّاً، حسب ما يقتضيه بناء الجملة النحوي؛ وهو مرجعٌ تسميته بالاستثناء المفرغ.

3- على الرغم من عدم استعمال صاحب الكتاب المصطلحات المذكورة أخيراً المعبّرة عن معنى تفرغ الكلام السابق لـ (إلا) أو ما جاء في معناها، فإنَّ سيبويه قد تطفّن إلى دلالة هذا التّمط النحويّ على قصر الشّيء على شيءٍ من دون تعدّيه إلى شيءٍ آخر، ولعلَّ أكثرها وضوحاً وجلاءً، ما أورده في باب الاستثناء من شرح لعمل "إلا" في هذا النوع من الأساليب؛ إذ صرّح بأنَّ هذه الأداة اللّغويّة تُدخل الاسمَ بعدها في شيءٍ هو منفيٌّ عمّا سواه. هذا مع ملاحظة إشارته الجليّة الذّكية إلى وجه هذا الاسم الواقع بعد "إلا" الإعرابي، والنّصّ على بقائه مؤدّياً وظيفته الإعرابيّة نفسها التي كان عليها قبل لحاق "إلا" بالجملة لأنها مُلغاةٌ إعراباً.

4- تنبيه سيبويه إلى قضية منع وقوع الاستثناء المفرغ، المسمّى أسلوب القصر، في الكلام الموجب، واشترط كونه مسبقاً بنفيٍّ أو شبهه؛ وهو الأمر الذي أفاد منه عموم النحويّين الذين جاؤوا بعده بدءاً بأصحاب الشرح الكتاب كالسيّراني، والرّماني مثلاً، ومن جاء بعدهم، إلا ما كان من نماذج الاستثناء المفرغ المستفاد من الفعل الموجب لفظاً والمنفيّ معنىً نحو: "يَأْبَى"، فيجوز التّفريغ معه.

5- وقوع الاسم "غير" موقع (إلا) في الاستثناء المفرغ "غير" موقع (إلا)؛ مع ملاحظة أنَّ "غيراً"، وإنْ دَخَلَهَا معنى الاستثناء، فإنّها قد تُحمَلُ معها على معناها الخاصِّ بها أحياناً، فلا تطابق "إلا" تماماً كقولنا مثلاً: "مَا قَامَ إِلَّا سَعِيدٌ"، و"مَا قَامَ غَيْرُ سَعِيدٍ"؛ إذ هما ليسا متطابقين في

المعنى تطابقاً كلياً لاحتمال الكلام مع "غير" معنيين، بخلافه مع (إلا)، فهو لا يؤدي إلا دلالة القصر فقط.

6- تُعَرَّبُ "غير" في أسلوب الاستثناء المفرغ إعراب الاسم الواقع بعد (إلا)، وتكون عندئذ هي الأداة في المعنى، والمستثنى في اللفظ.

7- مذهب نحاة البصرة عموماً في الاسم "سوى"، هو جعلها ملازمةً على الظرفية دائماً، إلا في الشعر، فتُعَرَّبُ حسب موقعها من الجملة، وما بعدها مجروراً بإضافتها إليه.

8- الحرف "إنما" يتركب من حرفين اثنين، هما: "إن" و"ما" الكافّة لها عن عملها التّصّب والرفع في معموليها اللذين يُرْفَعَان كلاهما على الابتداء والخبر أيضاً، في نحو: "إنما زيدٌ شاعرٌ". كما تدخل على جملة الفعل والفاعل من دون أن تُغيّر فيها شيئاً من جهة الإعراب، في نحو: "إنما ينظمُ الشعْرُ زيدٌ"؛ ويحصل بواسطتها دلالة قصر الشيء على الشيء في المثال الأول على معنى حصر "زيد" في اتّصافه بصفة نظم الشعر، لا غيرها من الصّفات التقيضة لها من كتابة، وغيرها. أمّا في جملة: "إنما ينظمُ الشعْرُ زيدٌ"، فالقصدُ بها مدحُ زيدٍ بنظم الشعر الجميل الرّصين، وحصرُ تلك الصّفة فيه إمّا حقيقةً وواقعاً، أو مبالغَةً في الوصف.

9- يتحقّق معنى القصر بوساطة حروف العطف الثلاثة، وهي: "لا، وبَل، وَلَكِنْ". ولكل واحدٍ منها بعض الأحكام والشّروط الخاصّة به، وبيان ذلك، ما يأتي:

*عدّ "بل"، و"لكن" ساكنة النّون، حرفيّ عطفٍ يدلّان على معنى قصر شيءٍ معيّن على شيءٍ آخر، مشروطٌ بكون المعطوف بهما اسماً مفرداً، أولاً، والكلام قبلهما مسبوقٌ بنفي أو نهي ثانياً، كما في نحو: "ما جاءَ خالدٌ بلّ سعيدٌ"، و: "لا تُقاطِعِ الجّامِعةَ بلّ أصدِقاءُ السّوء"، و: "ما قرأتُ جريدةً لكنّ كتاباً"؛ إذ إنه لو قيل بدلاً عنها مثلاً: "قرأتُ جريدةً لكنّ كتاباً"؛ لما استقام معنى، لأنّه محال؛ لأنّ "لكن" لا يُتداركُ بها بعد إيجاب، ولكنها يُنبّثُ بها بعد النّفي، والمقصود عليه مع "بل" و"لكن" هو الواقع بعدهما؛

*وبخصوص الحرف "لا"، فجمهور النّحويّين يضعون لتأديتها عملها معنى القصر ثلاثة شروط: أولها: أن يتقدّمها إثبات، نحو: "جاءَ زيدٌ لا عمرو"، أو أمرٌ نحو: "إضربْ خالداً لا سعيداً"، و"خذِ القلمَ لا الكتاب"، وأضاف سيبويه: أو نداء، كقولنا: "يا ابنَ أخي لا ابنَ عمّي"، هذا مع ملاحظة لزوم كون معطوفها مفرداً، لا جملةً. ثانيها: عدم اقتراحها بحرف عاطف. ثالثها: أن

لا يُصدّق أحد متعاطفيها على الآخر، وهو أمرٌ ضروريٌّ من جهة المعنى؛ إذ إنّه لا يجوز أن نقول مثلاً: "جاءني رجلٌ لا زيد"، و"اشتريتُ أرضاً لا ضيعةً"، بخلاف لو قيل: "جاءني رجلٌ لا امرأةً"، و: "اشتريتُ ضيعةً لا داراً"، فهو جائز. وواضح هنا، أنّ المقصور عليه مع "لا" العاطفة هو الاسم المتقدّم عليها كما أنّ الحرف (لا) يكون لأحد شيئين: فإمّا لإخراج الشكّ، أو بقصد تأكيد العلم في حكم الجملة إلى أيّ الطرفين هو مُسنَد.

10- إذا كان تقديم بعض عناصر الجملة في اللغة العربيّة كتقديم المفعول، وتأخير الفعل عنه، في نحو: "ضرب زيداً عمرو"، وكتقديم المفعول به على الفعل في مثل: "زيداً ضربت" ممّا يُقصّد به إظهار العناية بالاسم المقدّم، اهتماماً بشأنه؛ فإنّ في العربيّة من الأساليب التي تخرّج فيها بعض العناصر على رتبها المحفوظة ما تتجاوز فيها دلالتها مجرد الاهتمام بما هو مُقدّم في الكلام، فتخرّج إلى إفادة دلالة قصر الشيء على شيءٍ آخر من دون سواه، ولذلك عدّه تراكيب، هي كما يلي:

*ابتداء العرب بعض الجمل باسمٍ نكرةٍ مُخبراً عنه بفعلٍ بعده، نحو: "شيءٌ ما جاء بك"، و"شئٌ أهرّ ذا ناب"؛ لأتّهما في معنى: "ما جاء بك إلّا شيءٌ"، و"ما أهرّ ذا نابٍ إلّا شئٌ" على التّرتيب. ويكون المعنى فيهما توالياً، قَصُر سبب فعل الجيئ المسند على المخاطب على شيءٍ واحدٍ فقط وهو حادثٌ لا يُعْهَد بمثله في الأوّل، وقَصُر سبب هرير الكلب على أمرٍ واحدٍ فقط في الثّاني.

ثانياً: عند البلاغيين:

وبخصوص دراسة علماء البلاغة لأسلوب القصر، فالحقيقة أنّها جاءت أكثر شموليّة ودقّة وأوسع استفادة في شرح أهمّ مباحث هذه الظّاهرة اللّغويّة الدّقيقة، وبخاصّة في جانبها الدّلاليّ والجماليّ؛ وهو على كلّ شيءٍ طبيعيّ فرضته عواملٌ موضوعيّةٌ ومنهجيةٌ تتأخّر قيام علم البلاغة علماً قائماً برأسه بعد علم النّحو بأكثر من قرنين من الزّمان، وهو ما أسهم في استقرار مصطلحات الدّرس البلاغيّ الذي استفاد بشكل واضحٍ وجليٍّ ممّا خلّفه علماء النّحو من مادّةٍ علميّةٍ حول باب الاستثناء أولاً، وما أودعوه مُصنّفاتهم من شروحٍ نحويةٍ غزيرةٍ ودقيقةٍ بشأنها، ومن مباحثٍ في مسألة عمل الحروف في العربيّة ثانياً، وما أثبتوه من آراء وشروحٍ في موضوع التّقديم والتّأخير ثالثاً. هذا من جهة، ومن جهةٍ أخرى، لا تُغفل بعض تلك الإشارات البلاغيّة والدّلاليّة

التي نشرها هنا وهناك حول أسلوب القصر بدءاً بسيبويه صاحب أول كتاب جامع لقواعد العربية، ومروراً بمن جاء بعده من رجال النحو.

والمتعمّن في معالجة البلاغيين لموضوع القصر يجد أنّها قد اتّسمت بعدّة خصائص وميزات، يمكننا القول إنّها قد أتمّت جهد النّحاة الجبّار في التّقييد للموضوع وضبط أصوله الكبرى من ناحية، وأضفت على دراسة الموضوع تلك اللمسة البلاغية القائمة على توجّهي معاني النحو بالخصوص منها ما أثبتّه عبد القاهر الجرجاني من خلال نظريته اللّغوية في النّظم، إضافةً إلى الدّراسات التي جاءت بعده والتي أفادت منه ومن موروث النّحويين في هذا الباب من ناحية أخرى.

وعلى أيّة حال، فهذه النّقاط مجموعة هي أهمّ ما ميّز دراسة علما البلاغة لموضوع القصر:

أ- شكلاً:

* أمّا من حيث حدود الظّاهرة، فالظّاهر أنّ البلاغيين قد غنّوا كثيراً بمعالجة أسلوب القصر؛ فكانت دراستهم إيّاها مقصودةً لذاتها؛ وهو ما يُفسّر تحصيلهم لها فصلاً تتفاوت حجماً وطولاً بينهم، ضمن مباحث علم المعاني التي يندرج القصر تحتها.

1- وأمّا عن المصطلح المستعمل عند علماء البلاغة للتعبير عن هذا المعنى اللّغوي الدّقيق، فثلاثة معروفة لديهم، هي: القَصْرُ، والحَصْرُ، والاختصاص - أو التّخصيص -، إضافةً إلى استخدامهم في بعض الأحيان ما وُقر عند نظرائهم النّحويين في هذا الشأن كالاستثناء المفرغ والاستثناء النّاقص.

2- وأمّا بخصوص المصطلحات البلاغية (القَصْرُ، والحَصْرُ، والاختصاص) الأُلصق بدراساتهم، والأكثر شيوعاً في مصنّفاتهم، فإنّ من الدّارسين مَنْ رأى أنّها تؤدّي معنى واحداً، في حين هناك مَنْ ذهب إلى أنّ هناك فروقاً بينها، وهي، حسب ما أمكننا جمعه من أقوال وآراء وشروح، كما يأتي بيانه:

- القَصْرُ في اللّغة: الحَبْسُ، وهو في اللّغة أيضاً: عدم المجاوزة. أمّا اصطلاحاً، فيعرّف، بأنّه تخصيصُ شيءٍ بشيءٍ، أيّ تخصيص موصوفٍ بصفةٍ أو صفةٍ بموصوفٍ بطريقٍ مخصوصٍ من الطّرق الأربعة. ومعنى تخصيص الشيء بالشيء: الإخبار بثبوت الشيء للشيء الأول دون غيره، فالقصر مطلقاً يستلزم النّفي والإثبات.

- أمّا الحَصْرُ في اللغة، فهو الحَبْسُ والتَّضْيِيقُ. وفي الاصطلاح، هو إثباتُ الحكم للمذكور ونفيُّه عمّا عداه، وهو المعروف بالقصر أيضاً. والذي يذهب إليه عددٌ من العلماء، هو أنّه لا فرق بين مصطلحي القَصْرِ والحَصْرِ في معناهما اللّغويّ إلّا ما ذكره البعض منه كالّدسوقي (ت696هـ) مثلاً، مِنْ أَنَّ القَصْرَ مأخوذٌ من عدم المجاوزة، وليس من الحَبْس.

- كما أنّ الاختصاص لغةً هو إفرادُ الشيء بالشيء به دون غيره. أمّا اصطلاحاً، فيقصدُ به علماء البيان تخصيص أمرٍ بأمرٍ بطريقٍ مخصوص.

* وخلاصة القول في هذه المسألة، أنّه لا توجد فروقٌ كبيرةٌ بين مصطلحات "القَصْرِ والحَصْرِ والاختصاص من جهة الاصطلاح؛ إذ تقترب معانيها إلى حدٍّ بعيدٍ، وأنّ للمعنى اللّغويّ صلةً وثيقةً بالمعنى الاصطلاحيّ.

ب- مضموناً:

1- لأسلوب القصر أغراضٌ بلاغيّةٌ وفوائدٌ في الكلام تُفهم من سياقه، لعلّ أهمّها: تمكين الكلام وتقريره في الذهن، والمبالغة في المعنى، والتّعريض، إضافة إلى أنّ القصر بابٌ عظيمٌ من أبواب البلاغة لما فيه من الإيجاز والتّقرير، وهو من أهمّ أركان البلاغة؛ إذ إنّ جملة القصر تقوم مقام جملتين: مثبتةٍ ومنفيّةٍ.

2- يُعدُّ القصر توكيداً، وأدائه التي يقوم عليها هي النفي والاستثناء، والغرض الذي يؤدّيه أسلوب القصر غرضٌ جوهريّ يتعلّق بمعاني الجمل، وقد يختلف المعنى كلياً لتقديم كلمةٍ أو تأخيرها بحسب السياق.

3- تراوحت دراسة علماء البلاغة لأسلوب القصر بين تذوّق التّصوص والأمثلة كما عند أصحاب المدرسة الفنّية أو الأدبيّة كالجرجاني، والزّخشي، وغيرهما، وبين التّقعيد والاعتماد على التّقسيم لمسائلها ضبطاً لقواعدها، وتحديداً لأصولها كما ثبت مع أتباع المدرسة الكلاميّة مثل السّكاكي ومن نهج نهجه.

4- أمّا عند شيخ البلاغة العربيّة عبد القاهر الجرجانيّ، فما لوحظَ على دراسته، هو اعتمادهُ بشكلٍ لافتٍ للانتباه، في حديثه عن هذا الموضوع، وطريقة شرحه لمباحثه على طريقة عرض أفكاره عرضاً لغويّاً، متأنياً، بسيطاً، جميلاً، مرتكزاً في أوقاتٍ كثيرةٍ على الموازنة، أو المقابلة، بين بعض قواعد طرق القصر الثلاثة الأولى واستعمالاتها اللّغويّة، وهي: صيغة النفي والاستثناء،

و"إنّما"، والعطف بوساطة "لا"؛ تبسيطاً لما يَحْكُمُ كَلاًّ منها من جهة، واستنطاقاً للفروق الدلالية والجمالية بينها من جهة أخرى.

5- ووضح من الدراسة البلاغية لعبد القاهر لموضوع القصر أنموذجاً على ذلك، أنّه بالفعل رجلٌ نحوٍ ضليعٍ أفاد في بحوثه البلاغية عموماً من علمه بالنحو وقواعده أولاً، وإنّه قد أفاد من الدراسات السابقة له في هذا المجال بدءاً بجهود سيويه الكبيرة، كمسألتي إفادة "إنّما" لمعنى القصر، وكذا بعض مسائل التقديم والتأخير مثلاً.

6- أمّا عن عموم البلاغيين الذين جاؤوا بعده وبعد الزمخشري، فإن الدرس البلاغي قد شهد تحوّلاً في طريقة معالجة النصوص من نثرٍ وشعرٍ وغيرها؛ إذ ابتعدت دراساتهم شيئاً فشيئاً عن تذوّق النصوص ومحاولة وضع اليد على مكان الجمال والسحر فيها لتحليلية معانيها وإبراز دقائق دالاتها الواضحة والخفية، بالخصوص بعد مجيئ أبي يعقوب السكاكي صاحب مفتاح العلوم الذي انتحى بالدراسة البلاغية ناحية التقنين والتّقييد العلمي ضبطاً لأصولها، وفصلاً لعلومها المكوّنة له من بيانٍ، ومعاني، وبديع. وبذلك صارت دراساتهم جافّة تكاد تخلو في معظمها من سحر البلاغة وجمال تحليلاتها الدلالية لمعاني نصوصها، وهو الملحوظ على دراساتهم لموضوع القصر مثلاً عن ذلك؛ إذ خصّوه بفصلٍ قائمٍ برأسه درسوا فيه جوانبه المختلفة وبيّنوا طرق تحقّقه في الكلام العربي، كما أنّهم جاؤوا ببعض التّفصيلات في مسألة المصطلح البلاغيّ المستعمل في تناول القصر الذي حدّدوا له أنواعاً بدقّة وعناية حسب حال المخاطب الملقى عليه الكلام، كقصر القلب، والإفراد، والتّعين كما ثبت في دراستنا النظرية في هذا البحث.

7- يقسّم البلاغيّون أسلوب القصر عدّة تقسيماتٍ حسب بعض الاعتبارات، وهي كما يأتي:

أ- بحسب الحقيقة والواقع: وهو حقيقيّ وإضافيّ. أمّا الحقيقيّ، فهو أن يختصّ المقصّر بالمقصور عليه بحسب الحقيقة والواقع بالآ يتعدّاه إلى غيره أصلاً، نحو: "لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ". في حين أنّ الإضافيّ يُقصدُ به أن يختصّ المقصّر بالمقصور عليه بحسب الإضافة، وبالنسبة إلى شيءٍ آخرٍ معيّن، لا إلى جميع ما عداه.

ب- باعتبار طرْفَيْهِ: ينقسم القصرُ باعتبار طرْفَيْهِ (المقصور والمقصور عليه) سواءً أكان القصرُ حقيقيّاً أم إضافيّاً إلى نوعين. أوّلهما: قصرُ صفةٍ على موصوفٍ، ومثاله من الحقيقيّ: "لا رازقَ إِلَّا اللهُ"، ومثاله من الإضافيّ: "لا شاعرَ إِلَّا امرؤُ القيس". وثانيهما: قصرُ موصوفٍ على

صفة، ومثاله من الحقيقي: "مَا زَيْدٌ إِلَّا كَاتِبٌ"، إذا أُريدَ أنه لا يتَّصف بغيرها، أي غير الكتابة من الصفات وهو لا يكاد يوجد لتعذر الإحاطة بصفات الشيء حتى يمكن إثبات شيء منها ونفي ما عداها بالكليّة، بل هذا محال، لأنّ للصفة المنفيّة نقيضاً، وهو من الصفات التي لا يمكن نفيها ضرورة امتناع ارتفاع النقيضين.

ج- باعتبار حال المخاطب: وينقسم ثلاثة أقسام حدّدها البلاغيون، كما يأتي:

* قصر الأفراد: ونقصد به التخصيص بشيء دون شيء من يعتقد الشركة، أي شركة صفتين في موصوف واحد في قصر الموصوف على الصفة، أو شركة موصوفين في صفة واحدة في قصر الصفة على الموصوف. ومثال الأول: "مَا زَيْدٌ إِلَّا كَاتِبٌ"، لمن يعتقد اتّصافه بالشعر والكتابة، ومثال الثاني: "مَا كَاتِبٌ إِلَّا زَيْدٌ"، لمن يعتقد اشتراك (زيد وعمرو) في الكتابة، ويسمى هذا القصر قصر أفراد؛ لقطعه الشركة التي اعتقدها المخاطب.

* قصر القلب: ويكون هذا الكلام موجّهاً إلى المخاطب الذي كان يعتقد عكس الحكم الذي أثبتته المتكلم، فمثلاً المخاطب بقولنا: "مَا زَيْدٌ إِلَّا قَائِمٌ"، هو مَنْ اعتقد اتّصافه بالقعود دون القيام.

* قصر التعيين: أن يكون الكلام المشتمل على القصر موجّهاً لمن يُراد إزالة تردّده وشكّه، هل المقصور منسوب إلى المقصور عليه أم إلى غيره، مثل: "لَيْسَ الْكُصُوفُ إِلَّا لِلشَّمْسِ"، أو: "الْكُصُوفُ لِلشَّمْسِ لَا لِلْقَمَرِ".

8- إنَّ الفرق بين القصر الحقيقي على وجه المبالغة والادّعاء، وبين القصر الإضافي على وجه الحقيقة دقيق جدّاً، وكثيراً ما يلتبس أحدهما بالآخر، ويكمن الفرق بينهما في أمرين:

الأول: إنَّ القصر الحقيقي الادّعائي مبني على المبالغة، والتنزيه، فإذا قلت: "مَا فِي الدَّارِ إِلَّا زَيْدٌ"، وأردت لا غيره، وكان فيها غيره، ونزلته منزلة العدم كان القصر حقيقياً ادّعائياً، وإن أردت "لا عمرو"، وكان فيها بكرٌ وخالدٌ أيضاً كان القصر إضافياً على وجه الحقيقة.

الثاني: إنّه لا يشترط في الحقيقي مطلقاً اعتقاد المخاطب على أحد الوجوه الثلاثة في الأفراد والقلب والتعيين.

9- وبخصوص طرق القصر الأربعة المشهورة عند البلاغيين، فهي التّفني والاستثناء (مَا وَآلَا)، وإثما، وطريق العطف بالحروف الثلاثة: (وَبَلْ، وَلَكِنْ، وَلَا)، والقصر بتقديم ما حقه التأخير.

هذا، وعلى الرغم من اشتراك طرق القصر الأربعة المذكور في إفادة معنى القصر، لكنها تختلف من بعض الوجوه لعل أهمها:

10- يُستعمل "النفي والاستثناء" في الحكم الذي يُنكره المخاطب ويشك فيه، نحو: قولنا مثلاً: "مَا هُوَ إِلَّا زَيْدٌ"، إذ لا يُقال مثل هذا الكلام إلا والمخاطب بهذا الكلام يتوهم أنه ليس زيداً، ويعتقد أنه إنسان آخر ويُنكر أن يكون زيداً، وهو إما قصرٌ موصوفٍ على صفةٍ، أو قصر صفةٍ على موصوفٍ.

11- ووجه تحقيق معنى القصر في الأول منهما، أنه متى قيل: "مَا زَيْدٌ"؛ تَوَجَّهَ النفي إلى صفته لا إلى ذاته، لأنَّ أنفُسَ الدَّوَاتِ يُتَمَتَّعُ نَفْيُهَا وَإِنَّمَا تُنْفَى صِفَاتُهَا. وحيث إنه لا نزاع في طوله وقصره وما شاكل ذلك، وإِنَّمَا النِّزَاعُ فِي كَوْنِهِ شَاعِراً أَوْ كَاتِباً تَنَاوَلَهُمَا النَّفْيُ. فإذا قيل: "إِلَّا شَاعِرٌ" جاء القصر. وفي الثاني أنه متى قيل: "مَا شَاعِرٌ" بإدخال النفي على الوصف المسلم بثبوته، أي الشعر هنا، تَوَجَّهَ النَّفْيُ بِحُكْمِ الْعَقْلِ إِلَى ثَبُوتِهِ لِلْمَدَّعِي كَرِيدٍ وَعَمْرُوٍّ مَثَلًا، فإذا قيل: "إِلَّا زَيْدٌ" مثلاً، أفاد التركيب معنى القصر.

12- اشتراطُ جمهور البلاغيين لصحة وقوع الاستثناء المفرغ أو القصر، كون الكلام غير موجب، أي مسبقاً بنفي، أو شبهه، وهو ما يُستقرأ من طبيعة الشواهد القرآنية، وغيرها التي أوردوها في معالجتهم لهذا الموضوع، والتي لم تخرج في أي موضعٍ من المواضع عن هذا القيد الإعرابي والمعنوي، سوى ما ذهب إليه بهاء الدين السبكي (ت755هـ) مثلاً من عد الاستثناء على وجه العموم، قصرًا سواءً أكان مع النفي أم الإيجاب، نحو قولنا: "قَامَ النَّاسُ إِلَّا زَيْدًا"، فإن فيه قصرًا لعدم القيام على "زيد"، لأنَّ المعنى هو قصر عدم القيام بالنسبة إلى الناس على "زيد".

13- إنَّ النَّفْيَ بِوَاسِطَةِ "لَا" العاطفة لا يجامع النفي والاستثناء؛ إذ لا يصحُّ أن نقول مثلاً: "مَا زَيْدٌ إِلَّا قَائِمٌ لَا قَاعِدٌ"؛ لأنَّ شرط المنفي بـ "لَا" العاطفة أن لا يكون ذلك المنفي منفياً قبلها بغيرها من أدوات النفي، وهذا الشرط مفقود في النفي والاستثناء.

14- تُسْتَحْدَمُ الأداة "إِنَّمَا" في أسلوب القصر لخبرٍ لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته، نحو: "إِنَّمَا اللَّهُ وَاحِدٌ"، أو لِمَا يُنَزَّلُ هذه المنزلة، نحو: "إِنَّمَا هُوَ أَخُوكَ"، و"إِنَّمَا هُوَ صَاحِبُكَ الْقَدِيمُ". فمثل هذا الكلام لا يُقال لمن يجهل ذلك ويدفع صحته، ولكن لمن يَعْلَمُهُ وَيُقَرُّ بِهِ، غير أنَّ الْقَصْدَ به تنبيه المخاطب به للذي يجب عليه من حق الأخ وحرمة الصاحب.

- 15- بخصوص إفادة (إنّما) معنى القصر، نقل عددٌ من العلماء كابن هشام (ت 761هـ)، والشَّهاب الخفاجي (ت 466 هـ)، والألوسي (ت 1270 هـ)، وغيرهم كالشُّبكي ووالده، أنّ الإمام أبا حيّان التُّوحّيدي (ت 414هـ) يرى أنّ هذه الأداة لا تفيد القصر، بل هي لمجرّد تأكيد.
- 16- وفي المقابل، هناك من علماء البلاغة مثل عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ)، والسَّكّاكي (ت 626هـ)، مَنْ رَدُّوا على التُّوحّيدي رأيّه، واستدلُّوا على ذلك بأدلة يستندون إليها في مسألة اعتقادهم بإفادة (إنّما) الحصر بالوضع، من قِبَل أنّها مفيدةٌ معنى القصر لكونها تتضمّن معنى (ما وإلا)، كقول بعض الصّحابة كابن مسعود (ت 32هـ)، وابن عبّاس (ت 68 هـ)، -رضي الله عنهم- في تفسير بعض الآيات الكرّمة من جهة، وبصحّة انفصال الصّميّر في أسلوب القصر بهذه الأداة، مع إمكان اتّصاله من دون أن يكون له صلة من المواطن المعروفة في النحو من جهة أخرى.
- 17- للقصر بواسطة الحرف إنّما عدّة دلالاتٍ، منها: أنّها حرفٌ بجرسه وُعنته وقوّته ودلالته، لا يكون إلّا في المواقف الهادئة النّاعمة من دون جلبه أو فوضى، فهي تتصدّر الأفكار والحقائق والمشاعر التي لا يصلح فيها (ما وإلا)، ولذا قالوا إنّ استعمالها يكون في الأمر الجليّ، أو في الأمر الخفيّ المنزّل منزلة الجليّ، كما أنّها تُستعمل في الأمر الجليّ الواضح، بمعنى أنّه مقبولٌ في نفسه، ومقبولٌ لدى المتكلّم، كأنّه لا ينبغي أن يكون مثارَ جدلٍ أو اختلافٍ أو إنكارٍ بين المتكلّم والمخاطب.
- 18- إذا كان المقصور عليه مع طريق النّفي والاستثناء هو الواقع بع (إلا) مباشرة، نحو: "ما زَيْدٌ إلّا شاعرٌ"؛ فإنّ دلالة القصر بالحرف إنّما تختلف بالتّقديم والتّأخير بين المعمولات النّحويّة، كما بين المبتدأ والخبر، والفاعل والمفعول، والحال وصاحبها، وغيرها من المعمولات؛ فالتركيز يكون على المؤخّر منهما بعد (إنّما).
- 19- مزِيّة القصر بأنّما من جهتين. الأوّل منهما: أنّها تثبت الفعل لشيءٍ معيّنٍ أوّلاً، وتنفيه عن كلّ ما عداه ثانياً. وثانيهما: جعلها الأمر المقصور عليه الكلام ظاهراً فيه حكمه ذلك.
- 20- وفي قوّة الدّلالة على معنى القصر، نجد أنّ ل (إنّما) مزِيّة على طريقي النّفي والاستثناء، والعطف من حيث إنّها تعقّل الحكمين، أي: الإثبات للمذكور، والنّفي عمّا عداه دُفْعَةً واحدةً، بخلاف (ما وإلا)، ففيه نفيٌّ ثمّ إثباتٌ، وكذا العطف فإنّه يُفهم منه أوّلاً الإثبات ثمّ النّفي، نحو: "زَيْدٌ قائمٌ لا قاعِدٌ"، أو العكس، نحو: "ما زَيْدٌ قائماً بل قاعِداً".

21- إن دلالة التقديم على القصر يكون بالفحوى أي بمفهوم الكلام لا بالوضع.

22- دلالة أسلوب التقديم والتأخير على معنى القصر قد تكون في:

أ- الكلام المثبت: بتقديم المسند إليه المعرف على المسند الفعلي، نحو: "زَيْدٌ قَدْ فَعَلَ، وَأَنَا فَعَلْتُ" مثلاً، أو بتقديم المسند إليه (النكرة) على المسند الفعلي في مثل: "شَرُّ أَهَرَّ ذَا نَابٍ"؛ لأنه في معنى: "مَا أَهَرَّ ذَا نَابٍ إِلَّا شَرُّ"، أو بتقديم المسند، نحو: "إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُنَا"، أو بخروج بعض متعلقات الفعل كالمفعول، والحال، والظرف، والمجرور، وغيرها عن رُتَبِهَا المحفوظة في العربية تقديمًا وتأخيرًا.

ب- في الكلام المنفي: ويكون ذلك في بعض التراكيب النحوية بخاصة، مثل: "مَا فَعَلْتُ"، ومعناه على نفي المتكلم عن نفسه فعلاً لم يثبت أنه مفعول، في نحو: "مَا أَنَا فَعَلْتُ"، وهو هنا على قصد نفي المتكلم عن نفسه فعلاً يثبت أنه مفعول وواقع.

المبحث الثاني:

أساليب القصر في الشوقيات - عرض وإحصاء:

إنه وبعد قراءة المتفحصة والمتأنية لديوان الشاعر المعروف أحمد شوقي، على الرغم من ضخامة حجمه والذي أخذ مني ذلك وقتاً مهماً جداً، إضافة إلى الجهد المضني في تتبع سياقات الكلام بين ثنايا أبيات ديوان شوقي قبل الشاهد الشعري وبعده، ومحاولة ربط إلقائه هذه القصيدة أو المقطوعة الشعرية بمناسبتها وزمنها والظروف التي أحاطت بها في ذلك الوقت، من دون إغفال النظر إلى مسألة استنادي بشكل أساسي في فهم بعض الأبيات، وتفكيك دقائق تعبيراتها اللغوية التي لا يمكن فهمها وإدراك المعنى المقصود بها في كل موضع من ديوان الشوقيات على محاولة الغوص في نفس الشاعر وقلبه وعقله، والتنزل منزلة من عاش عصر كل قصيدة من قصائده، بل كل بيت من أبياته.

وسنعمد في دراستنا إلى إحصاء دقيق وشامل لجميع أساليب القصر الواردة في ديوان الشوقيات على اختلاف صورها وطرق تحققها؛ وذلك بغرض تعرف نسبة دوران هذا الأسلوب اللغوي في شعر أحمد شوقي من خلال الشوقيات بصفة عامة أولاً، وحضور أسلوب القصر حسب كل طريق من طرق القصر المدروسة في الشق النظري من البحث ثانياً، وكذا بقصد تبين أي الأغراض الشعرية كان لها النصيب الأوفر من حيث مدى الاستخدام ودرجة الشيوع لأسلوب القصر في هذا الديوان الشعري.

وحرر بنا أن نورد في مستهل هذا الجزء من البحث هذه الأرقام المرصودة بخصوص حاصل عملية الإحصاء لمجموع أساليب القصر المتوقعة في ديوان الشوقيات، موزعة حسب طرق القصر الآتي ذكرها كما ثبتت ورودها في ديوان "الشوقيات" من دون تقسيم ولا تأخير فيما بينها:

المطلب الأول: أساليب القصر المُستشهد بها من ديوان الشوقيات:

سنسجل هنا أساليب القصر الواردة في ديوان الشوقيات بمختلف طرق تحققها الأربعة المدروسة، والتي سنطبق عليها في هذا الجزء من البحث، وهي كما يأتي ذكره:

القسم الأول: القصر بالنفي والاستثناء: (مَا وَإِلَّا)

أولاً: المعمولات النحوية المفردة:

1- المعمولات النحوية المفردة:

أ- حَصُرُ المبتدأ في الخبر:

*الخبرُ شبهُ جملة: وفي الغزل يقول الشاعر أحمد شوقي:

"تَحْنُ إِلَى ذَاكَ الزَّمانِ وَطِيبِهِ *** وَهَلْ أَنْتَ إِلَّا مِنْ دَمٍ وَحَنَانٍ؟" - 656/2

*الخبرُ مفرد:

"وَمَا الْحَيَاةُ إِذَا أَظْمَتَ وَإِنْ خَدَعَتْ *** إِلَّا سَرَابٌ عَلَى صَحْرَاءٍ يَلْتَمِعُ" - 367/1

ب- حَصُرُ الخبر في المبتدأ:

"إِنْ طَلِبَ الْقِسْطُ فَمَا مِنْهُمْ *** إِلَّا جَوَادٌ عَنْ أَبِيهِ الْجَوَادُ" - 188/1

ج- حَصُرُ الفاعل: (الفاعل اسم مفرد):

بَيْتُ النَّبِيِّنَّ الَّذِي لَا يَلْتَقِي ***** إِلَّا الْحَنَائِفُ فِيهِ وَالْحَنَفَاءُ - 30/1

د- حَصُرُ المفعول به ب (إلا):

"وَلَا عَظَّمْتُ فِي الْأَشْيَاءِ إِلَّا *** صَحِيحَ الْعِلْمِ، وَالْأَدَبَ اللَّبَّابَا" - 103/1

ملحوظات:

*تأخير المفعول به والفاعل معاً بعد (إلا):

"فَلَوْ أَنَّ إِنْسَانًا تَخَيَّرَ مَلَّةً *** مَا اخْتَارَ إِلَّا دِينَكَ الْفُقَرَاءُ" - 34/1

*الاسم "غير" مفعولاً به:

"فَلَمْ أَرِ غَيْرَ حُكْمِ اللَّهِ حُكْمًا *** وَلَمْ أَرِ دُونَ اللَّهِ بَابًا" - 103/1

هـ- مَعْمُولَا (كَانَ) وأخواتها:

1- اسمُ كان المحصور بيلاً:

"هَلْ كَانَ حَوْلَ مُحَمَّدٍ مِنْ قَوْمِهِ *** إِلَّا صَبِيٌّ وَاحِدٌ وَنِسَاءُ؟" - 35/1

2- خبر كان محصور:

"هَلْ كَانَ إِلَّا زَهْرَةٌ كَزُهُورِهِ *** عَجَلَ الْفَنَاءُ لَهَا بَغِيرِ جَنَاحٍ" - 166/1

و- شبهُ الجملة:

"لَا تَمُوتُ النَّفْسُ إِلَّا بِاسْمِهِ *** قَامَ بِالْمَوْتِ عَلَيْهَا وَقَهَرُ" - 247/1

ز- الحالُ المفردة:

"لَمْ تَبْدُ لِلْأَبْصَارِ إِلَّا غَارِسًا *** لِحَوَالِفِ الْأَجْيَالِ أَوْ بَنَاءٍ" - 49/1

ح- ظرف الزمان:

"وَمَا أَتَيْتُ إِلَّا بَعْدَ عِلْمٍ *** وَكَمْ مِنْ جَاهِلٍ أَتَى فَعَابًا" - 106/1

ط- نائبُ الفاعل:

"وَلَيْتَنِ حُجِبَتْ فَأَنْتَ فِي نَظَرِ الْوَرَى *** كَالنَّجْمِ لَمْ يُرَ مِنْهُ إِلَّا النُّورُ" - 296/1

ي- ظرف المكان:

"أَسْرَ مَالَتْ بِهَا الدُّنْيَا فَلَمْ *** تَلَقَ إِلَّا عِنْدَكَ الرُّكْنَ الرَّكِيضُ" - 576/2

ك- سوى:

"وَأَبْيَكَ مَا الدُّنْيَا سِوَى مَعْرُوفِهَا *** وَالْبِرَّ كُلُّ صَنِيعَةٍ بِجَزَاءٍ" - 53/1

ل- أسلوب القسم الاستعاطفي:

إِلَّا حَلَلْتَ عَنِ السَّجِينِ وَثَاقَهُ *** إِنَّ الْوَثَاقَ عَلَى الْأُسُودِ ثَقِيلٌ" - 454/2

م- الحصر من موجب بمعنى النفي:

تَأْتِي السَّعَادَةُ إِلَّا أَنْ تُسَايِرَهُمْ *** لِأَنَّهُمْ لِمُلُوكِ الْأَرْضِ ضَيْفَانُ" - 614/2

2- الجملة المحصورة بـ "إِلَّا":

أ- الجملة الحالية:

1- الحال جملة اسمية:

"مَا مَدَّ هُدْبِيهِ لِيَصْطَادَ الْكَرَى *** إِلَّا وَطِئُفِكَ فِي الْكَرَى الْعَنْقَاءِ" - 61/1

2- الحال جملة فعلية:

"وَمَا تَهَلَّلْتَ إِذْ وَافَاكَ دُوْ أَمَلٍ *** إِلَّا وَأَدْهَشَهُ حُسْنُ وَإِحْسَانُ" - 614/2

3- الحال شبه جملة:

"أَتَيْتَ وَالنَّاسُ فَوْضَى لَا تَمُرُّ بِهِمْ *** إِلَّا عَلَى صَنِمٍ قَدْ هَامَ فِي صَنِمٍ" - 510/2

ب- الجملة مفعولاً به:

"فَوَقَفْتُ فِي حَذَرٍ وَبِأُ *** بِي الْقَلْبُ إِلَّا أَنْ يُخَاطِرُ" - 260/1

ج-الجملة في موضع أحد معمولي كان وأخواتها:

1-اسم كان:

"لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ خَالِكَ إِلَّا *** أَنِّي مَا حَيْثُ فِي إِجْلَالِهِ" - 451/2

القسم الثاني: أساليب القصر بوساطة "إنما":

1-حصر المبتدأ في الخبر:

"إِنَّمَا نَحْنُ مُسْلِمِينَ وَقَبْطًا *** أُمَّةٌ وَحَدَتْ عَلَى الْأَجْيَالِ" - 431/2

2-حصر الخبر في المبتدأ:

"إِنَّمَا مُنْزَلُ رُفَاتِكَ فِيهِ *** لَبَقَايَا مِنْ كُلِّ فَنٍّ جَمِيلٍ" - 438/2

3-حصر الفعل في الفاعل:

"إِنَّمَا يُنْكِرُ الدِّيَانَاتِ قَوْمٌ *** هُمْ بِمَا يُنْكِرُونَهُ أَشَقِيَاءُ" - 25/1

4-حصر الفعل المسند إلى نائب الفاعل:

"إِنَّمَا مِنْ كِتَابِهِ يُتَوَقَّى الذِّ *** مَرَّةً لَا مِنْ شَبَابِهِ وَاكْتِهَالِهِ" - 450/2

5-حصر المفعول به:

"لَمْ تَخْطِ لِلنَّاسِ يَوْمًا كَفَنًا *** إِنَّمَا خَاطَتْ بَقَاءً وَكَيَانًا" - 630/2

6-حصر خبر (كان):

"أَنْتُمْ غَدَا أَهْلُ الْأُمُورِ وَإِنَّمَا *** كُنَّا عَلَيْكُمْ فِي الْأُمُورِ وَفُودًا" - 229/2

7-حصر ظرف الزمان:

"وَمَا زِلْتُ فِي رِيعِ الشَّبَابِ وَإِنَّمَا *** يَشِيبُ الْفَتَى فِي مِصْرَ قَبْلَ أَوَانٍ" - 656/2

8-حصر شبه الجملة:

"لَمْ أَلْتَمِسْ عَرَضَ الْحَيَاةِ وَإِنَّمَا *** أَفْرَضْتُهُ فِي اللَّهِ وَالْمَخْتَارِ" - 269/1

9-حصر نائب الفاعل:

"إِنَّمَا يُبْكِي شُعَاعٌ نَابِغٌ *** كُلَّمَا مَرَّ بِهِ الدَّهْرُ أَضَاءَ" - 13/1

10-الحصر بالأداة (أنما):

"وَيَرَى لِي الصَّبْرَ قَلْبُ مَا دَرَى *** أَنَّمَا كَلَّفَنِي مَا كَلَّفَا" - 386/2

القسم الثالث: أساليب القصر بطريق العطف:

1- "لا" العاطفة:

عَلِمْتُ أَنَّ وَرَاءَ الضَّعْفِ مَقْدَرَةٌ **** وَأَنَّ لِلْحَقِّ لَا لِلْقُوَّةِ الْعَلْبَا - 99/1

2- "بل":

"يَا فَاتِحَ الْقُدْسِ خَلِّ السَّيْفَ نَاحِيَةً **** لَيْسَ الصَّلِيبُ حَدِيدًا كَانَ بَلْ خَشْبًا" - 99/1

القسم الرابع: أساليب القصر بتقديم ما حقه التأخير:

1- تقديم المسند إليه على المسند:

هُمْ أَذْرَكُوا عِزَّ النُّبُوَّةِ وَانْتَهَتْ **** فِيهَا إِلَيْكَ الْعِزَّةُ الْقَعَسَاءُ - 30/1

2- تقديم شبه الجملة الواقع خبراً عن المبتدأ:

"وَإِذَا أَهْوَا النَّبَاتَ فَمِنْ آ **** تَارِ نُعْمَاكَ حُسْنُهُ وَالنَّمَاءُ" - 22/1

3- تقديم الخبر على المبتدأ:

"مُخْطِئٌ مَنْ ظَنَّ يَوْمًا **** أَنَّ لِلتَّغْلِبِ دِينَ" - 634/2

المطلب الثاني: أساليب القصر في الشوقيات - تطبيق وتحليل:

يحمل شعر الشاعر أحمد شوقي أساليب لغويةً وبلاغيةً كثيرةً، ومن أبرزها أساليب القصر والتخصيص، بما تنطوي عليه هذه الأساليب من مرامٍ وأسرارٍ بلاغيةٍ ثريةٍ غزيرةٍ ومتنوعةٍ يرجع ثراؤها إلى تنوع أساليب القصر وما بينها من فروقٍ دقيقةٍ واعتباراتٍ وملحوظاتٍ لطيفةٍ، ومن تلبس المقصور والمقصور عليه للمعاني المجازية، وعناصر تشكيل الصورة الفنية وتشابكهما مع الفنون البلاغية الأخرى، ومن طريقة عرض هذه الأساليب عرضاً مؤثراً في ثوبٍ مثيرٍ جذابٍ تستطيع من خلاله أن تفضّ مغاليق شخصية هذا الرجل وأن تلج عوالمها، وأن تصل إلى تصويره لحياته بكل ما فيها من حركةٍ لا تني ولا تهدأ، وبما تخللها من مشاعر مختلفة وأحاسيس اختلجت في صدره، كل منها بحسب المواقف والمناسبات والذكريات التي مرَّ بها طوال سنين حياته من فرحٍ، وحزنٍ، ورجاءٍ، ورضا وغضب، وألم وأمل، وغيرها من المشاعر الإنسانية التي لا يخلو بشرٌ من أن يعيشها لأنها تعيش هي في داخله، وتجري في عروقه مع دمه.

إنَّ القارئ لديوان شاعرنا أحمد شوقي المسمَّى "الشَّوقيَّات" ليلحظ حقاً تلك الطَّريقة الرَّائعة والدَّقيقة في النَّظم عنده، وكيف أنَّها تتميز بوضع الألفاظ في الموضع المحكم الذي لا يمكن أن تتقدَّم عنه ولا أن تتأخَّر. وهي محتفظة بالأداء الأمثل للمعنى مع الدَّقة في اختيار الأساليب، وانتقاء الألفاظ لأداء ما يراودُّ لها تأديته بحيث لا يقوم غيرها بما تقوم به هي من توفية للمعنى، وتنميته، وتصويره، ورسم الظلال والألوان من حوله حتَّى ولو اتَّفقت في الوزن والمعنى.

وإذا كنا نبحت في شعر أحمد شوقي عن شوقي نفسه، فليس مرادنا سرِّد أحداث حياته أو قصَّة سيرته، وإنما نريد خبر عقله وأحوال خواطره من خلال أساليب القصر؛ لأنَّ البحث في هذه الخواطر وفي هذه الأساليب هو نفسه البحث في أحوال المباني.

وسنخصِّص الجزء الأخير من بحثنا هذا للجانب التَّطبيقي، إذ إنَّنا بعد قراءتنا واستقراءنا لديوان الشَّاعر أحمد شوقي - رحمه الله تعالى - المسمَّى "الشَّوقيَّات" سجَّلنا المواضع التي اشتملت فيها أبياتُه الشعريَّة على نماذج مختلفة من أسلوب القصر بطرقه المختلفة المدروسة في الشَّقِّ النَّظريِّ، وبعد تصنيفها حسب أنماطها أو دخولها تحت أيِّ نوع من أنواع القصر، اخترنا منها مجموعة رأينا أنَّها تكون أكثر إفادةً في تطبيقنا وأبلغ أثراً وجمالاً.

وقبل الانتقال إلى مرحلة التَّطبيق على هذه المجموعة الشعريَّة الرَّائعة لأحمد شوقي المسمَّاة "الشَّوقيَّات"، نوذُّ الإشارة هاهنا بأنَّنا بعد قراءتنا لدقائق هذا الديوان واستقراء أشعاره، وتحديد مواضع القصر بين أبيات قصائده ومقطوعاته؛ فإنَّنا سنذكر مواضع هذه الأساليب المتضمَّنة أسلوب القصر من حيث عددها كعملٍ إحصائيٍّ قمنا به لمعرفة نسبة أو كمِّ حضور هذا النَّوع من الأساليب اللُّغويَّة في شعر شاعرنا أحمد شوقي أولاً، لنختار منها ما نراه مناسباً للتَّطبيق عليه نحوياً وبلاغياً ودلالةً وجماليةً ثانياً.

والآن نورد بعض الأساليب اللُّغويَّة التي تضمَّنت أسلوب القصر حسب الطَّرِيق الذي تحقَّق به، سواء أكان بوساطة النَّفي والاستثناء، أم بطريق الأداة "إنَّما" الحاصرة، أم بالعطف، أم بتقديم ما حُفِّه التَّأخير.

أولاً: القَصْرُ بالنَّفي والاستثناء: (مَا وَإِلَّا):

هي كثيرة ومتنوعة، ومنها نورد هذه الأمثلة على سبيل التَّمثيل لا الحصر:

1-المعمولات التحويلية المفردة:

أ-حصر المبتدأ في الخبر:

*الخبر شبه جملة: وفي الغزل يقول الشاعر أحمد شوقي:

"تَحْنُ إِلَى ذَاكَ الزَّمانِ وَطِيبِهِ *** وَهَلْ أَنْتَ إِلَّا مِنْ دَمٍ وَحَنَانٍ؟" - 656/2

وهذا البيت الثالث من قصيدة غزلية يُخاطبُ فيه قلبه العاشق، مطلعها:

صَحَا الْقَلْبُ إِلَّا مِنْ خَمَارِ أَمَانِي *** يُجَاذِبُنِي فِي الْغَيْدِ رِثَ عَنَانِي

والشاهد فيه بيتنا الثالث المذكور أولاً، في قول شوقي: " وَهَلْ أَنْتَ إِلَّا مِنْ دَمٍ وَحَنَانٍ؟"، في حصره الضمير المنفصل "أَنْتَ" الواقع مبتدأ في خبره الوارد هنا شبه جملة، وهي قوله: "مِنْ دَمٍ وَحَنَانٍ" في محل رفع على الخبرية كما سلف محصوراً بوساطة (إلا)؛ دلالة على قصر المبتدأ على خبره، أي "القلب" على صفة خلقه وتكوينه من دم وحنان، لما فيه من المشاعر والأحاسيس والعواطف الإنسانية المختلفة كالحب مثلاً الذي هو مقام حديث شاعرنا في هذا الموضع.

ولأنَّ المقصور هنا هو "القلب" وهو الموصوف، والمقصور عليه هو "صفة خلقه وإنشائه" - أي: "مِنْ دَمٍ وَحَنَانٍ؟" وهو قصر موصوفٍ على صفة، يمكن عدُّه من قبيل قصر القلب؛ بالنظر إلى كون شوقي يخاطب قلبه المسكين مُشفقاً على حاله، مُلتَمِساً له العذر في حنيه إلى أيام صبوته وحبّه التي مضت وولّت، ولكنّه حنَّ إليها رغماً عنه لأنّ ذلك ليس ممّا يملك التّحكّم فيه، أو دفعه عنه، أو تجاهله البتّة؛ لأنّه قلبٌ من دَمٍ وَحَنَانٍ، أي: مشاعر وعواطف تختلج في أعماقه، وكأنّه يُنزِلُ قلبه منزلةً من ظنّ أنّه بحنينه واشتياقه إلى زمانٍ ذهب وولّى خارجاً عن المعتاد عليه، والطّبيعة التي جُبلَ عليها. والمعنى هنا، وكأنيّ بالشّاعر يقول لقلبه: "يا قلب، لا تحسبنّ نفسك مُذنباً أو مُرتكباً جُرمًا لحنينك إلى ذكريات زمانٍ جميلٍ عِشْتَهُ بجوارحك وأحاسيسك؛ لأنّك لا تستطيعُ إلّا أن تتذكّر ذلك، وتحنّ إليه من وقتٍ إلى آخر، وبين فترةٍ وأخرى؛ لأنّك ببساطةٍ قلبٌ أودعه الله هذه الصّفة الإنسانية الرّقيقة المتمثلة في الحبّ، والحنين، والتّذكّر، ولو لمجرّد التّذكّر، لأنّه خارجاً عن طاقتك لا تستطيعُ له دفعاً ولا ردّاً، فَحَنّ كما تشاء، وليأخذك الاشتياق إلى أبعد أفاصي الأرض، ولا عتاب عليك،... فهذا دأبُك، ولهذا خُلِقْتَ".

*الخبر مفرد:

"وَمَا الْحَيَاةُ إِذَا أَظْمَتَ وَإِنْ خَدَعَتْ *** إِلَّا سَرَابٌ عَلَى صَحْرَاءَ يَلْتَمِعُ" - 367/1

والشاعر في هذا البيت يقر في أسلوب قصر بين بوساطة التفي والاستثناء صفة تفاهة الحياة وخداعها وفنائها وقصرها، فهي مع بقاء الحياة الآخرة إلى أبد الآبدين، كأنها سراب يتخيله التائه في صحراء شاسعة لا حدًا لامتدادها فأفحكته، وبلغت به من شدة العطش ما كاد يُشرف بسببه على الهلاك. وهو تشبيهٌ بليغٌ عبّر به شوقي عن هذا المعنى بشكلٍ دقيقٍ وجميل، زاده بلاغةً وجمالاً ورونقاً قصُر الحياة، التي هي مبتدأ مرفوع، على صفة "سراب" الدالة على الفناء والتلاشي والاختفاء بسرعة البرق لمروها وكأنَّ الإنسان لم يعمّر بها إلا أياماً معدودات، تماماً كما يتلاشى ذلك السراب لرأيه من بعيد حين يقترب قليلاً من مكان وجوده ولمعانه حسب وهمه وتخيله لعظم ما اشتدَّ به العطش إلى أقصى ما يمكن أن يتحمّله بشر. وهو من باب قصر الموصوف على الصفة قصراً حقيقياً تحقّقياً بالنظر إلى كون الحياة الدنيا هذه سراب زائل وظلّ حائل موازنةً مع دار البقاء والخلود.

ب- حصر الخبر في المبتدأ:

وفي هذه القصيدة يتوجّه شاعرنا أحمد شوقي إلى سعد زغلول، وكان وزيراً للمعارف، طالباً إليه العمل على إنشاء مدرسة في محلة "المطرية" التي كان يسكن فيها متحدّثاً باسم أهلها، قائلاً في مطلعها:¹

يَا نَاشِرَ الْعِلْمِ يَهْدِي الْبِلَادَ *** وَفَقَتَ نَشْرُ الْعِلْمِ مِثْلُ نَشْرِ الْجِهَادِ

بَابِي صُرُوحِ الْمَجْدِ أَنْتَ الَّذِي *** تَبْنِي بُيُوتَ الْعِلْمِ فِي كُلِّ نَادٍ

ليختتم مقطوعته الشعرية هذه بقوله:

"إِنْ طُلِبَ الْقِسْطُ فَمَا مِنْهُمْ *** إِلَّا جَوَادٌ عَنْ أَبِيهِ الْجَوَادُ" - 188/1

وهو هنا في مقام مدحٍ وثناءٍ على سعد زغلول بخاصّة، وآل زغلول عامّة، واصفاً إياهم بصفة الجود والسبق إلى الخير الذي توارثه نسلهم الواحد عن الآخر أباً عن جد؛ إذ ليس ذلك دخيلاً عليهم، وإمّا هو أصلٌ فيهم وطبعٌ دأبوا عليه وعاشوا به وله.

والشاهد هنا، حصر خبر المبتدأ "منهم" الواقع شبه جملة - جارٌّ ومجرور - في مبتدئه المتأخّر "جواد" بأداة الاستثناء "إلا" بعد حذف المستثنى منه المقدر بكلمة "أحد"، على تقدير: "وما منهم أحدٌ إلا جوادٌ عن أبيه الجواد"، بشغل كلمة "أحد" وظيفه المبتدأ المؤخّر؛ فلمّا حذف هذا

¹ ينظر: شوقي، أحمد، الشوقيات: 187/1

المستثنى منه من تركيب الجملة، ودخلت "إلا" التي للحصر احتاجت الجملة إلى مبتدأ يُخَصَّر فيه خبره المتقدم بعد حرف التثني "ما".

ويتضح بعد هذا الذي قيل، أن القصر في بيت شوقي هذا قصر موصوفٍ وهم: "آل زغلول" عامة، على صفةٍ وهي الجود.

ج- حَصُرُ الفاعل: (الفاعل اسم مفرد):

* ونمثّل هنا لهذا النمط من طرق القصر بشعرٍ جميلٍ نظمهُ شوقي في مدح الرسول الأعظم صَلَّى الله عليه وسلّم - بمناسبة ذكرى مولده الشريف في القصيدة المشهورة التي استهلّها بقوله:

وُلِدَ الْهُدَى فَالْكَائِنَاتُ ضِيَاءٌ **** وَفَمُ الزَّمَانِ تَبَسُّمٌ وَتَنَاءٌ

وشاهدنا الشعرِيّ من هذه القصيدة الرائعة الجميلة، هو ما أورده صاحب "الشوقيات" في البيت التاسع من هذه المقطوعة الآتي ذكرها طلباً للتساوق الفكري وتمثّل جامعٍ للصورة الشعرية ككل:¹

يَا خَيْرَ مَنْ جَاءَ الْوُجُودَ تَحِيَّةً **** مِنْ مُرْسَلِينَ إِلَى الْهُدَى بِكَ جَاؤُوا
بَيْتُ النَّبِيِّ الَّذِي لَا يَلْتَقِي **** إِلَّا الْحَنَائِفُ فِيهِ وَالْحَنَفَاءُ

إذ يمدحُ أحمد شوقي بكلامه: "لَا يَلْتَقِي إِلَّا الْحَنَائِفُ فِيهِ وَالْحَنَفَاءُ" رسول الإسلام والإنسانية جمعاء محمد - عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام - بالثناء على نسبه الشريف، بأنّه ينحدر من نسل طيّبٍ كريمٍ أصيلٍ موصوفٍ بالتبُّل والانقطاع لعبادة المولى جلّ وعلا، وكيف لا يكون نسبُ سيّدنا وحبيبنا محمدٍ أشرفَ نسبٍ وأطهره وأكملَه وأجمله، وأحسنَه على الإطلاق، وهو من ولدِ إسماعيل - عليه السلام - لقول الرسول الكريم - عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم - فيما رواه عنه واثلة بن الأسقع - رضي الله عنه - قال: قال النبيُّ محمدٌ - صَلَّى الله عليه وسلّم -: « إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشاً مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ »، وإسماعيل هو أفضلُ أبناء إبراهيم، وإبراهيم - عليهم السلام - جميعاً، ولم يجعل ربنا في نسل إسماعيل - عليه السلام - نبياً غير محمدٍ - صَلَّى الله عليه وسلّم - ؛ فهو خلاصةُ الخلق جميعاً.

¹ ينظر: شوقي، أحمد، الشوقيات: 30.

ووجه تحقق معنى القصر في شاهدنا المذكور في هذا الموضع، هو تصدُر الجملة بحرف التّفي "لَا" قبل الفعل "يَلْتَقِي" لينتقض هذا التّفي بدخول "إِلَّا" الحاصرة عليه التي تفرّغ الكلام بعدها للعمل فيما قبله، وهو كلمة "الْحَنَائِفُ" المرفوعة هنا للفاعلية للفعل "يَلْتَقِي" بسبب أنّ المستثنى منه محذوف قبل إلّا التي للحصر؛ دلالة على قصر الالتقاء في بيت النبوة الشريف الطاهر على هذه الثّلة المباركة من خلق الله تعالى، وهم محمدٌ -صلواتُ ربّي وسلامُهُ عليه- الذي هو من وَلَدِ إسماعيلٍ -عليه السّلام- الذي يُعدُّ بدوره أفضلُ أبناء إبراهيم -عليه السّلام- الذي امتدحه ربُّ العزة والجبروت في القرآن العظيم بأنّه كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين، و إبراهيم -عليه السّلام- خيرُ نَسْلِ نوح -عليه السّلام-، ونُوْحٌ خلاصةُ نَسْلِ آدَمَ -عليهم السّلام-. فاجتمعت بذلك في نبينا محمدٍ -صلواتُ ربّي وسلامُهُ عليه- كلُّ الخصال الحسنة مِنْ شرف النبوة وعِظَمِ النّسب، وحسن الأخلاق؛ فهو بلا ريب سيّد وَلَدِ آدَمَ قاطبة.

د- حَصْرُ المفعول به بـ (إِلَّا):

وهو قوله:

"وَلَا عَظَّمْتُ فِي الْأَشْيَاءِ إِلَّا *** صَحِيحَ الْعِلْمِ، وَالْأَدَبَ اللَّبَّابَا" - 103/1

والبيت من قصيدة رائعة ألّفها شوقي في ذكرى المولد النبوي الشريف تكلم فيها بأسلوب جميل عن أحوال الدنيا، وكيف أنّها تُنهكُ وتُهلكُ عاشقيها العاكفين على أخذ ملذاتهم منها بلا وازع ولا ترثيث، كما عبّر عنه بقوله في البيت الثاني عشر:

أَخَا الدُّنْيَا، أَرَى الدُّنْيَا أَفْعَى *** تُبَدِّلُ كُلَّ آوَنَةٍ إِهَابَا

إلى أن يقول: وَمِنْ عَجَبِ نُشِيبُ عَاشِقِيهَا *** وَتُفْنِيهِمْ وَمَا بَرَحَتْ كِعَابَا¹

... جَنَيْتُ بَرُوضَهَا وَرَدّاً وَشَوْكاً *** وَدُقْتُ بِكَأْسِهَا شَهْداً وَصَابَا

فَلَمْ أَرْ غَيْرَ حُكْمِ اللَّهِ حُكْماً *** وَلَمْ أَرْ دُونَ بَابِ اللَّهِ بَابَا²

ليُردّفه بشاهدنا الشعريّ، وهو قوله:

وَلَا عَظَّمْتُ فِي الْأَشْيَاءِ إِلَّا *** صَحِيحَ الْعِلْمِ، وَالْأَدَبَ اللَّبَّابَا

¹ ينظر: شوقي، أحمد، الشّوقيات: 102.

² المرجع نفسه: 103. والشّهد: العسل، والصّاب: نَبْتُ مُرٍّ. ينظر: المرجع نفسه: 103، الحاشية رقم: 05.

والمشتمل على أسلوب قصر، مفادُهُ ورودُ المفعول به، وهو كلمة: "صَحِيحٌ" محصوراً بأداة الحصر "إِلَّا" لأنها ملغاة إعراباً بسبب أنَّ الاستثناء مفرغٌ يعمل فيه ما قبله فيما بعده نظراً إلى حذف المستثنى منه من الكلام؛ إذ التقدير في البيت: "وَلَا عَظَّمْتُ فِي الْأَشْيَاءِ شَيْئاً إِلَّا صَحِيحُ الْعِلْمِ..."، ومعنى كلام الشاعر أنه لا ينساق ولا يغترُّ بأيِّ شيءٍ أو أمرٍ من الأمور إلا ما كان سليماً، وصائباً، وتقبله الفطرة والعقل والشرع، كتعظيمه صحيح العلم الرَّاسخ فيه، وذو الأدب الجَمِّ والخلق الحمود قصراً لصفة التعظيم على هذين الموصوفين من دون تعدّيها إلى موصوفاتٍ أُخرٍ قصراً حقيقياً تحقيقياً إذا اعتدنا بجمع "صاحب العلم الصحيح والأدب اللُّباب" لجميع الاخلاق الطيبة الحميدة، والصفات الحسنة المأمور بها شرعاً وخلقاً.

كما يمكنُ عدُّه من قبيل القصر الحقيقي الادّعائي من قِبَل أنَّ لا بشرَ على الأرض جُمِعَتْ له محاسنُ الأخلاق وأكرمها وأطيبها إلا سيّدُ الخلق نبي الإسلام والإنسانية جمعاء —عليه أفضلُ الصَّلَاةِ وأزكى السَّلامِ—.

* ملحوظات:

1- تأخير المفعول به والفاعل معاً بعد (إِلَّا):

وفي هذا الشَّان، نمثِّلُ بالبيت الأخير من المقطوع الرَّابعة من قصيدة عصماء نظمها شوقي بمناسبة مولد الرسول الأعظم —صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ—، وهو قوله:

"فَلَوْ أَنَّ إِنْسَانًا تَخَيَّرَ مِلَّةً *** مَا اخْتَارَ إِلَّا دِينَكَ الْفُقَرَاءُ" - 34/1

إِذِ الشَّاهِدُ فِيهِ تَأْخِيرُ كُلِّ مِنَ الْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ بِهِ بَعْدَ إِلَّا الَّتِي لِلْقَصْرِ لَأَنَّ الْكَلَامَ قَبْلَهَا نَاقِصٌ إِعْرَاباً وَمَعْنَى، وهو: جملة "مَا اخْتَارَ" الَّتِي تَفَرَّغَتْ لِلْعَمَلِ فِيهَا مَا بَعْدَ إِلَّا عَلَى سَبِيلِ قَصْرِ اخْتِيَارِ الْفُقَرَاءِ دِينَ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْإِسْلَامُ عَلَى جَمِيعِ الْمِلَلِ الْآخَرَى، لأنها المِلَّةُ الصَّحِيحَةُ وَالْأَحَقُّ بِالِاتِّبَاعِ.

ولأنَّ كلاً من المفعول به "دِينِكَ"، والفاعل: "الْفُقَرَاءُ"، مؤخَّرانِ إلى ما بعد "إِلَّا" الحاصِرة؛ فَإِنَّ الْمَقْصُودَ بِالْقَصْرِ يَكُونُ الْاسْمَ الَّذِي يَلِيهَا مَبَاشَرَةً، وهو هنا المفعول به "دِينِكَ"؛ وكأنَّ المعنى في هذا البيت مثل قولنا: "فَلَوْ أَنَّ إِنْسَانًا تَخَيَّرَ مِلَّةً مَا اخْتَارَ الْفُقَرَاءُ إِلَّا دِينَكَ".

2- الاسم "غير" مفعولاً به:

وشاهدُهُ، قولُ شوقي:

" فَلَمْ أَرْ غَيْرَ حُكْمِ اللَّهِ حُكْمًا *** وَلَمْ أَرْ دُونَ اللَّهِ بَابًا " - 103/1

وهو بيتٌ سبق إيرادُه في معرض التّقديم لشاهدٍ شعريٍّ جاء بعده مباشرةً، والشّاهد فيه حَصْرُ الاسم "حُكْم" بوساطة الاسم "غير" العاملِ عملَ "إلا" أم أدوات الاستثناء. و"غير" تُعربُ مفعولاً به منصوباً لأنّها واقعةٌ في كلامٍ مفرّغٍ حُذِفَ منه المستثنى منه، بسبب أنّ المفعول به الأوّل الذي كان يجب أن يلي الفعلَ المجزومَ في "لَمْ أَر"، وهو كلمة "حُكْمًا" المعرّبة مفعولاً به ثانياً لأنّها تأخّرت إلى ما بعد كلمة "غير"، الأخيرة التي أصبحت تشغل هذه الوظيفة الإعرابية بدلاً عنها وهي شَعْلُ الفعل المتعدي "أرى" بها. ويكون الأصلُ في الكلام هنا، هو على: " فَلَمْ أَرْ حُكْمًا غَيْرَ حُكْمِ اللَّهِ "، إذ يريد شوقي أن يقول، إنّه لا يرى حُكْمًا صحيحاً سليماً صالحاً لحياة الإنسان وجميع المخلوقات في هذا الكون الفسيح إلا حُكْمَ خالقه ومُدبّر شؤونِه جلّ فسي علاه، وأنّ حكمَ غيره هو ناقصٌ لا محالة يشوبُه ما يشوبُه من مواطن الخلل، والضعف، والتقصير، وعدم الإحاطة بالأمر من كلّ جوانبه إحاطة تامّة كاملة لا مراجعة بعدها، ولا تعقيب يتلوها؛ إذ فرقٌ كبيرٌ جدّاً وبونٌ شاسعٌ بين حُكْم خالق البشر العزيز الحكيم وتدييره، وحكم واحد من مخلوقات ربّ البشر وتدييره. بل إنّه لا مقارنة على الإطلاق لاستحالة ذلك وامتناعه.

ولهذا كلّهُ، فالقصرُ هنا حقيقيٌّ تحقيقيٌّ لأنّه لا حُكْمَ وصحيحٌ وكاملٌ وتأمٌ وصالحٌ إلا حكمُ الله تقدّست أسماؤه وعظُم ثناؤه سبحانه جلّ في علاه.

هـ-مَعْمُولاً (كَانَ) وَأَخَوَاتُهَا:

1-اسمُ كان المحصور بيّلاً:

"هَلْ كَانَ حَوْلَ مُحَمَّدٍ مِنْ قَوْمِهِ *** إِلَّا صَبِيٌّ وَاحِدٌ وَنِسَاءٌ¹؟" - 35/1

وهذا البيتُ من القصيدة نفسها التي جادت بها قريحة أحمد شوقي بمناسبة مولد نبيّنا محمّد - عليه الصّلاة والسّلام -؛ إذ الشّاهد فيها كما يظهر، مجيئُ اسم كان محصوراً بيّلاً لوروده مؤخّراً بعدها

¹ والصّبيُّ: يريد به الإمام عليّاً بن أبي طالب - كَرَّمَ اللهُ وجهه -، لأنّه كان أوّل من آمن بدعوة الرّسول الكريم. ويريد بالنّساء خديجة أمّ المؤمنين - رضي الله عنها - زوج النّبي - صلى الله عليه وسلّم - لأنّها أوّل من آمنت به من النّساء. ينظر: شوقي، أحمد، الشّوقيّات: 35/1، الحاشية رقم: 24.

وهو كلمة "صبي"؛ لأنَّ خبر كان مقدَّم عليه قبل إلّا، وهو متعلّق بشبه الجملة "حَوْلَ مُحَمَّدٍ مِنْ وَمِهِ"، وتقديره: "هَلْ كَانَ موجوداً حَوْلَ مُحَمَّدٍ مِنْ قَوْمِهِ إِلَّا صَبِيٌّ وَاحِدٌ وَنِسَاءٌ".

2- خبر كان محصور:

" هَلْ كَانَ إِلَّا زَهْرَةً كَزُهُورِهِ *** عَجَلَ الْفَنَاءُ لَهَا بِغَيْرِ جَنَاحٍ " -166/1

وشوقي في قصيدته الجميلة هذه التي يصف فيها فصل الربيع ووادي النيل، وبعد تفنُّنه في وصف مظاهر الحُسْن والجمال والبهاء التي تطبُّع مظاهر الطبيعة والحياة عامّة عند دخول فصل الربيع من كلّ سنة، ويكون ذلك في شهر مارس طبعاً، كما عبّر عنه في مطلع القصيدة، واصفاً مناجياً:

آذَارُ أَقْبَلْ، قُمْ بِنَا يَا صَاحِ *** حَيَّ الرَّبِيعَ حَدِيقَةَ الْأَزْوَاحِ
انْتَحَى مَعَ قُرْبِ خْتَمِهِ قَصِيدَتَهُ مَنَحَى نَفْسِيّاً وَكَأَنَّهُ يَرْتِي وَقْتَ شَبَابِهِ وَمَرْحَهُ قَائِلاً:
إِنِّي لِأَذْكُرَ بِالرَّبِيعِ وَحُسْنِهِ *** عَهْدَ الشَّبَابِ وَطَرْفِهِ الْمِرْمَاحِ¹
إِذْ أُرْدَفُهُ بَيْتٍ يَعُدُّ هُوَ شَاهِدُنَا الشَّعْرِيَّ فِي هَذَا الْمَقَامِ، وَالَّذِي يَقُولُ فِيهِ:
هَلْ كَانَ إِلَّا زَهْرَةً كَزُهُورِهِ *** عَجَلَ الْفَنَاءُ لَهَا بِغَيْرِ جَنَاحِ

لأنَّ جملته اشتملت على أسلوب قصرٍ صدره شوقي بحرف الاستفهام "هَلْ" الدال هنا على الاستفهام الإنكاريّ مُتَّبِعاً إِتْيَاهُ بفعل كان الناقص المستتر فيه اسمه، والمقدّر بضمير الغائب الذي يعود على الشَّباب في البيت السابق له، ليتدخل إلّا حاصِرةً لخبر كان وهو كلمة "زهرة" المنصوبة دلالةً على قصر شباب الشاعر على أنّه إنّما كان زهرةً مثل زهور فصل الربيع الجميلة مناظره، والبهية نسائمه، والحلوة ذكريائه. فالقصر إذاً، قصرٌ موصوف، وهو الشَّباب، على صفةٍ وهي مقدّرةٌ من ممّا يُسْتَوْحَى مِنَ النَّظَرِ إِلَى زهرةٍ جميلةٍ فَوَاحَةٍ مِنْ معاني الجمال والنضارة والفرح والغبطة. وكأنيّ بأحمد شوقي هنا في حنينه إلى أيام الشَّباب والفتوة والمرح يذكرنا بقصيدة أبي العتاهية المشهورة والموسومة ب: لَيْتَ الشَّبَابِ يَعُودُ²، والتي يقول فيها متأسّفاً حزينا:

بَكَيْتُ عَلَى الشَّبَابِ بِدَمْعٍ عَيْنِي *** فَلَمْ يُغْنِ الْبُكَاءُ وَلَا النَّحِيبُ
فَيَا أَسَفًا أَسِفْتُ عَلَى شَبَابٍ *** نَعَاهُ الشَّيْبُ وَالرَّأْسُ الْخَضِيبُ

¹ المِرْمَاح: الشَّدِيد المرح والفرح. ينظر: المرجع نفسه: 166/1، الحاشية: رقم: 08.

² أبو العتاهية، الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، د. ط، 1406 هـ - 1986 م: 46.

عَرِثُ مِنَ الشَّبَابِ وَكَانَ غَضًّا *** كَمَا يَعْرِى مِنَ الْوَرَقِ الْقُضِيبُ
فَيَا لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ يَوْمًا *** فَأُخْبِرُهُ بِمَا صَنَعَ الْمَشِيبُ

و- شبه الجملة:

"لَا تَمُوتُ النَّفْسُ إِلَّا بِاسْمِهِ *** قَامَ بِالْمَوْتِ عَلَيْهَا وَفَهَزَ" - 247/1

وفي هذا البيت نلاحظ أن جملة مصدرية بما النافية وبعدها فعل وفاعل، وهي جملة غير تامة معنى بسبب احتياجها إلى ما بعدها لتمام معناها، فدخلت إلا التي للقصر لتوضح بما يجيء بعدها بأن أي نفس على وجه الأرض لا تموت إلا بإذن الله وقدرته، وكأنه يشير هنا إلى قول الله جل في علاه: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾¹؛ معناها: "ما كانت نفس لتَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ"²، والمعنى، بذلك: وما يموت محمد رسول الله - عليه الصلاة والسلام - ولا غيره من خلق الله إلا بعد بلوغ أجله الذي جعله الله غايةً لحياته وبقائه، فإذا بلغ ذلك من الأجل الذي كتبه الله له، وأذن له بالموت، فحينئذ يموت. فأما قبل ذلك، فلن يموت بكيد كائد ولا بحيلة محتال.

ز- الحال المفردة:

وشاهدنا في هذا الصدد بيت من قصيدة ألقاها شوقي بمناسبة افتتاح نادي الموسيقى الشرقي سنة 1929 مخاطباً فيها الملك فؤاد الأول قائلاً:

"لَمْ تَبْدُ لِلْأَبْصَارِ إِلَّا غَارِسًا *** لِحَوَالِفِ الْأَجْيَالِ أَوْ بَنَاءً" - 49/1

إذ قصرت فيه الحالة التي كان يراها عليها أهل مصر ملكهم فؤاد الأول على صفة أنه كان غارساً للأجيال اللاحقة بعده من مشاريع، واستثمارات، وغيرها. وهو حصرٌ لحالة الغرس هذه التي كان يبدو عليها فؤاد الأول لدى شعب مصر حسب بيت أحمد شوقي طبعاً، ويمكن عد ذلك من باب القصر الحقيقي الادعائي للمبالغة والتعظيم فقط؛ لأنه ما من ملك أو أمير على مرّ العصور والذهور يمكن أن يحوز إجماع كافة أفراد شعبه مهما عمل وبذل واجتهد؛ لأنه بشر، وعمل البشر ناقصٌ ويدخله الضعف وعدم الإحاطة بالأمور جميعها مهما بلغ صاحبه من العلم أو الخبرة والتجربة. وكما تقول الحكمة: إرضاء الناس غاية لا تدرك.

¹ آل عمران: 145.

² ينظر: ابن المثنى التيمي، أبو عبيدة معمر، مجاز القرآن. تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي بالقاهرة - مصر، د. ط، د. ت: 104/1.

ح- ظرف الزمان:

"وَمَا أَتْنَيْتُ إِلَّا بَعْدَ عِلْمٍ *** وَكَمْ مِنْ جَاهِلٍ أَتْنَى فَعَابًا" - 106/1

والشاهد فيه، حصر فعل التناء الصادر من الشاعر شوقي على حالة واحدة وهي العلم بالشيء والدراية بخصائصه وأحواله. وهو هنا في مقام مدح وثناء للأندلس التي كان منفياً بها، وحين عاد نظم فيها هذه القصيدة الرائعة التي يتذكر من خلالها سنواته الجميلة وطيبة الذكر التي قضاها هناك معززا وكأنه في بلده.

وهو قصر حقيقي لأن الشاعر كان شاهداً على عصره، وحياته في الأندلس التي استقبلته ورحبت به، وحمته وأكرمته.

ط- نائب الفاعل:

وشاهدنا هذا من قصيدة نظمها شاعرنا في حق الأديب الفرنسي الشهير "فكتور هيجو" بمناسبة مرور مائة عام على وفاته، والتي افتتحها بقوله:

مَا جَلَّ فِيكَ عِيدُكَ الْمُنْتَوَرُ *** إِلَّا وَأَنْتَ أَجَلٌ يَا فِكْتُورُ

إلى أن يصل إلى موضع الشاهد في البيت الرابع قائلاً:

- "وَلَيْنَ حُجِبَتْ فَأَنْتَ فِي نَظَرِ الْوَرَى *** كَالنَّجْمِ لَمْ يَرِ مِنْهُ إِلَّا النُّورُ" - 296/1

والذي يمدح فيه شوقي الأديب "هيجو" مشبهاً إياه بالنجم الذي وإن استحالت رؤيته البصريّة المباشرة للإنسان، إلا أن انعكاس ضوئه المتألي في صفحة السماء يُعطي الانطباع بأنك ترى النجم نفسه، وفي الحقيقة ما هو إلا إشارة إلى موقعه، كما جاء في كتاب الله المجيد في الآية الكريمة التي أقسم فيها ربُّ العزة جلَّ شأنه بمواقع النجوم، في قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾¹، ومواقع النجوم: بمعنى: مطالعها، أو مساقطها، أو منازلها حسب اختلاف التفسير لها. وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: فلا أقسم بمساقط النجوم ومغاييها في السماء، وذلك أن المواقع جمع مَوْقِع، والموقع المفعِل، من وَقَعَ يَقَعُ مَوْقِعًا، فالأغلب من معانيه والأظهر من تأويله هو مساقطها، ولذلك قلنا: هو أولى معانيه به.²

¹ الواقعة: 75.

² ينظر: الطبري، تفسير الطبري: 536.

وهو تشبيه جميل رائع التصوير والتّمثيل؛ ساقه شوقي في مقام مدحه "لفكتور هيجو" صوّر فيه شوقي منزلة ممدوحه ومرثيته الأدبية السّامية الظّاهرة للعيان البقية بعد وفاته بمساقط النّجوم في السّماء التي لا تغيب عن مرآى أيّ إنسان يُشيع بنظره إلى السّماء.

ي- ظرف المكان:

ومناسبة هذه القصيدة هي وفاة والدّة الخديوي عبّاس الثّاني بالآستانة التي رثاها شوقي بها، ومطلّعها:¹

أَخَذْتُ مِصْرُ نَعَشِكَ بِالْيَمِينِ *** وَحَوْتُهُ مِنْ يَدِ الرُّوحِ الْأَمِينِ

معدّداً بعض خصالها ومحاسنها، إلى أن قال في حقّها:

- "أُسِّرَ مَالَتِ بِهَا الدُّنْيَا فَلَمْ *** تَلْقَ إِلَّا عِنْدَكَ الرُّكْنَ الرِّكِينَ" - 576/2

وفيه كناية عن كرم هذه المرأة المتوفاة وجودها وإحسانها إلى الفقراء والضّعفاء من مجتمعها والأسر قليلة ذات اليد التي لم تكن لتبخل عليها ساعة حاجتها وشدة عوزها، وهو ما عبّر عنه شوقي بصيغة القصر تأكيداً وحصرًا أنّ رُكْنَ هذه العائلات المعسرة الحقيقي وملاذها الوحيد إنّما كان عند والدّة الخديوي؛ بتعبير الشاعر: "فَلَمْ تَلْقَ إِلَّا عِنْدَكَ الرُّكْنَ الرِّكِينَ"، بقصر فعل لُقيا - بمعنى العثور على الشّيء - الرُّكْنَ الرِّكِينَ - أي السند والمعين - على هذه السيّدة وحدها بتقديم ظرف المكان "عِنْدَكَ" على المفعول به معاً بعد إلّا التي للحصر. وأصل الكلام: "فَلَمْ تَلْقَ الرُّكْنَ الرِّكِينَ إِلَّا عِنْدَكَ" أنت وحدك.

ك- سوى:

" وَأَيْبِكَ مَا الدُّنْيَا سِوَى مَعْرُوفِهَا *** وَالْبِرِّ كُلُّ صَنِيعَةٍ بِجَزَاءٍ " - 53/1 -

والشّاهد فيه، وقوع الاسم "سوى" موقع "إلّا" الحاصرة، فعمل عملها معني ولكن إعراباً يختلف الأمر طبعاً، لأنّ "سوى" اسم له محلّ من الإعراب، وهو هنا في محلّ رفع خبر المبتدأ "الدُّنيا" المنفيّ بما النافية المنتقِضِ بسوى دلالةً على حصر قيمة الدُّنيا في عمل المعروف الذي يقدّمه الإنسان بين يديه في حياته ليس إلّا؛ باعتبارها فانية لا يبقى منها إلّا العمل الصّالح النّافع

¹ شوقي، الشّوقيّات: 585.

² والصّنيع: العمل الطّيب. والجزاء: المكافأة. ينظر: شوقي، أحمد، الدّيان، تحقيق: أحمد محمّد الحوفي. نخضة مصر للطباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة-مصر، د.ط، د.ت: 357/2.

لصاحبه بعد موته. وهو قصرٌ حقيقيٌّ تحقيقيٌّ لأنَّ حقيقة الحياة كالسفر أو الإقامة المؤقتة لا تدوم لأحد، ولا بدّ من رجوع، كما قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا أَلْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَةُ الصَّالِحَةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلًا¹﴾. أي: أنّ النافع والباقي للغنسان بعد رحيله إلى دار البقاء والخلود إنّما هو عمله وإخلاصه، أمّا ما سوى ذلك، فهشيمٌ تذروه الرياحُ يُمْنَةً ويُسرّةً لا ينفع، ولا يدفع، ولا يشفع.

ل-أسلوبُ القسم الاستعطافي:

"هَذَا مَقَامٌ أَنْتَ فِيهِ مُحَمَّدٌ *** وَالرَّفَقُ عِنْدَ مُحَمَّدٍ مَأْمُولٌ"² 454/2-
 -"بِاللَّهِ، بِالإِسْلَامِ، بِالْجُرْحِ الَّذِي *** مَا انْفَكَ فِي جَنْبِ الْهَلَالِ يَسِيلُ"³ 454/2-
 إِلَّا حَلَلْتَ عَنِ السَّجِينِ وَثَاقَهُ *** إِنَّ الْوَثَاقَ عَلَى الْأُسُودِ ثَقِيلٌ"⁴ 454/2-
 وقد أتينا هنا بالبيتين الذّين قبل شاهدنا الشعريّ لتتضح الصّورة، ويسهل المعنى. والشّاهد وقوع جملة جواب القسم الاستعطافيّ "حَلَلْتَ عَنِ السَّجِينِ وَثَاقَهُ" في محلّ نصبٍ مفعول به لفعل القسم المحذوف المقدّر في بداية البيت، وتقديره: "أقسمتُ عليك بالله، بالإسلام....إِلَّا حَلَلْتَ عَنِ السَّجِينِ وَثَاقَهُ". وهو أسلوبٌ لغويٌّ خاصٌّ يتحقّق فيه معنى القصر.

م-الحصر من موجبٍ بمعنى النفي:

وهو قول شوقي في قصيدة يهنئ فيها الخديوي توفيق بقدوم نجليه، مطلعها:
 مَا بَاتَ يُثْنِي عَلَى عَلِيَّكَ إِنْسَانٌ *** إِلَّا وَأَنْتَ لِعَيْنِ الدَّهْرِ إِنْسَانٌ⁴
 إلى أن يقول مادحاً بجلّي الخديوي بعد الشّاء عليهم لطلبهما العِلْمَ، قائلاً:
 تَأْتِي السَّعَادَةُ إِلَّا أَنْ تُسَايِرَهُمْ *** لِأَنَّهُمْ لِمُلُوكِ الْأَرْضِ ضَيْفَانُ

¹ الكهف: 45-46.

² أنت: الخطابُ للخليفة محمد رشاد الخامس.

³ الوثاق: ما يُشدُّ به كالحبل. السّجين: عزيز بك المصري القائد الحربيّ العظيم، وكان يجاهد في طرابلس أيّام ان أغار عليها الإيطاليون، وقد وُشي به للحكومة التّركية فاعتقلته وسجنتهن ولم يخرج إلّا بعد تحقيق وشفاعةٍ مصريّة، كانت هذه القصيدة من بعض أسبابها ومن أجمل مظاهرها. ينظر: شوقي، أحمد، الديوان، تحقيق: أحمد محمد الحوي: 507/2.

⁴ شوقي، أحمد، الشّوقيّات: 614/2. واللّطيفُ هنا، أنّ هذا البيت أيضًا شاهدٌ نحويٌّ على ما نحن بصدد التّهيّة له فيما يأتي بعده.

وشاهدُه في صدر البيت، في قوله: "تَأْتِي السَّعَادَةُ إِلَّا أَنْ تُسَايِرَهُمْ"؛ إذ معنى القصر حاصل فيه من قَبْلِ أَنْ الجملة مصدرٌ بالفعل "يَأْتِي"، وهو موجبٌ لفظاً، ومنفيٌّ معنىً على تقدير: "وَلَا تُرِيدُ السَّعَادَةُ إِلَّا أَنْ تُسَايِرَهُمْ". وبعد الفعل والفاعل في قبل إلا، حُصِرَت الجملة بعده بوساطتها على المفعولية في محلٍ نصب؛ لأنَّ الكلام في تقدير: "وَلَا تُرِيدُ السَّعَادَةُ إِلَّا مُسَايِرَهُمْ".

2- الجملة المحصورة بـ "إِلَّا":

أ- الجملة الحالية:

1- الحال جملة اسمية:

والبيت هو الخامس من قصيدة شعريّة غزليّة مطلعها:

لَا السُّهْدُ يَطْوِيهِ وَلَا الْإِعْضَاءُ *** لَيْلٌ عِدَادُ نُجُومِهِ رُقْبَاءُ¹

إلى أن يقول قبل شاهدنا الشعري مباشرةً مُنَاجِياً محبوبته التي أَرَقَّتْ عينيه، وأطارت عنها

النّوم:

رُقْبَاءُ بِجَفْنٍ كُلَّمَا أَبْكَيْتِهِ *** سَالَ الْعَقِيقُ بِهِ وَقَامَ الْمَاءُ²

وشاهدنا للتّحليل، هو قوله بعده:

- "مَا مَدَّ هُدْبَيْهِ لِيَصْطَادَ الْكَرَى *** إِلَّا وَطَيْفُكَ فِي الْكَرَى الْعَنْقَاءُ"³ - 61/1

إذ يحكي الشاعر أنّه ما مَدَّ "هُدْبَيْهِ"، أي: شعر أشفار الجفن لينام، إلّا وَطَيْفُ هذه المرأة التي يَهَيِّمُ بِحَبِّهَا يتخيّلُه أمام ناظرَيْهِ لفرط الهوى والعشق الذي أخذه منه كلّ مأخذ؛ وهو يريد أن يقول حسب ما يظهر لنا من كلامه، إنّهُ ما أغمض عينيه من أجل النّوم إلّا وَمُنْعُهُ بسبب صورة محبوبه وتمثّلها أمامه رغماً عنه، حتّى صارت هذه الملازمة له في ساعة نومه وكأنّ النّوم الذي جافى

¹ شوقي، أحمد، الشّوقيّات: 60/1.

² العقيق: حجرٌ كريمٌ أحمرٌ تُعْمَلُ منه فصوص، ويريد هنا: الدّمع الأحمر. ينظر: المرجع نفسه: 92/2، الحاشية رقم: 02.

³ الْكَرَى: النّوم. وَالْعَنْقَاءُ: طائرٌ موهومٌ، أي: هو طائرٌ خيالي ورد ذكره في الأساطير العربية القديمة. يمتاز هذا الطائر بالجمال والقوة. ينظر: شوقي، أحمد، الديوان، توثيق وتبويب وشرح وتعقيب: أحمد محمّد الحوفي، 92/2، الحاشية رقم: 03، وموقع: <https://ar.wikipedia.org/wiki>

عينيه صار خيالاً أو سراباً بعيد المنال، كما هي العنقاء الطائر الغريب الأسطوري الذي لم يزل كذلك، وكلُّ كلامٍ عنه هو مجرد أوهامٍ وأقوالٍ لا تتصل بالواقع ولا بالحقيقة بشيء. ولو قلّنا موضعَ الشاهد في بيت شوقي نحوياً، فإنَّ رسمه لهذه الصورة الشعريّة الجميلة الحزينة في الوقت نفسه إنّما تأتّى من مجيئ الجملة الحاليّة الاسميّة حالاً - في محلّ نصبٍ - عن صاحبها ساعة زُقاده دائماً محصورةً بواسطة "إلا" دلالة على هذه الملاصقة لحالة الأرق وتعذر النوم عليه بسبب ما يلاقيه من نار حبّه، وآهات قلبه.

2-الحالُ جملةً فعليّةً:

في قول شوقي:

"وَمَا تَهَلَّلْتَ إِذْ وَفَاكَ دُوْ أَمَلٍ *** إِلَّا وَأَذْهَشَهُ حُسْنٌ وَإِحْسَانٌ" - 614/2

وهذا البيت هو الثاني من القصيدة التي مرّت معنا قبل قليل في تهنئة الخديوي توفيق بعودة نجليه، إذ يمدحه فيه بجوده وكرمه وإحسانه تجاه كلٍّ من وافاه وقصّد بابه طالباً العون والإحسان، وقد عبّر عن ذلك بجملةٍ حصَرَ فيها حالة ردّ فعل طالبي المساعدة من الخديوي توفيق بإصابتهم بالدّهشة من حُسن الخديوي وإحسانه كلّما قصّده محتاج، أو وفّد إلى بابه سائلٌ يسأله من كرمه. والحالُ هنا، هي الجملةُ الفعليّةُ "إِلَّا وَأَذْهَشَهُ حُسْنٌ وَإِحْسَانٌ" المسبوقه بالواو، في محلّ نصب.

3-الحالُ شبه جملة:

لأحمد شوقي قصيدة رائعة جميلة في مدح خير الخلق، وحبيب الحقّ محمّد -صلى الله عليه وسلم- تُعرفُ بـ "نُهج البردة"، مطلعها:

رَيْمٌ عَلَى الْقَاعِ بَيْنَ الْبَانِ وَالْعَلَمِ *** أَحَلَّ سَفْكَ دَمِي فِي الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ¹

¹ شوقي، أحمد، الشوقيّات: 506/2. وهي قصيدة نظمها على نُهج قصيدة البردة لها عدّة أسماء، إذ تُعرف بها كقصيدة البردة، أو قصيدة البرّة، أو الكواكب الدريّة في مدح خير البرية. وقصيدة البردة تعتبر أحد أشهر القصائد في مدح النبيّ محمد (صلى الله عليه وسلم)، وقد كتب قصيدة البردة الشاعر محمد بن سعيد البوصيريّ المشهور بالبوصيريّ، وكتبها في القرن السابع الهجريّ الموافق للقرن الحادي عشر الميلادي. وقد أجمع معظم الباحثين على أنّ قصيدة البردة هذه هي من أفضل قصائد المديح النبوي وأعجبها إن لم تكن أفضلها كلّها على الإطلاق؛ حتى قيل: إنّها أشهر قصيدة مدح في الشعر العربيّ بين العامّة والخاصّة. وقد انتشرت هذه القصيدة انتشاراً واسعاً في البلاد الإسلامية. وهذا مطلعها:

أَمْ تَذْكُرُ حَيْرَانَ بِذِي سَلَمٍ *** مَرْجَحَتْ دَمْعاً جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمٍ

إلى أن قال فيها واصفاً حال العرب حين بعث الله إليهم وإلى الناس كافةً رسول الرحمة محمداً -عليه الصلاة والسلام-:

"أَتَيْتَ وَالنَّاسُ فَوْضَى لَا تَمُرُّ بِهِمْ *** إِلَّا عَلَى صَنِمٍ قَدْ هَامَ فِي صَنِمٍ" - 510/2

وفيه وصف دقيق لحال أمة العرب في شبه الجزيرة العربية قبل البعثة من فساد معتقد، وانغماس في المذات، وعبادة لأوثان وأصنام يصنعونها بأيديهم؛ وقد أجاد شوقي في بيته هذا باستعماله أسلوب الحصر بوساطة إلا التي بينت بدقة ووضوح حالة الضياع والتيهان التي كان يعيش فيها الناس في ذلك الزمن، بتصدير بنفي الجملة بـ "إلا" في قوله "لا تمرُّ بهم"، أي بالناس عامة، قاصراً حالتهم حين المرور بهم والنظر إلى أحوالهم على التثقل من عبادة صنم إلى صنم آخر، وكأثم لفرط جهلهم وفساد معتقدهم كانوا يظنون بفائدة تنويع الآلهة حسبهم والتكثير منها هو ما يُنجيهم، وما يقرّبهم على الله زلفى كما زعموا وتوهموا.

وهو قصر موصوف، وهم الناس حين تمرُّ بهم، وتنظر إلى معيشتهم وحالهم مع العبادة وقت بعث الرسول الكريم -عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم-.

ب- الجملة مفعولاً به:

وشاهدنا الشعري في هذا المقام من قصيدة قصيرة في الغزل، يقول في مطلعها:

عَرَضُوا الْأَمَانَ عَلَى الْخَوَاطِرِ *** وَاسْتَعَرَضُوا السُّمُرَ الْخَوَاطِرُ¹

ليقول بعدها مباشرة:

"فَوَقَفْتُ فِي حَذَرٍ وَيَأُ *** بِي الْقَلْبُ إِلَّا أَنْ يُخَاطِرُ" - 260/1

إذ يصف حاله مع الأحوال الحب والعشق، وكيف أنه ما عاد قادراً على الغوص في بحره لشدة عمقه، وعظمة مخاطره؛ فصار يقف منه حذراً وجللاً، وعلى الرغم من ذلك فقلبه باقٍ على ديدنه ومغامراته في بحر هواه غير أبه بشيء، واصفاً ذلك في أسلوب يملؤه الإحساس بالتنصّل من هواجس قلبه، ومخاطرته، وكأني بشوقي هنا في حوار داخلي عميق، من جهة يُحاول أن يُظهر بأن لا شأن له بعشق قلبه، ولكنّه في أعماق نفسه إنما يتحرّق حباً وعشقا بجمال الجميلات وحسنهن.

¹ السُّمُرُ: الرِّمَاح. والخَوَاطِرُ الثانية: أي: المهتزة. والمراد بالسُّمُرِ الخَوَاطِرُ هنا: القُدود الحِسان. ينظر: شوقي، أحمد، الديوان، توثيق وتبويب وشرح وتعقيب: أحمد محمد الحوفي: 120/2، الحاشية رقم: 01.

وقد جاء أسلوب القصر هنا في جملة لا يتصدّرها نفي، ولا نهي، ولا استفهام على عادة شرط بنائه اللغوي في النفي والاستثناء؛ لأنّ الفعل "يأبى" موجب لفظاً فقط، ولكنّه من جهة المعنى منفيّ كما مرّ معنا، تقدّر الكلام فيه: "لَا يُرِيدُ الْقَلْبُ إِلَّا أَنْ يُخَاطَرَ"، على أنّ المحصور بالاً هنا هو مفعول به منصوب مقدّر من الجملة الفعلية "أَنْ يُخَاطَرَ". وكأنّ بمعنى القصر الحاصل لدينا هنا، من قبيل قصر الموصوف، أي: القلب، على الصّفة، أي: إرادة المخاطرة.

ج-الجملة في موضع أحد معمولي كان وأخواتها:

1-اسم كان:

"لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ خَالِكَ إِلَّا *** أَنِّي مَا حَيْثُ فِي إِجْلَالِهِ"¹ - 451/2

وقد يتساءل القارئ لهذا البيت عن طبيعة صياغته لغوياً؛ إذ كيف يُوجّه سؤال إلى إنسان ميت، - وإن كان هذا قد يحصل في الأدب عامّة حسب مقام النص في الرثاء أو المدح أو غيرهما - ولكننا إذا قرأنا البيت الذي يسبقه بيت واحد، ويقول فيه شوقي:

سَيَقُولُونَ مَا رثَاهُ عَلَى الْفَضِّ *** لَ وَلَكِنْ رثَاهُ زُلْفَى لِحَالِهِ

فجاء الجواب: لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ خَالِكَ إِلَّا *** أَنِّي مَا حَيْثُ فِي إِجْلَالِهِ

إذ الشاهد فيه الجملة الاسمية الواقعة بعد إلّا - المملغة إعراباً لأنّها بمعنى القصر - في محلّ اسم الفعل الناقص "ليس"، وخبره مقدّم عليه وجوباً لأنّه شبه جملة ظرف مكان: "بَيْنِي وَبَيْنَ خَالِكَ" متعلّق بمحذوف خبر تقديره: "ليس موجوداً بيني وبين خالك إلّا إجلالي له ما حيث".

ثانياً: أساليب القصر بوساطة "إنّما":

وهذه أمثلة عن ذلك:

1-حصر المبتدأ في الخبر:

والبيت من قصيدة نظمها شاعرنا في حفل تكريم واصف بطرس غالي، الأديب المصري الكبير، يخاطب فيها شباب الديار قائلاً في مطلعها:

¹ والخطاب في قوله: "لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ خَالِكَ" يُقصدُ به المتوفى سعيد زغلول ابنُ أخت سعد زغلول. وقد كان سعيد بك زغلول شاباً ممتازاً يُنسبُ شبابه عن رجولة مكتملة، ولكنّ المنيّة عاجلته سنة 1922م. وكان حاله سعد زغلول باشا متبنياً له. ينظر: شوقي، أحمد، الديوان، توثيق وتبويب وشرح وتعليق: أحمد محمد الحوني: 523/2، الحاشية الأولى من الهامش مرقمةً برمز نجمة.

غَالٍ فِي قِيَمَةِ ابْنِ بُطْرُسَ غَالِي *** عِلِمَ اللَّهُ لَيْسَ فِي الْحَقِّ غَالٍ¹

إلى أن يقول في خضم حديثه عن لسان العرب المبين، واللحمة المتينة الموجودة بين أهل مصر جميعاً مسلمين وأقباط مؤكداً ومفتخراً:

"إِنَّمَا نَحْنُ مُسْلِمِينَ وَقَبْطًا *** أُمَّةٌ وَحَدَتْ عَلَى الْأَجْيَالِ" - 431/2

إذ صاغه بأسلوب القصر بوساطة "إنما" من أجل إظهار أمر توحد مسلمي مصر وأقباطها على أنه جلي واضح معروف لا اختلاف فيه، ونشك في قوته وتوطده؛ لأن الحرف "إنما" يستعمل أساساً في الأمر المعلوم الجلي، أو ما يُنزل منزلة.

والحصر في بيت شوقي من قبيل قصر الموصوف على الصفة، أي الملمين والأقباط من سكان مصر مقصورون على الوحدة والتماسك فيما بينهم، فجاء المبتدأ "نحن" الجامع لهم محصوراً في خبره أُمَّةٌ وَحَدَتْ، أي موحدّة، ويمكن عدّه قصر قلبٍ لأنّه ردٌّ على اعتقاد في نفس المخاطبين في كلام شوقي قبل هذا البيت؛ من الذين يرون أن الأقباط في مصر أُمَّةٌ مستقلةٌ أو منفصلةٌ عن مسلميها، في قوله:²

يَا بَنِي مِصْرَ لَمْ أَقُلْ أُمَّةٌ الـ *** قَبْطٍ، فَهَذَا تَشْبُثٌ بِمُحَالٍ
وَاحْتِيَالٌ عَلَى خَيَالٍ مِنَ الْجَحْ *** دِ وَدَعْوَى مِنَ الْعِرَاضِ الطَّوَالِ

2- حصر الخبر في المبتدأ:

وشاهدنا الشعري في هذا الباب مأخوذاً من قصيدة رثا فيها أحمد شوقي الشيخ سلامة حجازي³، المنشد والمغني، استهلها بقوله:

¹ شوقي، أحمد، الشوقيات: 430/2.

² المرجع نفسه: 431/2.

³ هو زعيمُ الغناء المسرحي في مصر. وُلد عام 1269-1336هـ/1852-1917م. كان صاحب صوت قوي وحلو. بدأ حياته بإنشاد قصائد الذكر، ثم احترف الغناء والتّمثيل، وظلّ عمدة الغناء المسرحي في الفرق التّمثيلية التي ظهرت في مصر حتى 1916م.

وقد رأى جماعة من أهل الفضل والمروءة أن ينقلوا جثمانه إلى ضريح يتناسب ومكانته، وقد تمّ لهم ذلك. وأقاموا حفلاً تذكاريّاً تمجيداً لذكرى الشيخ سلامة حجازي في ديسمبر 1931، وأنشدت في الحفل هذه القصيدة. ينظر: شوقي، أحمد، الديوان، توثيق وتبويب وشرح وتعقيب: أحمد محمد الحوفي: 520/2، الحاشية الأولى في الهامش، مرقمةً بنجمة صغيرة.

يَا تَرَى النَّيْلَ فِي نَوَاحِيكَ طَيْرٌ *** كَانْ دُنْيَا وَكَانَ فَرْحَةً جِيلٍ¹

إلى أن قال:

"إِنَّمَا مُنَزَّلُ رُفَاتِكَ فِيهِ *** لَبَقَايَا مِنْ كُلِّ فَنٍّ جَمِيلٍ" - 438/2

والشاهد فيه - حسب ظاهر المستفاد من التركيب اللغوي - هو تقديم خبر المبتدأ "مُنَزَّلُ" على المبتدأ "رُفَاتِكَ" لأنه محصور فيه بوساطة إنمّا، ولكن ليس لهذه الجملة بهذا المراد الظاهر المفهوم من القصر أيّة بلاغة أو قصد معنوي يدفع بالشاعر إلى استخدام الحرف "إنمّا" الدالّ على معنى القصر.

ولهذا، فالإشكال الحاصل في إعراب هذا البيت الشعري وكذا في معناه ودلالته بدقّة، يكمن في مجيئ كلمة "لَبَقَايَا" مفتوحة اللام التي قد تكون هنا للتوكيد حسب ظاهر كلام شوقي، وهنا مربوط الفرس؛ إذ يفهم من كلام شوقي، والله أعلم، أنّه إنمّا يريد القول في حقّ الشيخ سلامة حجازي: "إنمّا رُفَاتُكَ المُنَزَّلُ فِيهِ، أي في الضريح، لَبَقَايَا مِنْ كُلِّ فَنٍّ جَمِيلٍ"، وتصير بذلك دلالة إنمّا على القصر هنا، على أنّ "المنزل في الضريح ليس إلّا بقايا من كلّ فنّ جميل باعتبار رفاتك التي هي في الأصل جسم من لحم ودم - حين كان حيّاً يُرْزَقُ - كان هو السبب في ترك هذه الآثار الطيبة من فنك الراقي"، والله أعلم.

3- حصر الفعل في الفاعل:

- "إِنَّمَا يُنْكِرُ الدِّيَانَاتِ قَوْمٌ *** هُمْ بِمَا يُنْكِرُونَهُ أَشْقِيَاءُ" - 25/1

وهو بيت ختم به مقطوعة شعريّة نظمها شوقي في حقّ نبيّ الله عيسى - عليه السلام -، وفيه قصر لصفة إنكار الديانات على موصوف، هم قوم أشقياء بما ينكرونه. والمعنى هنا، أنّ من كان له عقل يفكر به، وفطرته سليمة نقيّة لا بدّ له ان يهتدي إلى طريق الحقّ والهدى لوحده، فيعرف بأنّ لهذا الكون الفسيح خالقاً وبارئاً وموجداً سبحانه جلّ في علاه، كما عبّر عنه في البيتين قبله مباشرة:

إِنَّمَا الْأَرْضُ وَالْفَضَاءُ لِرَبِّي *** وَمُلُوكُ الْحَقِيقَةِ الْأَنْبِيَاءُ
لَهُمُ الْحُبُّ خَالِصاً مِنْ رَعَايَا *** هُمْ وَكُلُّ الْهَوَى لَهُمُ وَالْوَلَاءُ²

¹ شوقي، أحمد، الشوقيات: 438/2.

² شوقي، أحمد، الشوقيات، تحقيق: يحيى شامي: 24/1.

بعكس الإنسان الشقي الذي إنما يشقى ويخسر بإنكاره للخالق والديانات التي خص بها الرب تعالى الإنسانية على مراحل مختلفة بإرساله الرسل والأنبياء إلى الأمم في كل زمان ومكان إلى أن خُتِمت رسالات السماء ببعثة سيد الخلق محمد -عليه الصلاة والسلام-.

وكأن المعنى هنا، "لا يُنكر الديانات إلا مَنْ كان شقياً بإنكاره أصلاً، أما سليم الفطرة، ونقي الصدر لا يمكنه إلا أن مؤمناً مُصدّقاً برب الكون دياناته السمحة النقية المختلفة.

4- حصر الفعل المسند إلى نائب الفاعل:

"إِنَّمَا مِنْ كِتَابِهِ يُتَوَفَّى الذُّ *** مَرَّةً لَا مِنْ شَبَابِهِ وَآكِتِهَالِهِ" - 450/2

وواضح من بيت أحمد شوقي هذا، أنه يُصرّح معتقداً اعتقاداً جازماً بأن الآجال إنما هي بيد الله جلّ في علاه، فهو خالقها ورازقها، وحافظها، وهو مُتَوَفِّيها حين تُحْضِر ساعة رحيلها من دون تأخير ولا تقديم عن الأجل المحدّد لها، كما جاء ذلك مبيناً في عدّة مواضع من كتاب الله المجيد، كقوله تقدّست أسماؤه وجلّ شأنه: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.¹

وفي بيت شوقي تصويرٌ دقيقٌ لهذا المعنى بأسلوبٍ لغويٍّ بلغ من معاني الجمال والبلاغة والرّوعة شأواً بعيداً؛ في مقام رثائه لسعيد زغلول ابن أخت سعد زغلول الذي تُوفي شاباً²، من قبل أنّ تعبّره عن وفاة الإنسان التي هي بيد الله وحده، قد وظّف فيه ثلاثة أساليب للقصر دفعةً واحدة، وهي: "إنّما"، والتّقديم، والعطف بوساطة "لا"؛ واجتمعت كلّها للتأكيد والتّدقيق على هذا المعنى درءاً لأيّ شكّ، أو مجرّد تخمينٍ على أنّ أسباباً ظاهرةً للناس كالمرض، والهزم، وغيرهما، هي التي تُنهي حياة الإنسان مجرّدةً من مشيئة الله تعالى، نعوذ بالله من كلّ اعتقادٍ فاسدٍ، أو شبهةٍ في الإيمان بقضاء الله وقدره، وأنّه الحقيقة الساطعة والتي نؤمن بها ونعتقدها، هي أنّ الله سبحانه هو وحده المحيي والمميت دون سواه، وأمّا الأسباب الظاهرة للموت تبقى بالنسبة إليه سبحانه مجرّدة أسبابٍ يُقدّرُها هو سبحانه بعلمه وحكمته ومشيّته.

5- حصر المفعول به:

"لَمْ يَخْطُ لِلنَّاسِ يَوْمًا كَفَنًا *** إِنَّمَا خَاطَتْ بَقَاءً وَكَيَانًا" - 630/2

¹ الأعراف: 34.

² وقد مرّ معنا بيتٌ في هذه القصيدة في مقام التمثيل لمعمولي كان التاقصة من هذا المبحث التّطبيقي.

وهذا البيت مثال عن أساليب القصر التي جاء فيها المفعول به محصوراً بإثماً، وهو من قصيدة نظمها في مدح أحد الجراحين المشهورين آنذاك وهو علي بك إبراهيم، ويصفه فيه بأن يده الطيبة لعلم صاحبها بالطب، ومهارتها في تخص الجراحة الطيبة كانت دائماً عنواناً للخير والشفاء بعد نجاح تدخلاته الجراحية على المرضى بإذن الله، قاصراً آثار يده التي يقوم بها بعمله هذا على معاني حياة الإنسان محفوظة قائمة بعيدة عما يمكن أن يحدث من أخطاء طبية في الجراحة وما شابهها بمشيئة الرحمن؛ وهو لذلك قد استعمل "إثماً" لإظهار الأمر وكأنه معروف ومعلوم لدى العامة والخاصة، ولا مجال للشك فيه. وشوقي يباليغ ربما في وصفه هذا إطرأً على ممدوحه، وثناءً عليه، بدليل قوله في البيت السابق له:

يَدُ إِبْرَاهِيمَ لَوْ جِئْتَ لَهَا *** بِذِيحِ الطَّيْرِ عَادَ الطَّيْرَانَا

وهي لا شك مبالغة كبيرة، بل إنه ممتنع ومحال؛ من قبل أن الله وحده هو محيي الموتى دون سواه. ولكننا نلتبس للشاعر في بيته هذا، أنه إنما قصد بذيح الطير المجرّح منه، أو المصاب الي لم تفارق روحه جسده، وعبر عنه بجملة "ذيح الطير" مبالغة في المدح لا غير.

6- حصر خبر (كان):

- "أَنْتُمْ غَدًا أَهْلُ الْأُمُورِ وَإِثْمًا *** كُنَّا عَلَيْكُمْ فِي الْأُمُورِ وَفُودًا" - 229/2

وفي هذا البيت، يخاطب الشاعر شوقي شباب النيل بخاصة وشباب مصر عامة مادحاً لهم، رافعاً همهمهم، بوصفهم رجال الغد الحاملين لواء المسؤولية في بناء دعائم الأمة وأسس نهضتها. والشاهد فيه، ورود خبر "كان" كلمة "وفودا" محصوراً بإثماً لأنه مؤخر عن اسمها المستتر فيها، وتقديره "نحن" العائد على ضمير المتكلمين طبعاً.

7- حصر ظرف الزمان:

"وَمَا زِلْتُ فِي رِيحِ الشَّبَابِ وَإِثْمًا *** يَشِيبُ الْفَتَى فِي مِصْرَ قَبْلَ أَوَانٍ" - 656/2

ولأن مصر، حسب كلام شوقي، أرض جميلة ونساؤها رمزٌ للحسن والجمال والبهاء؛ فقال معبراً عن ذلك: "وإثماً يَشِيبُ الْفَتَى فِي مِصْرَ قَبْلَ أَوَانٍ"، فهو يجعل مسألة الشيب الذي زاره واستوطنه عاديةً بالنسبة إليه، وإلى كل من يعيش في بلاد مصر، معبراً عن ذلك بصيغة القصر بإثماً؛ لأنه يريد أن يُظهر في هذا البيت يشكو قلة حيلته وضعفه تجاه ما يعانيه من ألم الهوى وحنينه إلى أيام شبابه ومرحه، وكأنه يقول: "طبيعي أن يشيب شعر رأسك يا من تقطن مصر، فلا تفزع ولا

وتظنّ بنفسك الهرم والكبر، فما أنا كما ترون، ما زلتُ شاباً يافعاً وقد تلَوّنَ شعر رأسي بالبياض؛
والشاهدُ فيه حصرُ ظرف الزّمان "قَبْلَ أَوَانٍ"، والمعنى: أَنَّ الرَّجُلَ صاحبَ القلب الرّقيق والإحساسِ
المرهف لا يشيُبُ بفعل تراكم سنوات عمره، ولكنّه لا يشيُبُ لأنّه يعيش في أرضٍ بها النّساءُ
جميلاتٌ ساحراتٌ لا يملكُ قلبُك إزاءَ حُسنهنّ دَفْعاً ولا تجاهلاً ولا كِتْماناً !

8- حصر شبه الجملة:

"لَمْ أَلْتَمِسْ عَرَضَ الْحَيَاةِ وَإِنَّمَا *** أَفْرَضْتُهُ فِي اللَّهِ وَالْمَخْتَارِ" - 269/1

والشاهدُ فيه قصرُ فعل الولاء والحب لممدوحه في هذه القصيدة على أنّه خالصٌ لله ولنبيّه
- عليه الصّلاة والسّلام - لا يتبغي به شيئاً من عرض الدّنيا الزّائل، ومُلْكِها الحائل.

9- حصر نائب الفاعل:

"إِنَّمَا يُبْكِي شُعَاعٌ نَابِعٌ *** كُلَّمَا مَرَّ بِهِ الدَّهْرُ أَضَاءَ" - 13/1

قولُ شوقي في قصيدة يرثي بها سيّد درويش في مطلع البيت الخامس، وهو: "إِنَّمَا يُبْكِي
شُعَاعٌ نَابِعٌ"¹ الذي أراد به شوقي مدحَ سيّد درويش في رثائه له؛ وهو هنا يأتي كلام طيّب مؤثّر في
النّفس حقّاً؛ إذ يُقَرُّ وينصّ صراحةً في جملةٍ محصورةٍ بالأداة "إِنَّمَا" بأنَّ مَنْ يستحقُّ الرّثاءَ والذّكرَ
الجميلَ بعد موته هو ذلك الإنسان الذي كما جاعلي لسان شوقي في تتمة البيت، هو مَنْ: "كُلَّمَا
مَرَّ بِهِ الدَّهْرُ أَضَاءَ"، أي كلّما ذُكر اسمه في محفلٍ، أو موقفٍ، أو مناسبةٍ ما سطعَ اسمه كما تسطعُ
النّجمة المتألّلة في السّماء.

ولأنّ مكانة سيّد درويش كما يظهر كانت عاليةً في نفس شوقي وقلبه؛ فقد أتى بالتعبير
الأقوى في التعبير عن حبّه لصديقه هذا واعتزازه به وإبراز مكانته لديه؛ وهي استخدام أسلوب
القصر بالحرف "إِنَّمَا" التي وليها مباشرة الفعل المضارع المبني للمجهول "يُبْكِي" المقصور على كلمة
"شُعَاعٌ" - المنعوتة بلفظة "نَابِعٌ" وهي المقصورُ عليه هنا، وهي المقصودةُ بها الشّخصُ المرثيُ "سيّد
درويش"؛ مبالغةً في الحبِّ له وإكرامه وذكره بالخير بعد موته؛ لأنّ الحرف "إِنَّمَا" كما رأينا في
الدّراسة النّظريّة عند البلاغيّين تُستعمل للقصر لأحد معنيّين، هما: إمّا للمعلوم أو المنزل منزلةً
المعلوم. وعلى هذا، يمكن القول إنّ كلام شوقي هذا في رثاء صديقه سيّد درويش "إِنَّمَا يُبْكِي شُعَاعٌ

¹ ينظر: شوقي، أحمد، الشّوقيّات، تحقيق: يحيى شامي: 13/1.

نابغ" يجوز دلاليًا عدّه من الكلام المعلوم لجيئه محصوراً بآئما؛ لأنّ في الحقيقة والواقع من يستحقّ البكاء والحزنّ على موته وفراقه هذه الدنيا هو ذلك الإنسان المحبوب لأخلاقه، وعلمه، وتواضعه، وسيرته الطيبة بين الناس؛ فهم بموته سيفقدون لا محالة رمزاً لخير والإحسان والفائدة، وهذا واضح بيّن لا مرية فيه.

ولكنّ، ما يجب التنبيه عليه هنا، هو أنّه إنّ نحن اعتدنا بأنّ الإنسان المرثي هنا -سيد درويش- معروف لدى فئة من الناس فقط من أهله والمعاصرين له بعيدين كانوا أو قريبين مثل شاعرنا شوقي، ولكنّه حتماً يكون غير معروف لدى أناس آخرين كثر سواءً من المعاصرين له أو من الذين جاؤوا بعده؛ ومن هذا المنطلق يمكننا طبعاً؛ فإنّه يمكن عدّ جملة "إنّما يبكي شعاع نابغ" من الكلام المنزّل منزلة المعلوم أيضاً على الأقل بالنسبة إلى هذه الفئة من الناس.

10- الحصر بالأداة (إنّما):

يقول شاعرنا في مقطوعة شعريّة غزليّة استهلّها شاكياً جفاء محبوبته تجاهه، بقوله:¹

عَلَّمُوهُ كَيْفَ يَجْفُو فَجْفاً *** ظالماً لَا قَيْثَ مِنْهُ مَا كَفَى

إلى أن يقول مباشرة قبل شاهدنا الشعريّ متأسفّاً متحسّراً على نقض مَنْ يُحِبُّ عهده معه:

صَحَّ لِي فِي الْعُمُرِ مِنْهُ مَوْعِدٌ *** ثُمَّ مَا صَدَقْتُ حَتَّى أَخْلَفَا

وبعده، يقول: "وَيَرَى لِي الصَّبْرَ قَلْبٌ مَا دَرَى *** إِنَّمَا كَلَّفَنِي مَا كَلَّفَا" - 386/2

والشاهد فيه، استعمال الحرف "إنّما" الدالّ على معنى القصر، تماماً كنظيره "إنّما" مكسور الهمزة، وهو هنا يشكو إضرار قلبه العاشق به، على الرّغم من صبر على جفاء محبوبته وخلفها وعده معه، وقد جاءت أنّما مفتوحة الهمزة لأنّ الجملة بعدها في محلّ نصبٍ مفعولٍ به للفعل "دَرَى" المنفيّ بـ "ما"، ويصحّ أن تقع بدلا عنها "إنّما" المكسورة الهمزة لو جاءت في صدر الكلام، فنقول: "إنّما كَلَّفَنِي مَا كَلَّفَا". والتّقدير في معنى شاهدنا هذا بأنّما مفتوحة الهمزة، كأنّه على: "أنّ الذي كَلَّفَنِيه قلبي العاشق المسكين ضررٌ عليّ كبيرٌ، ووقعه على نفسي خطير، وليس لي أمام هواك يا قلبي سوى تسليم أمري لربيّ العليّ القدير؛ فهو أعلم بحقيقة ضعفِي وقلة حيلتي سبحانه جلّ وعلا".

¹ شوقي، أحمد، الشوقيّات، تحقيق: يحيى شامي: 386/2.

ثالثاً: أساليب القصر بطريق العطف:

في الحقيقة، إنَّ استخراج أساليب القصر بطريق العطف من الشوقيّات " تطلّب وقتاً وجهداً لقلّتها نسبياً مقارنةً بطرق القصر الأخرى المتناثرة في ثنايا ديوان شاعرنا هنا وهناك. ولكن رغم ذلك، فإنه قد تمّ حصرها، وسنورد هنا بعض الأمثلة عنها للتطبيق عليها نحوياً وبلاغياً.

1- "لا" العاطفة:

وأوّل مثال لنا في هذا الصّدّد من قصيدة لشوقي ألّفها بمناسبة مشروع 28 فبراير، وهو قوله

في البيت الخامس والثلاثين منها، وهو:

عَلِمْتُ أَنَّ وَرَاءَ الضَّعْفِ مَقْدَرَةٌ **** وَأَنَّ لِلْحَقِّ لَا لِلْقُوَّةِ الْعَلْبَا¹

الّذي يتّضح فيه جلياً وجهه تحقّق معنى القصر؛ أنّه جاء بطريقتين معاً، هما تقديم ما حقّه التأخير أولاً، والمتمثّل في شبه الجملة المقدّمة: "لِلْحَقِّ"، وبوساطة حرف العطف "لا" ثانياً؛ لأنّ أصل الكلام من تقديم وتأخير يكون على تقدير: "الْعَلْبَةُ لِلْحَقِّ لَا لِلْقُوَّةِ"؛ ويكون حينذاك القصر بطريق واحدٍ وهو العطف بـ "لا". وهو المعنى المراد هنا من أصل البيت الشعريّ في القصيدة كما ثبت؛ غير أنّ ازدواجيّة التّدليل على أنّ للحقّ الغلبة وليس للقوّة كما يعتقد البعض - كما يقال: الحقّ يعلو ولا يُعلَى عليه - بتقديم شبه الجملة أولاً وبوساطة لا العاطفة ثانياً؛ زاد دلالة القصر قوّةً، وتأكيد المعنى العامّ للبيت الشعريّ نصاعةً ووضوحاً.

وإذا نحن أردنا تأصيل البيت من شقّه البلاغيّ؛ فواضحٌ هنا بأنّه من قبيل قصر القلب باعتبار أنّ المخاطب بهذا الكلام كان يعتقد أنّ الغلبة والنّصر إنّما يكونان بحوزة من بيده قوّة العتاد والسّلاح، فجاءه الرّدّ الصّارم والتّصحیح الجليّ الذي لا غبار عليه بأنّ الغالب دائماً إنّما يكون في صفّ الحقّ ولو قلّت عُدَّتُهُ وعتادُهُ. أمّا المتعطّرسُ بقوّته المادّيّة وجبروته الزّائف، فليس إلّا هشيماً تذروه رياح الحقّ؛ لأنّ الله هو الحقّ، زمنٌ ذا يقدر على غلبة الله مالك الملك سبحانه جلّ في علاه؟!

2- "بلّ":

1- "يَا فَاتِحَ الْقُدْسِ خَلِّ السَّيْفَ نَاحِيَةً *** لَيْسَ الصَّلِيبُ حَدِيداً كَانَ بَلّ خَشْباً" - 99/1

¹ شوقي، أحمد، الشوقيّات، تحقيق: يحيى شامي: 99/1.

ويرى أحد الدارسين، أنه «لا شك أن شوقيًا كان ناظمًا ممتازًا، وإن لن تعدم لديه ركائز في النظم أحيانًا، أعياه أن يتخطأها اقتدازه على الصوغ والتركيب. تجد ذلك في مثل قوله: "ليس الصليب حديدًا كان..."، في بيته:

يا فاتح القدس خلّ السيف ناحية *** ليس الصليب حديدًا كان بلّ خشبًا
فجمع ناسخين، "ليس" و"كان"، لما أعياه أن يصوغ البيت صياغةً مستقيمة الوزن. وتلك تحدّيات البحور الشعريّة لمن يركبها! وإنما قوله "ليس الصليب حديدًا كان" بمعنى: "لم يكن الصليب حديدًا قط"، غير أنّ مضائق الوزن ألجأته إلى هذا التركيب المتلوي: "ليس الصليب حديدًا كان!" ولقد كان سيؤدّي معناه، بشعريّة أفضل، وسويّة أسلوبية متّسقة، لو قال، مثلاً:

يا فاتح القدس خلّ السيف ناحية *** هلّ الصليب حديدًا كان؟ أمّ خشبًا؟!
وصيغة الطلب والتساؤل أشعر من صيغة الإخبار والتقرير. ولا ريب في أنّ في مذهب (شوقي) الشعريّ صنعةً بدعيّةً، أكسبته من الموسيقى الداخليّة أشجاها، على طريقة (البحري)، الذي أراد أن يُنشد شعراً فعّي، كما وصف القدماء».¹

والشاهد فيه حصول معنى القصر بوساطة حرف العطف "بلّ" لجيئ الجملة منفيّةً بليس الناقصة كون الصليب لم يكن حديدًا، وإنما كان خشبًا، وهو من قبيل قصر القلب لقلبه اعتقاد المخاطب به.

رابعاً: أساليب القصر بتقديم ما حقّه التأخير:

وحظّها كبيرٌ ومهمٌّ جدّاً في "شوقيّات" شاعرنا، نذكر منها للتّمثيل لا الحصر ما يأتي:

1- تقديم المسند إليه على المسند:

ونورد هنا ما أورده في قصيدته الجميلة التي مدح فيها النّبيّ محمّداً - صلى الله عليه وسلم -، وجاءت في أنماط وأشكال مختلفة رائعة، منها قول شوقي في البيت الحادي عشر في مقام حديثه عن نسب رسولنا الكريم الشّريف، وأصله الطّيب الضّارب في بيت النّبوة بكلّ جذور الشّرف العظيم، والعزة الرّاقية السّامية، إذ يقول مادحاً:

¹ الفيفي، عبد الله، "قراءات نقدية - شوقي في ميزان الشعر!". عن موقع:

<https://www.almothaqaf.com/b/readings-5/943808>

هُمْ أَذْرَكُوا عِزَّ النَّبَوَّةِ وَانْتَهَتْ **** فِيهَا إِلَيْكَ الْعِزَّةُ الْقَعَسَاءُ

والشاهد هنا، في تقديم المسند إليه، وهو هنا الضمير المنفصل "هُمْ" مطلع البيت دلالة على حصر صفة إدراك عِزَّ النَّبَوَّةِ فيهم وحدهم من دون تجاوزها إلى غيرهم من الأنبياء -عليهم الصَّلَاةُ والسَّلَام-، أي: سلالة رسول الله محمد -صلواتُ ربِّي وسلامُهُ عليه- الطَّيِّبَةُ الطَّاهِرَةُ الشَّرِيفَةُ مِنْ إِسْمَاعِيلَ إِلَى آدَمَ -عليهم السَّلَام جميعاً-؛ إذ هل بعد كل هذا العِزَّ عِزٌّ؟ وهل بعد هذا النِّسْل الكريم نسلٌ؟ لا، وا الله، إِنَّهُ لِلنِّسْلِ الطَّيِّبِ الكامل، وإِنَّهُ لَلشَّرَفِ العظيم الشَّامِل !

2- تقديم شبه الجملة الواقع خبراً عن المبتدأ:

ومن نماذج تحقق دلالة القصر بوساطة تقديم شبه الجملة جارّ ومجرور المتعلق بخبر للمبتدأ المؤخّر للقصر، نورد هنا بيت شوقي في مقطوعةٍ شعريّةٍ رائعةٍ ورائقة، مطلعها:

رَبِّ شَقْتُ الْعِبَادَ أَزْمَانٌ لَا كُنْتُ **** بِّهَا يُهْتَدَى وَلَا أَنْبِيَاءُ
ذَهَبُوا فِي الْهَوَى مَذَاهِبَ شَيْئٍ **** جَمَعَتْهَا الْحَقِيقَةُ الزَّهْرَاءُ¹

إلى أن يقول:

"وَإِذَا أَهْلُوا النَّبَاتَ فَمِنْ آ **** نَارِ نُعْمَاكَ حُسْنُهُ وَالنَّمَاءُ" - 22/1

وهو في هذا البيت يردُّ على قدماء المصريين اعتقادهم الفاسد من تعظيمهم لمخلوقات طبيعيّة كالنبات وعبادتهم إِيَّاه من دون الله، مُبرِزاً أَنَّهُ سبحانه هو الاحقُّ بتخصيصه بالعبادة والتَّجِيل والاستعانة لأنَّ النبات أو أيِّ مخلوقٍ آخر إنما هو مِنْ بَدِيعِ صُنْعِ الْبَارِي وعظيم قُدْرته؛ معبراً عن ذلك بصيغة القصر بتقديم شبه الجملة جارّ ومجرور "فَمِنْ آتَارِ نُعْمَاكَ" المتعلق بخبر المبتدأ محذوف على المبتدأ المؤخّر "حُسْنُهُ"؛ حصراً لسبب نماء النبات وجمال منظره ولونه وحُسنه على خالق السَّمَاوَات والأَرْض ربَّ العِزَّةِ جَلَّ فِي عِلَّاه. والأصل في الكلام أن يجيئ على شاكلة: "وَإِذَا أَهْلُوا النَّبَاتَ، فَحُسْنُهُ وَنَمَاؤُهُ مِنْ آتَارِ نُعْمَاكَ"؛ وَقُدِّمَ وَأُخِّرَ لَعَلَّ الحصر كما سبق.

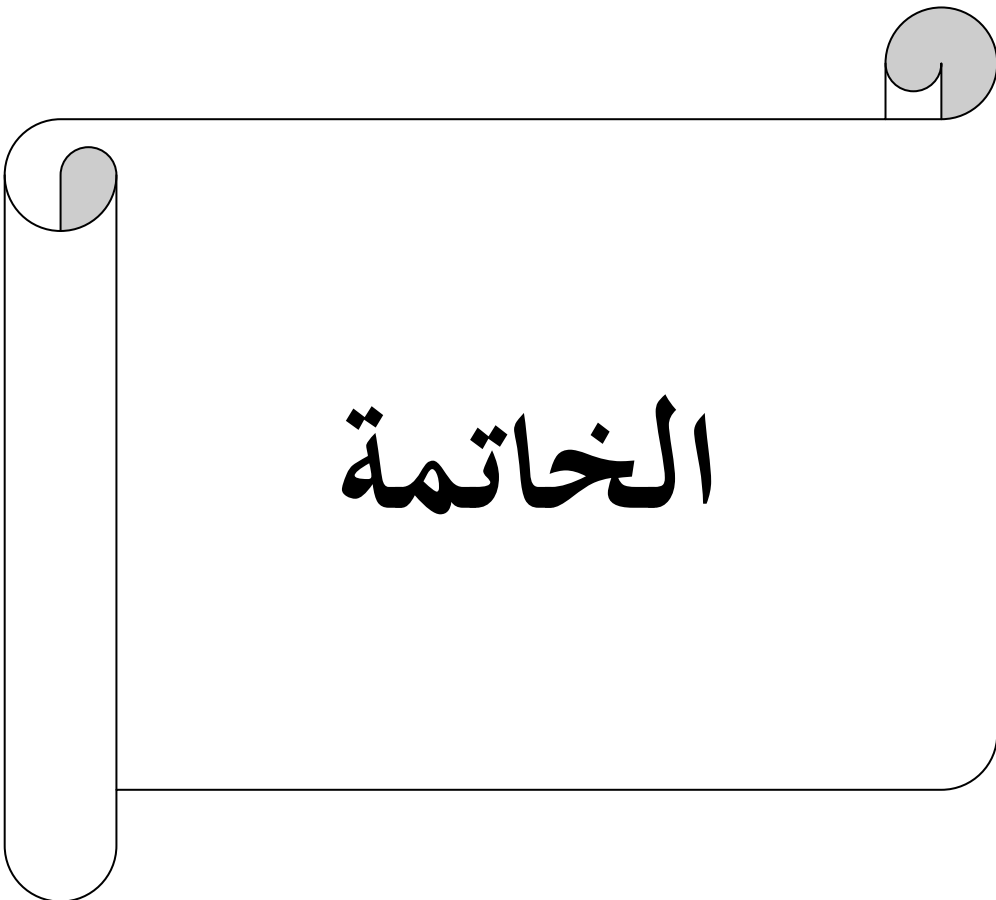
¹ شوقي، أحمد، الشوقيّات، تحقيق: يحيى شامي: 22/1. شَاقَّةُ الْحَبِّ إِلَيْهِ: هي وجود الله وتوحيده، ولقد تنوّعت ديانَةُ المصريين القدماء، فكانوا في أوّل أمرهم يعتقدون بوجود إلهٍ واحدٍ، وَرَمَزَتْ لَهُ كُلُّ قَبِيلَةٍ بِرَمَزٍ خاصٍّ، ثُمَّ رَمَزُوا لصفات هذا الإله بِرَمُوزٍ صارت بعدئذ معبوداتٍ، ثُمَّ عَبَدُوا الكائناتِ الطَّبِيعِيَّةَ الَّتِي لَهَا تَأْتِيرٌ مُحَسُّوسٌ كَالشَّمْسِ والقمر والليل، ثُمَّ اعتقدوا بحلول الآلهة في أجساد الحيوان؛ فَعَبَدُوا الْعِجْلَ (أبيس)، وَالْقَطْطَ وَالْكَلبَ وما إلى ذلك. ينظر: شوقي، أحمد، الشوقيّات: كلمات عربيّة للترجمة والنشر، د.ط، د.ت: 38/1، الحاشية رقم: 50.

3- تقديم الخبر على المبتدأ:

ولتقديم خبر المبتدأ على المبتدأ للدلالة على معنى القصر، نمثل بهذا البيت الشعري:

- "مُخْطِئٌ مَنْ ظَنَّ يَوْمًا *** أَنَّ لِلتَّلْعَبِ دِينًا" - 634/2

والبيت من شعر الحكايات من قوله في التلعب والديك؛ إذ يختتم قصيدته هذه بقول الديك الحكيم الذكي لرسول التلعب إليه بتعزية التلعب من لعبة المكر والخداع التي يجيد ممارستها من أجل قضاء مصالحه والوصول إلى تحقيق مآربه؛ مخبراً عنه ومؤكداً أن كل من ظن أن للتلعب ديناً، وأنه قد يكون له يوماً دينٌ يهتدي به ويسير وفق تعاليمه، فهو مخطيئ لا محالة. وقد دلت على ذلك بتقديم خبر المبتدأ "مُخْطِئٌ" على مبتدئه اسم الموصول "مَنْ" لمنع أي شك في حصر كل من ظن بالتلعب خيراً أو أن له ديناً في صفة الخطأ وانحراف التقدير. ولو أردنا مثلاً التعبير عن هذا المعنى بأساليب القصر الأخرى مع اختلاف بعض الدلالات بينها طبعاً، فنقول عنه بطريق النفي والاستثناء: "ما الظأن أن للتلعب ديناً إلا مُخْطِئٌ"، وبإثبات: "إنما من ظن أن للتلعب ديناً مُخْطِئٌ لا مُصِيبٌ"، وبطريق العطف، كأن نقول بالحرف "لكن" مثلاً: "ما الظأن أن للتلعب ديناً مُصِيباً ولكن مُخْطِئٌ".



الخاتمة

وفي الأخير، وبعد هذا العرض في القسم النظري لدراسة النحويين والبلاغيين لموضوع القصر أولاً، وبعد التطبيق على النماذج المختارة من ديوان الشاعر أحمد شوقي ثانياً، نورد الآن أهم النتائج التي توصلنا إليها، في هذه البحث، وهي كما يأتي تباعاً:

1- تتميز اللغة العربية بتنوع الأساليب اللغوية التي تساهم في تطور مبنى الكلمات، والجمل المستخدمة في كتابة النصوص النثرية والشعرية، وغيرها من أنواع النصوص الأخرى، كما تساعد الكاتب على اختيار الأسلوب المناسب لصياغة نصّه بطريقة صحيحة ومميزة، مما يساهم في تحقيق التأثير المطلوب في القراء؛ لأنه كلما تم ترتيب الأفكار بطريقة صحيحة ومنظمة ساهم ذلك في توصيلها إلى الهدف المطلوب منها؛ ولذلك فعندما يتم استخدام تنسيق متزن ومرتب للنص المكتوب بالاعتماد على أساليب اللغة العربية في التعبير عن الكلمات عندها ينجح النص في توضيح الفكرة الرئيسية الخاصة به، ويطلق على الوسائل والطرق المستخدمة في الكتابة مسمى أساليب البلاغة.

2- معروف، أن علم البلاغة في اللغة العربية يُقسّم إلى ثلاثة أنواع من العلوم، أو الأساليب البلاغية؛ وهي: وعلم البيان، وعلم البديع، وعلم المعاني، ولكل منها مجال بحثه، وزوايا اهتمامه. فإن كان علم البيان هو العلم اللغوي البلاغي الذي يبحث عن إيصال المعنى الواحد، أو الفكرة بأكثر من أسلوب، وإذا كان علم البديع هو العلم الذي يبحث في تحسين الكلام اللفظي أو المعنوي؛ هذا، فإن علم المعاني هو العلم الذي يختص بالمعاني والتراكيب، ويدل على الاستخدام المناسب للكلمات؛ ليعبر عن الموقف بأفضل صورة ممكنة، ولا ينظر هذا العلم إلى التراكيب المفردة أو الجمل الجزئية فقط، بل يهتم بدراسة النص كاملاً؛ لأن التعبير اللفظي يتحدّث عن حدث معين؛ فإذا عرّف القارئ معاني الكلمات عندها يتمكن من معرفة أحوال الألفاظ، والتي تتطابق مع صور الكلام المختلفة، وتساعد على معرفة معانيها بطريقة واضحة، ويُقسّم علم المعاني إلى مجموعة من الفروع، ومن أهمها الخبر والإنشاء؛ إذ إن الكلام في اللغة العربية إما أن يكون خبراً، أو إنشاءً.

3- تكامل علمي النحو وعلم المعاني وتلاقيهما في بحث تركيب الجملة العربية وصميم أساليبها، خدمة للمعنى وطرق أدائه؛ وارتكازاً على أن أسلوب القصر يعدّ واحداً من أساليب اللغة العربية الذي لا يخلو منه كلام العرب شعراً ونثراً، جاء هذا البحث حول موضوع أسلوب القصر المدرج تحت هذه الرؤية اللغوية المتكاملة الشاملة في دراسة الأسلوب العربي؛ لأنه من المواضيع التي يشترك في دراستها النحوي والبلاغي معاً بالنظر إلى كونه إحدى حالات الاستثناء الأربع من جهة،

وواحداً من أهم فصول علم المعاني التي خصّها البلاغيّون بدراسة دقيقة ومفصّلة في عموم مصنفاتهم من جهة أخرى.

4- موضوع دراسة "علم النّحو" إنّما هو الكلام العربيّ والوقوف على أساليب نظمه وتركيبه؛ فهو يفسّر العلاقات بين كلمات الجملة وبين جمل الفقرة، وينظر إلى تركيب الكلام وتأليفه من حيث الصّحة والاستقامة على وفق قوانين العربيّة من جهة، وأنّ النّحو والبلاغة توأمان متلازمان لا يمكن الفصل بينهما؛ من قبل أنّه إذا كان النّحو ينظر في تركيب الكلام من حيث الصّحة والاستقامة، وهو لهذا كان إلى جانب علم التصريف، -أو علم الصّرف- من علوم التّصحيح، فالبلاغة تبدأ من حيث ينتهي النّحو، لأنّها تتجاوز الصّحة والاستقامة إلى الجودة والرّداءة والفروق والدّقائيق بين ضروب النّظم المختلفة ما دامت من علوم التّفصيح، وتتمّ بجماليّة النّصوص وشعريّتها من جهة أخرى. ولعلّ أبرز من أبرز علاقة علم النّحو بالبلاغة، وبعلم المعاني على وجه الخصوص هو شيخ البلاغة العربيّة عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) من خلال ابتكاره نظريّة النّظم اللّغويّة الشهيرة القائمة على وضع الكلام الموضوع الذي يقتضيه "علم النّحو"، والعمل على قوانينه وأصوله، ومعرفة مناهجه التي تُهجّت وعدم الخروج عنها.

5- إنّ دراسة مبحث أسلوب القصر من قبل علمائنا القدامى الأجلّاء لم يكن مقصوداً لذاته بالخصوص عند علماء النّحو واللّغة عموماً؛ لأنّ الثّابت عنهم أنّ تناولهم لهذه الظّاهرة اللّغويّة جاء مفرّقاً في كتبهم متناثراً بين فصول مصنفاتهم النّحويّة، سواءً ما تعلّق منها بمبحث الاستثناء الذي حوى أهمّ أحكام موضوع القصر، وضوابطه بصفة دقيقة إلى حدّ بعيد؛ باعتبار أنّ "القصر" إنّما هو المعبّر عنه عند النّحويّين بالاستثناء المفرّغ أو النّاقص، أم من خلال تناولهم لعمل بعض الأدوات النّحويّة كلّها، وسوى، وغير، ولما، وبعض حروف العطف، بخاصّةٍ منها: لكنّ، وبلّ، ولّا.

6- أمّا عن نظيرتها الحديثة ليس بالكمّ الذي يمكنه أن يغطّي جوانب هذه الظّاهرة اللّغويّة جميعها؛ لأنّها تراوحت عموماً بين مؤلّفات حاول فيها أصحابها تبنيّ أسرار القصر في القرآن الكريم، وبين كُتب قليلة جداً تعمّقت بشكل جميل في دراسة تراكيب القصر اللّغويّة، وأخرى جمعت بين التّأصيل لمصطلح القصر في الدّرس اللّغويّ العربيّ من نحو وبلاغة، وبين الغوص في أعماق الأسلوب العربيّ من خلال النّظر في طرق القصر المختلفة، والفروق الكامنة بينها إعراباً وبلاغةً ودلالةً، وبين كتب اعتمدت فيها أصحابها المنهج الدّراسيّ في التّأليف المرتكز على البساطة في طرح الموضوع، وطرح

الأسئلة حول جمل ونصوص تتضمن أساليب اختصاص، ومن ثمّ الإجابة عنها بنوع من الشرح والتوضيح والاستشهاد المعين على الفهم.

7- أمّا عن المصطلح المستعمل في هذا الموضوع عند القدماء، فالثابت عنهم استخدامهم مصطلح "الاستثناء" فقط، ونشير هنا، أنّه وعلى الرغم من عدم دوران مصطلح الاستثناء المفرغ في بيئة النحويين إلى غاية القرن الخامس الهجري؛ فإنّ ذلك لا ينفي إطلاقاً معرفتهم الدقيقة لعمل الحرف "إلا" وما جاء في معناه في هذا النوع من الاستثناء، وإبداعهم في تفصيل المعاني والدلالات التي يخرج إليها أسلوب الاستثناء حين يُحذف منه المستثنى منه ليتفرغ ما قبل إلا للعمل فيما بعده. ولإشارات سيبويه في هذا المقام، وتوضيحات بعض شراح كتابه الشّهير كأبي سعيد السيرافي والرّماني، وغيرهم خير مثال على ذلك. وهي كلّها لطائف معنويّة مهمّة ورائعة بسطت كثيراً من المعاني بشكل واضح جليّ، أفاد منها من جاء بعدهم من علماء العربيّة عموماً.

8- اتّسأمت دراسة علماء النحو لأسلوب القصر، بشكل عامّ، بصبغة نحويّة في أغلب جوانبها، إلا ما كان منهم من إيراد لإشارات بلاغيّة، ولطائف معنويّة دقيقة بديدة ذُكرت في مواضعها من هذا البحث، خلافاً للمعالجة البلاغيّة لهذه الظاهرة اللّغويّة التي تميّزت عن نظيرتها النحويّة، إضافةً إلى ضبط قواعد هذا الأسلوب نحويّاً من حيث علاقة الكلمات بعضها ببعض، بالغوص في أعماق الأساليب، والنظر في فيما ظلال المعنى وجماليّة النصوص والتراكيب.

غير أنّه من المنصف أن نلفت الانتباه في هذا المقام إلى أسباب هذا الاختلاف بين طبيعة الدّراستين؛ إذ يرجع ذلك إلى أسباب تاريخيّة وموضوعيّة محضة، وهي تقدّم علم النحو عن البلاغة في النّشأة، لأنّه كان بمثابة باكورة الدّراسات اللّغويّة العلميّة الدّقيقة تقعيّداً للغة العربيّة. والحقّ الحقّ، نقول: إنّ جهد علماء النحو الأوائل كان جباراً ومذهلاً في ذلك الرّمن المتقدّم من عهد البحث في لغتنا الشّريفة.

9- تميّز دراسة نحويّينا الأجلّاء، قدماء كانوا أو محدّثين، لموضوع أسلوب القصر بوساطة "إلا" أصل حروف الاستثناء، أو "أمّ باب الاستثناء" كما أُطلق عليها، بالضبط العلميّ الدّقيق لمباحث هذه المسألة من مختلف نواحيها بدءاً بأصل "إلا" وعملها في أسلوب الاستثناء عموماً، وفي الاستثناء المفرغ أو الناقص بخاصّة، ومروراً بعدها ملغاةً فيه إعراباً وحفاظها على دورها المعنويّ القائم في جملة الاستثناء المفرغ بقصر ما قبلها على ما بعدها، مع اختلاف المعمولات النحويّة المفردة الواقعة بعدها

حسب العوامل النحويّة التي ترد قبلها، وكذا حال هذا الحرف حين تتفرّغ للعمل فيما بعدها حين يكون جملةً، ووصولاً إلى عمل هذه الأداة النحويّة إذا جاءت مكرّرةً للتوكيد ولغير التوكيد.

10- خلافاً لما تميّزت به دراسة علماء النحو لأسلوب القصر بطريق النفي والاستثناء من دقّة وتفصيلٍ لمباحث هذا الفصل النحويّ كما سبق، فإنّ الظاهر أنّ تناولهم لموضوع تحقّق معنى القصر بالطرق الثلاثة الأخرى، وهي: إنّما، وحروف العطف، وتقديم ما حقّه التأخير، لم تكن واضحةً ومفصّلةً بشكل كبير، خصوصاً من جهة المعاني والدلالات التي يخرج سياق الكلام في هذه الجملة أو تلك، إلّا ما أشار إليه بعض علماء النحو هنا وهناك في شكل لفتاتٍ بيانيّةٍ ومعنويّةٍ أفاد منها نظراؤهم البلاغيّون بعد ذلك.

11- تخصيص البلاغيّين فصولاً مهمّةً لموضوع القصر درسوا في ثناياها أهمّ ما يتعلّق به من ضوابطٍ بلاغيّةٍ كمسألة المصطلح المستعمل للدلالة على هذا المعنى الدقيق جداً كالقصر والحصر والاختصاص، مع إيراد بعض البلاغيّين فروقاً قليلةً بينها من بعض التواحي، غير أنّ عموم علماء البلاغة ذهبوا إلى أنّه لا توجد فروق بين هذه المصطلحات المذكورة آنفاً من جهة اللّغة لاشتراكها في الدلالة على معنى الحبس وعدم التّجاوز إلى الغير. والأمر نفسه بالنسبة إلى الجانب الاصطلاحيّ؛ إذ حاصل آراء البلاغيّين في هذا الشأن هو أنّ هذه المصطلحات تقترب معانيها إلى حدٍّ بعيدٍ، وأنّ لمعناها اللّغويّ صلةً وثيقةً بنظيره الاصطلاحيّ.

12- إفادة البلاغيّين عموماً من دراسات التّحويّين قبلهم، وهو أمرٌ واضحٌ جليٌّ نلحظُه من خلال المصطلحات النحويّة الغزيرة المستعملة من طرفهم في شرح مباحث موضوع القصر، من نحو: الاستثناء المفرّغ، والفاعل، والمفعول، والحال، والمبتدأ والخبر، وغيرها ممّا سبق إليه علماء النحو ببعض القرون نظراً إلى تعييدهم للغتنا العربيّة كان سابق لنشأة البلاغة أولاً، لتجدرُ قدم عديد البلاغيّين في علم النحو ودرايتهم به ثانياً، ولأنّ علاقة علم البلاغة بالنحو وطيدةٌ وقيقةٌ، بالخصوص علم المعاني الذي يعدّ قمّة الدّراسة النحويّة أو فلسفتها؛ لأنّ دراسة المعنى تبدو أكثر صلةً بالنحو ثالثاً.

13- إذا كان صنيع النحويّين بخصوص دراسة هذا الموضوع اللّغويّ يُعدّ بمثابة القاعدة العلميّة المتينة التي أرسّت قواعده النحويّة، وضبطت أصوله وأحكامه الدّقيقة من جهة الإعراب وعمل إلّا والحروف العاملة فيه عملها، وكذا علاقة المعمولات النحويّة المقصور عليها الكلام بطبيعة العوامل النحويّة العاملة فيها تقدماً وتأخيراً؛ فمما من شكٍّ أنّ عمل البلاغيّين يعدّ مكّماً لكلّ هذا الرّصد الضّخم لهذه القواعد والأحكام اللّغويّة لمسائل هذه الظّاهرة اللّغويّة من حيث إنّها - أي الدّراسات

البلاغية- تتجاوز النَّظَر في تركيب الكلام من حيث الصَّحَّة والاستقامة- وهي وظيفة علم النحو- إلى الجودة والرياءة والدقائق بين ضروب النظم المختلفة.

14- أمّا بخصوص ديوان الشاعر أحمد شوقي المسمّاة "الشوقيات" وعلاقته بموضوع أسلوب القصر، ونسب حضورها فيه؛ فإنّ الحاصل هنا، هو ما يأتي ذكره تباعاً:
*يُعَدُّ أحمد شوقي (ت1932هـ) من الشعراء المجيدين المثقّفين نظراً إلى تنوع مصادر ثقافته العربيّة، والتركيّة، والفرنسيّة؛

*تنوّع آثار شوقي الأدبيّة من ديوان شعرٍ ضخيمٍ، ورواياتٍ، وكتابٍ، وشعريٍّ مسرحيٍّ؛
*تميّز شعر أحمد شوقي، بقوة الأساليب، ومتانة التراكيب، وجمال الصّورة البيانيّة، وحسن موقعها من النفس. كما أنّ من خصائصه: نظمُهُ في عدّة مجالاتٍ مختلفةٍ ومتنوّعةٍ، حيث كَتَبَ في الشعر السّياسيِّ والوطنيِّ، بالإضافة إلى شعر الرّثاء، والمدح، والغزل، والوصف، والحكمة، وإكثاره من ذكر الأخلاق في شعر بالنظر إلى تأثّر الشاعر أحمد شوقي بالجانب الإسلاميّ بقوة في شعره، لا سيّما تأثّره بالقرآن الكريم، وامتلاكه ثروة لغويّة غزيرة، كان لها أثرٌ بالغٌ في شعره؛

*من عوامل التّجديد في شعره: ارتباطه بالقصر، وثقافته الغربيّة الواسعة؛
*يُعَدُّ ديوان "الشوقيات" من أهمّ ما جادت به قريحته شوقي الشعريّة، إنّ لم يكن أهمّها على الإطلاق. وقد ضمّ أربعة أجزاء تضمّ العديد من القصائد والمقطّعات الشعريّة ذات الأغراض المختلفة في المدح، والسّياسة، والرّثاء، والوصف، والغزل، وشعر الأطفال، والأمثال، والخرافة؛

*خفّل ديوان شوقي بأساليب لغويّة وبلاغيّة كثيرة، ومن أبرزها أساليب القصر والتّخصيص، بما تنطوي عليه هذه الأساليب من مرامٍ وأسرارٍ بلاغيّةٍ ثريّةٍ غزيرةٍ ومتنوّعةٍ يرجع تراؤها إلى تنوّع أساليب القصر وما بينها من فروقٍ دقيقةٍ واعتباراتٍ وملحوظاتٍ لطيفةٍ، ومن تلبّس المقصور والمقصود عليه للمعاني المجازيّة، وعناصر تشكّل الصّورة الفنّيّة وتشابكهما مع الفنون البلاغيّة الأخرى، ومن طريقة عرض هذه الأساليب عرضاً مؤثّراً في ثوبٍ مثيرٍ جدّاً؛

15- بعد مسحٍ شاملٍ لأساليب القصر الواردة في هذا الديوان، خلّص البحث إلى توزّع هذه الأساليب حسب الأرقام الآتي ذكرها حسب عددها ونسب شيوعها نزولاً من الأكبر إلى الأصغر:

* عدد أساليب القصر جميعها بطرقها الأربعة في ديوان أحمد شوقي، هو: أربعةٌ وثمانون وثلاثمائة (384) شاهداً نَحْوياً:

-وتتوزع هذه الأساليب حسب طرق القصر المتحققة بها كما يأتي بيانه:
 أولاً: أسلوب القصر بطريق النفي والاستثناء (ما وإلا): ستة ومائتان (206) شاهداً، منها:
 أ- ثلاثة (03) بصيغة القسم الاستعاطي؛
 ب- خمسة وثلاثون (35) أنموذجاً للجملة المحصورة بـ (إلا) في أسلوب الاستثناء المفرغ؛
 *نسبة أساليب القصر بـ (إلا) في ديوان الشوقيات بالنسبة إلى مجموعها كاملة، هو:

53.64%

ثانياً: تحقق دلالة القصر بـ "إنما" في سبع وستين (67) مرة. منها شاهد واحد للحصر بالأداة (أنما)؛ بنسبة تُقدَّر بـ: **17.44%**

ثالثاً: وأما عدد أساليب التقديم والتأخير التي أفادت معنى قصر الشيء على الشيء من دون مجاوزته إلى أمرٍ آخر، فهو أربعة وخمسون (54) أسلوباً؛ بنسبة تُقدَّر بـ: **14.06%**
 رابعاً: حضور أسلوب القصر بطريق العطف في أربعة وعشرين (24) شاهداً نحوياً. منها:
 ثلاثة وعشرون شاهداً للقصر بـ "لا" العاطفة، وشاهد واحد للقصر بـ "بل". ولا يوجد أي نموذج للقصر بوساطة "لكن"؛ بنسبة تُقدَّر بـ: **6.25%**

خامساً: عدد الأساليب المفيدة معنى القصر بوساطة الاسم "غير" هو تسعة عشر (19) شاهداً نحوياً؛ بنسبة تُقدَّر بـ: **4.94%**

سادساً: وقوع الاسم "سوى" موقع (إلا) في أسلوب الاستثناء المفرغ أو القصر في أربعة عشر (14) تركيباً لغوياً؛ بنسبة تُقدَّر بـ: **2.86%**

*حضور أساليب القصر في ديوان الشاعر أحمد شوقي وتنوعها بشكل كبير ورائق من قصر بطريق النفي والاستثناء، وأساليب محصورة بأنما، وأخرى بحروف العطف الثلاثة، وبطريق تقديم ما حقه التأخير، وهو ما أضفى على بعض الصور الشعرية دقة في المعنى، وإيجازاً رائعاً، ودلالة أقوى، وجمالية في التعبير، وروعة في تصوير المعاني، مما لو كانت التعابير هذه قد خلّت من أسلوب القصر الذي يُعرف أنه يورد الكلام ذا المعاني الكثيرة في إيجاز لافت واقتصاد لغوي مبهر يدل على جمال أساليب العربية وسحر بيانها؛

* تمثل الشاعر أحمد شوقي لمعظم قواعد هذا الموضوع النحوية، وضوابطه البلاغية المطروقة في الشق النظري من هذا البحث.

16- هذا، وبعد هذه الدراسة النظرية والتطبيقية لموضوع القصر؛ فإنه لا بدّ لنا من الإشارة هنا إلى مسألة هامة تخصّ عنوان هذه الأطروحة، التي نرى أنّ الأنسب لها أن تُوسَم بـ: "أسلوب القصر بين النحو والبلاغة - دراسة تطبيقية لأساليب القصر في ديوان الشوقيات لأحمد شوقي".

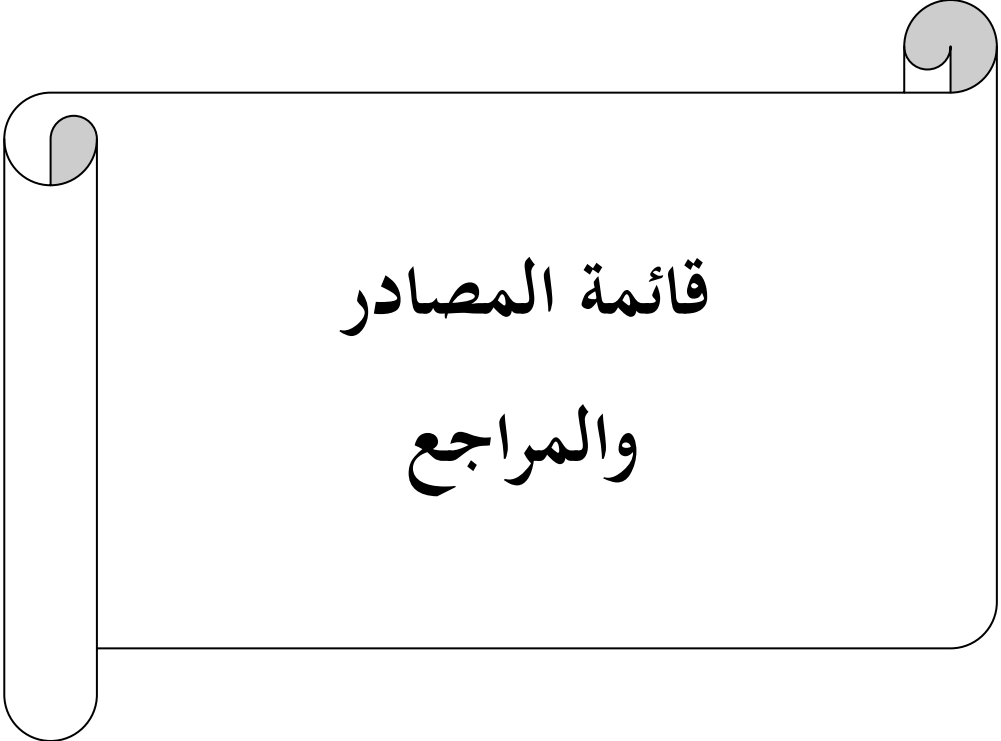
● اقتراحات البحث:

يقترح الباحث الآتي:

أولاً: استخدام أسلوب القصر في مجال الدّعوة إلى الله، وفي مجال الخطاب العام؛
ثانياً: إجراء دراساتٍ مماثلةٍ للحصر والقصر بهذه الطُّرق الأربعة المعروفة، (مع إضافة أسلوب القصر بتعريف الطّرفين، وبضمير الفصل)، في القرآن الكريم بشكلٍ أوسع في كل سياقٍ وردت فيه من القرآن الكريم، وفي شعر العرب ونثرهم القديم والحديث؛

ثالثاً: إجراء دراساتٍ تبرز القيم التّربويّة والجماليّة المستنبطة من كل طريقٍ من طرق القصر على حدة.
وأخيراً، أضرع إلى الله الواحد الأحد تبارك وتعالى أن ينفعنا بهذا البحث نفعاً تامّاً جميع من ساهم في إنجازه؛ مُنجزه، والمشرف عليه، والمشاركون في تصحيحه ومناقشة أفكاره لغويّاً ومنهجياً وشكليّاً، وإني لأخوِّج ما أكون إلى كلّ توجيهٍ ونقدٍ بناءٍ من أساتذةٍ أجلاء يُقَوِّمون ما اعوجَّ منه، ويُسدّدون ما انحرَف منه عن جادة الصّواب. كما أرجوه سبحانه أن يرزقنا الفهم الجيّد في هذه الموضوع وأن يزيدنا علماً وفهماً، وأن يجعله عملاً خالصاً لوجهه الكريم سبحانه جلّ في علاه، وأن ينفع به كلّ من قرأه أو اطّلع على أجزاء منه بحسب الحاجة والمقام.

ولله الحمدُ أولاً وأخيراً، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم، وصلّ اللهمّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد النّبّيّ الكريم المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله، وأصحابه الطّيبين الطّاهرين إلى يوم الدّين.



قائمة المصادر والمراجع

أ- المصادر والمراجع:

قائمة المصادر والمراجع:

• القرآن العظيم برواية ورش عن نافع

- 1-الأبشيهي، شهاب الدين، المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق: محمد قميحة، دار الكتب العلمية-بيروت، د.ط، د.ت.
- 2-ابن الأثير، نصر الله ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 1420هـ.
- 3-ابن الأنباري، أبو البركات، أسرار العربية، تحقيق: فخر صالح قدارة، دار الجيل-بيروت، ط1، 1415هـ، 1995م.
- 4-ابن الأنباري، أبو البركات، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، ومعه كتاب الانتصاف من الإنصاف، لمحمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل-بيروت، د.ط، 1982م.
- 5-ابن الحاجب، أبو عمرو عثمان، الإيضاح في شرح المفصل، تحقيق وتقديم: موسى بنأي العليي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، إحياء التراث الإسلامي، الجُمهوريّة العراقيّة، دط، د.ت.
- ابن السّراج، أبو بكر، الأصول في النّحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1417هـ-1996م.
- 6-ابن السّكّيت، يعقوب، إصلاح المنطق، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف بمصر، د.ط، 1970.
- 7-ابن المثنى التّيميّ، أبو عبيدة معمر، مجاز القرآن. تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي بالقاهرة- مصر، د.ط، د.ت.
- 8-ابن النّّاطم، أبو عبد الله بدر الدين محمّد، شرح ألفية ابن مالك. تحقيق: عبد الحميد السيّد محمّد عبد الحميد، دار الجيل-بيروت، د.ط، د.ت.
- 9-ابن النّّديم، أبو الفرج، الفهرست. تحقيق: رضا تجرد. حقوق الطّبع محفوظة للمؤلّف، د.ط، د.ت.
- 10-ابن النّّديم، الفهرست، دار المعرفة للطباعة والنّشر، بيروت- لبنان.
- 11-ابن باشاذ، أبو الحسن طاهر أحمد، تحقيق وتقديم: محمّد أبو الفتوح شريف، الجهاز المركزي للكتب الجامعيّة والمدربيّة، د.ط، 1978م.

- 12- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، ط2، بيروت- لبنان.
- 13- ابن جني، أبو الفتح، اللّمع في العربية. تحقيق: حامد المؤمن، مكتبة النهضة- بيروت، ط2، 1405هـ-1985م.
- 14- ابن خالويه، عبد الله، إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، ت: محمد إبراهيم سليم، دار الهدى، عين مليلة- الجزائر، د.ط، د.ت.
- 15- ابن خلكان، شمس الدين، وفيات الأعيان، تحقيق: عباس، إحسان، دار صادر-بيروت، د.ط، د.ت.
- 16- ابن سلمان، أحمد محمد عبد الله، (المزاوجة بين الخبر والإنشاء في النظم القرآني، رسالة ماجستير، إشراف: فاروق الطيّب البشير، جامعة أم درمان الإسلامية، معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي، 1427/05/11هـ-2006/06/08م).
- 17- ابن عاشور، الطاهر محمد، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ط1، 1984م: سورة يونس، (140/11).
- 18- ابن عقيل، شرح ابن عقيل لبهاء الدين العقيلي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر-بيروت، ط16، 1974م.
- 19- ابن عمر، العجلي الشافعي سليمان المشهور بالجمال، الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر، د.ط، د.ت.
- 20- ابن فارس، أحمد، الصحاحي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، لأحمد بن فارس. تحقيق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ-1997م.
- 21- ابن قيس الرقيّات، عبيد الله، الديوان، تحقيق: محمد يوسف، دار صادر بيروت-د.ط، د.ت.
- 22- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب، بدائع الفوائد، عني بتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: دار الكتاب العربي-بيروت، د.ط، د.ت.
- 23- ابن مالك، بدر الدين، المصباح في المعاني والبيان والبديع، حقّقه وشرحه ووضع فهارسه: حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب وطبعتها بالجماميز.
- 24- ابن مالك، جمال الدين، شرح الكافية الشافية، تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي، دار المأمون للتراث، ط1، 1402هـ-1982م.
- 25- ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب، دار صادر-بيروت، ط1، 1968م.

- *ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة- مصر، د.ط، د.ت.
- 26-ابن هشام، الأنصاري، قطر الندى وبلّ الصدى، ومعه كتاب سبيل الهدى بتحقيق شرح قطر الندى، لحي الدين محمد عبد الحميد، دار الإمام مالك- الجزائر، د.ط، د.ت.
- 27-ابن هشام، جمال الدين الأنصاري، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق: إميل يعقوب، دار الكتب العلميّة- بيروت، ط1، 1418هـ-1997م.
- 28-ابن هشام، جمال الدين الأنصاري، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تحقيق: الدّقر، عبد الغني، الشركة المتّحدة للتوزيع-دمشق، ط1، 1984م.
- 29-ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد: المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، د.ط، 1416هـ-1995م: 161/1.
- 30-ابن ولّاد التميمي، أبو العباس، الانتصار لسيبويه على المبرد، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ط1، 1416هـ-1996م.
- 31-ابن يعقوب، المغربي، (شرح التلخيص): "مواهب الفتاح"، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، د.ط، د.ت 1960م.
- 32-ابن يعيش النحوي، شرح المفصل، إدارة الطّباعة المنيريّة، مصر، د.ط، د.ت.
- 33-أبو الأسود الدّؤلي، الديوان، صنعة: أبو سعيد الحسن السّكري. تحقيق: محمد حسين آل ياسين، دار الكتاب الجديد- بيروت، ط1، 1974م.
- 34-أبو البقاء محي الدين، اللّباب في علل البناء والإعراب، تحقيق: غازي طليمات، دار الفكر- دمشق، ط1، 1995م.
- 35-أبو العتاهيّة، الديوان، دار بيروت للطّباعة والنّشر، بيروت- لبنان، د.ط، 1406هـ-1986م.
- 36-أحمد، سعد محمد، الأصول البلاغيّة في كتاب سيبويه وأثرها في البحث البلاغي، مكتبة الآداب، القاهرة، د.ت.
- 37-الأحوص، الأنصاري عبد الله بن محمد، شعر الأحوص الأنصاري، جمعه وحققه: عادل سليمان جمال، وقَدّم له: شوقي ضيف، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط2، 1411هـ-1990م.
- 38-الأخفش، سعد بن مسعدة، معاني القرآن، تحقيق: عبد الأمير محمد أمين الورد. عالم الكتب-

- بيروت، ط 1، 1970م.
- 39-الأزهري، خالد بن عبد الله، شرح التصريح على التوضيح على ألفية ابن مالك في النحو والصرف، لجمال الدين بن يوسف بن هشام الأنصاري، وبهامشه حاشية الشيخ يس بن زيد الدين العليمي الحمصي، صُحِّحت هذه الطبعة وروِّجَت بمعرفة لجنة من العلماء، مكتبة الاستقامة بالقاهرة، ط 1، 1374هـ - 1954م.
- 40-الاستبرادي، الرضي بن الحسن، شرح الرضي على كافية ابن الحاجب، بيروت، د.ت.
- 41-الأشموني، علي بن محمد بن عيسى، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، المسمَّى (منهج السالك على ألفية ابن مالك)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ط 1، 1395هـ - 1955م.
- 42-الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر - بيروت، د.ط، د.ت.
- 43-الأعلم الشنتمري، يوسف بن سليمان بن عيسى أبو الحجاج، النكت في تفسير كتاب سيوييه، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، منشورات معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للثقافة والتربية والعلوم-الكويت، ط 1، 1407هـ - 1987م.
- 43-الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، مطبوعات دار المأمون، راجعته وزارة المعارف العمومية بمصر، الطبعة الأخيرة، د.ت.
- 44-الصغير، محمد أحمد، الأدوات النحوية في كتب التفسير، دار الفكر، دمشق-سوريا، ودار الفكر المعاصر، بيروت-لبنان، ط 1، 1422هـ - 2001م.
- 45-القفطي، جمال الدين أبو الحسن، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، ط 1، 1406هـ - 1986م.
- 46-الألوسي، البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي - بيروت، د.ط، د.ت.
- 47-امرؤ القيس: الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت - د.ط، 1972م.
- 48-الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف الغرناطي، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط 1، 1418هـ / 1998م.
- 49-الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف الغرناطي، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد

- جميل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، د.ط، 1431-1432هـ/2010م.
- 50- الأنطاكي، محمد، المحيط في أصوات ونحوها وصرفها، دار الشرق العربي - بيروت، ط3، د.ت.
- 51- أنيس، إبراهيم، من أسرار اللغة، ملتزم الطبع والنشر مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة، ط6، 1978م.
- 52- الأوسي، قيس إسماعيل، أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد - بيت الحكمة. رقم الإيداع في المكتبة الوطنية لبغداد: 154، لسنة 1988م.
- 53- البامياي، محمد، دروس في البلاغة - شرح مختصر المعاني للتفتازاني، مؤسسة البلاغ، ط1، د.ت.
- 54- برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية، ترجمة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض، 1402هـ-1982م.
- 55- البرقوقي، عبد الرحمن، شرح ديوان المتنبي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط2، 1400هـ-1980.
- 56- البغدادي، عبد القادر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط1، د.ت.
- 57- بلعيد، صالح، بلعيد، التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر، د.ط، 1415هـ-1994م.
- 58- التبريزي، الخطيب، شرح ديوان أبي تمام، قدّم له، وراجعته، ووضع فهارسه: راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ط2، 1414هـ-1994م.
- 59- التفتازاني، سعد الدين، المطول على التلخيص، مطبعة سنده، 1308هـ، د.ط، د.ت.
- التفتازاني، سعد الدين، مختصر المعاني، تحقيق: عثمان، محمد، مكتبة الثقافة - القاهرة، ط1، 1430هـ-2009م: 184.
- 60- التوحيد، أبو حيان محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير. تحقيق: محمد صدقي جميل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، د.ط، 1431-1432هـ/2010م.
- 61- التوحيد، أبو حيان محمد بن يوسف، المقابسات، تحقيق: حسين السندوبي، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة - تونس، ط1، 1991م.

- 62- الجاحظ، أبو عثمان الجاحظ، الحيوان. تحقيق: عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط3، 1383هـ، 1969م.
- 63- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مؤسسة الخانجي، القاهرة، ط3، 1948م.
- 64- الجرجاني، عبد القاهر، الجمل، حققه وقدم له: علي حيدر أمين مكتبة مجمع اللغة العربية بدمشق، 1392هـ-1972م، د.ط، د.ت.
- 65- الجرجاني، عبد القاهر، العوامل المائة النحوية في أصول علم العربية، شرح: خالد الأزهرى الجرجاوي (ت 905هـ). تحقيق: البدر اوي زهران، دار المعارف بمصر، د.ط، د.ت.
- 66- الجرجاني، عبد القاهر، المقتصد في شرح الإيضاح، تحقيق: كاظم بحر المرجان، منشورات وزارة الثقافة والإعلام- الجمهورية العراقية، دار الرشيد للنشر، د.ط، 1982م.
- 67- الجرجاني، عبد القاهر، المقتصد في شرح الإيضاح، تحقيق: كاظم بحر المرجان، دار الرشيد للنشر، العراق، د.ط، 1982م.
- 68- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة دار المدني، ط3، 1992م.
- 69- الجرجاني، علي بن محمد بن علي، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري. دار الريان للتراث، د.ط.د.ت.
- 70- الجرجاني، محمد السيد الشريف، معجم التعريفات، تحقيق ودراسة: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، د.ط، د.ت.
- 71- جطل، مصطفى، نظام الجملة عند اللغويين العرب في القرنين الثاني والثالث للهجرة، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية- دمشق، د.ط، 1979م-1980م.
- 72- الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة صحاح العربية. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين- بيروت، ط2، 1399هـ-1979م.
- 74- الجويني، مصطفى الصاوي، المعاني- علم الأسلوب، دار المعرفة الجامعية، د.ط، 1993م.
- 75- الحاوي، إيليا، شرح ديوان الفرزدق، منشورات دار الكتاب اللبناني، ومكتبة المدرسة، بيروت- لبنان، ط1، 1983م.

- 76- الحرّ، عبد المجيد، أحمد شوقي، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان.
- 77- الحرّ، هاني، أحمد شوقي شاعر الأمراء وأمير الشعراء، دار مؤسّسة رسلان، دمشق- سوريا، 2010م.
- 78- حسنّ، تمام، الأصول- دراسة ابستمولوجيّة للفكر اللّغويّ عند العرب- النّحو، فقه اللّغة، البلاغة، دار الثّقافة، الدّار البيضاء- المغرب ، ط1، 1401هـ-1981م.
- 79- حسنّ، تمام، اللّغة العربيّة معناها ومبناها، دار الثّقافة، الدّار البيضاء- المغرب، 1994.
- 80- حسن، عبّاس، النّحو الوافي، دار المعارف-القاهرة، ط5، 1975م.
- 81- حسنين، محمّد أبو موسى، دلالات التّراكيب- دراسة تحليليّة لمسائل علم المعاني: منشورات جامعة قاريونس، بنغازي- ليبيا، ط1، 1399هـ-1979م.
- 82- حسنين، محمّد أبو موسى، دلالات التّراكيب-دراسة تحليليّة لمسائل علم المعاني.
- 83- حسين، عبد القادر، أثر النّحاة في البحث البلاغيّ، دار غريب للطّباعة والنّشر والتّوزيع- القاهرة، د.ط، 1998م.
- 84- الحمد، علي توفيق، والرّعي، يوسف جميل، المعجم الوافي في النّحو العربيّ، الدّار الجماهيرية للنّشر والتّوزيع والإعلان- ليبيا، ودار الآفاق الجديدة بالمغرب، ط1، 1992م.
- 85- الحنبلي، ابن عماد، شذرات الدّهب في أخبار من ذهب، لجنة إحياء التّراث العربيّ، دار الآفاق الجديدة- بيروت، د.ط، د.ت.
- 86- الحفاجيّ، ابن سنان، أبو محمّد عبد الله بن سنان، سرّ الفصاحة، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، ط1، 1402هـ-1982.
- 87- خلف، الأحمر، مقدّمة في النّحو، تحقيق: عز الدين التّنوخيّ، دمشق، وزارة الثّقافة والإرشاد القوميّ، مطبوعات مديريّة إحياء التّراث القديم- دمشق، 1381هـ-1961م.
- 88- الحسناء، الدّيونان، دار الأندلس للطّباعة والنّشر والتّوزيع-بيروت، ط8، 1401هـ-1981م.
- 89- الدّاية، فايز، علم الدّلالة العربيّ- النّظريّة والتّطبيق، ديوان المطبوعات الجامعيّة- الجزائر، د.ط، د.ت.
- 90- الدّقر، عبد الغنيّ، معجم القواعد العربيّة في النّحو والتّصريف، دار القلم، دمشق، ط1، 1406هـ-1986م.

- 91- دكّ الباب، جعفر، الموجز في شرح دلائل الإعجاز في علم المعاني - نظريّة الإمام الجرجاني اللّغويّة وموقعها في علم اللّغة العامّ الحديث، دار الجيل (مطبعة الجليل)، دمشق، 1400هـ - 1980م.
- 92- الرّاجحيّ، عبده، التّطبيق النّحوي، دار النّهضة العربيّة للطّباعة والنّشر-بيروت، د.ط، 1985م.
- 93- المعاني، تحقيق: محمّد زغلول سلّام، منشأة المعارف بالإسكندريّة-مصر، د.ط، د.ت.
- 94- الرّمّاني، أبو الحسن علي بن عيسى، معاني الحروف، تحقيق: عبد الفتّاح إسماعيل شلبي، دار الشّروق للنّشر والتّوزيع، جدّة، ط3، 1984م.
- 95- الرّمّاني، أبو الحسن عليّ بن عيسى، معاني الحروف، مُدَيَّلًا بالإعجاز اللّغويّ لحروف القرآن المجيد، تحقيق: عرفان بن سليم العشّا حسّونة الدّمشقيّ، المكتبة العصريّة، بيروت- لبنان، د.ط، د.ت.
- 96- الزّبيديّ، مرتضى الحُسينيّ، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الكريم العربيّ، راجعه: عبد الستّار أحمد فرج، مطبعة حكومة الكويت، د.ط، 1392هـ - 1972م.
- * الزّبيديّ، محمّد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس. تحقيق: مصطفى حجازي، ومراجعة: محمّد حماسة عبد اللّطيف، عن: التّراث العربيّ، سلسلة يُصدرها المجلس الوطنيّ للثقافة والفنون والآداب - الكويت، ط1، 1422هـ - 2001م.
- 97- الزّجّاجي، أبو إسحاق عبد الرّحمان، الجمل في النّحو، حقّقه وقَدّم له: علي توفيق الحمد، مؤسّسة الرّسالة-بيروت، ودار الأمل، إريد-الأردن، ط1، 1404هـ - 1984م.
- 98- الزّركشيّ، بدر الدّين، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة التّراث- القاهرة، د.ط، د.ت.
- 99- الزّركليّ، خير الدّين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط15، 2002م.
- 100- الزّمخشريّ، محمود، الكشّاف عن حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع-بيروت، د.ط، د.ت.
- * الزّمخشريّ، محمود بن عمر، الكشّاف عن حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعليّ محمّد معوّض، مكتبة العبيكان- الرّياض، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط1، 1418هـ - 1998م.

- 101- الزّخشيّ، محمود، المفصل في صناعة الإعراب، تحقيق: علي أبو ملحّم، دار ومكتبة الهلال- بيروت، ط1، 1413هـ- 1993.
- 102- زنط، أحمد، أدب الأطفال بين أحمد شوقي وعثمان جلال، دار الوفاء للطباعة والنّشر والتّوزيع، مصر، ط1، 1994م.
- 103- الزّين، سميح عاطف، الإعراب في القرآن الكريم دار الكتاب اللّبناني-بيروت، ط1، 1405هـ- 1985م.
- 104- السّكاكي، أبو يعقوب، مفتاح العلوم. تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، ط2، 1407هـ- 1987م.
- 105- سيّويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب. تحقيق: محمّد عبد السّلام هارون، دار الجليل-بيروت، د.ط، 1991م.
- * سيّويه، أبو بشر الكتاب، تحقيق: عبد السّلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 2004.
- 106- السّيرافي، أبو سعيد، شرح كتاب سيّويه، تحقيق: أحمد حسن مهدي وعلي سيّد علي، دار الكتب العلميّة، ط1، د.ت.
- 107- السّيرافي، أبو سعيد، شرح كتاب سيّويه، تحقيق: أحمد حسن مهدي، وعلي سيّد علي، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، ط1، 2008م.
- 108- السيّوطي، الإِتقان في علوم القرآن، عالم الكتب- بيروت ، د.ط، د.ت.
- 109- السيّوطي، الإِتقان في علوم القرآن، عالم الكتب-بيروت، د.ط، د.ت.
- * السيّوطي، جلال الدّين، الإِتقان في علوم القرآن، تحقيق: شعيب الأرناؤوط. اعتنى وعلّق عليه: مصطفى شيخ مصطفى، مؤسّسة الرّسالة، ط1، 1429هـ-2008م.
- 110- السيّوطي، جلال الدّين، الأشباه والنّظائر في النّحو، تحقيق: فايز ترحيني، دار الكتاب العربي- بيروت، ط1، 1404هـ-1984م.
- 111- السيّوطي، جلال الدّين، الاقتراح في علم أصول النّحو، تحقيق: محمّد حسن محمد إسماعيل الشّافعي، دار الكتب العلميّة-بيروت، ط1، 1418هـ-1998م.
- 112- السيّوطي، جلال الدّين، النّكث على الألفيّة والكافيّة والشّافية والشّدور والنّزهة، دراسة وتحقيق: فاخر جبر مطر، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، د.ط، 1971م.

- 113- السيوطي، جلال الدين، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، 1399هـ/1979م.
- 114- السيوطي، جلال الدين، شرح شواهد المغني، تحقيق: أحمد ظافر كوجان، لجنة التراث العربي، د.ط، د.ت.
- 115- السيوطي، جلال الدين، همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية، تحقيق: محمد بدر النعساني، دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت، د.ط، د.ت.
- 116- الشرقاوي، عبد الحميد بن إبراهيم، حاشية العالم عبد الحميد الشافعي المسماة تسهيل الفوائد لتحصيل الشيخ خالد على متن الآجرومية، المطبعة الأميرية الكبرى ببولاق-القاهرة، د.ط، 1313هـ-1983م.
- 117- الشنقيطي، أحمد بن أمين، الدرر اللوامع، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1419هـ-1999م.
- 118- شوقي، أحمد، الشوقيات، تحقيق: الطباع، عمر، دار الأرقم للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.
- * شوقي، أحمد، الشوقيات، تعليق: يحيى شامي. دار الفكر العربي، مؤسسة ثقافية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط1، 1996م.
- 119- الشيرازي، أبو إسحاق، شرح اللمع، تحقيق: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط1، 1408هـ-1988م.
- 120- صباح، عبيد درانة، أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية، مطبعة الأمانة، مصر، ط1، 1406هـ-198م.
- 121- الصديق، عائشة أم هاني محمد، هناء محمد، وآخرون، أمير الشعراء أحمد شوقي، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا - السودان.
- 122- الصعدي، عبد العال، "بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح" مكتبة الآداب، القاهرة - مصر، د.ط، د.ت، 1420-1421هـ/1990-2000م.
- 123- صيني، محمود إسماعيل، وناصف، مصطفى عبد العزيز، ومصطفى أحمد سليمان، معجم الأمثال العربية، مكتبة لبنان، ط1، 1992م.
- 124- طبل، حسن، علم المعاني في الموروث البلاغي، مكتبة الإيمان بالمنصورة - مصر، ط2،

- 1425هـ - 2004م.
- 125- العاملي، محمد رضا، معجم متن اللغة، منشورات دار ومكتبة الحياة-بيروت، د.ط، 1960م.
- 126- عبادة، محمد إبراهيم، الجمل في النحو المنسوب للخليل بن أحمد الفراهيدي- دراسة تحليلية، منشأة المعارف بالإسكندرية، د.ط، د.ت، نقلاً عن: الخليل، بن أحمد الجمل.
- 127- عتيق، عبد العزيز، في البلاغة العربية علم المعاني، البيان، البديع، دار الطباعة العربية للنشر، د.ط، د.ت.
- 128- عتيق، عبد العزيز، في تاريخ البلاغة العربية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر- بيروت، د.ط، د.ت.
- 129- العثمان، خلود صالح، نحو المعنى بين النحو والبلاغة- أسلوب التقديم والتأخير أنموذجاً دراسة نصية تطبيقية في نثر الرسائل العربية. جامعة الملك سعود- المملكة العربية السعودية، د.ط، 1433هـ - 2021م.
- 130- عضيمة، عبد الخالق محمد، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، دار الحديث- القاهرة، د.ط، د.ت.
- 131- عضيمة، محمد عبد الخالق، فهارس كتاب سيبويه ودراسة له، ط1، 1395هـ-1975م.
- 132- العكبري، أبو البقاء محي الدين عبد الله بن الحسين، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق: محمد شمس الدين، دار الكتب العلمية-بيروت، ط1، 1419هـ-1998م.
- 133- العكبري، أبو البقاء محي الدين عبد الله بن الحسين، اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق: غازي طليمات، دار الفكر- دمشق، ط1، 1995
- 134- العنابي، شهاب الدين أحمد بن محمد الأصبحي، رسالتان في النحو الحل في الكلام على الجمل، والتبيان في عطف البيان، تحقيق: إبراهيم بن محمد أبو عباة، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1417هـ/1996م.
- 135- عياد، شكري، النقد والبلاغة، دار المعرفة للطباعة والنشر، سوسة-تونس، د.ط، د.ت.
- 136- فائر، عبد المنعم، السيرافي النحوي من خلال شرحه لكتاب سيبويه، دار الفكر- دمشق، ط1، 1983م.

- 137- الفراء، معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت والدّار المصريّة للتّأليف والترجمة، مصر، د.ت.
*الفراء، أبو زكرياء يحيى بن زياد، معاني القرآن، عالم الكتب-بيروت، ط2، 1402هـ-1982م.
- 138- الفراهيديّ، الخليل بن أحمد، كتاب العين مُرتباً على حروف المعجم. تحقيق: عبد الحميد هندأوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، ط1، 1424 هـ-2003م.
- 139- الفرزدق، الديوان، شرحه وضبطه وقَدَّمَ له: فاعور، علي، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، ط1، 1407هـ-1987م.
- 140- فلفل، محمد عبدو، معالمُ التّفكير في الجملة عند سيّويه، دار العظماء، دمشق- سوريا، ط1، 2009م.
- 141- الفيروز آبادي، تنوير المقياس من تفسير ابن عبّاس، تحقي: عبد العزيز سيّد الأهل. مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني- القاهرة ، ط2، د.ت.
- 142- الفيروز آبادي، مجد الدّين، القاموس المحيط، المطبعة المصريّة، ط3، 1352هـ-1933م.
- 143- الفيروز آبادي، مجدّ الدّين محمد بن يعقوب، البحر المحيط. نسخة منقّحة وعليها تعليقات: أبو الوفا نصر الهوريني المصريّ الشّافعيّ، راجعه واعتنى به: أنس محمد الشّامي، وزكريا جابر أحمد. دار الحديث بالقاهرة، د.ط، 1429هـ/2008م.
- 144- الفيل، توفيق، بلاغة التّراكيب- دراسة في علم المعاني، مكتبة الآداب- القاهرة، د.ط، 1991م.
- 145- فيّود، بسيوني عبد الفتّاح، علم المعاني- دراسة بلاغيّة ونقدية لمسائل علم المعاني، مؤسّسة المختار للنّشر والتّوزيع- القاهرة، ط4، 1436هـ-2015م.
- 146- قباوة، فخر الدّين، إعراب الجمل وأشباه الجمل، دار القلم العربيّ، حلب- سوريا، ط5، 1409هـ/1989م.
- 147- قباوة، فخر الدّين، إعراب الجمل وأشباه الجمل، منشورات دار الآفاق الجديدة- بيروت، ط3، 1401هـ-1981م.
- 148- القرطبيّ، أبو نصر هارون بن موسى الجريطي، شرح عيون كتاب سيّويه، تحقيق: عبد ربّه عبد اللّطيف عبد ربه، ط1، 1404هـ-1984م.
- 149- القرطبيّ، أبو عبد الله، تفسير القرطبيّ، القاهرة، د.ط، 1997م.

- 150- القزويني، الخطيب، التلخيص في علوم البلاغة، تحقيق: عبد الرحمن البرقوقي. دار الفكر العربي، د.ط، د.ت.
- 151- القزويني، جلال الدين، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: عبد المنعم خفاجي، دار الجيل- بيروت، ط3، 1414هـ/1993م.
- 152- كاظم، إبراهيم كاظم، الاستثناء في التراث النحوي والبلاغي، عالم الكتب، بيروت- لبنان، ط1، 1418هـ- 1998م.
- 153- كثير عزة، الديوان تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة-بيروت، د.ط، 1391هـ-1971م. كرد، محمد علي، أمراء البيان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر-القاهرة، ط2، 1367هـ-1948م.
- 154- كمال بسيوني، المفردات النحوية، مكتبة النهضة المصرية-القاهرة، ط1، 1988م.
- 155- لاشين، عبد الفتاح، البهاء السبكي وآراؤه البلاغية والنقدية، دار الطباعة المحمدية بالأزهر- القاهرة، ط1، 1978م.
- 156- المازني، أبو عثمان النحوي البصري، المنصف شرح كتاب التصريف، تحقيق: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، إدارة إحياء التراث القديم، ط1، 1373هـ-1954م.
- 157- المازني، أبو عثمان النحوي البصري، المنصف: شرح كتاب التصريف، تحقيق: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين. إدارة إحياء التراث القديم، ط1، 1373هـ-1954م.
- 158- المبارك، مازن، الرماني النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه، منشورات دار الكتاب اللبناني- بيروت، د.ط، د.ت.
- 159- المبارك، مازن، الموجز في تاريخ البلاغة العربية، دار الفكر-دمشق، ط2، 1400هـ-1979م.
- 160- المبرّد، أبو العباس محمد بن يزيد، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط2، 1399هـ-1979م.
- 161- المبرّد، أبو العباس، المقتضب في اللغة والأدب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط2، 1399هـ-1979م.
- 163- محمد، محمد أبو موسى، دلالات التراكيب- دراسة بلاغية، مكتبة وهبة- القاهرة، ط2،

- 1408هـ-1987م.
- 164-المخزومي، مهدي، في النحو العربي- نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت- لبنان، ط2، 1986م.
- 165-المرادي، الحسين بن القاسم، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية-بيروت، ط1، 1413هـ-1992م.
- 166-المرادي، الحسين بن القاسم، رسالة في جمل الإعراب، تحقيق: سهير محمد خليفة، ط1، 1407هـ/1987م.
- 167-لماغي، مصطفى، تفسير المرامي، دار الفكر - بيروت، ط3، د.ت.
- 168-المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد، شرح ديوان الحماسة، نشره: أحمد أمين وعبد السلام هارون، دار الجليل - بيروت، ط1، 1411هـ-1991م.
- *المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد (ت421هـ)، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، علّق عليه وكتب حواشيه: غريب الشيخ، ووضع فهرسه العامة: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1424هـ/2003م.
- 169-المكودي، أبو يوسف صالح، شرح المكودي على الألفية في علمي النحو والصرف، جمال الدين محمد ابن مالك الطائي، دار رحاب، باتنة- الجزائر، د.ط، د.ت.
- 170-ممدوح، أمير الشعراء أحمد شوقي حياته وشعره، دار الورد للنشر-مصر ط2، 2008م.
- مناهج جامعة المدينة العالمية، كتاب رقمي: "كتاب البلاغة"، جامعة المدينة- كود المادة: LARB ٤١٠٣. الناشر: جامعة المدينة العالمية.
- 171-منتصر، أحمد، الصورة البيانية في شعر أحمد شوقي، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا- السودان، 2018م.
- 172-المهدي، المخزومي، في النحو العربي- نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت- لبنان، ط2، 1406هـ/1986م.
- 173-الميداني، أبو الفضل، مجمع الأمثال، تحقيق: نعيم حسن زرزور، دار الكتب العلمية-بيروت، ط1، 1408هـ-1988م.
- 174-النحاس، أبو جعفر، شرح أبيات سيويه، تحقيق: أحمد خطاب، ط1، 1394هـ-1974م.

- 175-نحلة، محمود أحمد، صور تأليف الكلام عند ابن هشام، دار المعرفة الجامعية- الإسكندرية، د.ط، 1994م.
- 176-نحلة، محمود أحمد، مدخل إلى دراسة الجملة العربية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر- بيروت، د.ط، 1480هـ-1980م.
- 177-هاشم، جعفر حسين، الجهود النحوية لأبي موسى الجزولي (ت607هـ)، دار الرضوان للنشر والتوزيع- عمان، ط1، 1436هـ- 2015م.
- 178-الهاشمي، أحمد، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تحقيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية-بيروت، د.ط، 1424هـ-2003م.
- 179-الهاشمي، السيد أحمد، جواهر البلاغة في البيان والبديع والمعاني، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، د.ط، 1424هـ-2003م.
- 180-الهمذاني، بهاء الدين العقيلي، شرح ابن عقيل، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر-بيروت، ط16، 1974م.
- 181-ياقوت، محمود سليمان، شرح جمل سيبويه، دار المعرفة الجامعية-الإسكندرية، د.ط، 1992.
- 182-اليمني، الطراز، دار الكتب العلمية-بيروت، د.ط، 1400هـ-1980م.
- 183-يوخنا، مرزا الخامس، موسوعة المصطلح النحوي من النشأة إلى الاستقرار، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، د.ط، 1971م.

ج-الرسائل الجامعية:

- 1-أوشن، حكيمة، وبوشكة آمال، ("القيم التربوية في شعر الأطفال في مصر في الربع الأول من القرن العشرين"، إشراف: ولد يوسف مصطفى، جامعة أكلي محند بولحاج، الجزائر، 2013).
- 2-الجهني، سميرة مسلم محمد، (أساليب الاختصاص والاستغراق في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، إشراف: السيد رزق الطويل، جامعة أم القرى مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 1406هـ-1986م.
- 3-حمودي، عقيد خالد محيي العزاوي، ("الأساليب البلاغية في تفسير نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (ت885هـ)"، رسالة دكتوراه. إشراف: محسن عبد الحميد أحمد، جامعة بغداد، 1422هـ-2002م).
- 4-دقيش، نوال، ("التقديم والتأخير بين القاعدة النحوية والقيمة البلاغية- معلقة الأعشى أمودجا"،

- مذكّرة ماستر، إشراف: غنّام رشيد، جامعة العربي بن مهيدي، أمّ البواقي - الجزائر، 143-1437/2015-2016م).
- 5- سدود، صادق، ("الجوانب التجديدية عند أحمد شوقي"، مذكّرة ليسانس، إشراف: رشيد غنّام، المركز الجامعي العقيد أكلي محمد والحاج، الجزائر، 2012م).
- 6- سلماني، الزّهرة، ("شعر الأطفال في قصائد أحمد شوقي"، جامعة محمد بوضياف، المسيلة - الجزائر، 2015م).
- 7- سنوسي، مريم، وسام بداني، ("الفصل والوصل في سورة النّور - مقارنة لسانية نصية"، مذكّرة ليسانس، إشراف: فريدة موساوي، كلية الآداب واللّغات، جامعة العقيد أكلي محمد والحاج - الجزائر، 2013-2014م).
- 8- الشّجراوي، عزّام عمر قاسم، (أسلوب الاستثناء في القرآن الكريم بين النّحو والبلاغة، رسالة دكتوراه في اللّغة العربيّة وآدابها، إشراف: عوّاد محمّد حسن، الجامعة الأردنيّة، كليّة الدّراسات العليا، شهر آذار، 1991م).
- 9- الصّرايرة، نوح عطا الله، (التّعريف والتّنكير بين النّحويّين والبلاغيّين دراسة دلاليّة وظيفيّة - نماذج من السّور المكيّة، رسالة ماجستير، إشراف: يوسف القمّاز، جامعة مؤتة، عمادة الدّراسات العليا، 2007م).
- 10- طاهر، نسرین، ("الحصر والقصر مفهوماً وبلاغةً في إطار القرآن الكريم" (رسالة دكتوراه)، الجامعة الوطنيّة للّغات الحديثة والعلوم، إسلام آباد - باكستان، ديسمبر 2007م).
- 11- الظّهّار، نجّاح أحمد عبد الكريم، ("القصرُ وأساليب مع بيان أسرارها في الثّلاث الأوّل من القرآن الكريم". رسالة ماجستير، إشراف: علي محمّد حسن العمّاري، جامعة أمّ القرى، كليّة اللّغة العربيّة، الدّراسات العليا - قسم الأدب، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1402هـ - 1403هـ / 1982-1983م).
- 12- عبّدة، فتيحة، ("لكنّ" في القرآن الكريم - دراسة تركيبية دلاليّة"، رسالة ماجستير أشرف عليها الحوّاس مسعودي، جامعة الجزائر - كليّة الآداب واللّغات، 2001م).
- 13- العثمان، صالح خلود، (نحو المعنى بين النّحو والبلاغة - أسلوب التّقديم والتّأخير أنموذجاً دراسة نصيّة تطبيقية في نثر الرّسائل العربيّة. جامعة الملك سعود - المملكة العربيّة السّعوديّة، د.ط، 1433هـ - 2021م).

- 14- فرحون، كريمة، رشيد غنام، ("الجملة الاعتراضية في شعر أحمد شوقي"، مذكرة ماستر، إشراف: رشيد غنام، جامعة العربي بن مهيدي الجزائر، 1433هـ-1434هـ / 2012-2013م).
- 15- قطبي، الطاهر، ("الاستفهام بين النحو والبلاغة"، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة حلب، دمشق-سوريا، 1470هـ-1987م).
- 16- كور، دوري نعيمة، ("مسرحة كيليو باترا بين أحمد شوقي ووليام شكسبير، مذكرة ماستر، إشراف: قرّيش أحمد، جامعة تلمسان- الجزائر، 2011-2012م).
- 17- مصطفىاوي، عبد الجليل، (ظاهرة الفصل والوصل بين النحو والبلاغة"، رسالة ماجستير كلية الآداب والعلوم الإنسانية، دمشق-سوريا، 1470هـ-1987م).

د-المجلات:

- 1-مجلة الإيضاح، العدد: 34، 2017م.
- 2-مجلة دراسات - علوم الشريعة والقانون، المجلد 41، العدد 01، 2014م.
- 3-مجلة كلية الشريعة والقانون بأسبوط، العدد 31، ج2، 31 ديسمبر 2019م، قسم اللغة العربية بكلية الدراسات الإسلامية والعربية جامعة الأزهر، الزقازيق- مصر.
- 4-مجلة الكلية العلمية الجامعة، العدد، المجلد 01، العدد 532
- 5-مجلة المنارة، المجلد 22، العدد 01، 2016م.
- 6-مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الخامس، 2009م.

مواقع على الشبكة:

<https://sotor.com/>
<http://www.m-a-arabia.com/vb/showthread.php?t=34906>
<http://www.alfaseeh.com/vb/showthread.php>
https://jameataleman.com/main/articles.aspx?selected_article_no=2578
<https://al-maktaba.org/book/33593/650#p1>
<https://academia-arabia.com/ar/reader/2/23214..>
<https://www.kulalsalafiyeen.com/vb/showthread.php?t=39057>
<https://www.startimes.com/?t=27105200>
<https://shamela.ws/book/7582/391> .
<https://tryarabic.wordpress.com/> .

<https://www.alukah.net/sharia/0/102020/%>
<http://shiaonlinelibrary.com>
www.hindawi.org
<https://mawdoo3.com/>
basiceducation.uobabylon.edu.iq
www.noor-book.com
<https://ar.wikipedia.org/wiki>
<https://www.almothaqaf.com/b/readings-5/943808>
<https://search.emarefa.net/ar/detail/BIM-1023624->

مُلْحَق: الأبيات غيرُ

المُسْتَشْهَد بها في

المتن:

القسم الأول: القصر بالتقي والاستثناء: (مَا وَإِلَّا)

أولاً: المعمولات التحوية المفردة:

1- حصر المبتدأ والخبر:

أ- حصر المبتدأ في الخبر:

*الخبر شبه جملة: وهي ثمانية شواهد:

- 1- "لَا تَقُولُوا حَظَّنَا الدَّهْرُ فَمَا *** هُوَ إِلَّا مِنْ خَيَالِ الشُّعْرَاءِ" - 11/1
- 2- "مَا أَنْتَ إِلَّا مِنْ خَزَائِنِ يُوسُفَ *** بِالْقَصْدِ مُوحِيَةً لِمَنْ لَمْ يُقْصَدِ" - 208/1
- 3- "مَا الْبَأْسُ إِلَّا مِنْ جَنَاحِي خَاطِفٍ *** فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ اسْمُهُ الطَّيَّارُ" - 304/1
- 4- "مَا الْمَلِكُ إِلَّا فِي ذُرَى *** الْأَلْوِيَةِ الْمَنْشَرَةِ" - 328/1
- 5- "مَا الْعِزُّ إِلَّا فِي ثَرَى الْقَدَمِ الَّتِي *** حَسَدَتْ عَلَيْهَا النَّيِّرَاتُ ثَرَاكَ" - 424/2
- 6- "رَمَتْ فَأَصَابَتْ خَيْرَ رَامٍ بِهَا الْعِدَى *** وَمَا السَّهْمُ إِلَّا لِلْقَضَاءِ الْمَحْتَمِّ" - 520/2
- 7- "بَنَى الدَّارَ الَّتِي لَا عِزَّ إِلَّا *** عَلَى جَنَابَتِهَا لِلْمَالِكِينَا" - 638/2
- 8- "وَلَا اسْتِقْلَالَ إِلَّا فِي ذَرَاهَا *** لِمَتْبُوعٍ وَلَا لِلتَّابِعِينَا" - 638/2

*الخبر مفرد: وهي خمسون شاهداً:

- 1- "لِسَانَ الْكِنَانَةِ فِي شُكْرِهَا *** وَمَا هُوَ إِلَّا لِسَانُ الْعَرَبِ" - 71/1
- 2- "وَمَا السَّيْفُ إِلَّا آيَةُ الْمَلِكِ فِي الْوَرَى *** وَلَا الْأَمْرُ إِلَّا الَّذِي يَتَعَلَّبُ" - 73/1
- 3- "وَمَا الْمَلِكُ إِلَّا الْجَيْشُ شَأْنًا وَمَظْهَرًا *** وَلَا الْجَيْشُ إِلَّا رُئُهُ حِينَ يَنْسَبُ" - 76/1
- 4- "وَزَيْنَبُ إِنْ تَاتِ وَإِنْ هِيَ فَاخَرَتْ *** فَمَا قَوْمُهَا إِلَّا الْعَشِيرُ الْمَحَبَّبُ" - 76/1
- 5- "تَرْوُحُ الْمَنَايَا الذُّوقَ فِيهِ وَتَعْتَدِي *** وَمَا هِيَ إِلَّا الْمَوْجُ يَأْتِي وَيَذْهَبُ" - 76/1
- 6- "وَمَا هِيَ إِلَّا دَعْوَةٌ وَإِجَابَةٌ *** أَنْ التَّحَمَّتْ وَالْحَرْبُ بَكَرَتْ وَتَغْلِبُ" - 78/1
- 7- "وَمَا شُهَدَاءُ الْحَرْبِ إِلَّا عِمَادُهَا *** وَإِنْ شِيدَا الْأَحْيَاءِ فِيهَا وَطَنَبُوا" - 79/1
- 8- "هَلِ الْبَأْسُ إِلَّا بِأَسْهُمٍ وَتَبَائِهُمُ *** أَمْ الْعُزْمُ إِلَّا عَزْمُهُمْ وَالتَّلَبُّبُ؟" - 79/1 يليه مباشرة
- 9- "أَمْ الدِّينُ إِلَّا مَا رَأَتْ مِنْ جِهَادِهِمْ *** أَمْ الْمَلِكُ إِلَّا مَا أَعَزُّوا وَهَيَّبُوا" - 79/1
- 10- "وَهَلْ أَنْتَ إِلَّا شَمْسٌ فِي كُلِّ أُمَّةٍ *** فَكُلُّ لِسَانٍ فِي مَدِيحِكَ طَيْبٌ" - 84/1

- 11- "هِيَ طَاوُوسٌ وَهَلْ *** أَحْسَنُهُ إِلَّا الذَّنَابُ" -97/1
- 12- "وَمَا أَنْتِ إِلَّا جِيفَةٌ طَالَ حَوْلَهَا *** قِيَامٌ ضِبَاعٍ أَوْ قُغُودُ ذِئَابٍ" -109/1
- 13- "وَمَا الشَّرْقُ إِلَّا أَسْرَةٌ أَوْ عَشِيرَةٌ *** تَلُمُ بَيْنَهَا عِنْدَ كُلِّ صِحَابٍ" -111/1
- 14- "مَا الرَّجُلُ إِلَّا حَيْثُ كَانَ الْمَوَى *** إِنَّ الْبُطُونَ قَادِرَاتٌ شِدَادُ" -186/1
- 15- "كَذَبَ (الْأَزْهَرَانِ) مَا الْأَمْرُ إِلَّا *** قَدَرُ رَائِحٍ بِمَا شَاءَ عَادٍ" -201/1
- 16- "وَقَالُوا شَكَوْتَ فَمَا رَاعِنِي *** وَمَا أَوَّلُ النَّارِ إِلَّا شَرُّ" -242/1
- 17- "مَا النَّاسُ إِلَّا أَوَّلٌ *** يَمْضِي فَيُخْلِفُهُ الْأَخِيرُ" -259/1
- 18- "تَقْنَى السَّنُونُ بِهَا *** وَمَا آجَاهَا إِلَّا شُهُورٌ" -260/1
- 19- "مَا أَنْتِ فِي هَذِي الْحُلَى إِنْسِيَّةٌ *** إِنْ أَنْتِ إِلَّا الشَّمْسُ فِي الْأَنْوَارِ" -261/1
- 20- "وَحَلَاكُ مَا الْبَدْرُ إِلَّا أَنْتُمَا *** وَسَوَاكُمَا قَمَرٌ مِنَ الْأَقْمَارِ" -270/1
- 21- "وَأَضْحَى نُفُودُ الْمَالِ لَا أَمْرٌ فِي الْوَرَى *** وَلَا نَهْيٌ إِلَّا مَا يَرَى وَيُشِيرُ" -300/1
- 22- "مَا أَنْتِ إِلَّا لَيْلُهُ *** عُرْسٌ وَصَدْرٌ نَهَارُهُ إِعْدَارُ" -307/1
- 23- "مَا الْجَاهُ وَالْمَالُ فِي الدُّنْيَا وَإِنْ حَسْنَا *** إِلَّا عَوَارِي حَظٌّ ثُمَّ تُرْجَعُ" -366/1
- 24- "وَمَا الْبُطُولَةُ إِلَّا النَّفْسُ تَدْفَعُهَا *** فِيمَا يُبْلَغُهَا حَمْدًا فَتَنْدَفِعُ" -367/1
- 25- "إِذَا كَانَ فِي الْأَجَالِ طُولٌ وَفُسْحَةٌ *** فَمَا الْبَيْنُ إِلَّا حَادِثٌ مُتَوَقَّعٌ" -368/1
- 27- "وَمَا الْأَهْلُ وَالْأَحْبَابُ إِلَّا لَالِيٌّ *** تُفَرِّقُهَا الْأَيَّامُ وَالسِّمَاطُ يَجْمَعُ" -368/1
- 27- "مَا الْعَالَمُ السُّفْلِيُّ إِلَّا طِينَةٌ *** أَرْزَلَتْ فِيهِ نُضْيٌ وَتَغَسِقُ" -404/2
- 28- "مَا الدِّينُ إِلَّا ثَرَاثُ النَّاسِ قَبْلَكُمْ *** كُلُّ امْرِئٍ لِأَيِّهِ تَابِعٌ تَالِي" -432/2
- 29- "سُبْحَانَ مَنْ لَا عِزَّ إِلَّا عِزُّهُ *** يَبْقَى وَلَمْ يَكْ مُلْكُهُ لِيَزُولَا" -472/2
- 30- "لَا طَبَّ إِلَّا جَدُّهُ *** شَانِي الْعُقُولِ مِنَ الضَّلَالَةِ" -478/2
- 31- "وَمَا الْفَنُّ إِلَّا الصَّرِيحُ الْجَمِيلُ *** إِذَا خَالَطَ النَّفْسَ أَوْحَى لَهَا" -481/2
- 32- "مَا هُوَ إِلَّا جَمَالُ الْعُقُولِ *** إِذَا هِيَ أَوْلَتْهُ إِجْمَالُهَا" -481/2
- 33- "يَا لَيْلُ قَدْ جُرْتَ وَلَمْ تَعْدِلِ *** مَا أَنْتِ يَا أَسْوَدُ إِلَّا خَلِيٍّ" -486/2
- 34- "مَا اللَّيَالِي إِلَّا قِصَارٌ وَلَا الدُّدُ *** يَا سَوَى مَا رَأَيْتَ أَحْلَامَ نَائِمٍ" -487/2
- 35- "قُلْ لِابْنِ سَيْنَا: لَا طَبِيٍّ *** بَ الْيَوْمِ إِلَّا الدَّرْهَمُ" -536/2

- 36- "وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا الْجِسْمُ فِي ظِلِّ رُوحِهِ" *** وَلَا الْمَوْتُ إِلَّا الرُّوحُ فَارْقَتْ الْجِسْمَا" - 565/2
- 37- "وَمَا الْحُكْمُ إِلَّا أُوْلَى النَّاسِ دَوْلَةٌ" *** وَلَا الْعَدْلُ إِلَّا حَائِطٌ يَعْصِمُ الْحُكْمَا" - 566/2
- 38- "خُطِبَ لَا صَوْتَ إِلَّا دُونَهَا" *** فِي صَدَاهَا الْخَيْلُ تَجْرِي وَالسَّيْنُ" - 581/2
- 39- "مَا أَبِي إِلَّا أَخٌ فَارْقَتْهُ" *** وَدُهُ الصَّدْقُ وَوُدُّ النَّاسِ مَيْنٌ" - 586/2
- 40- "يُجَامِلُكَ الْعَرَبُ النَّازِحُونَ" *** وَمَا الْعَرَبِيَّةُ إِلَّا وَطَنٌ" - 587/2
- 41- "فَسَمَّا مَا الْخَيْرُ إِلَّا وَجْهَةٌ" *** هِيَ هَذَا الْوَجْهُ لِلْمُسْتَقْبَلِينَ" - 596/2
- 42- "وَمَا الْبَسْتِيلُ إِلَّا بَنْتُ أَمْسٍ" *** وَكَمْ أَكَلَ الْحَدِيدُ بِهَا سَجِينَا" - 636/2
- 43- "وَمَا أُسْطُوهُمْ فِي الْبَحْرِ إِلَّا" *** شَخَاشِخٌ مَا رُحْنٌ وَمَا يَجِينَا" - 640/2
- 44- "مَا الْبَانُ إِلَّا قَدُهُ" *** لَوْ تَيَمَّتْ قَلْبًا عُصُونُهُ" - 655/2
- 45- "مَا الْعُمُرُ إِلَّا لَيْلَةٌ" *** كَانَ الصَّبَاحُ لَهَا جَبِينُهُ" - 655/2
- 46- "وَمَا الْعَشْقُ إِلَّا لَدَّةٌ ثُمَّ شَقْوَةٌ" *** كَمَا شَقِيَ الْمَخْمُورُ بِالشُّكْرِ صَاحِبَا" - 673/2
- 47- "وَمَا الْحُبُّ إِلَّا طَاعَةٌ وَتَجَاوُزٌ" *** وَإِنْ أَكْثَرُوا أَوْصَافَهُ وَ الْمَعَانِيَا" - 674/2
- 48- "وَمَا هُوَ إِلَّا الْعَيْنُ بِالْعَيْنِ تَلْتَقِي" *** وَإِنْ نَوَّعُوا أَسْبَابَهُ وَالِدَّوَاعِيَا" - 674/2
- 49- "لِكُلِّ حَالٍ حُلُومَهَا وَمُرُومَهَا" *** مَا أَدَبُ النَّعْجَةِ إِلَّا صَبْرُهَا" - 698/2
- 50- "لَيْسَ بِحَمَلٍ مَا يَمَلُّ الظَّهْرُ" *** مَا الْحَمْلُ إِلَّا مَا يُعَانِي الصَّدْرُ" - 725/2

ب- حَصْرُ الْخَبَرِ فِي الْمَبْتَدَأِ: وَهِيَ أَرْبَعَةُ شَوَاهِدَ:

- 1- "سَلِ الرُّومَ هَلْ فِيهِنَّ لِلْفُلْكِ حِيلَةٌ" *** وَهَلْ عَاصِمٌ مِنْهُنَّ إِلَّا التَّنَكُّبُ؟" - 77/1
- 2- "مَا لِلرِّجَالِ سِوَى الْمَرَاشِدِ مَنْهَجٌ" *** فِيهِ وَلَا غَيْرَ الصَّلَاحِ شِعَارٌ" - 307/1
- 3- "مَا خَلَقَهُ إِلَّا مَقُودٌ طَائِعٌ" *** مُتَلَقِّ عَنْ كِبَرِيَاءٍ مُطَاعٌ" - 365/1
- 4- "مَا فِيهِ إِنْ قُلِبَتْ يَوْمًا جَوَاهِرُهُ" *** إِلَّا قَرَائِحُ مِنْ رَادٍ وَأَذْهَانٍ" - 616/2

2- حَصْرُ الْفَاعِلِ: (الفاعل اسمٌ مفردٌ): وَهِيَ تِسْعَةُ عَشَرَ شَاهِدًا:

- 1- "وَدَانِي الْهَوَى مَا بَيْنِي وَبَيْنَهَا" *** فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْأَرْضُ وَالْأَرْضُ تَقْرُبُ" - 76/1
- 2- "وَمَا رَاعِنِي إِلَّا لَوَاءٌ مُخَضَّبٌ" *** هُنَالِكَ يَحْمِيهِ بَنَانٌ مُخَضَّبٌ" - 77/1

- 3- "وَأَقْبَلْتُ عَقَبَاتٍ لَا يُدَلِّلُهَا *** فِي مَوْقِفِ الْفَصْلِ إِلَّا الشَّعْبُ مُنْتَجِبًا" - 99/1
- 4- "وَلَا جَالَ إِلَّا الْخَيْرُ بَيْنَ سَرَائِرِي *** لَدَى سُدَّةِ خَيْرِيَةِ الرَّغَبَاتِ" - 139/1
- 5- "فَمَا رَاعَنِي إِلَّا نِسَاءُ لَقِينِي *** يُبَالِغْنَ فِي زَحْرِي وَيُسْرِفْنَ فِي نَهْرِي" - 262/1
- 6- "وَمَا شَجَانِي إِلَّا صَوْتُ سَاقِيَةٍ *** تَسْتَقْبِلُ اللَّيْلَ بَيْنَ النَّوْحِ وَالْعَبْرِ" - 265/1
- 7- "وَلَمْ يَرْعُنِي إِلَّا قَوْلُ عَادِلَةٍ *** مَا بَالُ أَحْمَدَ لَمْ يَحْلُمَ وَلَمْ يَقِرْ" - 265/1
- 8- "لَمْ يَبْقَ مِنْهُ وَمِنْ حَضَارَةِ عَهْدِهِ *** إِلَّا صَوَى مَحْجُوبَةٍ وَمَنَارُ" - 304/1
- 9- "عَرِينُهُ مُذْ كَانَ لَا *** يَحْمِيهِ إِلَّا فَسُورُهُ" - 328/1
- 10- "فَمَا رَاعَنِي إِلَّا عَذَارَى أَجْرَنِي *** وَرُبَّ ضَعِيفٍ تَحْتَمِي فَيْجِيرُ" - 298/1
- 11- "فَلَا يَرْفَعَنَّ فِيهِ إِلَّا فَتَى *** إِلَى دَرَجَاتِ النُّبُوغِ انْصَرَفَ" - 381/2
- 12- "وَفَتَانَةٍ مَا زَادَهَا فِي غَرِيبِ الْحُ *** سَنَ إِلَّا غَرَائِبُ الْأَحْلَاقِ" - 391/2
- 13- "وَالْفَتْحُ بَغْيٌ لَا يُهَوِّنُ وَقَعَهُ *** إِلَّا الْعَفِيفُ حُسَامُهُ الْمَتَرَفُّ" - 408/2
- 14- "لَا يَنْفَعُ النَّفْسَ فِيهِ وَهْيَ حَائِرَةٌ *** إِلَّا زَكَاةُ النُّهْيِ وَالْجَاهِ وَالْمَالِ" - 433/2
- 15- "لَمْ يَدْرِ إِلَّا اللَّهُ مَا *** خَبَّاتُ لَكَ الدُّنْيَا وَلِي" - 436/2
- 16- "مَا الْمَجْدُ إِلَّا زُخْرُفُ أَقْوَالٍ لَطَالِبُهَا *** لَا يُدْرِكُ الْمَجْدَ إِلَّا كُلُّ فِعَالٍ" - 440/2
- 17- "وَرَضَا اللَّهُ نَرْجِيهِ وَلَكِنْ *** لَا يُؤَدِّي إِلَيْهِ إِلَّا الْكَمَالُ" - 455/2
- 18- "يَطْعُمُ اللَّوْزَ وَالْفَطِيرَ وَيُسْقَى *** عَسَلًا لَمْ يَشْبُهُ إِلَّا الزُّلَالُ" - 456/2
- 19- "وَلَا يَذْكُرُ الْمَعْهَدَ الشَّرْقِيَّ *** لِأَنُورَ إِلَّا جَلِيلُ الْمَنَنِ" - 583/2

*ملحق - الاسم "غير": (فاعل)، وهي خمسة شواهد:

- 1- "لَوْ مَالَ عَنكَ شِرَاعُهَا وَبُحَارُهَا *** لَمْ يَبْقَ غَيْرُ الصَّيْدِ وَالْمَتَصِيدِ" - 208/1
- 2- "وَمَا رَاعَهُمْ غَيْرُ رَأْسِ الرِّجَالِ *** عَلَى هَيْكَلٍ مِنْ ذَوَاتِ الظُّفْرِ" - 250/1
- 3- "فَلَمْ يَبْقَ غَيْرُكَ مَنْ لَمْ يَخَفْ *** وَلَمْ يَبْقَ غَيْرُكَ مَنْ لَمْ يَطْرُ" - 252/1
- 4- "لَمْ يَبْقَ غَيْرُكَ مَنْ يَقُولُ أَصُونُهُ *** صَنَهُ بِحَوْلِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ" - 269/1

5- "وَمِنَ الْمَكْرِ تَغْيِيكَ بِهَا *** هَلْ يُرَكِّي الذَّبْحَ غَيْرَ الذَّابِحِينَ" -580/2

3- حَصُرُ المفعول به ب (إلا)، وهي تسعة وعشرون شاهداً:

- 1- "وَتَرَى لَدَيْهَا الْوَارِدِينَ فَلَا تَرَى *** إِلَّا ظُمَاءً يَنْزِلُونَ رُوءَاءَ" -41/1
- 2- "لَا يَحْجُبُونَ عَلَى تَحْنُيْهِمْ وَلَا *** يَجِدُونَ إِلَّا الصَّفْحَ وَالْإِعْضَاءَ" -41/1
- 3- "انْظُرْ أَبَا الْفَارُوقِ غَرْسَكَ هَلْ تَرَى *** بِالْغَرْسِ إِلَّا نِعْمَةً وَنَمَاءً؟" -49/1
- 4- "أُنْفِضْ عُبَارَكَ عَنْكَ وَانْظُرْ هَلْ تَرَى *** إِلَّا عُبَارَ كَثِيبَةٍ وَلَوَاءَ؟" -52/1
- 5- "لَمْ تُعَادِرْ فَلَمَّا فِي رَاحَةٍ *** دَوْلَةً لَمْ تَعْرِفْ إِلَّا الْحِرَابَا" -94/1
- 6- "وَلَا كَرَّمْتُ إِلَّا وَجْهَ حُرٍّ *** يُقَلِّدُ قَوْمَهُ الْمِنْنَ الرَّغَابَا" -103/1
- 7- "تَأْمَلْ هَلْ تَرَى إِلَّا شِبَاكَ *** مِنَ الْأَيَّامِ حَوْلَكَ مُلْقِيَاتٍ" -146/1
- 8- "نَشْوَى وَمَا يُسْقِينَ إِلَّا رَاحَتِي *** وَسَنَى وَمَا يُطْعِمُنْ غَيْرَ رُقَادِي" -190/1
- 9- "لَا أَرَى الْأَيَّامَ إِلَّا مَعْرَكَا *** وَأَرَى الصُّنْدِيدَ فِيهِ مَنْ صَبَرَ" -246/1-مفعول به ثان
- 10- "لَا أَرَى إِلَّا نِظَامًا فَاسِدًا *** فَكَّكَ الْعِلْمَ وَأَوْدَى بِالْأَسْرِ" -246/1
- 11- "مَا أَنْزَلُوا إِلَى الثَّرَى *** بِالْأَمْسِ إِلَّا نِيرَةً" -330/1
- 12- "تَأْمَلْ هَلْ تَرَى إِلَّا جَلَالًا *** تُحْسُ النَّفْسُ مِنْهُ مَا تُحْسُ" -346/1
- 13- "كَشَفْتُ بِهِ الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْهَا *** وَلَمَحَّةَ مَائِهَا إِلَّا خِدَاعًا" -375/1
- 14- "نَظَرْتُ عَلَى السَّمَاءِ مَكَانَ عَيْسَى *** فَلَمْ أَرْ بَيْنَنَا إِلَّا ذِرَاعًا" -373/1
- 15- "لَا تَسْقِنِي إِلَّا دِهَاقًا إِنِّي *** أَسْقَى بِكَأْسٍ فِي الْهُمُومِ دِهَاقٍ" -388/2
- 16- "لَمْ يَدَّخِرْ إِلَّا رِضَاكَ وَلَا إِفْتَنَى *** إِلَّا وَلَاءَكَ أَنْفَسَ الْأَعْلَاقِي" -389/2
- 17- "ظُلُمًا أَقُولُ جَنَى الْهَوَى *** لَمْ يَجْنِ إِلَّا مُفْلَتَاكَ" -411/2
- 18- "قَدْ قَامَ غُلُومٌ خَطِيبًا فَمَا *** أَعْطَاكَ مِنْ مُلْكِكَ إِلَّا الْقَلِيلَ" -426/2
- 19- "لَمْ يَزِدْ فِي الْحَدِيدِ وَالنَّارِ إِلَّا *** لَمَحَّةَ حُرَّةٍ وَصَبْرًا جَمِيلًا" -461/2
- 20- "وَهَلْ نَلْنَا كِلَانَا الْيَوْمَ إِلَّا *** عَرَاقِيبَ الْمَوَاعِيدِ وَالْمِطَالَا؟" -469/2
- 21- "لَا تَسْتَطِيعُ النَّفْسُ فِي مَلَكُوتِهِ *** إِلَّا رِضَى بِقَضَائِهِ وَقَبُولًا" -472/2

- 22- "لَطَفَ اللَّهُ بِبَارِسَ وَلَا *** لَقِيَتْ إِلَّا نَعِيمًا وَسَلَامًا"-559/2
- 23- "هَلْ تَرَى فِي الْأَرْضِ إِلَّا حَسَدًا *** وَرِيَاءً وَنِزَاعًا وَخِصَامًا"-560/2
- 24- "وَمَا عَذْرَ الْمُقَصِّرِ عَنْ جَزَاءٍ *** وَمَا يَجْزِيهِمْ إِلَّا كَلَامًا"-562/2 / مفعول به ثان
- 25- "وَمُنْعَمٌ لَمْ يَلْقَ إِلَّا لَذَّةً *** فِي طَيْبِهَا شَجْنٌ مِنَ الْأَشْجَانِ"-601/2
- 26- "يَا لَأُحْوَتَبَ مِنْ مُسْتَأْلِهِ *** لَمْ يَلِدْ إِلَّا حَوَارِيًّا هَجَانًا"-629/2
- 27- "أَرْضُ تَرَعَرَعَ لَمْ يَصْحَبْ بِسَاحَتِهَا *** إِلَّا نَبِيَّيْنِ قَدْ طَابُوا وَكُفَّاهَا"-632/2
- 28- "مِنْ وَرَاءِ الْأَذْنِ نَالَتْ ضَيْعَمًا *** لَمْ يَنْلِ أَفْرَانُهُ إِلَّا وَجَاهَهَا"-660/2
- 29- "وَأَقُولُ عَنْهُ أَخُو الْعَزَا *** لَ وَلَا أَرَى إِلَّا أَخَاهُ"-664/2
- *مُلْحَقٌ - الاسم "غير": (مفعول به)، وهي ثلاثة عشر شاهداً:
- 1- "لَمْ تَنْعَ لِلْأَحْيَاءِ غَيْرَ ذَخِيرَةٍ *** وَلَتْ وَغَيْرَ بَقِيَّةِ الْكُبَرَاءِ"-51/1 / تكراراً إلا
- 2- "صَافِي الْأَيْمِ أَعْرُ أَبْلُجٌ لَمْ يَزِدْ *** فِي الشَّيْبِ غَيْرَ جَلَالَةٍ وَرَوَاءِ"-51/1
- 3- "وَمَشَتْ مِشْيَتَهَا لَمْ تَرْتَكِبْ *** غَيْرَ رَحْلَيْهَا وَلَمْ تَحْجُلْ غُرَابًا"-93/1
- 4- "لَمْ تَلْقَ غَيْرَ الرِّقِّ مِنْ *** عُسْرِ عَلَى الشَّرْقِيِّ عَاتٍ"-142/1
- 5- "تَرْمِي بِطَرْفِكَ فِي الْمَجَامِعِ لَا تَرَى *** غَيْرَ التَّعَانُقِ وَاشْتِبَاكِ الرَّاحِ"-168/1
- 6- "نَشَوَى وَمَا يُسْقِينَ إِلَّا رَاحَتِي *** وَسَنَى وَمَا يُطْعِمُنْ غَيْرَ رُقَادِي"-190/1
- 7- "اللَّهُ فِي مُهْجَةٍ أَيْتَمَتْ وَاحِدَهَا *** ظُلُمًا وَمَا اتَّخَذَتْ غَيْرَ الْهَوَى وَلَدًا"-193/1
- 8- "لَمْ يَتْرِكْ الْوَجْدُ مِنْهَا غَيْرَ أَضْلُعِهَا *** وَغَيْرَ دَمْعِ كَصَوْبِ الْعَيْثِ مِنْهُمْ"-265/1
- 9- "يَأْبَى لَهُ فِي الشَّيْبِ غَيْرَ سَفَاهَةٍ *** قَلْبٌ صَغِيرُ الْهَمِّ وَالْأَوْطَارِ"-274/1
- 10- "فَلَعَلَّ سُلْطَانَ الْمَدَامَةِ مُخْرِجِي *** مِنْ عَالَمٍ لَمْ يَحْوَ غَيْرَ نَفَاقٍ"-388/2
- 11- "لَمَّا احْتَمَلْتُ لَكَ الصَّنِيعَةَ لَمْ أَجِدْ *** غَيْرَ الْقَوَائِي مَا بِهِ أَجْزِيكَ"-423/2
- 12- "لَوْ أَنَّ لِلَّهِ اتِّخَاذَ خَمِيلَةٍ *** مَا اخْتَارَ غَيْرَكَ رَوْضَةً لِحَالِهِ"-449/2
- 13- "لَمْ تَلْقَ حَوْلَكَ غَيْرَ كَرٍ *** تَرٍ وَالنَّطَاسِيَّ الْمَعِينُ"-594/2
- 4- مَعْمُولَا (كَان) وَأَخَوَاتِهَا، وهي أحد عشر شاهداً:

- 1- "هَذَا الْمَصِيرُ أَكَانَ طُولَ سَلَامَةٍ *** أَمْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا قَلِيلَ بَقَاءٍ؟" -1/52/ خبر كان
- 2- "فَمَا كُنْتَ إِلَّا السَّيْفَ وَالنَّارَ مَرْكَبًا *** وَمَا كَانَ يَسْتَعْصِي عَلَى التُّرْكِ مَرْكَبٌ" -1/78
- 3- "هَذَا الْبِنَاءُ الْفَحْمُ لِي *** سَ أَسَاسُهُ إِلَّا الْحَفِيرُ" -1/259
- 4- "إِيهِ زَمَانِي فِي الْهَوَى وَزَمَانِهَا *** مَا كُنْتُمَا إِلَّا النَّمِيرَ الْجَارِي" -1/261
- 5- "قَمَرٌ لَأَقَى خُسُوفًا فَانْزَوَى *** لَيْسَ مِنْ آبَائِهِ إِلَّا نَبِيُّهُ" -1/351
- 6- "وَلَمْ يَكْ غَيْرَ حَادِثَةٍ أَصَابَتْ *** مُقَلَّلَ كُلِّ حَادِثَةٍ قِرَاعًا" -1/376
- 7- "مَا كَانَتْ الْفُسْطَاطُ إِلَّا حَائِطًا *** يَأْوِي الضَّعِيفَ لِرُكْنِهِ وَيَأْلَفُ" -2/408
- 8- "لَيْسَ مِنْهُمْ إِلَّا فَتَى عَبْرَتِي *** لَيْسَ فِي الْمِجْدِ بِالْدَّعِي الدَّخِيلِ" -2/439
- 9- "هَلْ كَانَ ذَاكَ الْعَهْدُ إِلَّا مَوْقِفًا *** لِلْسُلْطَتَيْنِ وَلِلْبِلَادِ وَبِيَلَا" -2/473
- 10- "لَيْسَ تَلْقَى يِرَاعَهَا الْهِنْدُ إِلَّا *** فِي ذَرَا الْخَلْقِ أَوْ وَرَاءَ ضَمَانِهِ" -2/611
- 11- "وَالْمَسْ جِرَاحَاتِ الْبَرِيَّةِ شَافِيًا *** مَا كُنْتُ إِلَّا لِلْمَسِيحِ بَنَانًا" -2/622

5- شِبْهُ الْجُمْلَةِ، وَهِيَ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ شَاهِدًا:

- 1- "لَبَّى قَضَاءَ السَّمَاءِ أَمْسٍ بِمُهِجَةٍ *** لَمْ تَخْشَ إِلَّا لِلْسَّمَاءِ قَضَاءً" -1/44
- 2- "أَوْدَى الرَّدَى بِمُهِدَبٍ لَا تَنْتَهِي *** إِلَّا إِلَيْهِ شَمَائِلُ الرُّؤَسَاءِ" -1/51
- 3- "مَشِينَا بِنُورِي عِلْمِهَا وَبَيَانِهَا *** فَلَمْ نَسِرْ إِلَّا فِي شُعَاعِ شِعَابٍ" -1/110
- 4- "وَلَوْ لَمْ تَطْهَرِي فِي الْعُرْبِ إِلَّا *** بِأَحْمَدَ كُنْتَ خَيْرَ الْوَالِدَاتِ" -1/146
- 5- "وَأَنْتِ فِي مَجْلِسِ الرِّجْحَانِ لَا هِيَّةَ *** مَا سَرَتْ مِنْ نَادٍ إِلَّا إِلَى نَادِي" -1/199
- 6- "أُمّهَاتٌ لَا تَحْمِلُ التُّكُلَ إِلَّا *** لِلنَّجِيبِ الْجَرِيِّ فِي الْأَوْلَادِ" -1/203
- 7- "الْجَهْلُ لَا يِلِدُ الْحَيَاةَ مَوَاتُهُ *** إِلَّا كَمَا تِلِدُ الرِّمَامُ الدُّودَا" -1/230
- 8- "بِيدٌ لَا تَعْرِفُ الشَّرَّ وَلَا *** صَلَحَتْ إِلَّا لِتَلْهُو بِالْأَكْزَرِ" -1/245- مفعول لأجله
- 9- "وَلَا يَشْعُرُ الْقَوْمُ إِلَّا بِهِ *** وَلَوْ أَخَذْتُهُ الْمَدَى مَا شَعَرَ" -1/251
- 10- "هَيْهَاتَ لَمْ يَلْمَسْ جَلَاهُمْ الْبَلَى *** إِلَّا بِأَيْدٍ فِي الرِّغَامِ قِصَارٍ" -1/284
- 11- "مَرِضْتُ فَمَا أَلَحَّ الدَّاءُ إِلَّا *** عَلَى نَفْسٍ تَعَوَّدَتْ الصَّرَاعَا" -1/376
- 12- "أَظَلَّ جَلَالَ الْعِلْمِ وَالْمَوْتِ وَفَدَهَا *** فَلَمْ تَلَقْ إِلَّا فِي خُشُوعٍ وَجَلَالٍ" -2/441

- 13- "وَيَا نَشَأَ النَّيْلِ الْكَرِيمِ عَزَاءَكُمْ *** وَلَا تَذَاكُرُوا الْأَقْدَارَ إِلَّا بِإِجْمَالٍ" -446/2
- 14- "وَمَا دَانَ إِلَّا بِشُورَى الْأُمُورِ *** وَلَا إِخْتَالَ كِبَرًا وَلَا إِسْتَاهَا" -480/2
- 15- "لَمْ أَغْشَ مَعْنَاكَ إِلَّا فِي غُضُونٍ كَرَى *** مَعْنَاكَ أَبْعَدُ لِلْمُشْتَاكِ مِنْ إِرَمٍ" -507/2
- 16- "لَحَاهُ عَلَى الْإِقْدَامِ حُسَادُ بَحْدِهِ *** وَمَا خُلِقَ الْإِقْبَالُ إِلَّا لِمُقْدِمٍ" -520/2
- 17- "وَلَا تَظْفَرُ الْأَهْرَامُ إِلَّا بِثَالِثٍ *** مَزَامِيرُ دَاوُدَ عَلَيْهِ نَوَاغِمُ" -535/2
- 18- "لَمْ تَجْرِ بَيْنَ جَوَانِحِي إِلَّا كَمَا *** جَرَتْ الدَّنَانُ بِهَا وَسَالِ الْجَامُ" -550/2
- 19- "أَبَا الْفَارُوقِ أَذْرِكُهَا جِرَاحًا *** أَبَتْ إِلَّا عَلَى يَدَيْكَ التِّمَامَا" -556/2
- 20- "لَمْ تَنْثُرْ أُمَّةً إِلَى الْحَقِّ إِلَّا *** يَهْدَى الشَّعْرُ أَوْ خُطَا شَيْطَانِهِ" -610/2
- 21- "مَا تُرْنَمِنْ كُنُسٍ إِلَّا عَلَى كُنُسٍ *** مِنَ الْجَوَانِحِ ضَمَّتْهَا حَوَانِيهَا" -665/2
- 22- "لَمْ نَسْرِ مِنْ حَرَمٍ إِلَّا إِلَى حَرَمٍ *** كَالْحَمْرِ مِنْ بَابِلٍ سَارَتْ لِدَارِينَا" -647/2
- 23- "لَمْ يَجْرِ لِلدَّهْرِ إِعْذَارٌ وَلَا عُرْسٌ *** إِلَّا بِأَيَّامِنَا أَوْ فِي لَيَالِينَا" -650/2
- 24- "وَلَمْ يَضَعِ حَجَرًا بَانَ عَلَى حَجَرٍ *** فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى آثَارِ بَانِينَا" -650/2
- 25- "لَوْ غَابَ كُلُّ عَزِيزٍ عَنْهُ غَيْبَتَنَا *** لَمْ يَأْتِهِ الشَّوْقُ إِلَّا مِنْ نَوَاحِينَا" -651/2

6- الْحَالُ الْمُفْرَدَةُ، وَهِيَ سِتَّةُ شَوَاهِدٍ:

- 1- "هَلْ تَرَاهُمْ وَأَنْتَ مُوفٍ عَلَيْهِمْ *** غَيْرَ بُنْيَانٍ أُلْفَةٍ وَاتِّحَادٍ" -203/1
- 2- "هَلْ تَرَى النَّاسَ فِي طَرِيقِكَ إِلَّا *** نَعَشَ كَهْلٍ تَلَاهُ نَعَشُ وَلِيدٍ؟" -210/1
- 3- "أَعَهْدَتْنَا وَالْقَبْطُ إِلَّا أُمَّةٌ *** لِلْأَرْضِ وَاحِدَةً تَرْوُمُ مَرَامَا" -563/2
- 4- "فَسَمَّا لَوْ قَدَرُوا مَا إِحْتَشَمُوا *** لَا يَعِفُّ النَّاسُ إِلَّا عَاجِزِينَ" -579/2
- 5- "وَلَا تَرَى النَّاسَ إِلَّا حَرْبَ مُضْطَهَدٍ *** وَجَالِبِينَ عَلَى الْمِخْدُولِ خُذْلَانَا" -633/2
- 6- "لِفِتْيَةٍ لَا تَنَالُ الْأَرْضَ أَدْمُعُهُمْ *** وَلَا مَفَارِقَهُمْ إِلَّا مُصَلِّينَا" -647/2

7- ظَرْفُ الزَّمَانِ، وَهُوَ شَاهِدٌ وَاحِدٌ:

- 1- "أَمَّا وَاللَّهِ مَا عَلَّمُوكَ إِلَّا *** صَغِيرًا فِي وَلَائِكَ وَالْخِصَامِ" -501/2

8- أسلوبُ القصر بوساطة الاسم "سَوَى"، وهي ثلاثة عشر شاهداً:

- 1- "هَبْهُنَّ فِي عَقْلِ الرِّجَالِ وَحُلْمِهِمْ" *** أَقْلُوبُهُنَّ سَوَى قُلُوبِ نِسَاءٍ؟ -1/53- خبر المبتدأ
- 2- "وَمَا لِلْمُسْلِمِينَ سِوَاكَ حِصْنٌ" *** إِذَا مَا الضُّرُّ مَسَّهُمْ وَنَابَا -1/105- مبتدأ مؤخر
- 3- "وَلَيْسَ بِجَارٍ وَلَا وَاقِعٍ" *** سَوَى الْحَقِّ مِمَّا قَضَاهُ الْمُرِيدُ -1/185 اسم ليس مؤخر
- 4- "وَحَظُّ لَيْسَ يُعْطَاهُ" *** سَوَى الْمَخْلُوقِ لِلْخُلْدِ -1/205- مفعول به ثان للفعل "أُعْطِيَ"
- 5- "لَوْلَا التَّقَى لَقُلْتُ لَمْ" *** يَخْلُقْ سِوَاكَ الْوَلَدَا -1/231- فاعل
- 6- "صَبَرُوا لِدَوْلَتِكَ السَّنِينَ" *** وَمَا صَبَرُوا سَوَى شُهُورٍ -1/281- ظرف زمان
- 7- "نَحِيَّةَ شَاعِرٍ يَا مَاءَ (جكسو)" *** فَلَيْسَ سِوَاكَ لِلْأَرْوَاحِ أَنْسُ -1/346- خبر ليس مقدّم
- 8- "وَمِنَ الْأَنْثَوَابِ لَمْ تَمْ" *** لِكَ سَوَى فَرَوْ قَطِيفَةً -2/387- مفعول به
- 9- "وَالْعِلْمُ فِي شَرْقِ الْبِلَادِ وَغَرْبِهَا" *** مَا حَجَّ طَالِيئُهُ سَوَى نَادِيكَ -2/423- مفعول به
- 10- "'مَا اللَّيَالِي إِلَّا قِصَارٌ وَلَا الدُّرُ" *** يَا سَوَى مَا رَأَيْتَ أَحْلَامَ نَائِمٍ -2/487- خبر المبتدأ
- 11- "إِذَا خَفَضْتُ جَنَاحَ الدُّلِّ أَسْأَلُهُ" *** عِزَّ الشَّفَاعَةِ لَمْ أَسْأَلْ سَوَى أَمَمٍ -2/508- مفعول به
- 12- "أَشْيَاغُ عَيْسَى أَعْدُوا كُلَّ قَاصِمَةٍ" *** وَلَمْ نَعِدْ سَوَى حَالَاتٍ مُنْقَصِمٍ -2/512- مفعول به
- 13- "أَنَا لَمْ أَعْنَمَ مِنَ النَّا" *** سِ سَوَى فَنَجَانٍ فَهَوَهُ -2/672- مفعول به

9- أسلوبُ القَسَمِ الاستعطافي، وهما شاهدان:

- 1- "نَشَدْتُكَ بِالْمَوْتِ إِلَّا أَبَدٌ" *** تَ أَ أَنْتَ شَقِيٌّ بِهِ أَمْ سَعِيدٌ؟ -1/178
 - 2- "بِحُسْنِ نُطْقِكَ الَّذِي قَدْ أَصْبَى" *** إِلَّا أَرَيْتَنِي اللَّسَانَ الْعَذْبَا -2/713
- تقدير الكلام في البيت رقم: 02، هو: نَشَدْتُكَ بِحُسْنِ نُطْقِكَ..

ثانياً: الجملة المحصورة بـ "إِلَّا":

1- الجملة الحالية:

أ- الحال جملة اسمية، وهي أربعة شواهد:

- 1- "لَئِنْ تَمَشَّى الْبَلَى تَحْتَ التُّرَابِ بِهِ" *** لَا يُؤْكُلُ اللَّيْثُ إِلَّا وَهُوَ أَشْلَاءُ -1/38
- 2- "لَمْ يَشْعُرِ اللَّيْثُ إِلَّا" *** وَمُلْكُهُ فِي دِمَارٍ -1/291

3- "مَا جَلَّ فِيهِمْ عَيْدُكَ الْمَأْتُورُ *** إِلَّا وَأَنْتَ أَجَلٌ يَا فَكْتُورُ" -296/1

4- "مَا بَاتَ يُثْنِي عَلَىٰ عَلَيْكَ إِنْسَانٌ *** إِلَّا وَأَنْتَ لِعَيْنِ الدَّهْرِ إِنْسَانٌ" -614/2

ب-الحالُ جملةً فعليةً، وهي أربعة عشر شاهداً:

1- "وَلَمْ تَقَعْ الْعُيُونُ عَلَيْهِ إِلَّا *** أَنْتَارَ الْحَزْنَ أَوْ بَعَثَ الْبُكَاءَ" -46/1

2- "كَأَنَّكَ لِلْمَوْتِ مَوْتُ أُتِيحَ *** فَلَمْ يَرِ وَجْهَكَ إِلَّا هَرَبٌ" -71/1

3- "لَمْ تَفْتَرِقْ شَهَوَاتِ الْقَوْمِ فِي إِرْبٍ *** إِلَّا قَضَىٰ وَطَرًا مِنْ ذَلِكَ الْإِرْبِ" -115/1

4- "وَقَفَّاتٌ حَقٌّ لَمْ تَقِفْهَا أُمَّةٌ *** إِلَّا انْتَنَتْ آمَالُهَا بِنَجَاحٍ" -167/1

5- "وَحَلَا مِنْ شَهْوَةٍ مَا خَالَطَتْ *** صَالِحًا مِنْ عَمَلٍ إِلَّا فَسَدَ" -179/1

6- "مَا جَلَّ خَطْبُ ثُمَّ قِيسَ بَعِيرِهِ *** إِلَّا وَهَوْنُهُ الْقِيَّاسُ وَصَعْرًا" -315/1

7- "لَمْ نَأْتِهِ بِأَخٍ فِي الْعَيْشِ بَعْدَ أَخٍ *** إِلَّا تَرَكْنَا رُفَاتًا عِنْدَ غُرْبَالٍ" -433/2

8- "وَأَنَا الْمَرْءُ لَمْ أَرِ الْحَقَّ إِلَّا *** كُنْتُ مِنْ حَزْبِهِ وَمِنْ عُمَالِهِ" -451/2

9- "فَلَمْ تَبْرَحِ الْقَصْرَ إِلَّا شَفِيتَ *** جُدُوبَ الْعُقُولِ وَإِمَحَالَهَا" -482/2

10- "تَخْطُرُ عَنْ عَادِلٍ *** لَمْ يَرِ إِلَّا ظَلَمٌ" -490/2

11- "لَمْ يَرَهَا الطَّيْرُ وَلَمْ *** يَسْمَعْ بِهَا إِلَّا افْتَنَنَ" -590/2

12- "لَمْ يَمُضْ فِي غَارَةٍ إِلَّا أَصَابَ لَهَا *** كَيْدًا يُنَازِعُهُ الْعَايَاتُ يَقْظَانًا" -633/2

13- "فَلَا قَارُونَ فَوْقَ الْأَرْضِ إِلَّا *** تَمَنَّى لَوْ رَضِيتَ بِهِ قَرِينًا" -636/2

14- "مَا دَعَاها الْحَقُّ إِلَّا سَارَعَتْ *** لَيْتَهُ يَوْمَ وَصِيفَ مَا دَعَاها" -662/2

ج-الحالُ شبه جملة، وهي ثمانية شواهد:

1- "وَلَا تَسْتَقْبِلُونَ الْفَجَرَ إِلَّا *** عَلَىٰ قَدَمِ الصَّلَاةِ إِذَا أَضَاءَ" -47/1

2- "وَلَمْ تَرَ الشَّعْبَ جَمْعًا وَمُفْتَرَقًا *** إِلَّا عَلَىٰ جَانِبَيْهَا انْضَمَّ وَأَنْشَعَبَا" -100/1

3- "وَلَا بَتْ إِلَّا كَابِنِ مَرْيَمَ مُشْفِقًا *** عَلَىٰ حُسْنَيْي مُسْتَعْفِرًا لِعِدَاتِي" -139/1

4- "مُحْيِي اللَّيَالِي صَلَاةً لَا يُقَطِّعُهَا *** إِلَّا بِدَمْعٍ مِنَ الْإِشْفَاقِ مُنْسَجِمٍ" -514/2

- 5- "شَرِكَاؤُكَ الدُّنْيَا الْعَرِيضَةُ لَمْ تُنَلْ *** إِلَّا بِطُولِ رِعَايَةٍ وَقِيَامٍ" -519/2
- 7- "وَالنَّجْمُ لَمْ يَرَنَا إِلَّا عَلَى قَدَمٍ *** قِيَامَ لَيْلِ الْهَوَى لِلْعَهْدِ رَاعِينَا" -648/2
- 7- "وَلَكِنْ لَا يَمُزُّ عَلَيْهِ إِلَّا *** كَمَا مَرَّتْ يَدَاهُ بِعَارِضِهِ" -682/2
- 8- "هُوَ إِنْ أُوتِيَتْهُ أَسْنَى النَّعَمِ *** هَلْ تَرَى الْجُهَّالَ إِلَّا كَالنَّعَمِ" -704/2

2- الجملة ظرف زمان، وهي شاهد واحد:

- 1- "أَخَذَتْهُمْ لَا مَالِكِينَ لِحَوْضِهِمْ *** مَنِ الدَّوْدُ إِلَّا مَا أَطَالُوا وَأَسْهَبُوا" -74/1

3- الجملة مفعولاً به، وهي شاهدان:

- 1- "أَبَتْ النَّاسُ لِلنَّاسِ فِيكَ إِلَّا *** أَنْ يُجَارُوا الزَّمَانَ وَصَلًا وَصَدًا" -226/2
- 2- "مَا أَرَى الْحَبَّةَ إِلَّا *** سُرِقَتْ مِنْ بَيْتِ نَمْلَةٍ" -483/2 / مفعول به ثان

4- الجملة فاعلاً: وهي ثلاثة شواهد:

- 1- "فِي خِلَالِ الْخُطُوبِ مَا رَاعَ إِلَّا *** أَنَّهَا دُونَ صَبْرِكُمْ وَجَمَالِهِ" -450/2

القسم الثاني: القصر بوساطة إنما:

أ- حصر المبتدأ في الخبر، وهي ثمانية وثلاثون شاهداً:

- 1- "إِنَّمَا مِصْرُ إِيكُمْ وَبِكُمْ *** وَحُقُوقُ الْبِرِّ أَوَّلَى بِالْقَضَاءِ" -11/1
- 2- "بَاطِنُ الْأُمَّةِ مِنْ ظَاهِرِهَا *** إِنَّمَا السَّائِلُ مِنْ لَوْنِ الْمَاءِ" -11/1
- 3- "إِنَّمَا يُنْكِي شِعَاعُ نَابِغٍ *** كُلَّمَا مَرَّ بِهِ الدَّهْرُ أَضَاءَ" -13/1
- 4- "إِنَّمَا الْأَرْضُ وَالْقَضَاءُ لِرَبِّي *** وَمُلُوكُ الْحَقِيقَةِ وَالْأَنْبِيَاءُ" -24/1
- 5- "وَإِذَا غَضِبْتَ فَإِنَّمَا هِيَ غَضَبَةٌ *** فِي الْحَقِّ لَا ضَعْفٌ وَلَا بَغْضَاءٌ" -31/1
- 6- "تُكَلِّمُ الرِّجَالَ مِنَ الْبَنِينَ وَإِنَّمَا *** تُكَلِّمُ الْمَمَالِكِ فَقَدْهَا الْعُلَمَاءُ" -40/1
- 7- "اللَّهُ فِي فَنِّ تَلْهُو الزَّمَانِ بِهِ *** فَإِنَّمَا هُوَ مَشْدُودٌ بِأَحْشَائِي" -60/1
- 8- "إِنَّمَا الْعَاقِلُ مَنْ يَجْعَلُ *** لِلدَّهْرِ حِسَابًا" -97/1

- 9- "وَإِنَّمَا هُوَ سُلْطَانٌ يُدَانُ لَهُ *** إِذَا تَكَفَّلَ بِالْأَعْبَاءِ وَانْتَدَبَا" -101/1
- 10- "هَنِيئًا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّمَا *** نَجَاتُكَ لِلدِّينِ الْحَنِيفِ نَجَاهُ" -135/1
- 11- "إِنَّمَا النَّاسُ أُمَّةٌ لَا يَمُوتُونَ *** نَ وَأُخْرَى تَمُرُّ مَرًّا وَتَنْفَدُ" -174/1
- 12- "لَسْتُ مَنْ مَرَّ بِالْمَعَالِمِ مَرًّا *** إِنَّمَا أَنْتَ دَوْلَةٌ فِي فَقِيدٍ" -210/2
- 13- "فَرِيدٌ، ضَحَايَاكَ كَثِيرٌ وَإِنَّمَا *** بِحَالِ الضَّحَايَا أَنْتَ فِيهِ فَرِيدٌ" -220/2
- 14- "إِنَّمَا الْمَوْتُ مُنْتَهَى كُلِّ حَيٍّ *** لَمْ يُصَبِّ مَالِكٌ مِنَ الْمَلِكِ خُلْدًا" -227/2
- 15- "لَقِيتُ عَلِيمًا بِالْعَوَانِي وَإِنَّمَا *** هُوَ الْقَلْبُ كَالْإِنْسَانِ يُعْرِى وَيُخْدَعُ" -368/1
- 16- "ابْنُ مِصْرٍ وَإِنَّمَا كُلُّ أَرْضٍ *** تَنْطِقُ الضَّادَ مَهْدُهُ وَرَبَاعُهُ" -369/1
- 17- "إِنَّمَا الشَّرْقُ مَنْزِلٌ لَمْ يُفَرِّقْ *** أَهْلُهُ إِنْ تَفَرَّقَتْ أَصْقَاعُهُ" -369/1
- 18- "إِنَّمَا السَّحَرُ وَالْبَلَاغَةُ وَالْحِكْمُ *** مَهْ بَيْتٌ كِلَاهُمَا مِصْرَاعُهُ" -369/1
- 19- "إِنَّمَا الثَّوْبُ عَلَى الْإِنْسَانِ *** إِنْ عُنْوَانُ الصَّحِيفَةِ" -387/2
- 20- "إِنَّمَا (وَاصِفٌ) بِنَاءٌ مِنَ الْأَخْدِ *** لَاقٍ فِي دَوْلَةِ الْمَشَارِقِ عَالِي" -430/2
- 21- "إِنَّمَا الْمَيِّتُ مَنْ مَشَى *** مَيِّتُ الْحَيْرِ وَالْحَبَرِ" -243/1
- 22- "إِنَّمَا هُمْ حِفْدٌ وَغِشٌّ وَبُعْضٌ *** وَأَذَاهُ وَغِيَّةٌ وَانْتِحَالٌ" -456/2
- 23- "إِنَّمَا الْعَالَمُ الَّذِي مِنْهُ جِئْنَا *** مَلْعَبٌ لَا يَنْوَعُ التَّمَثِيلَا" -460/2
- 24- "إِنَّمَا الْهِمَّةُ الْبَعِيدَةُ غَرْسٌ *** مُتَأَيِّ الْجَنَى بَطِيءُ الْكَمَائِمِ" -488/2
- 25- "إِنَّمَا الْقُدْسُ مَنْزِلُ الْوَحْيِ مَعْنَى *** كُلِّ حَبْرٍ مِنَ الْأَوَائِلِ عَالِمٌ" -489/2
- 26- "وَإِنَّمَا أَنَا بَعْضُ الْعَابِطِينَ وَمَنْ *** يَغْبِطُ وَلِيِّكَ لَا يُدْزَمُ وَلَا يُلَمُّ" -511/2
- 27- "إِنَّمَا الْمَلِكُ صَارِمٌ وَيَرَاغُ *** فَإِذَا فَارَقَاهُ سَادَ الطَّعَامُ" -541/2
- 28- "إِنَّمَا الْأُمَمُ الْأَخْلَاقُ مَا بَقِيَتْ *** فَإِنْ تَوَلَّتْ مَضَوْا فِي إِثْرِهَا قُدَمَا" -553/2
- 29- "فَاتَّرَعُ وَنَاوِلُ يَا زَمَانُ فَإِنَّمَا *** نَدِيمُكَ سُقْرَاطُ الَّذِي ابْتَدَعَ السُّمَّا" -565/2
- 30- "إِنَّمَا الْأُسُوهُ وَالْدُّنْيَا أُسَى *** سَبَبُ الْعُمَرَانِ نَظْمُ الْعَالَمِينَ" -580/2
- 31- "إِنَّمَا الدُّنْيَا شُحُونٌ تَلْتَقِي *** وَحَزِينٌ يَتَأَسَّى بِحَزِينٍ" -598/2
- 32- "إِنَّمَا أَنْتَ حَلَبَةٌ لَمْ يَسْخَرْ *** مِثْلُهَا لِلْكَلامِ يَوْمَ رِهَانِهِ" -611/2

- 33- "وَإِنَّمَا هِيَ سُورَى اللَّهِ جَاءَ بِهَا *** كِتَابُهُ الْحَقُّ يُعْلِيهَا وَيُغْلِيهَا" - 666/2
- 34- "فَإِنَّمَا نَحْنُ بَنِي الدَّهْمَاءِ *** نَعْمَلُ فِي الشَّدَّةِ لَا فِي الرَّخَاءِ" - 696/2
- 35- "إِنَّمَا الْآيَاتُ وَالْعَيْشُ كِتَابٌ *** كُلَّ يَوْمٍ فِيهِ لَلْعِبْرَةِ بَابٌ" - 705/2
- 36- "كُنْ نَشِيطاً عَامِلاً جَمَّ الْأَمَلُ *** إِنَّمَا الصِّحَّةُ وَالرِّزْقُ الْعَمَلُ" - 705/2
- 78- "وَابِلٌ سُفْرَاطٌ وَالشُّجْعَانُ طَلٌ *** إِنَّمَا مَنْ يَنْصُرُ الْحَقَّ الْبَطْلُ" - 706/2
- 38- "أَحَبُّ الطِّفْلِ وَإِنْ لَمْ يَكُ لَكَ *** إِنَّمَا الطِّفْلُ عَلَى الْأَرْضِ مَلَكٌ" - 707/2

ب- حَصُرُ الخبر في المبتدأ، وهو شاهدٌ واحدٌ:

- 1- "لَمْ لَا تَطُلْ مِنَ السَّمَاءِ وَإِنَّمَا *** بَيْنَ السَّحَابِ قُبُورُهَا وَالْأَنْجُمُ" - 503/2

ج- حَصُرُ الفعل في الفاعل، وهما شاهدان:

- 1- "إِنَّمَا يُقَدَّرُ الْكَرَامُ كَرِيمٌ *** وَيُقِيمُ الرَّجَالُ وَزَنَ الرَّجَالِ" - 430/2
- 2- "يَمْضِي وَيُنْسَى الْعَالَمُونَ وَإِنَّمَا *** تَبْقَى السُّيُوفُ وَتُخَلَّدُ الْأَقْلَامُ" - 524/2

د- حَصُرُ الفعل المسند في البناء للمجهول، وهما شاهدان:

- 1- "مَا حَطَّمُوكَ وَإِنَّمَا بِكَ حُطُّمُوا *** مَنْ ذَا يُحَطِّمُ رُفْرَفَ الْجُوزَاءِ؟" - 54/1
- 2- "فَقَالَ سِرٌّ وَالزَّمُ أَخَاكَ الْوَنَدَا *** فَإِنَّمَا خُلِفْتَ كَيْ تَقِيدَا" - 715/2

هـ- حَصُرُ المفعول به، وهي ستة شواهد:

- 1- "وَلَمْ أُعْدِمِ الظِّلَّ الْحَصِيبَ وَإِنَّمَا *** أَجَاذِيكَ الظِّلَّ الَّذِي هُوَ أَخْصَبُ" - 84/1
- 2- "يَقُولُونَ يَرِثِي كُلَّ خِلٍّ وَصَاحِبٍ *** أَجَلٌ، إِنَّمَا أَقْضِي حُقُوقَ صَحَابِي" - 109/1
- 3- "وَمَا سَكَبَ الْمِيزَابُ مَاءً وَإِنَّمَا *** أَقَاضَ عَلَيْكَ الْأَجَرَ وَالرَّحْمَاتِ" - 138/1
- 4- "لَمْ يَلْبَسُوا بُرْدَ النَّبِيِّ وَإِنَّمَا *** لَبَسُوا طُفُوسَ الرُّومِ إِذْ لَبَسُوكَ" - 416/2
- 5- "وَدِمَشْقُ جَنَاتِ النَّعِيمِ وَإِنَّمَا *** أَلْفَيْتُ سُدَّةَ عَذْنِ رُبَاكَ" - 420/2
- 6- "إِنَّمَا أَظْهَرُوا يَدَ اللَّهِ عِنْدِي *** وَأَدَاغُوا الْجَمِيلَ مِنْ إِحْسَانِهِ" - 611/2

و- حَصُرُ ظرف الزمان المقدم، وهي شاهدٌ واحدٌ:

- 1- "مَا آبَ جَبَّارُ الْقُرُونِ وَإِنَّمَا *** يَوْمَ الْحِسَابِ يَكُونُ إِيَّابُهُ" - 124/1

ز- حَصُرُ ظرف الزمان، وهما شاهدان:

- 1- "إِنَّمَا يَسْمَحُ بِالرُّوحِ الْفَتَى *** سَاعَةَ الرُّوعِ إِذَا الْجَمْعُ اشْتَجَرَ" - 248/1

2- "وَأِنَّمَا يُنَبِّهُ الـ" *** غَافِلٌ عِنْدَ الْعَرْعَرَةِ -331/1

ح- حصر شبه الجملة، وهي ثلاثة شواهد:

1- "مَا زُوجَتْ تِلْكَ الْفَتَاهُ وَإِنَّمَا" *** بِيعَ الصَّبَا وَالْحُسْنُ بِالذِّينَارِ -275/12- "لَا فِي الْجِيَادِ وَلَا النِّيَاقِ وَإِنَّمَا" *** خُلِقَتْ بِغَيْرِ حَوَافِرٍ وَخِفَافٍ -385/23- "وَتَمَهَّلَ إِنَّمَا تَمْشِي إِلَى" *** حَرَمَ الدَّهْرِ وَمُخْرَابِ الْقُرُونِ -581/2

ط- حصر نائب الفاعل، وهو شاهد واحد:

1- "الْمُتَقِنُونَ وَإِنَّمَا" *** يُجْزَى الْخُلْدَ الْمُتَقِنُونَ -592/2

القسم الثالث: القصر بطريق العطف:

1- "لَا" العاطفة، وهي ثلاثة وعشرون شاهداً:

1- "فَرَأَى اللَّهُ أَنْ يَعْقَّ وَلَدٌ" *** لَهُ تَقِي لَا لِعَيْرِهِ الْأَنْبِيَاءُ -24/1: العطف بلا2- "وَالْقُصُورُ مَسْرُحُهَا" *** لَا الرَّمَالُ وَالْعُشْبُ -87/13- "يَسْتَفْزُهَا نَعَمٌ" *** لَا صَدَى وَلَا جَبٌ -87/14- "أَمْرُ الرِّجَالِ إِلَيْهِ لَا إِلَى نَفَرٍ" *** مِنْ بَيْنِكُمْ سَبَقَ الْأَنْبَاءُ وَالْكُتُبَا -99/15- "بَاهِ الْمُلُوكِ بِهَذَا التَّاجِ إِنَّ لَهُ" *** فِي جَوْهَرِ الشَّمْسِ لَا فِي الْمَاسِ مُنْتَسِبَا -100/16- "بِجُوبِ الدَّهْرِ نَحْوَكِ وَالْفَيَافِي" *** وَتَفْتَحُ اللَّيَالِي لَا الْعُبَابَا -107/17- "كَمَا وُلِدْتُمْ عَلَى أَعْرَافِهَا وُلِدَتْ" *** فِي سَاحَةِ الْحَرْبِ لَا فِي سَاحَةِ الرَّحْبِ -118/18- "نَشَوَى مِنَ الظَّفَرِ الْعَالِي مُرْتَحَةً" *** مِنْ سَكْرَةِ النَّصْرِ لَا مِنْ سَكْرَةِ النَّصَبِ -118/19- "يَبْنُونَ بِالْأُتُورِ حَائِطَ مُلْكِهِمْ" *** لَا بِالصِّفَاحِ وَلَا عَلَى الْأَرْمَاحِ -168/110- "أَبَا عَزِيزٍ سَلَامُ اللَّهِ لَا رُسُلٌ" *** إِلَيْكَ تَحْمِلُ تَسْلِيمِي وَلَا بُرْدٌ -216/211- "فَقُلْتُ لِلْمَجْدِ أَشْعَارِي مُسِيرَةً" *** وَفِي عَوَانِي الْعُلَا لَا فِي الْمَهَا وَطَرِي -266/112- "إِلَيْكَ اعْتِرَافِي لَا لِقَسٍّ وَكَاهِنٍ" *** وَنُحَوَايَ بَعْدَ اللَّهِ وَهُوَ عَفُورٌ -299/113- "أُسُّ الْمِمَالِكِ فِيهِ هِمَّةٌ وَحِجَى" *** لَا التُّرَهَاتُ لَهَا أُسٌّ وَلَا الْخِدْعُ -366/114- "وَاهِبُ الْمَالِ وَالشَّبَابِ لِمَا يَنْدُ" *** فَعُ لَا لِلْهَوَى وَلَا لِلضَّلَالِ -430/215- "إِنَّمَا مِنْ كِتَابِهِ يُتَوَقَّى الـ" *** مَرَّةً لَا مِنْ شَبَابِهِ وَاكْتِهَالِهِ -450/2

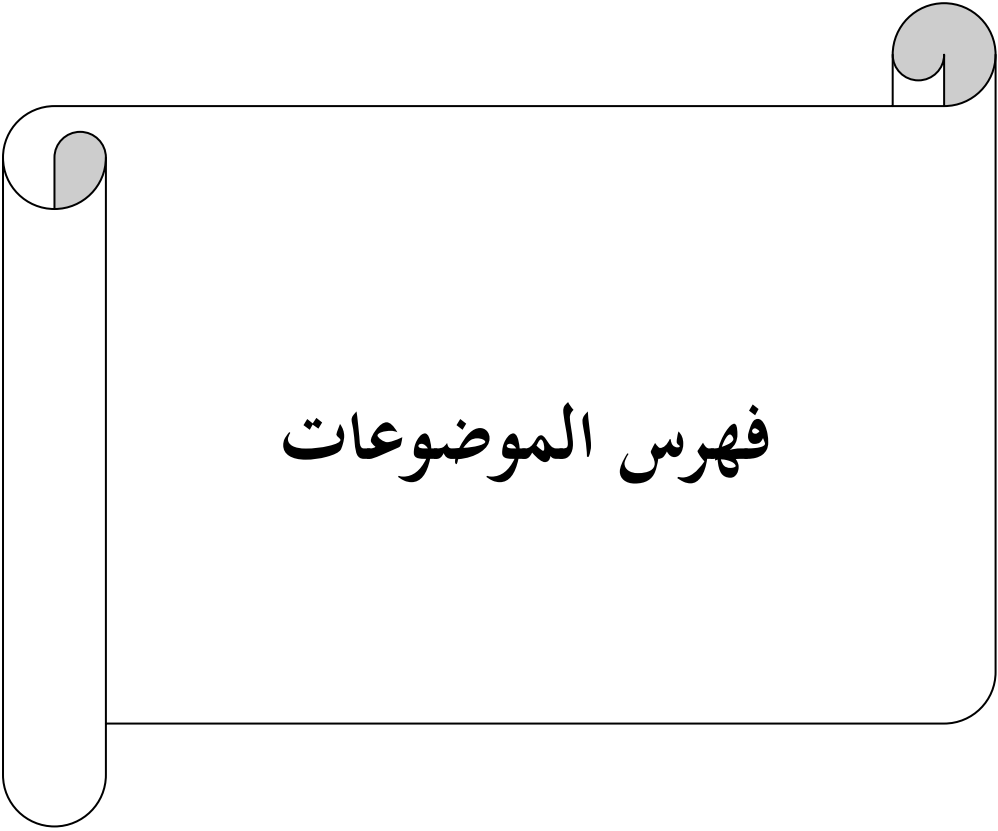
- 16- "بِيضٌ مَفَالِيلُ مِنْ فِعْلِ الْحُرُوبِ بِهِمْ *** مِنْ أَسَيْفِ اللَّهِ لَا الْهِنْدِيَّةِ الْحُدُمُ" -513/2
- 17- "يُطَاطِئُ الْعُلَمَاءُ الْهَامَ إِنْ نَبَسُوا *** مِنْ هَيْبَةِ الْعِلْمِ لَا مِنْ هَيْبَةِ الْحُكْمِ" -514/2
- 18- "مِنْ هِمَّةِ الْمَحْكُومِ وَهُوَ مُكَبَّلٌ *** بِالْقَيْدِ لَا مِنْ هِمَّةِ الْحُكَّامِ" -518/2
- 19- "فَعُيِّتَ فِي الْمِسْكِ لَا فِي الثَّرَابِ *** وَأُذِرَجَتْ فِي الْوَرْدِ لَا فِي الْكَفَنِ" -583/2
- 20- "مَشَى مِشْيَةَ اللَّيْلِ لَا فِي السَّلَاحِ *** وَلَا فِي الدُّرُوعِ وَلَا فِي الْجَنَنِ" -588/2
- 21- "وَهُوَ عَلَى الْجِدَارِ فِي أَمَانٍ *** يَغْلِبُ بِالْمَكَانِ لَا بِالْإِمْكَانِ" -687/2
- 22- "فَإِنَّمَا نَحْنُ بَنِي الدَّهْمَاءِ *** نَعْمَلُ فِي الشَّدَّةِ لَا فِي الرَّخَاءِ" -696/2
- 23- "أُطْلِبَ الْعِلْمُ لِدَاتِ الْعِلْمِ لَا *** لظُهُورِ بَاطِلِ بَيْنِ الْمَلَا" -704/2

القسم الرابع: أساليب القصر بتقديم ما حقه التأخير، وهي واحد وخمسون شاهداً:

- 1- "بُلْبُلٌ إِسْكَنْدَرِيٌّ أَيْكُهُ *** لَيْسَ فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ فِي السَّمَاءِ" -13/1
- 2- "فَإِذَا لَقَّبُوا قَوْبًا إِهْمًا *** فَلَهُ بِالْقَوَى إِلَيْكَ انْتِهَاءٌ" -22/1
- 3- "وَإِذَا أَنْشَأُوا التَّمَاثِيلَ غُرًّا *** فَإِلَيْكَ الرُّمُوزُ وَالْإِيحَاءُ" -22/1
- 4- "وَإِذَا قَدَّرُوا الْكَوَكِبَ أَر *** بَأَ فَمِنْكَ السَّنَى وَمِنْكَ السَّنَاءُ" -22/1
- 5- "لِعَلَّاكَ الْمَذْكُرَاتُ عَبِيدٌ *** خُضَّعَ وَالْمَوْثِقَاتُ إِمَاءٌ" -23/1
- 6- "فَرَأَى اللَّهُ أَنْ يَعْقَ وَلَدٌ *** هِ تَفِي لَا لِعَيْهِ الْأَنْبِيَاءُ" -24/1: تقديم
- 7- "إِنَّ عَصْرًا مَوْلَايَ فِيهِ الْمَرْجَى *** أَنَا فِيهِ الْقَرِيبُ وَالشُّعْرَاءُ" -29/1
- 8- "بِكَ بَشَّرَ اللَّهُ السَّمَاءَ فَزَيَّنَتْ *** وَتَضَوَّعَتْ مِسْكَاً بِكَ الْعَبْرَاءُ" -30/1
- 9- "أَمَّا الْجَمَالُ، فَأَنْتَ شَمْسُ سَمَائِهِ *** وَمَلَا حَهُ الصَّدِيقِ مِنْكَ إِيَاءُ" -31/1
- 10- "وَإِذَا أَجَرْتَ فَأَنْتَ بَيْتُ اللَّهِ لَمْ *** يَدْخُلَ عَلَيْهِ الْمُسْتَجِيرُ عِدَاءُ" -32/1
- 11- "وَإِذَا مَلَكَتْ فَخَيْرُ زَوْجِ عِشْرَةٍ *** وَإِذَا ابْتَنَيْتَ فَدُونُكَ الْآبَاءُ" -32/1
- 12- "حَسَدُوا فَقَالُوا شَاعِرٌ أَوْ سَاحِرٌ *** وَمِنْ الْحُسُودِ يَكُونُ الْإِسْتِهْزَاءُ" -32/1
- 13- "بِهِمَا سَمَوْتَ مُطَهَّرَيْنِ كِلَاهُمَا *** نُورٌ وَرُوحَانِيَّةٌ وَبَهَاءُ" -34/1
- 14- "عَرْشُ الْقِيَامَةِ أَنْتَ تَحْتَ لِوَائِهِ *** وَالْحَوْضُ أَنْتَ حِيَالُهُ السَّقَاءُ" -36/1
- 15- "هَنَّ الْحَسَانُ فَإِنْ قَبِلْتَ تَكْرُمًا *** فَمُهِوْرُهُنَّ شَفَاعَةٌ حَسَنَاءُ" -36/1

- 16- "أَنْتَ الَّذِي نَظَمَ الرِّبِّيَّةَ دِينُهُ *** مَاذَا يَقُولُ وَيَنْظُمُ الشُّعْرَاءُ؟" -36/1
- 17- "المُصْلِحُونَ أَصَابِعُ جَمَعَتْ يَدًا *** هِيَ أَنْتَ بَلْ أَنْتَ الْيَدُ الْبَيْضَاءُ" -36/1
- 18- "يَا سَعْدُ قَدْ حَرَّتِ الْأُمُورُ لِغَايَةِ *** اللَّهُ هَيَّأَهَا لَنَا مَا شَاءَ" -41/1
- 19- "بَيْتٌ عَلَى أَرْضِ الْهُدَى وَسَمَائِهِ *** الْحَقُّ حَاطِطُهُ وَأُسُّ بِنَائِهِ" -63/1 / تقديم خبر المبتدأ
- 20- "لَكَ الدِّينُ يَا رَبَّ الْحَجِيجِ جَمَعْتَهُمْ *** لَبِيتَ طَهُورِ السَّاحَاتِ وَالْعَرَصَاتِ" -138/1
- 21- "عَلِمَ أَنْتَ فِي الْمِشَارِقِ مُفْرَدٌ *** لَكَ فِي الْعَالَمِينَ ذِكْرٌ مُحَلَّدٌ" -173/1
- 22- "حَبَدًا دَوْلَةً وَمُلْكٌ كَبِيرٌ *** أَنْتَ بَابِي رُكْنِيهَا يَا مُحَمَّدٌ" -173/1
- 23- "وَلَنَا فِي غُلَاكَ مِنْهُ بَدِيلٌ *** عَلِمَ أَنْتَ فِي الْمِشَارِقِ مُفْرَدٌ" -175/1
- 24- "بَابِي صُرُوحِ الْمَجْدِ أَنْتَ الَّذِي *** تَبْنِي بُيُوتَ الْعِلْمِ فِي كُلِّ نَادٍ" -187/1
- 25- "أَنْتَ الَّذِي جَنَّدْتَهُ *** وَسُقْتَهُ إِلَى الرَّدَى" -222/2
- 26- "أَنْتَ مَنْ مَثَلَ السَّعَادَةِ لَوْ لَمْ يَكُ ذَاكَ النَّعِيمُ أَخْذًا وَرَدًّا" -223/1
- 27- "أَنْتَ أَنْشَأْتَهُ فَلَمْ تَرَ مِصْرَ *** جَحْفَلًا بَعْدَهُ وَلَمْ تَرَ جُنْدًا" -225/2
- 28- "وإِلَى اللَّهِ تَرْجِعُ النَّفْسُ يَوْمًا *** صَدَقَ اللَّهُ وَالْبَيُّونَ وَعَدًا" -227/2
- 29- "وَبَيْنَكِي الْأُلَى أَنْتَ عَلَّمْتَهُمْ *** وَأَنْتَ غَرَسْتَ فَكَانُوا الثَّمَرِ" -241/1
- 30- "مِنْ أَجْلِهِنَّ أَنَا الشَّفِيعُ *** قُ عَلَى الدُّمَى، وَأَنَا الْغَيُورُ" -259/1
- 31- "إِنَّ الَّتِي خَلَقْتَ أُمَّ *** سِ وَمَا سِوَاكَ لَهَا نَصِيرُ" -259/1 - تقديم المبتدأ "سِوَاكَ"
- 32- "فَقُلْتُ لِلْمَجْدِ أَشْعَارِي مُسِيرَةً *** وَفِي غَوَايِي الْعُلَا لَا فِي الْمَهَا وَطَرِي" -266/1
- 33- "اللَّهُ يَخْكُمُ فِي الْمَدَائِنِ وَالْقُرَى *** يَا مَيِّتَ عَمْرِ خُذِي الْقَضَاءَ كَمَا جَرَى" -315/1
- 34- "شَمْسُونُ أَنْتَ وَقَدْ رَسَتْ أَرْكَانُهَا *** فَتَمَشَّ فِي أَرْكَانِهَا لِتَرْوَلَا" -463/2
- 35- "فَهُنَاكَ طِبُّ الرُّوحِ طِبُّ *** بُ الْعَالَمِينَ مِنَ الْجَهَالَةِ" -478/2
- 36- "وَهُنَاكَ أَطْلَالُ الْفَصَا *** حَةِ وَالبَلَاغَةِ وَالنَّبَالَةِ" -478/2
- 37- "وَهُنَاكَ أَرْكَى مَسْجِدٍ *** أَرْكَى الرِّبِّيَّةَ قَدْ مَشَى لَهُ" -478/2
- 38- "وَهُنَاكَ عُذْرِي الْهُوَى *** وَحَدِيثُ فَيْسٍ وَالْعَزَالَةِ" -478/2
- 39- "وَهُنَاكَ مُجْرِي الْخَيْلِ يَجُ *** رِي فِي أَعْنَتِهَا خِيَالَهُ" -478/2
- 40- "وَهُنَاكَ مَنْ جَمَعَ السَّمَاءَ *** حَةِ وَالرَّجَاحَةَ وَالبَسَالَهَ" -478/2

- 41- "وَهُنَاكَ خَيَّمَتِ النُّهَى *** وَالْعِلْمُ قَدْ أَلْقَى رِحَالَهُ" -478/2
- 42- "وَهُنَاكَ سَرَّخَ حَضَارَةٌ *** اللَّهُ فَيَأْنَا ظِلَالَةٌ" -478/2
- 43- "سَعْدٌ وَنَحْسٌ وَمُلْكٌ أَنْتَ مَالِكُهُ *** تُدِيلُ مِنْ نِعَمٍ فِيهِ وَمِنْ نِقَمٍ" -515/2
- 44- "يَا مِصْرُ أَنْتَ كِنَانَةُ اللَّهِ الَّتِي *** لَا تُسْتَبَاحُ وَلِلْكِنَانَةِ حَامٍ" -517/2
- 45- "اللَّهُ سَحَرَ لِلْكِنَانَةِ خَازِنًا *** أَخَذَ الْأَمَانَ لَهَا مِنَ الْأَعْوَامِ" -519/2
- 46- "لَكَ الرُّبُوعُ الَّتِي رِيعَ الْحَجِيجِ بِهَا *** أَلِلْشَّرِيفِ عَلَيْهَا أَمْ لَكَ الْعِلْمُ؟" -526/2
- 47- "وَالِى السَّيِّدِ الْخَلِيفَةِ نَشْكُو *** جَوْرَ دَهْرٍ أَحْرَارُهُ ظُلَامٌ" -531/2
- 48- "أَنَا مَنْ مَاتَ وَمَنْ مَاتَ أَنَا *** لَقِي الْمَوْتَ كِلَانَا مَرَّتَيْنِ" -585/2
- 49- "فَإِذَا مَا قِيلَ مَا أَصْلُهُمَا *** قُلْ هُمَا الرَّحْمَةُ فِي مَرَحَمَتَيْنِ" -585/2
- 50- "أَنَا الْمِصْبَاحُ لِلْفِكْرِ *** أَنَا الْمِفْتَاحُ لِلذَّهْنِ" -605/2
- 51- "أَنَا الْبَابُ إِلَى الْمَجْدِ *** تَعَالَ ادْخُلْ عَلَى الْيُمْنِ" -605/2



فهرس الموضوعات

مقدمة.....أ-ط

المدخل: أسلوب القصر وموقعه من الدرس النحوي والبلاغي.....1-29

1- أثر النحو في توجيه البلاغة.....2-6

2- النحو وعلم المعاني.....7-14

3- أبواب علم المعاني.....15-19

4- منابع القصر.....19-21

5- حظُّ مبحث القصر من الدراسات الحديثة وزوايا المعالجة.....21-29

الباب الأول: أسلوب القصر عند النحاة.....30-172

-الفصل الأول: مصطلح الاستثناء: نشأته، وأدواته، وأنواعه، وأحكامه.....31-57

توطئة.....32-33

*المبحث الأول: كنه الاستثناء.....(34-40)

*المطلب الأول: نشأة الاستثناء.....34-37

*المطلب الثاني: حدُّ الاستثناء لغةً واصطلاحاً.....37-40

*المبحث الثاني: ما أُصطلح عليه في أدوات الاستثناء.....(41-54)

-المطلب الأول: الحروف.....41-50

*المطلب الثاني: أدوات بين الاسمِية والفعليّة: (خلا، عدا، حاشا).....50-51

*المطلب الثالث-أسماء.....51-53

*المطلب الرابع-الأفعال.....53-54

-المبحث الثالث: في أنماط الاستثناء.....(55-57)

*المطلب الأول: الاستثناء التام المتصل.....55-56

*المطلب الثاني: الاستثناء التام المنفِي.....56

*المطلب الثالث: الاستثناء المنقطع.....57

الفصل الثاني: طرق القصر.....(58-172)

*المبحث الأول: التخصيص عن طريق الاستثناء المفرغ.....(59-72)

*المطلب الأول: البناء النحويُّ لأسلوب الاستثناء المفرغ.....59-72

1-تعريفُ الاستثناء المفرغ.....	60-59
2-سبب تسميته بالمفرغ.....	64-60
3-مصطلح المفرغ عند النّحاة:.....	68-64
4-الاستثناء الناقص	68
5-معنى حصول القصر في الاستثناء المفرغ	70-68
6-لطيفة دلالية في الاستثناء المفرغ	72-70
*المبحث الثاني: عمل "غير" و"سوى" عمل "إلا" في هذا الأسلوب.....(79-73)	
المطلب الأول: الاسم "غير".....	77-73
1-فروق دلالية بين الاسم "غير" وإلا.....	75-73
2-إعرابُ "غير" غي الاستثناء المفرغ.....	77-75
المطلب الثاني: سوى.....	79-77
*المبحث الثالث: المعمولات النحوية المفرغ له الكلام.....(92-80)	
*المطلب الأول: التفرغ لخبر المبتدأ	85-81
*المطلب الثاني: التفرغ للمبتدأ	85
*المطلب الثالث: التفرغ للمفعول به.....	87-85
*المطلب الرابع: التفرغ للفاعل.....	89-87
*المطلب الخامس: التفرغ لشبه الجملة	90-89
*المطلب السادس: التفرغ للظرف	91-90
*المطلب السابع: التفرغ للحال:.....	92-91
*المطلب الثامن: التفرغ لاسم كان وخبرها.....	94-93
*المبحث الرابع: معمولات لا يُفرغ لها الكلام عند النّحاة.....(98-95)	
*المبحث الخامس: وقوع الاستثناء المفرغ (أسلوب القصر) في المفيد والموجب من الكلام.....(102-99)	
*المبحث السادس: الجملة المحصورة بإلا.....	(121-103)
*المبحث السابع: تكرار "إلا" في الاستثناء المفرغ.....(129-122)	
المطلب الأول: تكرار "إلا" للتوكيد.....	125-122

المطلب الثاني: تكرار "إلا" لغير التوكيد.....	129-126
*المبحث السابع: الاستثناء المطّرد بين إلا ولما.....	(135-130)
*المبحث الثامن: أسلوب القصر بأنما عند النّحة.....	(146-136)
المطلب الأول: إنّما المركّبة: أصلها.....	137-136
المطلب الثاني: عملها.....	140-137
المطلب الثالث: تحقّق القصر بها.....	146-140
*المبحث التاسع: القصر بالعطف.....	165-147
*المطلب الأول: دلالة "بل" على القصر عند النّحة.....	155-148
1- عملها في جملة النّعت والعطف.....	154-148
2- بل الحاصرة عند النّحة.....	155-154
3- حقيقة القصر ببل.....	155
المطلب الثاني لكنّ.....	161-156
1- شروط عملها.....	158-156
2- "لكنّ" الحاصرة.....	161-158
*المطلب الثالث: لا العاطفة.....	165-161
1- شروط عملها العطف عند جمهور النّحة.....	163-162
2- الحرف "لا" ومعنى القصر.....	165-163
*المبحث العاشر: القصر بالتّقديم والتّأخير.....	(172-166)
- المطلب الأول: الدّراسة النّحويّة لمسألة التّقديم والتّأخير.....	172-166
1- القصر في الجملة الفعلية.....	167-166
2- القصر في الجملة الاسمية.....	169-168
المطلب الثاني: القصر بتقديم المعمولات النّحويّة.....	172-169
الباب الثاني: أسلوبُ القصر عند البلاغيّين.....	238-173
الفصل الأول: أسلوبُ القصر-مصطلحاته، وأقسامه، وفوائده.....	192-174

*المبحث الأول: تعريفُ "القَصْرِ والحَصْرِ والاختصاص" لغةً واصطلاحاً، والفروق الكامنة بينها.....	(185-175)
*المطلب الأول: مصطلح "القصر".....	178-175
1-حدُّه لغةً واصطلاحاً.....	178-175
*المطلب الثاني: مصطلح الحَصْرِ.....	180-178
*المطلب الثالث: مصطلح الاختصاص.....	181-180
*المطلب الرابع: الفروق بين هذه المصطلحات.....	182-181
*المبحث الثاني: أغراضُ القصر وفوائده البلاغية.....	(186-183)
*المبحث الثالث: أقسامه.....	(191-186)
المطلب الأول: أقسام القصر باعتبار طرفيه.....	188-186
1-القصرُ الحقيقي والإضافي.....	191-186
المطلب الثاني: باعتبار حال المخاطب.....	190-189
1-القسم الأول: القصرُ الإعلاميُّ الابتدائي.....	189
2-القسم الثاني: قصرُ الأفراد.....	190-189
3-القسم الثالث: قصرُ القلب.....	190
4-القسم الرابع: قصرُ التعيين.....	191-190
*المطلب الثالث: أركانُ القصر.....	192-191
<u>الفصل الثاني: طُرُقُ القصر.....</u>	239-192
*المبحث الأول: النفي والاستثناء.....	(202-193)
المطلب الأول: في معنى القصر بين إنَّما وإلَّا.....	198-193
المطلب الثاني: لطائف دلالية في القصر بـ "ما و"إلَّا".....	201-198
المطلب الثالث: شرط تحقُّق معنى القصر.....	202-201
المبحث الثاني: القصرُ بوساطة الحرف (إنَّما).....	(207-203)
المطلب الأول: تركيب الأداة (إنَّما).....	203
المطلب الثاني: دلالتها على القصر.....	206-204

ب-استعمالاتُ إنّما.....	206
ج-المقصور والمقصورُ عليه بوساطة إنّما.....	207
د-مزِيَّةُ القصر بآنّما.....	208
هـ-إنّما وأنّما.....	208
*المبحث الثالث: ثالثاً: العطف بالحروف التالية "لا - بل - لكن.....(218-209)	
المطلب الأول: القصرُ ب (لا) العاطفة.....	212-209
1-العطف بلا.....	212-209
المطلب الثاني: "بل" الحاصرة.....	213-212
المطلب الثالث: (لكن) الحاصرة.....	217-212
1-أصلها.....	214-213
2-دلالتها على القصر.....	218-214
*المبحث الرابع: القصر بتقديم ما حقّه التأخير.....(234-219)	
المطلب الأول: الرتبة المحفوظة وغير المحفوظة.....	220-218
1-الرتبة.....	220
أ-تعريفها.....	220
ب-الفرق بين الرتبة المحفوظة والرتبة غير المحفوظة.....	221-220
المطلب الثاني: التقديم والتأخير-مفهومه وأهميته في اللغة.....	221
المطلب الثالث: الحكمة من التقديم وأسراره.....	225-222
المطلب الرابع: التقديم والتأخير قبل عبد القاهر الجرجاني.....	226-225
1-أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت 210هـ).....	225
2-ابن قتيبة الدينوري (ت 276هـ).....	226-225
المطلب الخامس: أقسام التقديم والتأخير عند عبد القاهر الجرجاني.....(227-226)	
المطلب السادس: دلالة أسلوب التقديم والتأخير على معنى القصر.....	236-227
1-في الكلام المثبت.....	234-227
أ-تقديم المسند إليه المعرف على المسند الفعلي.....	229-227

ب- تقديم المسند إليه (النكرة) على المسند الفعلي.....	230-232
ج- تقديم المسند.....	232-233
د- تقديم بعض متعلقات الفعل.....	233-234
2- في الكلام المنفي.....	234-236
أ- حقيقة وقوع معنى القصر في الجملة المنفية.....	234-236
ب- مجيء (لا) العاطفة في هذا التركيب اللغوي.....	236
المبحث الخامس: خلاصة في الفروق بين طرق القصر الأربعة.....	237-239
الباب الثالث: دراسة موازنة لأساليب القصر في ديوان الشوقيات لأحمد شوقي..	240-299
الفصل الأول: أحمد شوقي: حياته، وثقافته، ومؤلفاته، وموقع شعره منها.....	241-254
*المبحث الأول: في ذكرى أحمد شوقي:.....	243-246
المطلب الأول: ترجمته.....	242-248
1- التعريف بالشاعر.....	243
2- نشأته وحياته.....	243-244
3- مصادر ثقافته.....	244
4- بواكير الشاعر أحمد شوقي.....	245
5- مؤلفات الشاعر أحمد شوقي.....	245-247
6- خصائص شعره.....	247-248
7- مرض الشاعر أحمد شوقي ووفاته.....	248
المطلب الثاني: مظاهر التجديد في شعره.....	249-254
1- في أغراض شعره.....	249
أ- الشعر المسرحي.....	250
ب- أدب الأطفال.....	250
ج- شعر الوصف والطبيعة.....	240-251
د- شعر المناسبات.....	251
2- عوامل التجديد في شعره.....	251-252

أ-ارتباط أحمد شوقي بالقصر.....	252
ب-الثقافة الغربية.....	252-253
3-ديوان الشوقيات.....	252-253
الفصل الثاني: موازنة وتطبيق.....	255-299
*المبحث الأول: موازنة بين دراسة النحويين والبلاغيين لأسلوب القصر:.....	257-268
المطلب الأول: طريقة تناول علماء النحو لموضوع القصر:.....	257-261
المطلب الثاني: طريقة تناول علماء البلاغة لموضوع القصر:.....	261-268
*المبحث الثاني: أساليب القصر في الشوقيات - عرض وإحصاء.....	269-299
المطلب الأول: أساليب القصر المُستشهد بها من ديوان الشوقيات.....	269-273
القسم الأول: القصر بالنفي والاستثناء (مَا وَإِلَّا).....	269-271
أولاً: المعمولات النحوية المفردة.....	269-271
ثانياً: الجملة المحصورة بـ "إِلَّا".....	271-272
القسم الثاني: القصر بوساطة إنَّما.....	272
القسم الثالث: القصر بطريق العطف.....	273
القسم الرابع: القصر أسلوب القصر بتقديم ما حقه التأخير.....	273
المطلب الثاني: أساليب القصر في الشوقيات - تطبيق وتحليل.....	273-299
أولاً: أساليب القصر بـ: "ما وإِلَّا".....	274-286
1- المعمولات النحوية المفردة.....	274-286
أ-حصر المبتدأ في الخبر.....	261-262
ب-حصر الخبر في المبتدأ.....	276-277
ج-حصر الفاعل: (الفاعل اسم مفرد).....	277-278
د-حصر المفعول به بـ (إِلَّا).....	278-279
ملحوظات.....	279-280
1-تأخير المفعول به والفاعل معاً بعد (إِلَّا).....	279
2-الاسم "غير" مفعولاً به.....	279-280

282-280	ه-مَعْمُولَا (كَانَ) وَأَخَوَاتِهَا
281-280	1-اسْمُ كَانَ المحصور يَأْلاً
282-281	2- خبر كَانَ محصور
282	و-شِبْهُ الْجُمْلَةِ
282	ز-الْحَالُ الْمُفْرَدَةُ
283	ح-ظرف الزَّمان
284-283	ط-نَائِبُ الْفَاعِلِ
284	ي-ظرف المكان
285-284	ك- سوى
285	ل-أَسْلُوبُ الْقَسَمِ الاستعطافي
286-285	م-الحَصْرُ من موجبٍ بمعنى النقي
289-286	2-الجملة المحصورة بـ "إِلَّا"
288-286	أ-الْجُمْلَةُ الْحَالِيَّةُ
287-286	1-الْحَالُ جُمْلَةً اِسْمِيَّةً
287	2-الْحَالُ جُمْلَةً فَعْلِيَّةً
288-287	3-الْحَالُ شِبْهُ جُمْلَةٍ
289-288	ب-الجملة مفعولاً به
289	ج-الجملة في موضع أحد معمولي "كَانَ" وأخواتها
289	1-اسْمُ كَانَ
295-289	ثانياً: أساليب القصر بوساطة "إنَّما" وأنَّما
290-289	1-حَصْرُ الْمَبْتَدَأِ في الخبر
291-290	2-حَصْرُ الْخَبَرِ في المبتدأ
292-291	3-حَصْرُ الْفِعْلِ في الفاعل
292	4-حَصْرُ الْفِعْلِ الْمُسْنَدِ إِلَى نَائِبِ الْفَاعِلِ
293-292	5-حَصْرُ الْمَفْعُولِ به

293.....	6-حصُرُ خبر (كان)
294-293.....	7-حصُرُ ظرف الزّمان
294.....	8-حصر شبه الجملة
295-294.....	9-حصر نائب الفاعل
295.....	10-الحصُرُ بالأداة (أنّما)
297-296.....	ثالثاً: أساليب القصر بطريق العطف
296.....	1-"لَا" العاطفة
297-296.....	2-"بَلْ"
299-297.....	رابعاً: أساليب القصر بتقديم ما حُقه التأخير
284	1-تقديمُ المسند إليه على المسند:
285-284.....	2-تقديم شبه الجملة الواقع خبراً عن المبتدأ
285	3-تقديمُ الخبر على المبتدأ
307-300.....	الخاتمة
307.....	اقتراحاتُ البحث
326-308.....	قائمة المصادر والمراجع
347-327.....	• ملحق: الأبياتُ غيرُ المستشهد بها في المتن
354-345.....	فهرس الموضوعات
	ملخصُ البحث

الملخص:

يُعدُّ أسلوب القصر من المواضيع التي يشترك فيها النحويُّ والبلاغيُّ معاً بالنظر إلى كونه إحدى حالات الاستثناء الأربع من جهة، وواحداً من أهمِّ فصول علم المعاني التي خصَّها البلاغيُّون بدراسة دقيقة ومفصَّلة في عموم مصنفاتهم من جهة أخرى. ولعلَّ أهمَّ ما ميَّز دراسة علماء النحو لأسلوب القصر، هو دقَّة الدِّراسة التي أثبتَّها علماء النحو، وعلى رأسهم سيبويه، وشموليتها، وتفصيلها لعدد الجوانب النحويَّة والدَّلاليَّة من ناحية: إذ طرَّقوا من خلال الأقسام المهمَّة من مؤلِّفاتهم التي خصَّوها لدراسة هذا الموضوع اللُّغويِّ مبرزين عمل "إلا" فيه مثلاً، وحال الاسم الواقع بعدها إعراباً ومعنى، ومسائل أخرى دقيقة تتعلق بهذا النَّوع من الأساليب اللُّغويَّة في لغتنا العربيَّة من جهة أخرى. في حين تراوحت دراسة علماء البلاغة لأسلوب القصر بين تدوُّق النصوص والأمثلة كما عند أصحاب المدرسة الفنيَّة أو الأدبيَّة كالجرجاني، والزَّمخشري، وبين التَّفعيد والاعتماد على التَّقسيم لمسانئها ضبطاً لقواعدها، وتحديدًا لأصولها كما ثبت مع أتباع المدرسة الكلاميَّة مثل السَّكاكي ومن نَهَجَ نهجَه. وقد حفَّل ديوان الشَّاعر أحمد شوقي بأساليب لغويَّة وبلاغيَّة كثيرة، ومن أبرزها أساليب القصر بطرقه الأربعة المدروسة ولو بنسب متفاوتة: إذ ظهرَ تمثُّل الشَّاعر لمعظم قواعد هذا الموضوع النحويَّة، وضوابطه البلاغيَّة المطروقة في الشَّقِّ النَّظريِّ من هذا البحث. الكلمات المفتاحيَّة: الاستثناء المفرَّغ- نحو- بلاغة- أسلوب القصر- لغة عربيَّة

Résumé:

Le style de l'exclusion déchargée est l'un des sujets que la grammaire et la rhétorique partagent ensemble, étant donné qu'il est l'un des quatre cas d'exception d'une part, et l'un des chapitres les plus importants de la science des significations que les rhéteurs ont distingué pour un examen attentif. et étude détaillée dans la généralité de leurs travaux d'autre part.

Peut-être la caractéristique la plus importante de l'étude des grammairiens sur le style du l'exceptionnisme est l'exactitude de l'étude qui a été prouvée par les grammairiens, en particulier Sibawayh, et son exhaustivité, et son détail de nombreux aspects grammaticaux et sémantiques d'une part ; A travers les pans importants de leur littérature qu'ils ont retenus pour l'étude de ce sujet linguistique, ils ont mis en évidence le travail de l'« excepté » dans celui-ci, par exemple, et le cas du nom après lui dans la syntaxe et le sens, et d'autres questions précises liés à ce type de méthodes linguistiques dans notre langue arabe d'une autre part. Alors que l'étude des rhéoriciens l'exclusion déchargée oscillait entre la dégustation de textes et d'exemples, comme chez les propriétaires d'écoles artistiques ou littéraires comme Al-Jarjani et Al-Zamakhshari, et entre le recours à la division de ses enjeux pour contrôler son règles, et plus précisément à ses origines comme le prouvent les adeptes de l'école théologique comme AL-Sakkaki, et quiconque a suivi son approche.

La poésie du poète Ahmed Shawqi a été célébrée avec de nombreuses méthodes linguistiques et rhétoriques, dont les plus importantes sont les méthodes du style de l'exclusion déchargée dans ses quatre manières étudiées, quoique dans des proportions variables; Le poète a représenté la plupart des règles grammaticales de ce sujet, et ses contrôles rhétoriques, qui ont été discutés dans la partie théorique de cette recherche.

Mots-clés : exclusion déchargée - grammaire - rhétorique – l'exceptionnisme - langue arabe

Summary:

The style of exclusion unloaded- or: exceptionnism- is one of the topics that grammar and rhetoric share together, given that it is one of the four exceptions on the one hand, and one of the most important to the science of meanings that rhetoricians have singled out for close consideration. and detailed study in the generality of their work on the other hand.

Perhaps the most important feature of the study of grammarians on the style of the palace is the accuracy of the study that has been proven by grammarians, especially Sibawayh, and its completeness, and detail of many grammatical aspects. and semantics on the one hand; Through the important sections of their literature which they retained for the study of this linguistic subject, they highlighted the work of the "except" in this one, for example, and the case of the name after it. in syntax and meaning, and other specific issues. related to this type of linguistic methods in our Arabic language. While the rhetoricians' study of the style of the palace oscillated between tasting texts and examples, as among the owners of artistic or literary schools like Al-Jarjani and Al-Zamakhshari, and between resorting to the division of its stakes to control its rules, and more precisely its origins as the followers of the theological school prove like AL- Sakkaki, and anyone who followed his approach .

The poetry of the poet Ahmed Shawqi was celebrated with many linguistic and rhetorical methods, the most prominent of which are the methods of the style of exclusion unloaded in its four studied ways, albeit in varying proportions; The poet represented most of the grammatical rules of this topic, and its rhetorical controls, which were discussed in the theoretical part of this research.

Keywords: exclusion discharged - grammar – rhetoric- exceptionalism- Arabic language.

الطّالب: عبد التّور حميدي/ دكتوراه علوم: "أسلوب القصر بين التّحو والبلاغة"، إشراف أ.د/ عبد القادر سّلامي

ملخّص الرّسالة: (عربي)

لكلّ لغةٍ من اللّغات الإنسانيّة خصائص تميّزها وسماتٌ تُعرّفُ بها، وتختلف تلك الخصائص من لغةٍ إلى أخرى تبعاً لاختلاف حروفها ومفرداتها وتراكيبها، واللّغة العربيّة مختلفة عن سائر لغات العالم فهي لغةٌ مباركةٌ زادت قيمتها، وعلا شأنها، وجلّت مفرداتها بمعيّة القرآن الكريم الّذي فيه مختصرُ البلاغة ودلائل الإعجاز الظّاهرة والباطنة، وسرُّ القدرة الإلهيّة، وفيه حوارٌ لجميع البشر، ومخاطبةٌ لعقولهم وقلوبهم، وفيه سرُّ نجاحهم وسعادتهم.

ولغةُ القرآن على اعتبار أنّها لغةُ العرب كانت بهذا التّجديد كاملةً، وقد وهبها الله مُرونةً؛ جعلتها قادرةً على أن تُدوّن الوحي الإلهيّ أحسنَ تدوينٍ؛ بجميع دقائق معانيه ولُغاته، وأن يُعبّر عنه بعبارات عليها طلاوةٌ وفيها متانةٌ؛ وهكذا يُساعد القرآن على رفع اللّغة العربيّة إلى مقامِ المثل الأعلى في التّعبير عن المقاصد.

واللّغة العربيّة تمتاز بعدّة خصائص ترفع شأنها، وتُعطي قدرها، أهمّها أنّها لغةٌ ثريّةٌ بمفرداتها ومعانيها من أوّلًا، وبخصائصها النّحويّة والصّرفيّة كظاهرة الإعراب مثلاً ثانياً، وبخصائص بلاغيّة وبيانيّة ثالثاً، كالحجاز مثلاً الّذي هو استعمالُ الكلمة في غير معناها الحقيقيّ الّذي وُضعت له، وكالإيجاز الّذي يُعدُّ من أهمّ السّمات والخصائص الّتي تُميّز اللّغة العربيّة ويختصر الكلام الكثير في المفردات القليلة كما يختصر الإيجاز الجهد والوقت. والإيجاز وضعُ المعاني الكثيرة في ألفاظٍ أقلّ منها، وافيةٌ بالعرض المقصود، مع الإبانة والإفصاح.

كما تميّز اللّغة العربيّة بتنوّع الأساليب اللّغويّة التي تُساهم في تطوّر مبنى الكلمات، والجُمْل المستخدمة في كتابة النّصوص النثرية والشّعريّة، وغيرها من أنواع النّصوص الأخرى، كما تُساعد الكاتب على اختيار الأسلوب المناسب لصياغة نصّه بطريقةٍ صحيحةٍ ومُميّزة، ممّا يُساهم في تحقيق التأثير المطلوب في القراء؛ لأنّه كلّما تمّ ترتيب الأفكار بطريقةٍ صحيحةٍ ومنظّمةٍ ساهم ذلك في توصيلها إلى الهدف المطلوب منها؛ ولذلك فعندما يتمّ استخدام تنسيقٍ مُتّزنٍ ومُرتّبٍ للنّص المكتوب بالاعتماد على أساليب اللّغة العربيّة في التّعبير عن الكلمات عندها ينجح النّص في توضيح الفكرة الرئيسيّة الخاصّة به، ويُطلق على الوسائل والطّرق المستخدمة في الكتابة مُسمّى أساليب البلاغة.

ومعروفٌ، أنّ علمَ البلاغة في اللّغة العربيّة يُقسّم إلى ثلاثة أنواعٍ من العلوم، أو الأساليب البلاغيّة؛ وهي: وعلم البيان، وعلم البديع، وعلم المعاني، ولكلٍّ منها مجالٌ بحثه، وزوايا اهتمامه.

فإنّ كان علم البيان هو العلم اللّغويّ البلاغيّ الّذي يبحث عن إيصال المعنى الواحد، أو الفكرة بأكثر من أسلوب، وإذا كان علم البديع هو العلم الّذي يبحث في تحسين الكلام اللفظيّ أو المعنويّ؛ هذا، فإنّ علم المعاني هو العلم الّذي يختصّ بالمعاني والتّراكيب، ويدلّ على الاستخدام المناسب للكلمات؛ ليعبّر عن الموقف بأفضل صورةٍ ممكنةٍ، ولا ينظر هذا العلم إلى التّراكيب المفردة أو الجُمْل الجزئية فقط، بل يهتم بدراسة النّص كاملاً؛ لأنّ التّعبير اللفظيّ يتحدّث عن حدثٍ مُعيّن؛ فإذا عرّف القارئ معاني الكلمات عندها يتمكّن من معرفة أحوال

الألفاظ، والتي تتطابق مع صور الكلام المختلفة، وتساعد على معرفة معانيها بطريقة واضحة، ويُقَسَّم علم المعاني إلى مجموعة من الفروع، ومن أهمها الخبر والإنشاء؛ إذ إنّ الكلام في اللغة العربية إمّا أن يكون خبراً، أو إنشاءً. ومعلوم، أنّ علوم اللغة العربية تتكامل فيما بينها، ويخضع بعضها بعضاً؛ فكما يمدُّ علم الصوت علم الصّرف بمادّة بحثه، فهو بدوره يزوّد علم النحو بما يحتاجه رجلُ النحو من أصول كلمات، وأحوال تغيرها واشتقاقاتها، وصيغها المتبدّلة؛ فكذلك نجد لعلم النحو علاقةً وطيدةً تربطه بعلم البلاغة عموماً، وبعلم المعاني بخاصّة؛ لأنّ علم النحو نشأ وهو على صلة وثيقة بعلم المعاني، فكانت للنحاة الأوائل عنايتهم الفائقة بدراسة الكلام العربي، والوقوف على أساليب التعبير به، والبحث فيما يعرض لها من تعريفٍ وتنكيرٍ، وتقديمٍ وتأخيرٍ، وإضمارٍ وإظهارٍ وفق ما تقتضيه معاني الكلام وظروف القول ومناسباته.

كان ذلك كلّهُ يقع ضمن اختصاص الدرس النحويّ، لأنّ النحو في أصله إمّا يُرادُ به القصدُ نحو كلام العرب، والوقوف على أساليب التعبير به في سبيل الاقتدار على فهمها والإفهام به؛ فهو يفسّر العلاقات بين كلمات الجملة وبين جمل الفقرة، وينظر إلى تركيب الكلام وتأليفه من حيث الصّحّة والاستقامة على وفق قوانين العربية. ولأنّ علم النحو هو مادّة علم المعاني، وذلك لأنّ مجال البحث في علم المعاني هو البناء النحويّ للجملة من جهة، وبالنظر إلى أنّ علم المعاني يتخذ الجملة مجالاً لبحثه؛ إذ إنّهُ يتناول بناءها اللّغويّ وخصائص تشكيلها، وما يعتريها من إثباتٍ، ونفيٍ، واستفهامٍ، وفيما تقدّمه وحداته مجتمعةً من معنًى، سواءً أكان ذلك عن طريق التقديم والتأخير، أم الفصل والوصل، أم غيرها من الأساليب؛ فإنّ ذلك يعني أنّ علم المعاني هو قَمّة الدّراسة النحويّة، أو فلسفتها؛ لأنّ دراسة المعنى تبدو أكثر صلةً بالنحو، ولعلّه من هنا نشأت فكرة أنّ النحو العربيّ أحوَج ما يكون إلى أن يدّعي لنفسه علم المعاني.

وانطلاقاً من هذه الفكرة القائمة على تكامل علميّ النحو وعلم المعاني وتلاقيهما في بحث تركيب الجملة العربية وصميم أساليبها، خدمةً للمعنى وطُرق أدائه؛ وارتكازاً على أنّ أسلوب القصر يعدّ واحداً من أساليب اللغة العربية الذي لا يخلو منه كلام العرب شعراً ونثراً، جاء هذا البحث حول موضوع أسلوب القصر المندرج تحت هذه الرؤية اللّغويّة المتكاملة الشّاملة في دراسة الأسلوب العربيّ؛ لأنّه من المواضيع التي يشترك في دراستها النحويّ والبلاغيّ معاً بالنظر إلى كونه إحدى حالات الاستثناء الأربع من جهة، وواحداً من أهمّ فصول علم المعاني التي خصّها البلاغيّون بدراسة دقيقة ومفصّلة في عموم مصنّفاتهم من جهة أخرى.

هذا، وقد وسمتُ بحثي هذا بـ "أسلوب القصر بين النحو البلاغة"، وقد جاء في مقدّمة يبيّنُ فيها أهميّة الموضوع، والأهداف المتوخّاة من وراء إنجازهِ، والخطة المتبعة في دراسته، مع إشارة إلى أبرز المصادر والمراجع التي كانت لي نعم الدُّخر على إتمامه، ومدخلٍ تناولتُ فيه مسألة موقع أسلوب القصر من الدّراسات النحويّة والبلاغيّة، مفتتحاً ذلك بالتّوطئة له بالحديث عن علاقة علم النحو العربيّ بالبلاغة عموماً، وبعلم المعاني بخاصّة،

مُعرجاً على مسألة أهمّ منابع القصر في تراثنا العربيّ بإيجاز، لأختّمه بوقفه على حظّ هذه الظّاهرة اللّغويّة من الدّراسات اللّغويّة الحديثة.

ومن أهمّ النتائج الجزئيّة التي بدت لي فيه، أنّ موضوع دراسة "علم النّحو" إنّما هو الكلام العربيّ والوقوف على أساليب نظمته وتركيبه؛ فهو يفسّر العلاقات بين كلمات الجملة وبين جمل الفقرة، وينظر إلى تركيب الكلام وتأليفه من حيث الصّحّة والاستقامة على وفق قوانين العربيّة من جهة، وأنّ النّحو والبلاغة توأمان متلازمان لا يمكن الفصل بينهما؛ من قِبَل أنّه إذا كان النّحو ينظر في تركيب الكلام من حيث الصّحّة والاستقامة، وهو لهذا كان إلى جانب علم التصريف، -أو علم الصّرف- من علوم التّصحيح، فالبلاغة تبدأ من حيث ينتهي النّحو، لأنّها تتجاوز الصّحّة والاستقامة إلى الجودة والرّداءة والفروق والدّقائيق بين ضروب النّظم المختلفة ما دامت من علوم التّفصيح، وتتمّ بجماليّة النّصوص وشعريّتها من جهة أخرى. ولعلّ أبرز من أبرز علاقة علم النّحو بالبلاغة، ووبعلم المعاني على وجه الخصوص هو شيخ البلاغة العربيّة عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) من خلال ابتكاره نظريّة النّظم اللّغويّة الشّهيرة القائمة على وضع الكلام الموضع الذي يقتضيه "علم النّحو"، والعمل على قوانينه وأصوله، ومعرفة مناهجه التي تُهجّت وعدم الخروج عنها.

كما عرّضت في بحثٍ قصيرٍ موجزٍ لمسألة منابع القصر بالقائي نظرةً موجزةً على بعض مظاهره في كتب التّراث قبل عبد القاهر الجرجاني، مستشهداً على ذلك ببعض المراجع التي أشار فيها أصحابها إلى جذور هذه الظّاهرة اللّغويّة ذات الأصول النّحويّة كونها إحدى حالات أسلوب الاستثناء، ومن هذه الكتب، ذكرتُ على سبيل التّمثيل لا الحصر:

أولاً: كتاب سيبويه (ت180هـ)، التي تُعدّ ملحوظاته أقدم وأهمّها، والتي أورد معظمها في "باب الاستثناء"، وأخرى مبثوثة في ثنايا الكتاب هنا وهناك؛

ثانياً: كتاب "الصّاحي"، والذي يقول فيه صاحبه أحمد بن فارس (ت395هـ) عن الفراء (ت207هـ) رأيّه بخصوص طريقي القصر بوساطة (إنّما) والتّفي والاستثناء بأتهما لا يأتيان في صدر الكلام، وإنّما ردّاً على كلام سابق، ونصّه على أنّ المثبت أو المقصور عليه هو المؤخّر بعد إنّما، إضافة إلى ردّه قول من قال بدلالة "إنّما" في هذا النوع من الأساليب على التّحقيق؛

ثالثاً: بعض شروح كتاب سيبويه، كشرح الرّماني (ت384هـ) الذي يتّضح فيه من الملحوظات والإشارات والإضافات ما أغنى بها إشارات سيبويه وأثرها شرحاً وتفسيراً ومناقشة؛

كما تبيّن لي من خلال آخر عنصر في المدخل، أنّ حظّ مبحث القصر من الدّراسات اللّغويّة الحديثة ليس بالكَم الذي يمكنه أن يُغطّي جوانب هذه الظّاهرة اللّغويّة جميعها؛ لأنّها تراوحت عموماً بين مؤلّفات حاول فيها أصحابها تبني أسرار القصر في القرآن الكريم، كما فعل صباح عبيد في 224 صفحة، وبين كُتب تعمّقت بشكل جيّد في دراسة تراكيب القصر اللّغويّة، كما ثبت عن محمّد أبي موسى في "دلالات التّراكيب"، وأخرى

جمعت بين التّأصيل لمصطلح القصر في الدّرس اللّغويّ العربيّ من نحوٍ وبلاغة، وبين الغوص في أعماق الأسلوب العربيّ من خلال النّظر في طرق القصر المختلفة، والفروق الكامنة بينها إعراباً وبلاغةً ودلالةً، كما وُفّق إليه كاظم إبراهيم كاظم في كتابه القيم "الاستثناء في التّراث النّحويّ والبلاغيّ"؛

كما نجد عدداً من الكتب اعتمد فيها أصحابها المنهج الدّراسيّ في التّأليف المرتكز على البساطة في طرح الموضوع، وطرح الأسئلة حول جملٍ ونصوصٍ تتضمّن أساليب اختصاص، ومن ثمّ الإجابة عنها بنوعٍ من الشّرح والتّوضيح والاستشهاد المعين على الفهم؛

-وأما الباب الأوّل، وهو موسومٌ ب: "أسلوب القصر عند النّحاة"، فقد خصّصته لبيان الطّريقة التي عالج بها رجال النّحو القدامى والمحدثون على حدّ سواء أسلوب القصر، وقد جاء في فصلين اثنين:

-أما في الفصل الأوّل، وعنوانه: "مصطلح الاستثناء: نشأته، وأدواته، وأنواعه، وأحكامه"؛

-لأنّنا في الفصل الثّاني إلى دراسة مسألة الطّرق الاصطلاحية المشهورة التي يتحقّق بها أسلوب القصر

في لغتنا العربيّة، وهي النّفي والاستثناء، وإثماً، وطريق العطف، وبتقديم ما حقّه التأخير؛

وعموماً، فلعلّ أهمّ ما ميّز دراسة علماء النّحو لأسلوب القصر، هو دقّة الدّراسة التي أثبتتها علماء النّحو،

وعلى رأسهم سيبويه، وشموليتها، وتفصيلها لعدد الجوانب النّحويّة ولبعض من زواياها الدّلالية عند عددٍ محدود

منهم؛ لأنّ دراسة معظم النّحويّين جاءت مصبوغةً بالصّبغة النّحويّة المحضة القائمة على ضبط القواعد النّحوية التي

تحمّ أسلوب الاستثناء المفرّغ من مختلف جوانبه.

وعلى كلّ، وبعد حصراً لحدود هذا الأسلوب وأبعاده عند علماء النّحو؛ فإنّ النّتائج والملحوظات التي

أمكننا، هي كما يأتي ذكره:

أ- شكلاً:

* لم يخصّص النّحويّون، باباً قائماً برأسه يدرسون فيه أسلوب القصر، ويبيّنون فيه مجاله وحدوده؛ لأنّ

تناولهم لهذا الموضوع لم يكن مقصوداً بذاته ولذاته، وإثماً جاء ذلك عرَضاً وموزعاً على أبواب النّحو المتفرّقة،

وبالدّرجة الأولى منها، "باب الاستثناء"؛ إذ طرق فيه النّحاة، على غرار سيبويه ومن خلّفه فيما بعد، هذا الباب

الذي نجد في ثناياه كثيراً من المباحث اللّغويّة التي شرح فيها أصحابها جوانب مهمّة ودقيقة من أسلوب الاستثناء

المفرّغ كتفصيل القول بدايةً في مسألة عدّ "إلاً" أصل حروف الاستثناء، وتضمّن بعض الأسماء والأفعال والحروف

معنى "إلاً"، مثل: غير، وسيوى، وعدّاء، وغيرها، ونحو إبراز عمل "إلاً" في هذا النّمط من الاستثناء مثلاً، وحال

الاسم الواقع بعدها إعراباً ومعنى، وتكرار "إلاً" على سبيل التّمثيل لا الحصر. هذا من جهة، ومن جهةٍ أخرى عند

التّطرّق لعمل بعض الأدوات النّحوية وشروط تأدية كحروف العطف مثل: لا، وبَلْ، ولكنّ، وبعض الحروف

المصدرية "أَنْ"، و"أَنَّ" مثلاً؛

* بخصوص مصطلح "الاستثناء"، هو من مصطلحات المرحلة الأولى من عمر الدرس النحوي العربي، والتي يُطلق عليها اسم المرحلة الشفوية؛ وهي ما فترة المصطلح النحوي قبل أبي الأسود الدؤلي (ت 69هـ) وعنده، وهي مرحلة لم يؤلف أصحابها كتباً في النحو؛ إذ يقترب معناه اللغوي، الذي هو إخراج الجزء من دائرة الكل، جداً من معناه الاصطلاحي، بل إنه لا يخرج عنه؛

* استخدام مصطلح "الاستثناء" بهذه الدلالة نقف عليها أيضاً في المراحل اللاحقة لها، مثل «سيبويه (ت 180هـ) وخلف الأحمر (ت 180هـ)، وهما متعاصران وينتميان إلى مدرسة واحدة، ثم شاع هذا المصطلح بعد ذلك عند الدارسين بهذه الدلالة كالفراء (ت 207هـ)، والمبرد (ت 285هـ)، وابن السراج (ت 316هـ)، وابن جني (ت 392هـ)، والجرجاني (ت 471هـ)، وابن مالك (ت 672هـ)، وابن هشام (ت 761هـ)، والصّبّان (ت 1205هـ)، وغيرهم كثير؛

* أول ما ظهر مصطلح "حروف الاستثناء" على يد سيبويه وخلف الأحمر (ت 180هـ)، وظلّ مستعملاً حتى القرن الرابع الهجري، ثم قلّ استخدامه في القرن الثامن، ليشيع مصطلح آخر هو "أدوات الاستثناء" الذي استعمله أبو الحسن التميمي، وهو من نحاة القرن السادس الهجري، وآخرين مثل: كالجزولي (ت 607هـ)، وابن عصفور (ت 669هـ)، وابن مالك (ت 686هـ)، على سبيل التمثيل لا الحصر، غير أنّه لا فرق بين ما استعمله سيبويه وبين ما استعمله نحاة العربية المتأخرين عنه؛ فإنّها كلّها ذات مدلول واحد، وهو التعبير عن الوسيلة أو الأداة اللغوية التي بوساطتها يتمّ تحقيق معنى الاستثناء في الجملة العربية؛

* وبخصوص المصطلح المستعمل، فالثابت عن سيبويه أنّه، لم يعرفه في ذلك العهد المبكر من حياة الدراسات اللغوية عند العرب، لأسباب تاريخية وموضوعية، سواء أ تعلق الأمر بالمصطلح النحوي الذي اخترعه علماء النحو بعده كالاستثناء المفرغ، أو الناقص، أم بنظيره البلاغي كألفاظ القصر، أو الحصر، أو الاختصاص؛

* استعمال معظم علماء النحو الذين جاؤوا بعد المبرد الفعل (فَرَّغَ) للدلالة على هذا النوع من الاستثناء، ويريدون به أن يتفرغ الكلام السابق لحرف الاستثناء (إلا) للعمل فيما بعدها، كابن السراج، وأبي القاسم الزجاجي (ت 340هـ) مثلاً اللذين استعملا مصطلح (فَرَّغَ)، وأبي عليّ الفارسي (ت 377هـ) الذي ثبت عنه تعبير: "والفعل (مفرغ)؛

* ظهور مصطلح الاستثناء (المفرغ) في القرن السادس الهجري عند التميمي، وقد جاء استعماله له في قوله: "والمفرغ مثل: "مَا قَامَ إِلَّا زَيْدٌ"، يريد: "والاستثناء المفرغ مثل: ...؛

ب- مضموناً:

* يعدّ النحاة (إلا) أصل حروف الاستثناء، وقد سُمّيت بـ "أمّ باب الاستثناء" لأنّها الأداة الأكثر استعمالاً، وأكثرها أحكاماً، وهي عبارة عن حرف مبني لا محلّ له من الإعراب، وكلّ ما عداها من أدوات

تُسْتَعْمَلُ فِي هَذَا الْبَابِ إِنَّمَا هِيَ مُضَمَّنَةٌ مَعْنَاهَا، وَعَامِلَةٌ عَمَلُهَا مَعَ اخْتِلَافٍ فِي بَعْضِ الْأَحْكَامِ النَّحْوِيَّةِ فِيمَا بَيْنَهَا بِطَبِيعَةِ الْحَالِ؛

* الاستثناء المفرغ عند التّحاة، هو تلك الحالة الّتي ترد فيها جملة الاستثناء محذوفة المستثنى منه، ولذلك يعمل ما قبل أداة الاستثناء فيما بعداً رفعاً، ونصباً وجرّاً، حسب ما يقتضيه بناء الجملة النّحويّ؛ وهو مرجعٌ تسميته بالاستثناء المفرغ؛

* على الرّغم من عدم استعمال صاحب الكتاب المصطلحات المذكورة أخيراً المعبرة عن معنى تفرغ الكلام السّابق لـ (إلا) أو ما جاء في معناها، فإنّ سيبويه قد تفتّن إلى دلالة هذا النمط النّحويّ على قصر الشّيء على شيءٍ من دون تعدّيه إلى شيءٍ آخر، ولعلّ أكثرها وضوحاً وجلالاً، ما أورده في باب الاستثناء من شرح لعمل "إلا" في هذا النوع من الأساليب؛ إذ صرّح بأن هذه الأداة اللّغويّة تُدخل الاسم بعدها في شيءٍ هو منفيٌّ عمّا سواه. هذا مع ملاحظة إشارته الجليّة الدّكية إلى وجه هذا الاسم الواقع بعد "إلا" الإعرابيّ، والنّصّ على بقائه مؤدّياً وظيفته الإعرابيّة نفسها الّتي كان عليها قبل لحاق "إلا" بالجملة؛

* دقّة دراسة سيبويه لموضوع القصر، وإنّ لم تكن مقصودة لذاتها، لعدد هامّ من مسائلها النّحويّة، كبيان حال الاسم الواقع بعد "إلا"، وعمل الاسم "غير" عمل الحرف "إلا" من جهة، و"سوى" الملازم عنده، وعند عموم البصريّين، للنّصب على الطّرفيّة إلّا في الشّعْر؛ فينتقل من حالة البناء إلى الإعراب وغيرها من المسائل؛

* تنبيه سيبويه إلى قضية منع وقوع الاستثناء المفرغ، المسمّى أسلوب القصر، في الكلام الموجب، واشترائط كونه مسبوقةً بنفيٍّ أو شبهه؛ وهو الأمر الّذي أفاد منه عموم النّحويّين الّذين جاؤوا بعده بدءاً بأصحاب شروح الكتاب كالسيرافي، والرّمانيّ مثلاً، ومنّ جاء بعدهم، إلّا ما كان من نماذج الاستثناء المفرغ المستفاد من الفعل الموجب لفظاً والمنفيّ معنىً نحو: "يأتى"، فيجوز التّفريغ معه؛

* تقع "غير" الاستثنائيّة في جميع مواقع "إلا" كالمفرغ وغيره، والموجب وغيره، والمنقطع وغيره مؤخّراً عن المستثنى منه ومقدّماً عليه، إلّا في بعض الحالات الخاصّة كالجارّ والمجرور؛ فإنّ "غيراً" لا تدخل عليه، وفي حال حصر المفعول لأجله بوساطة (إلا)؛ إذ لا يجوز وقوع "غير" بدلاً عنها؛ من قبيل أنّ المفعول لأجله لا يكون إلّا مَصْدَرًا، و"غير" ليست مَصْدَرًا؛

* وقوع الاسم "غير" موقع (إلا) في الاستثناء المفرغ "غير" موقع (إلا)؛ مع ملاحظة أنّ "غيراً"، وإنّ دخلها معنى الاستثناء، فإنّها قد تُحمَلُ معها على معناها الخاصّ بها أحياناً، فلا تطابق "إلا" تماماً كقولنا مثلاً: "مَا قَامَ إِلَّا سَعِيدٌ"، و"مَا قَامَ غَيْرُ سَعِيدٍ"؛ إذ هما ليسا متطابقين في المعنى تطابقاً كليّاً لاحتمال الكلام مع "غير" معنيين، بخلافه مع (إلا)، فهو لا يؤدّي إلّا دلالة القصر فقط؛

* تُعرَّبُ "غير" في أسلوب الاستثناء المفرغ إعراب الاسم الواقع بعد (إلا)، وتكون عندئذ هي الأداة في المعنى، والمستثنى في اللفظ؛

* مذهب نخاة البصرة عموماً في الاسم "سوى"، هو جعلها ملازمةً على الظرفية دائماً، إلا في الشعر، فتُعَرَّبُ حسب موقعها من الجملة، وما بعدها مجرور بإضافتها إليه؛

* يقتضي البناء النحوي للاستثناء المفرغ أن يتفرغ العامل الذي قبل "إلا" للعمل فيما بعدها، إما رفعاً، أو نصباً، أو جرّاً. ومنه، فإنّ تفرغ الكلام - حسب جمهور النخاة - يجوز في كلّ المعمولات النحويّة كالفاعل والمفعول، والمبتدأ والخبر، والحال وصاحبها، والاسم المجرور، وظرف الزمان والمكان، ومعموليّ كان وأخواتها، وغيرها؛ إلا المصدر المؤكّد لعامله، والمفعول معه، والحال المؤكّد لعاملها؛

* يحدث أن تُكرّر "إلا" بقصد التوكيد اللفظي المحض، وتقوية "إلا" الاستثنائية الأولى من دون إفادة استثناء جديد، ويكون ذلك في البدل والعطف؛ إذ يلزم اشتراك المستثنيين بعد "إلا" في الإعراب نفسه والمعنى ذاته؛ من قبل أن ثانيهما بدل من أولهما بدل كلّ أو معطوف عليه؛

* إذا جاءت "إلا" مكرّرة لغير التوكيد، فإنّها وقتئذٍ تفيد استثناءً جديداً، لذا يجب إخضاع أحد المستثنيات لحاجة العامل الذي قبل "إلا" الأولى، مع نصب باقي المستثنيات، نحو: "ما أتاني إلا زيدٌ إلا عمراً"؛

* الحرف "إنّما" يتركّب من حرفين اثنين، هما: "إنّ" و"ما" الكافّة لها عن عملها التّصّبّ والرفع في معموليها اللذين يُرفعان كلاهما على الابتداء والخبر أيضاً، في نحو: "إنّما زيدٌ شاعرٌ". كما تدخل على جملة الفعل والفاعل من دون أن تُغيّر فيها شيئاً من جهة الإعراب، في نحو: "إنّما ينظّم الشعرُ زيدٌ"؛ ويحصل بواسطتها دلالة قصر الشيء على الشيء في المثال الأوّل على معنى حصر زيدٍ في اتّصافه بصفة نظم الشعر، لا غيرها من الصّفات التّقيضة لها من كتابة، وغيرها. أمّا في جملة: "إنّما ينظّم الشعرُ زيدٌ"، فالقصدُ بها مدحُ زيدٍ بنظم الشعر الجميل الرّصين، وحصر تلك الصّفة فيه إمّا حقيقةً وواقعاً، أو مبالغةً في الوصف؛

* يتحقّق معنى القصر بوساطة حروف العطف الثلاثة، وهي: "لا، وبل، ولكن". ولكلّ واحدٍ منها بعض الأحكام والشّروط الخاصّة به، وبيان ذلك، ما يأتي:

-عدّ "بل"، و"لكن" ساكنة التّون، حرفيّ عطفٍ يدلّان على معنى قصر شيءٍ معيّنٍ على شيءٍ آخر، مشروطٌ بكون المعطوف بهما اسماً مفرداً، أولاً، والكلام قبلهما مسبوقٌ بنفيٍّ أو نهيٍّ ثانياً، كما في نحو: "ما جاء خالدٌ بل سعيّد"، و: "لا تُقاطع الجامعة بل أصدقاء السوء"، و: "ما قرأتُ جريدةً لكن كتاباً"؛ إذ إنّه لو قيل بدلاً عنها مثلاً: "قرأتُ جريدةً لكن كتاباً"؛ لما استقام معنى، لأنّه محال؛ لأنّ "لكن" لا يُتداركُ بها بعد إيجاب، ولكنّها يُثبّت بها بعد النّفي، والمقصود عليه مع "بل" و"لكن" هو الواقع بعدهما؛

-وبخصوص الحرف "لا"، فجمهور النّحويّين يضعون لتأديتها معنى القصر عملها ثلاثة شروط: أولاً: أن يتقدّمها إثباتٌ، نحو: "جاء زيدٌ لا عمرو"، أو أمرٌ نحو: "اضربْ خالداً لا سعيّداً"، و"خذِ القلمَ لا الكتاب"، وأضاف سيّويه: أو نداءً، كقولنا: "يا ابنَ أخي لا ابنَ عمّي"، هذا مع ملاحظة لزوم كون معطوفها مفرداً، لا جملةً. ثانياً: عدم اقترانها بحرف عاطف. ثالثاً: أن لا يُصدّق أحد متعاطفيها على الآخر، وهو أمرٌ ضروريٌّ من

جهة المعنى؛ إذ إنه لا يجوز أن نقول مثلاً: "جاءني رجلٌ لا زيد"، و"اشتريتُ أرضاً لا ضيعةً"، بخلاف لو قيل: "جاءني رجلٌ لا امرأةً"، و: "اشتريتُ ضيعةً لا داراً"، فهو جائز. وواضح هنا، أن المقصور عليه مع "لا" العاطفة هو الاسم المتقدم عليها كما أن الحرف (لا) يكون لأحد شيئين: فإما لإخراج الشك، أو بقصد تأكيد العلم في حكم الجملة إلى أي الطرفين هو مُسند؛

* إذا كان تقدم بعض عناصر الجملة في اللغة العربية كتقدم المفعول، وتأخير الفعل عنه، في نحو: "ضرب زيداً عمرو"، وكتقدم المفعول به على الفعل في مثل: "زيداً ضربت" مما يُقصد به إظهار العناية بالاسم المقدم، اهتماماً بشأنه؛ فإن في العربية من الأساليب المقدم فيها بعض العناصر على رتبها المحفوظة ما تتجاوز فيها دلالتها مجرد الاهتمام بما هو مُقدم في الكلام، فتخرجُ إلى إفادة دلالة قصر الشيء على شيء آخر من دون سواه، ولذلك عدّه تراكيب، هي كما يلي:

-ابتداء العرب بعض الجمل باسم نكرة مُخبراً عنه بفعلٍ بعده، نحو: "شيءٌ ما جاء بك"، و"شئٌ أهرّ ذا ناب"؛ لأتّهما في معنى: "ما جاء بك إلا شيءٌ"، و"ما أهرّ ذا نابٍ إلا شئٌ" على الترتيب. ويكون المعنى فيهما توالياً، قصرُ سبب فعل الحجيئ المسند على المخاطب على شيء واحد فقط وهو حادث لا يُعهد بمثله في الأول، وقصرُ سبب هرب الكلب على أمرٍ واحد فقط في الثاني؛

* وبخصوص دراسة علماء البلاغة لأسلوب القصر، فالحقيقة أنّها جاءت أكثر شموليةً ودقّةً وأوسع استفادةً في شرح أهمّ مباحث هذه الظاهرة اللغوية الدقيقة، وبخاصّة في جانبها الدلالي والجمالي؛ وهو على كل شيء طبيعيّ فرضته عوامل موضوعيّة ومنهجية كتأخر قيام علم البلاغة علماً قائماً برأسه بعد علم النحو بأكثر من قرنين من الزمان، وهو ما أسهم في استقرار مصطلحات الدرس البلاغي الذي استفاد بشكل واضح وجليّ ممّا خلّفه علماء النحو من مادّة علميّة حول باب الاستثناء أولاً، وحول عمل الحروف في العربية ثانياً، وموضوع التقديم والتأخير ثالثاً، وما أودعوه مُصنّفاتهم من شروحٍ نحوية غزيرة ودقيقة بشأنها. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، لا تُغفل بعض تلك الإشارات البلاغية والدلالية التي نثروها هنا وهناك حول أسلوب القصر بدءاً بسيبويه صاحب أول كتاب جامع لقواعد العربية، ومروراً بمن جاء بعده من رجال النحو.

والمتّمن في معالجة البلاغيين لموضوع القصر يجد أنّها قد اتّسمت بعدّة خصائص وميزات، يمكننا القول إنّها قد أتمّت جهد النحاة الجبار في التّقييد للموضوع وضبط أصوله الكبرى من ناحية، وأضفت على دراسة الموضوع تلك اللّمسة البلاغية القائمة على توخّي معاني النحو بالخصوص منها ما أثبتّه عبد القاهر الجرجاني من خلال نظريّته اللّغوية في التّظم، إضافةً إلى الدّراسات التي جاءت بعده والتي أفادت منه ومن موروث النّحويّين في هذا الباب من ناحية أخرى.

* وعلى أية حال، هذه النقاطُ مجموعةٌ هي أهمُّ ما ميَّز دراسة علماء البلاغة لموضوع القصر:

أ- شكلاً:

* أمّا من حيثُ حدود الظّاهرة، فالظّاهرُ أنّ البلاغيّين قد عَنَوا كثيراً بمعالجة أسلوب القصر؛ فكانت دراستُهم إيّاها مقصودةً لذاتها؛ وهو ما يُفسَّرُ تخصّصُهم لها فصولاً تتفاوتُ حجماً وطولاً بينهم، ضمن مباحث علم المعاني التي يندرجُ القصرُ تحتها؛

* وأمّا عن المصطلح المستعمل عند علماء البلاغة للتعبير عن هذا المعنى اللُّغويّ الدقيق، فثلاثةٌ معروفةٌ لديهم، هي: القَصْرُ، والحَصْرُ، والاختصاص - أو التخصيص -، إضافة إلى استخدامهم في بعض الأحيان ما وقر عند نظرائهم النحويّين في هذا الشأن كالاستثناء المفرغ والاستثناء الناقص؛

* وأمّا بخصوص المصطلحات البلاغيّة القَصْرُ، والحَصْرُ، والاختصاص الألق بدراساتهم، والأكثر شيوعاً في مصنفاتهم، فإنّ من الدّارسين مَنْ رأى أنّها تؤدّي معنى واحداً، في حين هناك مَنْ ذهب إلى أنّ هناك فروقاً بينها، وهي، حسب ما أمكننا جمعه من أقوال وآراء وشروح، كما يأتي بيانه:

- القَصْرُ في اللّغة: الحبس، وهو في اللّغة أيضاً: عدم المجاوزة. أمّا اصطلاحاً، فيعرّف، بأنّه تخصيصُ شيءٍ بشيءٍ، أيّ تخصيص موصوفٍ بصفةٍ أو صفةٍ بموصوفٍ بطريقٍ مخصوصٍ من الطّرق الأربعة. ومعنى تخصيص الشّيء بالشّيء: الإخبارُ بثبوت الشّيء الثّاني للشّيء الأوّل دون غيره، فالقصر مطلقاً يستلزم النفي والإثبات؛

- أمّا الحَصْرُ في اللّغة، فهو الحبس والتضييق. وفي الاصطلاح، هو إثبات الحكم للمذكور ونفيه عمّا عداه، وهو المعروف بالقصر أيضاً. والذي يذهب إليه عددٌ من العلماء، هو أنّه لا فرق بين مصطلحي القَصْر والحَصْر في معناهما اللُّغويّ إلّا ما ذكره البعض منه كالّدسوقي (ت696هـ) مثلاً، من أنّ القَصْر مأخوذٌ من عدم المجاوزة، وليس من الحبس؛

- كما أنّ الاختصاص لغةً هو إفراؤُ الشّيء بالشّيء به دون غيره. أمّا اصطلاحاً، فيقصدُ به علماء البيان تخصيص أمرٍ بأمرٍ بطريقٍ مخصوصٍ؛

* وخلاصة القول في هذه المسألة، أنّه لا تُوجدُ فروقٌ كبيرةٌ بين مصطلحات "القَصْر والحَصْر والاختصاص من جهة الاصطلاح؛ إذ تقترب معانيها إلى حدٍّ بعيدٍ، وأنّ للمعنى اللُّغويّ صلةً وثيقةً بالمعنى الاصطلاحيّ.

ب- مضموناً:

* لأسلوب القصر أغراضٌ بلاغيّةٌ وفوائدٌ في الكلام تُفهم من سياقه، لعلّ أهمّها: تمكين الكلام وتقريره في الذّهن، والمبالغة في المعنى، والتّعريض، إضافة إلى أنّ القصر بابٌ عظيمٌ من أبواب البلاغة لما فيه من الإيجاز والتّقرير، وهو من أهمّ أركان البلاغة؛ إذ إنّ جملة القصر تقوم مقام جملتين: مثبتةٍ ومنفيّةٍ؛

* يُعدُّ القصر توكيداً، وأداته التي يقوم عليها هي النفي والاستثناء، والغرض الذي يؤدّيه أسلوب القصر غرضٌ جوهريّ يتعلّق بمعاني الجمّل، وقد يختلف المعنى كلياً لتقدم كلمةٍ أو تأخيرها بحسب السّياق؛

* تراوحت دراسة علماء البلاغة لأسلوب القصر بين تذوق النصوص والأمثلة كما عند أصحاب المدرسة الفنية أو الأدبية كالجرجاني، والرخشي، وبين التّعبد والاعتماد على التقسيم لمسائلها ضبطاً لقواعدها، وتحديداً لأصولها كما ثبت مع أتباع المدرسة الكلامية مثل السكاكي ومن نهج نهجه؛

* أما عند شيخ البلاغة العربية عبد القاهر الجرجاني، فما لوحظ على دراسته، هو اعتماده بشكل لافت للانتباه، في حديثه عن هذا الموضوع، وطريقة شرحه لمباحثه على طريقة عرض أفكاره عرضاً لغوياً، متأثراً، بسيطاً، جميلاً، مركّزاً في أوقات كثيرة على الموازنة، أو المقابلة، بين بعض قواعد طرق القصر الثلاثة الأولى واستعمالاتها اللغوية، وهي: صيغة النفي والاستثناء، و"إنما"، والعطف بوساطة "لا"؛ تبسيطاً لما يحكم كلاً منها من جهة، واستنتاجاً للفروق الدلالية والجمالية بينها من جهة أخرى؛

* يقسم البلاغيون أسلوب القصر عدّة تقسيمات حسب بعض الاعتبارات، وهي كما يأتي:

1- بحسب الحقيقة والواقع: وهو حقيقي وإضافي. أما الحقيقي، فهو أن يختص المقصور بالمقصور عليه بحسب الحقيقة والواقع بالأ يتعداه على غيره أصلاً، نحو: "لا إله إلا الله". في حين أن الإضافي يُقصّد به أن يختص المقصور بالمقصور عليه بحسب الإضافة، وبالنسبة إلى شيء آخر معيّن، لا لجميع ما عداه؛

2- باعتبار طرفيه: ينقسم القصر باعتبار طرفيه (المقصور والمقصور عليه) سواء أكان القصر حقيقياً أم إضافياً إلى نوعين. أولهما: قصر صفة على موصوف، ومثاله من الحقيقي: "لا رازق إلا الله"، ومثاله من الإضافي: "لا شاعر إلا امرؤ القيس". وثانيهما: قصر موصوف على صفة، ومثاله من الحقيقي: "ما زيد إلا كاتب"، إذا أُريد أنه لا يتصف بغيرها، أي غير الكتابة من الصفات وهو لا يكاد يوجد لتعذر الإحاطة بصفات الشيء حتى يمكن إثبات شيء منها ونفي ما عداها بالكلية، بل هذا محال، لأن للصفة المنفية نقيضاً، وهو من الصفات التي لا يمكن نفيها ضرورة امتناع ارتفاع التقيضين؛

3- باعتبار حال المخاطب: وينقسم ثلاثة أقسام حدّدها البلاغيون، وهي:

أ- قصر الأفراد: ونقصده به التخصيص بشيء دون شيء من يعتقد الشركة، أي شركة صفتين في موصوف واحد في قصر الموصوف على الصفة، أو شركة موصوفين في صفة واحدة في قصر الصفة على الموصوف. ومثال الأول: "ما زيد إلا كاتب"، لمن يعتقد اتصافه بالشعر والكتابة، ومثال الثاني: "ما كاتب إلا زيد"، لمن يعتقد اشتراك (زيد وعمر) في الكتابة، ويسمى هذا القصر قصر أفراد؛ لقطعه الشركة التي اعتقدها المخاطب؛

ب- قصر القلب: ويكون هذا الكلام موجّهاً إلى المخاطب الذي كان يعتقد عكس الحكم الذي أثبتته

المتكلم، فمثلاً المخاطب بقولنا: "ما زيد إلا قائم"، هو من اعتقد اتصافه بالعود دون القيام؛

ج- قصر التعمين: أن يكون الكلام المشتمل على القصر موجّهاً لمن يُراد إزالة تردده وشكّه، هل المقصور

منسوب إلى المقصور عليه أم إلى غيره، مثل: "ليس الكُشوف إلا للشمس"، أو: "الكُشوف للشمس لا للقمَر"؛

*إنَّ الفرق بين القصر الحقيقي على وجه المبالغة والادّعاء، وبين القصر الإضافي على وجه الحقيقة دقيقٌ جداً، وكثيراً ما يلتبس أحدهما بالآخر، ويكمنُ الفرق بينهما في أمرين:

الأول: إنَّ الحقيقي الادّعاء مبنًى على المبالغة، والتّزيه، فإذا قلت: "مَا فِي الدَّارِ إِلَّا زَيْدٌ"، وأردت لا غيره، وكان فيها غيره، ونزلته منزلة العدم كان القصر حقيقياً ادّعاءً، وإن أردت "لَا عَمْرُؤَ"، وكان فيها بكرٌ وخالدٌ أيضاً كان القصر إضافياً على وجه الحقيقة؛

الثاني: إنّه لا يشترط في الحقيقي مطلقاً اعتقاد المخاطب على أحد الوجوه الثلاثة في الأفراد والقلب والتّعيين.

*وبخصوص طرق القصر الأربعة المشهورة عند البلاغيين، فهي النّفي والاستثناء (مَا وَإِلَّا)، وإثماً، وطريق العطف بالحروف الثلاثة: (وَبَلْ، وَلَكِنْ، وَلَا)، والقصر بتقديم ما حقّه التأخير.

* وعلى الرّغم من اشتراك طرق القصر الأربعة المذكور في إفادة معنى القصر، لكنّها تختلف من بعض الوجوه لعلّ أهمّها:

*يُسْتَعْمَلُ "النّفي والاستثناء" في الحكم الذي يُنكره المخاطب ويشكّ فيه، نحو: قولنا مثلاً: "مَا هُوَ إِلَّا زَيْدٌ"، لم تقله إلّا والمخاطب بهذا الكلام يتوهم أنّه ليس زيداً، ويعتقد أنّه إنسانٌ آخر وينكر أن يكون زيداً وهو إمّا قصرٌ موصوفٍ على صفةٍ، أو قصر صفةٍ على موصوفٍ؛

*وتحقيق وجه القصر في الأوّل منهما، أنّه متى قيل: "مَا زَيْدٌ"؛ تَوَجَّهَ النّفي إلى صفته لا إلى ذاته، لأنّ أنفس الدّوات يُمتنع نفيها وإثماً تُنقى صفاتها. وحيث إنّ لا نزاع في طوله وقصره وما شاكل ذلك، وإثماً النزاع في كونه شاعراً أو كاتباً تناولهما النّفي. فإذا قيل: "إِلَّا شَاعِرٌ" جاء القصر. وفي الثاني أنّه متى قيل: "مَا شَاعِرٌ" بإدخال النّفي على الوصف المسلّم ثبوته، أيّ الشّعْر هنا، تَوَجَّهَ النّفي بحكم العقل إلى ثبوته للمدّعي كزيدٍ وعمروٍ مثلاً، فإذا قيل: "إِلَّا زَيْدٌ" مثلاً، أفاد التّركيب معنى القصر.

*اشتراطُ جمهور البلاغيين لصحّة وقوع الاستثناء المفرغ أو القصر، كون الكلام غير موجب، أي مسبقاً بنفي، أو شبهه، وهو ما يُستقرأ من طبيعة الشواهد القرآنية، وغيرها التي أوردوها في معالجتهم لهذا الموضوع، والتي لم تخرج في أيّ موضع من المواضع عن هذا القيد الإعرابي والمعنوي؛

*أمّا بهاء الدين السبكي (ت755هـ)، فيذهب إلى عدّ الاستثناء على وجه العموم، قصرّاً سواءً أكان مع النّفي أم الإيجاب، نحو قولنا: "قَامَ النَّاسُ إِلَّا زَيْدًا"، فإنّ فيه قصرّاً لعدم القيام على "زيد"، لأنّ المعنى هو قصر عدم القيام بالنّسبة إلى الناس على "زيد"؛

*إنَّ النّفي بواسطة "لا" العاطفة لا يجمع النّفي والاستثناء؛ إذ لا يصحُّ أن نقول مثلاً: "مَا زَيْدٌ إِلَّا قَائِمٌ لَا قَاعِدٌ"؛ لأنّ شرط المنفي بـ "لا" العاطفة أن لا يكون ذلك المنفي منفياً قبلها بغيرها من أدوات النّفي، وهذا الشرط مفقودٌ في النّفي والاستثناء؛

*تُسْتَخْدَمُ الأداة "إنّما" في أسلوب القصر لخبرٍ لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته، نحو: "إنّما الله واحد"، أو لما يُنَزَّلُ هذه المنزلة، نحو: "إنّما هو أخوك"، و"إنّما هو صاحبك القديم". فمثل هذا الكلام لا يُقال لمن يجهل ذلك ويدفع صحته، ولكن لمن يَعْلَمُهُ وَيُقَرُّ به، غير أنّ القصد به تنبيه المخاطب به للذي يجب عليه من حقّ الأخ وحرمة الصاحب؛

*بخصوص إفادة (إنّما) معنى القصر، نقل عددٌ من العلماء أنّ الإمام أبا حيان التّوحيدي (ت414هـ) يرى أنّ هذه الأداة لا تفيد القصر، بل هي لمجرّد توكيد، ومن هؤلاء ابن هشام (ت761هـ)، والشّهاب الخفاجي (ت466هـ)، والألوسي (ت1270هـ)، وغيرهم كالشّبكي ووالده؛

*وفي المقابل، هناك من علماء البلاغة مثل عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ)، والسّكاكي (ت626هـ)، من ردّوا على التّوحيدي رأيّه، واستدلّوا على ذلك بأدلة يستندون إليها في مسألة اعتقادهم بإفادة (إنّما) الحصر بالوضع، من قبل أنّها مفيدة معنى القصر لكونها تتضمّن معنى (ما وإلا)، كقول بعض الصّحابة كابن مسعود (ت32هـ)، وابن عبّاس (ت68هـ)، رضي الله عنهم - في تفسير بعض الآيات الكريمة من جهة، وبصحة انفصال الضّمير في أسلوب القصر بهذه الأداة، مع إمكان اتّصاله من دون أن يكون له صلة من المواطن المعروفة في النّحو من جهة أخرى؛

*للقصر بواسطة الحرف إنّما عدّة دلالاتٍ، منها: أنّها حرفٌ مجرّسه وُعْتته وقوّته ودلالته، لا يكون إلّا في المواقف الهادئة النّاعمة من دون جلبةٍ أو فوضى، فهي تتصدّر الأفكار والحقائق والمشاعر التي لا يصلح فيها (ما وإلا)، ولذا قالوا إنّ استعمالها يكون في الأمر الجليّ، أو في الأمر الخفيّ المنزّل منزلة الجليّ، كما أنّها تُستعمل في الأمر الجليّ الواضح، بمعنى أنّه مقبولٌ في نفسه، ومقبولٌ لدى المتكلّم، كأنّه لا ينبغي أن يكون مثار جدلٍ أو اختلافٍ أو إنكارٍ بين المتكلّم والمخاطب؛

*إذا كان المقصور عليه مع طريق النّفي والاستثناء هو الواقع بع (إلا) مباشرة، نحو: "ما زَيْدٌ إلّا شاعرٌ"؛ فإنّ دلالة القصر بالحرف إنّما تختلف بالتّقديم والتّأخير بين المعمولات النّحويّة، كما بين المبتدأ والخبر، والفاعل والمفعول، والحال وصاحبها، وغيرها من المعمولات؛ فالتركيز يكون على المؤخّر منهما بعد (إنّما)؛

*مزِيّةُ القصر بإنّما من جهتين. الأولى منهما: أنّها تثبت الفعل لشيءٍ معيّنٍ أوّلاً، وتنفيه عن كلّ ما عداه ثانياً. وثانيهما: جعلها الأمر المقصور عليه الكلام ظاهراً فيه حكمه ذلك؛

*وفي قوّة الدّلالة على معنى القصر، نجد أنّ لـ (إنّما) مزِيّةً على طريقي النّفي والاستثناء، والعطف من حيث إنّها تَعْقِلُ الحكمين، أي: الإثبات للمذكور، والنّفي عمّا عداه دُفعَةً واحدةً، بخلاف (ما وإلا)، ففيه نفيٌّ ثمّ إثباتٌ، وكذا العطف فإنّه يُفهم منه أوّلاً الإثبات ثمّ النّفي، نحو: "زَيْدٌ قائمٌ لا قاعِدٌ"، أو العكس، نحو: "ما زَيْدٌ قائماً بل قاعِداً"؛

*إنّ دلالة التّقديم على القصر يكون بالفحوى أي بمفهوم الكلام؛

* دلالة أسلوب التقديم والتأخير على معنى القصر قد تكون في:

أ- الكلام المثبت: بتقديم المسند إليه المعرف على المسند الفعلي، نحو: "رَيْدٌ قَدْ فَعَلَ، وَأَنَا فَعَلْتُ" مثلاً، أو بتقديم المسند إليه (التكررة) على المسند الفعلي في مثل: "شَرُّ أَهَرَّ ذَا نَابٍ"؛ لأنه في معنى: "مَا أَهَرَّ ذَا نَابٍ إِلَّا شَرُّ"، أو بتقديم المسند، نحو: "إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُنَا"، أو بتقديم بعض متعلقات الفعل كالمفعول، والحال، والظرف، والمجرور، وغيرها على رتبها المحفوظة في العربية؛

ب- في الكلام المنفي: ويكون ذلك في بعض التراكيب النحوية بخاصة، مثل: "مَا فَعَلْتُ"، ومعناه على نفي المتكلم عن نفسه فعلاً لم يثبت أنه مفعول، ونحو: "مَا أَنَا فَعَلْتُ"، وهو هنا على قصد نفي المتكلم عن نفسه فعلاً يثبت أنه مفعول وواقع؛

* يُعَدُّ أحمد شوقي (ت1932هـ) من الشعراء المجيدين المثقفين نظراً إلى تنوع مصادر ثقافته العربية، والتركية، والفرنسية؛

* تنوع آثار شوقي الأدبية من ديوان شعر ضخم، وروايات، وكتاب، وشعري مسرحي؛

* تميّز شعر أحمد شوقي، بقوة الأساليب، ومتانة التراكيب، وجمال الصورة البيانية، وحسن موقعها من النفس. كما أن من خصائصه: نظمُهُ في عدّة مجالاتٍ مختلفةٍ ومتنوعةٍ، حيث كتَبَ الشعر السياسي والوطني، بالإضافة إلى شعر الرثاء، والمدح، والغزل، والوصف، والحكمة، وإكثاره من ذكر الأخلاق في شعره بالنظر إلى تأثر الشاعر أحمد شوقي بالجانب الإسلامي بقوة في شعره، لا سيّما تأثره بالقرآن الكريم، وامتلاكه ثروة لغوية غزيرة، كان لها أثر بالغ في شعره؛

* من عوامل التجديد في شعره: ارتباطه بالقصر، وثقافته الغربية الواسعة؛

* يُعَدُّ ديوان "الشوقيات" من أهم ما جادت به قريحة شوقي الشعرية، إن لم يكن أهمها على الإطلاق. وقد ضمّ أربعة أجزاء تضم العديد من القصائد والمقطعات الشعرية ذات الأغراض المختلفة في المدح، والسياسة، والرثاء، والوصف، والغزل، وشعر الأطفال، والأمثال، والخرافة؛

* حفَلَ ديوان شوقي أساليب لغويةً وبلاغيةً كثيرةً، ومن أبرزها أساليب القصر والتخصيص، بما تنطوي عليه هذه الأساليب من مرامٍ وأسرارٍ بلاغيةٍ ثريةٍ غزيرةٍ ومتنوعةٍ يرجع ثراؤها إلى تنوع أساليب القصر وما بينها من فروقٍ دقيقةٍ واعتباراتٍ وملحوظاتٍ لطيفةٍ، ومن تلبّس المقصور والمقصور عليه للمعاني المجازية، وعناصر تشكيل الصورة الفنية وتشابكهما مع الفنون البلاغية الأخرى، ومن طريقة عرض هذه الأساليب عرضاً مؤثراً في ثوبٍ مشيرٍ جذابٍ؛

* بعد مسح شاملٍ لأساليب القصر الواردة في هذا الديوان، خلّص البحثُ إلى توزّع هذه الأساليب حسب الأرقام الآتي ذكرها:

* عدد أساليب القصر جميعها بطرقها الأربعة في ديوان أحمد شوقي، هو: أربعة وثمانون وثلاثمائة (384) شاهداً نَحْوِيّاً:

- وتوزّع هذه الأساليب حسب طرق القصر المتحقّقة بها كما يأتي بيانه:
- * أولاً: أسلوبُ القصر بطريق التّقي والاستثناء (مَا وَإِلَّا): مائةٌ وواحدٌ وسبعون -171- أسلوب قصر. هذا بالنّسبة إلى الاسم المفرد المحصور بوساطة "إِلَّا"، منها ستون -60- شاهداً على قصر المبتدأ على الخبر، وخمسة -05- نماذج لقصر الخبر على المبتدأ، وعشرون -20- حالةٌ للتّفرّغ للفاعل، وثلاثةٌ وثلاثون -33- تركيباً للقصر على المفعول به، وثلاثة عشر -13- نموذجاً لمعمولي كان وأخواتها، وستّةٌ وعشرون -26- شاهداً للقصر على شبه الجملة، وسبعةٌ شواهد للحال المفردة، وشاهدان اثنان لظرف الزّمان، وشاهدٌ واحدٌ لنائب الفاعل، وشاهدٌ واحدٌ لظرف المكان، وثلاثةٌ -03- منها بصيغة القَسَم الاستعطائي؛
- * أمّا الجملةُ المحصورة بإلّا في أسلوب الاستثناء المفرّغ، فقد تمّ تسجيلُ خمسٍ وثلاثين -35- حالةً. منها: خمسةٌ -05- شواهد للحال جملةً اسميّةً، وخمسة عشر -15- شاهداً للحال جملةً فعليّةً، وتسعةٌ -09- شواهد للحال شبه جملة، وشاهدٌ واحدٌ -01- للجملة ظرف زمان، وثلاثةٌ -03- شواهد للجملة مفعولاً به، وثلاثةٌ -03- شواهد للجملة فاعلاً، وشاهدٌ واحدٌ -01- للجملة في موضع أحد معمولي كان وأخواتها؛
- ومجموع أساليب القصر بـ(إِلّا) للمعمولات المفردة والجملة المحصورة هو: ستٌّ ومائتان (206) في ديوان الشّوقيّات بالنّسبة إلى مجموعها كاملةً، هو: 53.64 %؛

* ثانياً: تحقّق دلالة القصر بـ "إنّما" في ستٍّ وستّين (66) مرّةً. منها: تسعةٌ وثلاثون شاهداً لحصر المبتدأ في الخبر، وشاهدان اثنان لحصر الخبر في المبتدأ، وثلاثة شواهد لحصر الفعل في الفاعل، وثلاثة شواهد لحصر الفعل في البناء للمجهول، وسبعة شواهد لحصر المفعول به، وشاهدٌ واحدٌ لحصر ظرف الزّمان المقدّم، وشاهدٌ واحدٌ لحصر خبر (كان)، وثلاثة شواهد لحصر ظرف الزّمان، وأربعة شواهد لحصر شبه الجملة، وشاهدان اثنان لحصر نائب الفاعل. هذا كلّهُ إضافةً إلى شاهد واحد للحصر بالأداة (أنّما). إذاً مجموعها كاملةً هو: سبعٌ وستّين (67) مرّةً. منها شاهدٌ واحدٌ للحصر بالأداة (أنّما)؛ بنسبة تُقدّر بـ: 17.44 %؛

* ثالثاً: وأمّا عددُ أساليب التّقديم والتّأخير الّتي أفادت معنى قصر الشّيء على الشّيء من دون مجاوزته إلى أمرٍ آخر، فهو أربعةٌ وخمسون -54- أسلوباً. منها: شاهدان -02- لتقديم الخبر على مبتدئه للحصر، وأربعةٌ وعشرون -24- لتقديم المبتدأ، وثمانيةٌ وعشرون -28- أسلوباً لشبه الجملة تنوّعت بين جارٍّ ومجرورٍ، وظرف مكانٍ إمّا كمتعلّقات بخبر المبتدأ، أو بالفعل المسند إلى الفاعل، بنسبة تُقدّر بـ: 14.06 %؛

* رابعاً: حضور أسلوب القصر بطريق العطف في أربعة وعشرين -24- شاهداً نحويّاً. منها: ثلاثة وعشرون شاهداً للقصر بـ"لَا" العاطفة، وشاهدٌ واحدٌ للقصر بـ"بَلْ". ولا يوجد أيُّ نموذجٍ للقصر بوساطة "لَكِنْ"، بنسبة تُقدَّر بـ: 6.25%؛

خامساً: عدد الأساليب المفيدة معنى القصر بوساطة الاسم "غير" هو تسعة عشر (19) شاهداً نحويّاً؛ بنسبة تُقدَّر بـ: 4.94%؛

سادساً: وقوع الاسم "سَوَى" موقع (إِلَّا) في أسلوب الاستثناء المفرغ أو القصر في أربعة عشر (14) تركيباً لغويّاً؛ بنسبة تُقدَّر بـ: 2.86%؛

* تمثّل الشاعر أحمد شوقي لمعظم قواعد هذا الموضوع التَّحويّة، وضوابطه البلاغيّة المطروقة في الشَّقّ النظريّ من هذا البحث؛

* إضفاء أساليب القصر بمختلف طرق تحقُّقها دقّة بالغة على التراكيب المتضمّنة إيّاها، وصبغُها بالقوّة في الدّلالة، والجماليّة في التعبير، والرّوعة في تصوير المعاني.

الكلمات المفتاحيّة: الاستثناء المفرغ - نحو - بلاغة - أسلوب القصر - لغة عربيّة.

Abdenmour, HAMIDI- Classic Doctorate in : Philology

Thesis Topic: Exceptionnism style between grammar and rhetoric

Professor Supervisor: Prof. Dr, Abdelkader SELLAMI

Introduction:

Praise be to the one who created man and singled him out with reason and eloquence, and blessings and peace be upon our Prophet Muhammad, the most eloquent of the Arabs in language, the clearest of them in articulation, the most accurate of them in language, and the most generous of them in examples, and after,

There is no exaggeration in saying that the Arabic language is the language of marvels in its precise setting and precise coordination. Whoever is able to discover its ambiguities, stand on its subtleties, and comprehend its wisdom and clarification; He knew for sure that it had been created with the inspiration of the wise creator - glorified is his ability and his names are sanctified -.

From this point of view, the love of Arabic deepened in me; So I chose to specialize in her study from among many other sciences, especially its tight rules and wise laws, which I made it my way to my higher studies; In the hope and aspiration to succumb to the specifics of this honorable language that is distinguished from other languages by the abundance of its words, the liveliness of its structures, and the beauty of its methods, which had the honor of being a container for the last of God's heavenly messages to all the people of the earth; Thus, it became the carrier of the meanings of the Great Qur'an on the one hand, and the one that was carried and preserved from death and extinction with the dignity of the word of God, the Exalted, the Exalted, on the other.

It is known that there is a close relationship between grammatical structures and semantics in the analysis; When science meets

Grammar and semantics in a number of issues, such as definition and denial, and mention –Ad-dhikr- and omission, preposition and delay, separation and connection, and shortening. The ancient Arab grammarians were also known for their interest in methods and in composing sentences, which is the subject of the study of semantics, the third branch of Arabic rhetoric. Then Sibawayh (d. 180 AH) and

his teacher Al-Khalil (d. 175 AH) - may God Almighty have mercy on them both - had the credit for this science, and the scholar Abd al-Qaher al-Jurjani (d. 471 AH), the author of the famous systems theory, was of the opinion that the meaning of speech is not valid except on the condition that it observes grammatical provisions, and based on the fact that the convergence between the science of grammar and the science of semantics requires an applied study that shows and makes it clear. (In which I tried to show that convergence by dedicating this research to the study of the phenomenon of linguistic shortness whose aspects are shared by both the grammatical as one of the four cases of exception on the one hand, which is known as the hollow exception, as well as the man of rhetoric also because it is one of the topics of semantics as well as Previously, we sought to confirm one of the main research objectives, which is to conclude that the science of semantics is not isolated from grammatical structures and methods (by linking the data of grammar to the science of semantics), and that the science of syntax is a science that integrates It has an educational methodology with a semantic methodology. This, and the observer in the poetry of the Prince of Poets will find the rich material in which the knowledge of grammar and meanings converge - such as definition and denunciation, mention "Ad-dhikr" and deletion, introduction and delay, separation and linking, and shortening - and serves in it the first and the second understanding of what he bases on and on which rulings are presented to him. The various methods and probing the depths of their near and distant meanings, both apparent and hidden.

There is no doubt that the exceptionnism style is one of the manifestations of the uniqueness of our beautiful language from all other languages - in some respects at least - by including special linguistic structures such as this phenomenon with two advantages. One of them: achieving a wonderful linguistic economy, as the short style sentence performs two different intended rulings, and this means that it is judged to prove one thing for something else on the authority

of the competent authority, whether it is through the export of the sentence in negation or likening it to the inclusion of a tool or the inclusion of it. as "unhealthy". An example of this is our saying: “No one came to me except Zaid” by way of example and not limited to, or by means of the tool “only” like: “Only Zaid came to me”, and its meaning: limiting the adjective coming or coming to one person only and that is Zaid without going beyond him to others. From the people on the one hand, and the other: that if we arranged the methods of affirmation and its many tools in an ascending order according to the strength of the affirmation; Shortening would have been its summit and its ultimate goal, because it is an emphasis above an emphasis given that it compresses two sentences into one sentence, that is, it is a strong focus in style, although it is necessary for us to point out here that if the exceptionnism

or the general arrangement of the sentence requires a specific color, it is the most effective of the methods. Except for anything else, even if it varies in strength because rhetoric is in its simplest definitions nothing but the conformity of speech to the need of the situation, that is, the speaker’s consideration of the addressee’s condition when speaking to him in terms of his knowledge of the news or not, or the strength of his hesitation in accepting, denying, or denying it; As it is based on one of these conditions in which the addressee may be building his speech or sentence directed to this one who is speaking.

1- Previous studies:

After my deep and painstaking research on the implications of this very precise linguistic topic in the wombs of the mothers of the various sources and references available in our Arabic libraries, from paper and electronic references; In principle, we can say that the number of research and studies conducted by their authors to address this unique linguistic phenomenon directly and intentionally is somewhat small, and perhaps the most important of them is the following:

A- The book: "The Shortening Methods in the Noble Qur'an and its Rhetorical Secrets," by Dr. Sabah Obeid, in which independent studies of this linguistic issue can be considered statistical on the one hand, and stylistic and semantic on the one hand;

Others, however, remain insufficient to cover the investigations of this method in all its grammatical, rhetorical, semantic, and aesthetic aspects;

b- The book: "The Exception in the Grammatical and Rhetorical Heritage," by Kazem Ibrahim Kazem; In it, the author studied various aspects of this subject in an attempt to collect its aspects.

C- A university thesis tagged: "Methods of Specialization and Absorption in the Arabic Language," MA prepared by Samira Muslim Muhammad Al-Juhani, under the supervision of: Dr. El-Sayed Rizk Al-Taweel. Umm Al-Qura University in Makkah Al-Mukarramah, College of Arabic Language - Kingdom of Saudi Arabia, 1406-1407 A.H. Three topics fall under the subject of the palace in this thesis:

- * The third topic: which was designated by the researcher for personalization through "Innama";

- * The fourth topic: It was a fertile area for dealing with the issue of allocation through the hollow exception;

The fifth topic: It was marked with: Allocation by Presentation and Delay;

D - Master's thesis entitled: "The exceptionnism and its Methods with Explanation of Its Secrets in the First Third of the Holy Qur'an", Master's Degree prepared by student Najah Ahmed Abdel Karim Al-Dhaher, under the supervision of Ali Hassan Mohammed Al-Ammari. Umm Al-Qura University in Makkah Al-Mukarramah, College of Arabic Language - Kingdom of Saudi Arabia, 1402-1403AH/1982-1983AD.

As for the references that were presented for only partial aspects of this linguistic phenomenon, they are, according to what we were able to collect, as follows:

A- Book: "Indications of Presentation and Delay in the Noble Qur'an - An Analytical Study by Munir Mahmoud Al-Masiri. Presented by: Abdel Azim Al-Muta'ni and Ali Gomaa. Wahba Library, Cairo - Egypt, 1, 1426 AH/2005 AD;

B- A university thesis entitled: "Methods of Strike and Correction in the Noble Qur'an", a master's degree by Enga Ibrahim Yahya Al Yamani, supervised by: A/D. Muhammad al-Mujtar Muhammad Musa. Umm Al-Qura University, College of Arabic Language - Kingdom of Saudi Arabia, 1410 AH-1990 AD, and the subject of the palace had a share in this research by dedicating its second chapter to the work of the light "but" and its locations, which requires following the rulings and analyzes that may be helpful in understanding the work of This composite tool shows the way to achieve the meaning of the palace by means of it;

C- A master's thesis tagged: "But" in the Holy Qur'an - a synthetic semantic study, by its owner Fatiha Obeida, supervised by Prof. Dr. Al-Hawas Masoudi, University of Algiers - Faculty of Arts and Languages, 2001 AD;

d- University research entitled: "Advancement and Delay between Grammar and Rhetoric", a master's thesis prepared by student May Elian Al-Ahmar, Department of Arabic and Near Eastern Languages at the Faculty of Arts and Sciences at the American University of Beirut - Lebanon, May 2001;

E- An article by Awatef Yusef Abd al-Razzaq, of 36-six pages, tagged: "The Style of Emphasis in Arabic Grammar", in which there is a brief section on the subject of emphasis in the exceptionnism;

And - all this is in addition to a university thesis tagged: "Restriction and shortening in the Holy Qur'an - a rhetorical study" prepared by researcher Samir Mohsen Muthanna Ahmed, Al-Iman University-Yemen 2009. We were not able to obtain it despite our numerous and repeated attempts via the Internet. Oh God, a summary of it Available online.

And after reviewing the totality of these references that were classified as a basis for discussing the subject of the palace itself, or touched aspects of it as we have seen; It is clear here that I will rely in the completion of this Thesis on what I will meet with what has been written:

1- Short grammatical researches included by grammarians and linguists in general in their studies that they devoted to the issue of exception considering that the exceptionnism style is the fourth case of exception; Because they did not dedicate a separate section to it standing at its head in order to control its origins and clarify its provisions;

2- Rhetorical Investigations. The scholars of Arabic rhetoric made separate sections of their works within the chapters on semantics, this is all in addition to what I can collect and explore in the various sources that can be contacted and encountered on the way of my search for the ideas of this topic from miscellaneous miscellaneous books here and there in their ancient books Their hadith includes interpretations of the Great Qur'an, explanations of poetry collections, and other different aspects of research that we will work on collecting, in an effort to analyze and arrange them according to their sections; With the intention of re-reading it and examining it in order to understand its contents, and then tabulating it again in order to coordinate and formulate it in the form of a sober scientific research whose content is smooth for the browser, and its style appeals to the reader.

2- **Motives:** As for the motives for choosing this topic as a field for research, they are as follows:

A - Its importance: because the exceptionnism style is one of the rhetorical phenomena whose study is common in grammar - after it is one of the four exceptions' s type - and rhetorical together as one of the investigations of semantics; I decided to single out this linguistic topic by treating its sections and contents from these two points of view. Which opens the way wide in order to explore the most

important similarities and differences between the two studies on the one hand, as well as with a view to confirming the solid link that links the science of semantics to grammar, by blending the rules of the latter and its origins with the view of the science of analytical semantics of structures, and the aesthetic of various expressions and methods on the other hand;

B- The scarcity of studies dealing with this linguistic topic: As I mentioned earlier, despite the richness of our Arabic libraries, whether paper or electronic, with a huge amount of literature and linguistic research, long and short, what is remarkable is the scarcity of references or research aspects that dealt with one batch. in one book. Perhaps given that our Arabic language is characterized by this unique type of methods on the one hand, and based on the issue of the intersection of several linguistic levels in its study on the one hand, eloquence, and semantics on the other hand; These may be some of the direct reasons that prompted me to choose it as a fertile field for research, analysis, and discussion. And who knows, this research may be a precursor to more research and other studies in which the authors may succeed in addressing this issue from other angles that may inevitably be absent from me, and with different linguistic and intellectual visions in which they may be inspired more accurately, more beautifully, and analyzed, and the most interesting and creative of their ideas, and to put forth their ideas;

C- My tendency to generalize what is related to linguistic subjects at their various phonetic, morphological, grammatical, rhetorical and semantic levels;

D- In spite of the lack of research dealing with the subject of the exceptionnism style in its well-known ways in one book, as mentioned above, the richness of the Arabic library with the pleasant references in the various sciences of the Arabic language in terms of grammar, eloquence and semantics encouraged me to move forward with its completion in the hope of enriching our Arabic library with a hopeful research. It should be complete and satisfactory in this section despite

the fact that great effort must be made in collecting its scientific material, and a beautiful patience to read it, classify it, package it, and use it with the accuracy and goodness possible in order to ensure a clear scientific output in form and content.

3- **The research problems:** I will seek through this work to shed light on the possible aspects surrounding the issue of that type of exception, trying to answer the following questions:

- * What are the features of convergence between the science of grammar and the science of semantics in general?

- * What are the most prominent of those features transmitted in the poetry of Ahmad Shawqi through the exceptionnism's methods that are proven in his poetry of longings?

- * What are the forms of the linguistic construction of the Arabic sentence that convey the meaning of shortness, and what are the most prominent structural, rhetorical, semantic and aesthetic differences resulting from each of the methods of shortness that is achieved in speech?

- * What is the position of the total rules laid down by the scholars of grammar, rhetoric and language in general from the linguistic reality, that is, from the functional level of the language through application to Ahmed Shawqi's Diwan, by observing the structures that it included and matching them with the controls and laws observed in our theoretical study?

4- **Research Objectives:** The purpose of this study is not to try to prove the relationship between the two sciences of grammar and meanings, because it is a close and sure connection that has been proven true and true by our eminent linguists, so that there is no need to talk about it after them. For the poet Ahmed Shawky, trying to highlight the features of the convergence between the two sciences of grammar and the meanings and the relationship of one to the other in understanding some of the poetic models of exceptionnism style embedded within it. Accordingly, the main objectives of the research can be summarized in:

* An in-depth examination of the most important aspects of the exceptionnism style in its appearance and origins, by following the opinions of ancient and modern Arab scholars;

* To perceive the most prominent features of the relationship between the science of grammar and the science of semantics through the grammatical structures of the exceptionnism methods transmitted in the poetry of Ahmad Shawqi and their implications;

* Attempting to bring the subject of the exceptionnism out of the narrow theoretical field of study to the broad field of application by analyzing the poetry of Ahmad Shawqi in a grammatical analysis related to the science of semantics.

5- **Methodology:** The approved research method varies according to the nature of each part of it. In the first and second chapters, it is almost descriptive in most of them because it fits the place of elaboration of speech about the way the grammarians and rhetoricians approach this linguistic phenomenon. As for the third chapter - and an addition to some other aspects of the research –

So I used some other various auxiliary methodological tools, such as statistics, analysis and conclusion, to delve into the depths of the methods and structures that include the methods of the exceptionnism in the Al-Shawqiyat Diwan in order to investigate their contents and arrive at an understanding of the intended meaning.

6- **Research difficulties:** The research path must often be fraught with difficulties and obstacles. Perhaps the most important thing that I encountered on the way to accomplishing this is the following:

A- The lack of specialized studies in the studied field, in addition to the fact that excavating the research material required a great deal of time, great effort, and patience with the aim of collecting its fragments, and controlling its main subject in particular what is related to the grammatical part of our study;

b- The need to be careful in mentioning the aspects of interpretation and understanding of the various legal texts of noble

verses and prophetic hadiths as grammatical and rhetorical evidence that scholars rely on in their linguistic research;

c- The necessity of reading all the pages of the Code that are designated to apply to it; With the intention of recording the percentage of attendance of the exceptionnism style in it, and trying to distinguish to what degree its owner approached the entirety of the linguistic rules and controls, whether grammatical or rhetorical, which I tried to collect in our theoretical study of this research;

d- The extreme difficulty in understanding some of Ahmad Shawqi's poems, which include shortening methods and interrogating the exact meaning of them, due to the poet's digression in some of his long poems, in which sometimes the core of the subject of the poetic purpose is separated from the syntax, and the short sentence does not appear to us. The significance of the palace is precisely in it, except by referring to the reading of a few paragraphs at times and a few pages at other times to try to gather the poet's thoughts, and the intentions of its apparent and hidden meanings to link it finally to the poetic witness that we want to apply on the one hand, in terms of contextualization and by trying to link the various meanings with it. On the other hand, evidence. This is in addition to the inclusion of some grammatical models - from Shawqi's poems of course - on structures that contain two models of the exceptionnism style in one poetic line, such as the introduction and sometimes the "no" of emotion; This, although it gives the studied phrase strength in its pronunciation and abundance in its weaving, and durability in its meaning and connotation, but the realization of the matter in the issue of the intent behind the connotations of the shortness in it is neither easy nor simple, which requires reading the grammatical model and studied several readings. This is in addition to the trouble of referring to the available explanations of the Diwan from one point of view, but in general it often neglects to consider the issue of diving into the contexts of linguistic expressions, or explaining their meanings, or clarifying the

meaning of the text. The inclusion in this or that house of one of the exceptionnism's methods studied in this research.

7- **Research stages:** The research is generally divided into an introduction, an introduction, three chapters and a conclusion.

As for the introduction, I spoke in it about the importance of the subject, my methodology in it, and the plan that I followed in order to achieve it.

- I also dealt with in the introduction to this research the issue of the location of the exceptionnism style in grammatical and rhetorical studies, opening this by preface to it by talking about the relationship of Arabic grammar to rhetoric in general, and to semantics in particular, referring to the issue of the most important sources of the palace in our Arab heritage in a succinct manner. Linguistics from modern linguistic studies.

As for the first chapter, which is in two chapters, I dealt with the way in which grammarians studied this subject in their old or modern works.

This, and I have devoted the subject of the term exception: its origin, development, tools, types, and rulings by studying in the first chapter, to move in the second chapter to the study of the issue of the well-known idiomatic methods by which the exceptionnism style is achieved in our Arabic language, which is the negation, the exception, the inflection, but the turn, By offering what is his right.

- As for the second chapter, and it is in two chapters, I singled it out to simplify the speech in the way rhetoricians study the method of the exceptionnism, as I tried to focus on distinguishing the most important that was revealed to me in their rhetorical studies, trying to root the terms that were popular with them such as exceptionnism, limitation and specialization with their explanation and the most important differences, These are in addition to my efforts to highlight the most important features of their research, including additions, starting with the Sheikh of Arabic rhetoric, Imam Abdul Qaher Al-Jurjani, and passing through those who succeeded him in the position

of rhetorical studies, whether they were those who followed his literary stylistic approach based on tasting texts, and diving into studied methods. The depths of its linguistic contexts, and the balance between the methods of achieving the exceptionnism in its handling of this linguistic phenomenon, or is the matter related to the adherents of the restrictive doctrine such as Al-Sakaki (d. 626 AH), and those who came after him and followed his path.

I also devoted the first chapter of it to dealing with the terminology of the exceptionnism style, its divisions, and its benefits. As for the second chapter of this rhetorical section, I dealt with the study, analysis and discussion of the methods of achieving shortness according to the scholars of rhetoric, which are the same four methods that I addressed in the grammatical section of this research.

I also made for the applied side a chapter standing with its head, which is the third chapter of this research, and it came in two chapters; As I devoted the first chapter of it to introducing the poet Ahmed Shawqi, by proving flashes about his life, and a look at his most important writings, and he explored the most important characteristics of his poetry, to end it with a talk about the factors of renewal in it.

I also dedicate the second chapter of this third chapter of the research in order to count all the linguistic structures that include the exceptionnism style in the chosen Mudawana, which is the Diwan of “Al-Shawqiyat” by the poet Ahmad Shawqi, and record them in order according to what they are in the poetry of the Diwan; For the purpose of applying them to models, taking into account, of course, that they include the coverage of the shortening methods that I mentioned in my theoretical study; In order to consider the question of the extent to which the style of the palace with its standard controls, and its consequences on the rhetorical level in the present day of Arab speech through the Diwan of “Al Shawqiyat” by its owner Shawqi as an extension of the classical school of heritage, on the one hand, and are there any examples of palace methods whose use has receded In our

contemporary Arabic language, on the other hand, based on explanation, analysis and conclusion.

I appended the research with a conclusion in which I mentioned the most important results and recommendations, and an index of the research sources and references.

8- Sources and references: I have monitored for the completion of this university thesis an important group of sources, references and linguistic research that dealt with the subject of the minor's method of study and treatment regardless of the angle this or that student dealt with from this linguistic phenomenon, the most important of which are mentioned but not limited to. :

The book, by Sibawayh, is the most famous book of grammar, the first of which is authored, the Book of Meanings of the Qur'an, for Al-Farra'a (d. 207 AH), the Book of Origins in Syntax, by Abu Bakr bin Al-Sarraj (d. 316), and the Book of Characteristics, by Abu Al-Fath Othman bin Janni (d. 392 AH), and the book "Al-Sahibi in Philology and the Sunnahs of the Arabs in their words", by Ahmad bin Faris (d. 395 AH), and the evidence of inimitability- Dalaail Al-iigaz- by Abd al-Qaher al-Jarjani (d. 471 AH), Miftah al-Ulum, by Abu Yaqoub al-Sakkaki(d. 626 AH), and the clarification in the sciences of rhetoric, by Jalal al-Din al-Qazwini (d. 739 AH), "and the exception in the grammatical heritage and rethorical" of Kazem and Ibrahim al-Balaghi. Kazim, The Arabic Language, Its Meaning and Its Building, by Tammam Hassan, and the Book of Al Mujaz fi Explaining the Signs of Miracles in the Science of Meanings - Imam Al-Jurjani's Linguistic Theory and Its Place in Modern Public Linguistics, by Jaafar Dak Al-Bab, and the Book of Rhetorical Origins in Sibawayh's Book and Its Impact on Rhetorical Research, by Ahmed Saad Muhammed And Arabic Semantics - Theory and Application, by Fayez Al-Daya, a book on the history of Arabic rhetoric, by Abdul Aziz Ateeq, and some letters and university research such as the methods of the exceptionnism in the Holy Qur'an and its rhetorical secrets, by Sabah Obaid Darana, and "But in the

Holy Qur'an" - a study Semantic Synthesis", by Fatiha Ubaidah, and other books that helped me gather my scientific material to try to get acquainted with the various aspects of the subject, and to see the opinions of our venerable scholars - may God have mercy on them all - of grammarians and rhetoricians, and those interested in linguistics and stylistics in general They are either old or new in relation to this topic of my research.

This research would not have made its return straight, nor would its papers have blossomed, after the grace of God Almighty first, had it not been for the extension of my supervisor professor A/D. Abd al-Kader SELLAMI helped me and gave advice, and his beautiful patience with me in reading and reviewing parts of this research and correcting what was wrong with it or deviating from the truth, and his keenness to provide what seemed to him valuable directives that helped me accomplish this university thesis. Many words of thanks and gratitude.

Also, at the end of the introduction to this research, I do not fail to present to the honorable doctors, the honorable members of the discussion committee, with the highest meanings of my respect and appreciation for honoring me by accepting their discussion of my university thesis, and I also thank them for their patience and devoting their time to reading and correcting it. I promise them that I will seek to identify and record their observations in order to benefit from them, God willing.

We do not add to what Al-Isfahani (d. 356) said: "I saw that no person writes a book on his day, but he says on the next day: If this had been changed, it would have been better, and if this had been increased, it would have been better, and if this was presented, it would have been better, and if this was left, it would have been better, and this is from The greatest lesson, and it is evidence of imperfection taking over the whole of humankind."¹

¹ The Palestinian academic professor says: "My friend Nazih Abdel-Fattah, one of my friends on these pages, directed me to the saying about the continuity of revision and modification in

And in the end, we beseech God, Glory be to Him, to forgive us for our mistakes, omissions, or shortcomings, and praise be to God first and last and always and forever. .

About the student: Abdenmour Hamidi

Tlemcen on Friday: Sha`ban 29, 1443 AH, corresponding to: April 1, 2022 AD.

the authorship (I saw that no one writes a book in his day but he says in the morning: If this was changed, it would have been better... “- Is it from what was attributed to Abu al-Faraj al-Isfahani? I replied: No, it is for Imad al-Isfahani, for this is the sum of my knowledge. I read it on the opener of each part of the “Dictionary of Writers” by Yaqut al-Hamawi (d. 622 AH), and on the entrance to the dictionary of al-Mawrid, and in many of the The places ... But I was surprised by an article written by Mr. Mustafa Al-Raqi on the (Al-Alukah) website, and it became clear to me that he verified and checked, and proved that the saying belongs to the virtuous judge.

Here is the text on which he relied: “The honorable judge, the master of rhetoric scholars, Abd al-Rahim al-Baysani (d. 596 AH) said, while he was apologizing to Imad al-Isfahani for words that he had corrected: “Something has happened to me and I don’t know whether it happened to you or not? And here I am telling you about it, and that is because I saw that no one writes a book on his day without saying on the next day: If this had been changed, it would have been better, and if this had been increased, it would have been better, and if this had been presented earlier, it would have been better, and if this had been left out, it would have been better. This is the greatest lesson, and it is evidence that deficiency has taken over the whole of humankind.” See: Ibn Abdullah, Mustafa, known as: (Al-Hajj Khalifa or Haji Khalifa - in the Turkish dialect), “Kashf Al-Thunun about the Names of Books and Arts” (1/1), and: Khan Al-Qanouji, Siddiq Hassan, “Abjad Al-Ulum Al-Washi Marked in Explanation of the conditions of sciences: (70/1). About the site:

The honorable Sheikh Mashhour Hassan Salman says: It was Professor Ahmed Farid Al-Rifai (d. 1376 AH) who popularized this word; Where it was placed at the beginning of each part of the “Dictionary of Writers” by Yaqut Al-Hamawi, and other books, and people circulated them about him, attributed to Imad Al-Isfahani!! And the correct one is to attribute it to the virtuous judge - Abd al-Rahim bin Ali al-Baysani, who sent it to the General; As in the beginning of “Sharh Al-Ihya” by Al-Zubaidi (1/3), and “Information with the Flags of the Sacred House of God” by Qutb Al-Din Muhammad bin Ahmed Al-Nahrawali Al-Hanafi (d. 988 AH). Quoted from: “Information of the worshiper in the ruling on repeating the congregation in the same mosque”: 7, Dar Al-Manar - Al-Kharj, 2nd ed. See: Mowasi Farouk, <https://www.diwanalarab.com/>. Last update date: Thursday, July 21, 2016. Quoted date: March 23, 2022 at: 17:39 minutes.

Abdenmour, HAMIDI- Classic Doctorate in : Philology
Thesis Topic: Exceptionnism style between grammar and rhetoric
Professor Supervisor: Prof. Dr, Abdelkader SELLAMI

Conclusion:

Finally, after this presentation of the study of grammarians and rhetoricians of the subject of the exceptionnism style first, and after applying the selected models from the poetry of the poet Ahmed Shawqi secondly, and before we now present the most important results that we have reached, we point out that we have tried very hard to highlight two issues:

The first of them: to show the efforts of grammarians and rhetoricians alike in their study of this subject, based on the close relationship that binds the bonds of grammar and rhetoric, especially the science of semantics, which is considered a complement to and a servant to grammar;

The second of them is the attempt to bring out the exceptionnism method in its four famous ways, for which the scholars of Arabic rhetoric, led by Abd al-Qaher al-Jurjani, dedicate lengthy chapters when they deal with the investigations of semantics, from the limited theoretical study space, to the applied field by trying to drop what is proven by our scholars. The eminent grammaticalists and rhetoricians of the rules that control the origins of this precise linguistic study on what was stated by the poet Ahmed Shawqi in his book “Al-Shawqiyat” of poetic verses that include shortening methods by one of the methods that have been achieved, and I am looking forward to it. Including the exceptionnism style with the rules of grammar and the rhetorical divisions of this linguistic phenomenon, their explanations of its investigations, and their analysis of the subtleties of its methods, standing on the contexts of its structures, and the apparent and hidden moral connotations that follow, and their interpretation, interpretation, and explanation.

Perhaps the most important results that we could draw are as follows:

1- The Arabic language is characterized by the diversity of linguistic methods that contribute to the development of the building of words, and the sentences used in writing prose and poetic texts, and other types of other texts; Because the more ideas are arranged in a correct and orderly manner, this contributes to delivering them to the desired goal; Therefore, when a balanced and tidy format is used for the written text based on the methods of the Arabic language in expressing the words, then the text succeeds in clarifying its main idea. The means and methods used in writing are called methods of rhetoric;

2- It is known that the science of rhetoric in the Arabic language is divided into three types of sciences, or rhetorical methods; They are: the science of eloquence, the science of Budaiya, and the science of meanings, and each of them has a field of research and angles of interest.

If the science of eloquence is the rhetorical linguistic science that seeks to convey a single meaning, or idea in more than one style, and if the science of Badi is the science that seeks to improve verbal or moral speech; This is because the science of meanings is the science that is concerned with meanings and structures, and indicates the appropriate use of words; To express the situation in the best possible way, this science does not look at single structures or partial sentences only, but is interested in studying the entire text; Because the verbal expression talks about a specific event; If the reader knows the meanings of the words, then he will be able to know the conditions of the words, which correspond to the different forms of speech, and help to know their meanings in a clear way. For speaking in the Arabic language is either news or creation;

3- The integration of the sciences of grammar and the science of semantics and their convergence in the research of the structure of the Arabic sentence and the core of its methods, in the service of the

meaning and its ways of performing it; Based on the fact that the exceptionnism style is one of the styles of the Arabic language, which is not without Arab speech in poetry and prose, this research came on the subject of the palace style that falls under this comprehensive linguistic vision in the study of the Arabic style; Because it is one of the topics that are involved in grammatical and rhetorical study together, given that it is one of the four cases of exception on the one hand, and one of the most important chapters of semantics that the rhetoricians singled out for a careful and detailed study in their general works on the other hand;

4- The subject of studying "Science of Grammar" is Arabic speech and the methods of its system and structure. It explains the relations between the words of the sentence and the sentences of the paragraph, and looks at the structure of speech and its composition in terms of correctness and integrity according to the laws of Arabic on the one hand, and that grammar and rhetoric are twins that cannot be separated; By that, if grammar looks at the structure of speech in terms of correctness and integrity, which is why it is next to the science of morphology, - or morphology - of the sciences of correction, then rhetoric begins from where the grammar ends, because it goes beyond correctness and integrity to quality, mediocrity, differences and subtleties between types. The different systems as long as they are from the sciences of articulation, and are concerned with the aesthetics and poetics of texts on the other hand. Perhaps the most prominent person who highlighted the relationship of grammar with rhetoric, and with the science of meanings in particular, is the sheikh of Arabic rhetoric, Abd al-Qaher al-Jurjani (d. 471 AH) through his inventing the theory of the famous linguistic systems based on placing the words in the position required by "grammar", and working on its methods, its laws and methods. approach and not deviate from it;

5-The fortunes of Al-Qasr's –exceptionnism- thesis in modern linguistic studies are not enough to cover all aspects of this linguistic phenomenon; Because it ranged in general between books in which the authors tried to explain the secrets of the exceptionnism in the Noble Qur'an, and between very few books that beautifully deepened the study of the linguistic structures of the palace, and others that combined the rooting of the term palace in the Arabic linguistic lesson with Arabic immersion and eloquence through the depths of style. Examining the different methods of shortening, and the differences between them in terms of expression, rhetoric and semantics, and between books in which the authors relied on the curriculum in authorship that is based on simplicity in presenting the subject, and asking questions about sentences and texts that include methods of specialization, and then answering them with a kind of explanation, clarification and citation based on specific understanding ;

But if we turn to the grammarians' study of this phenomenon, then the discussion has two sides: in terms of form, and in terms of content.

A-form:

First- The issue of exceptionnism has its sources in heritage books before Abdul Qaher Al-Jarjani, including some references in which the owners referred to the roots of this linguistic phenomenon with grammatical origins being one of the cases of the method of exception such as Sibawayh's book (d. "The Exception Chapter," and others are reproduced in the folds of the book here and there;

Second: The book "Al-Sahbi", in which its author Ahmed bin Faris (d. 395 AH) on the authority of Al-Fara' (207 AH) says his opinion regarding the two ways of shortening the mediation of (but) and the negation and exception that they do not come at the beginning of the speech, but rather in response to a previous statement, and its text is that the proven or What is limited to him is the one who is the

one who delays after but, in addition to his refutation of the saying of those who said with the meaning of “only” in this type of methods to be belittled;

Third: Some of the explanations of Sibawayh’s book, such as the explanation of Sibawayh’s book (d. 384 AH), in which it becomes clear from the notes, references and additions that Sibawayh’s references enriched and enriched them with explanation, interpretation and discussion;

2- The scholars of grammar, headed by Sibawayh, the author of the first comprehensive book of Arabic grammar, did not single out a chapter at its head in which they study the method of the exceptionism, and clarify its scope and its limits by all the methods that are achieved through it. and accordingly; His handling of this subject was not intended in and of itself, but rather it came as a summary and distributed among the various sections of grammar, such as talking about the section on exception; Sibawayh approached some aspects of the palace style by highlighting the action “except” in it, for example, and the case of the noun after it in syntax and meaning, or when discussing the work of some grammatical tools and the conditions for performing their functions, such as “except”, “other than”, and “except”, the infinitive “and” and some conjunctions;

3- Regarding the term “exception”, it is one of the terms of the first stage of the Arabic grammar lesson, which is called the oral stage. It is the period of the grammatical term before Abu Al-Aswad Al-Du’ali (d. 69 AH), a stage whose owners did not write books on grammar; Its linguistic meaning, which is the exclusion of the part from the circle of the whole, is very close to its idiomatic meaning, rather it does not depart from it;

* The use of the term “exception” with this connotation we also stand on in the later stages, such as “Sibawayh (d. 180 AH) and Khalaf al-Ahmar (d. 180 AH), which are contemporary and belong to

the same school, then this term spread after that among scholars with this connotation such as Al-Farra (d. 207 AH), Al-Mubarrad (d. 285 AH), Ibn Al-Sarraj (d. 316 AH), Ibn Jinni (d. 392 AH), Al-Jarjani (d. 471 AH), Ibn Malik (t. 672 AH), Ibn Hisham (t. 761 AH), Al-Sabban (d. 1205 AH), and many others;

4- The accuracy of the use of the term “exceptional letters” was at the hands of Sibawayh and Khalaf al-Ahmar (d. 180 AH), and it remained in use until the fourth century AH, then its use decreased in the eighth century, to spread another term is “exception tools” used by Abu al-Hasan al-Tamimi, a grammarian The sixth century AH, and others such as al-Jazuli (d. 607 AH), Ibn Asfour (d. 669 AH), and Ibn Malik (d. 686 AH), to name a few, but there is no difference between what Sibawayh used and what was used by later Arabic grammarians; They all have one meaning, which is the expression of the linguistic medium or tool by which the meaning of the exception is achieved in the Arabic sentence;

5- Or with regard to the term denoting the meaning of the pre-emption except for the work after it, it is consistent with Sibawayh that his use in that early period of the life of linguistic studies among the Arabs was not proven, for historical and objective reasons, whether it was related to the matter that the scholars chose in the terminology After it, such as the empty exception, or the incomplete, or its rhetorical counterpart, such as the words of shortness, limitation, or specialization;

6- Most of the grammarians who came after the cold verb use the verb (empty) to denote this type of exception, and they want the previous speech to devote the letter of the exception (except) to work after it, as son Al-Sarraj, and Abu al-Qasim al-Zajji (d. 340 AH), for example, who used the term (empty), and Abu Ali al-Farsi (d. 377 AH), for whom the expression: “and the verb (empty) is proven”;

7- The emergence of the term “exceptional” in the sixth century AH according to Al-Tamimi, and its use came to him in his saying: “And the absolute is like: “No one rose except Zaid,” he means: “And the empty exception is like:...”;

b- Guaranteed:

1- The grammarians (except) are the origin of the exception letters, and it was called “Umm Bab al-Exception” because it is the most widely used tool, and the most rulings, and it is a built-in letter that has no place in the parsing, and all other tools used in this section are inclusive. Its meaning, and its functioning, with a difference in some grammatical provisions among them, of course;

2- The empty exception for grammarians, which is the case in which the exception sentence is omitted, the exception from it, and therefore the pre-exception tool works later on a nominative, an accusative and a preposition, as required by the grammatical sentence structure; which is the reference to the nicknamed exception;

3- Although the author of the book did not use the last-mentioned terms expressing the meaning of the previous speech of “except” or what came in its meaning, Sibawayh had realized the significance of this grammatical pattern on limiting something to one thing without transgressing it to something else, and perhaps The most clear and obvious of them is what he mentioned in the chapter on exceptions, explaining the work of “except” in this type of methods; He declared that this linguistic tool then inserts the noun in something that is negated from anything else. This is while noting his clear and clever reference to the face of this noun located after the Arabic “Illa”, and the text that it remains performing the same syntactic function that it had before joining “Ela” in the sentence because it is canceled in syntax;

4- Sibawayh's alert to the issue of preventing the empty exception, called the shortening method, in positive speech, and the requirement that it be preceded by a negation or its likeness; Which is what the general grammarians who came after him, starting with the authors of the commentaries of the book, such as the Seraph, and the Roman, for example, and those who came after them, except what was from the models of the empty exception learned from the verbally obligatory verb and the negative meaning towards: "It is permissible to refuse", in it;

5- The occurrence of the noun "not" signed (except) in the empty exception "other than" signed (except); Noting that "Gira", and if the meaning of exception is included in it, it may be taken with it on its own meaning sometimes, so it does not match "except" exactly as we say, for example: "No one rose up except Happy" and "No one got up without happiness"; Since they are not identical in meaning, they are completely identical to the possibility of speaking with two meanings "other than", unlike it with (except), which leads only to the connotation of shortness only;

6- "Not" in the empty exception style is expressed as the noun after (except), then it is the tool in the meaning, and the exception in the pronunciation;

7- The doctrine of the Basra grammarians in general in the name "Sawa" is to make it always attached to the adverbial, except in poetry, so it is expressed according to its position in the sentence, and what follows it is enclosed by adding it to it;

8- The letter "innama" is composed of two letters, namely: "inna" and "ma" all have accusative and nominative action in its ma'ouls, both of which are raised on the initiation and the predicate also, in the form of: "innama'." It also enters the sentence of the verb and the subject without changing anything in it in terms of syntax, in the manner: "Only Zayd organizes poetry"; By means of it, the

indication of limiting the thing to the thing is obtained in the first example on the meaning of limiting “Zayd” to his description of poetry, not other than the opposite qualities of writing, and others. As for the sentence: “Only Zaid organizes poetry”, the intent is to praise Zaid for the beautiful and sober poetry systems, and to limit that characteristic to him, either in fact or in fact, or an exaggeration in description;

9- The meaning of the palace is achieved through the three letters of conjunction, which are: “No, rather, but.” And each of them has some of its own provisions and conditions, and to clarify that, the following:

* Count “but” and “but”-Laakin- the sakinat nun, two letters of conjunction that denote the meaning of limiting a specific thing to another, conditional on the being with them a singular noun, first, and the words before them preceded by a negation or a second prohibition, as in the manner of: “Khalid” rather happy”, and: “Do not boycott the university, but rather bad friends”, and: “I did not read a newspaper but a book”; For if it was said instead of it, for example: “I read a newspaper, it was a book”; When the meaning is correct, because it is impossible; Because “but” is not corrected by it after an affirmation, but it is proven by it after the negation, and the limitation to it with “but” and “but” is the reality after them;

* Concerning the letter “no”, the majority of grammarians put three conditions for its performance of the meaning of shortening its action: First: it must be preceded by proof, towards: “Zayd came, not Amr”, or a command towards: “Strike immortal, not happy,” and “take the book” Sibawayh added: Or a call, as we say: “O my nephew, not my cousin.” This is with Note that it must be singular, not plural. Second: Not to be associated with the letter Atif. Third: That one of its sympathizers does not give charity to the other, which is a necessary matter from the point of view of meaning; For it is not permissible for

us to say, for example: “A man came to me without extra” and “I bought land without an estate,” unlike if it is said: “A man came to me without a wife,” and it is permissible to take a child. It is clear here that what is limited to the emotion “no” is the noun that precedes it, just as the letter (no) is for one of two things: either to cast doubt, or with the intent of confirming knowledge in the sentence of the sentence to which of the two parties it is predicated;

10- If the presentation of some elements of the sentence in the Arabic language, such as presenting the accusative, and delaying the verb from it, in the form of: “Darb Zayd Amr,” and such as presenting the accusative to the verb in such as: “Zayd, I struck,” which is intended to show care for the given noun, an interest in it; In Arabic, there are methods in which some elements come out in their memorized order that their significance goes beyond mere interest in what is presented in speech, so it comes out to indicate the significance of limiting something to something else without it, and therefore several combinations, which are as follows:

* Arabs start some sentences with an indefinite noun declaring a verb after it, towards: “something that brought you” and “the evil of the one who has a tusk”; Because they have the meaning of: “Nothing brings you except” and “The slanderer does nothing but evil” respectively. The meaning in both of them is consecutive, limiting the reason for the act of coming that is based on the addressee to one thing only, which is an accident the like of which is not entrusted in the first, and limiting the cause of the dog kitten to only one thing in the second;

11- With regard to the rhetoricians’ study of the style of the palace, the truth is that it was more comprehensive, accurate and extensive in explaining the most important topics of this delicate linguistic phenomenon, especially in its semantic and aesthetic aspect; It is a natural thing, imposed by objective and methodological factors,

such as the delay in establishing the science of rhetoric, a science that has been at its head after the science of grammar for more than two centuries, which contributed to the stability of the terminology of the rhetorical lesson, which clearly and scientifically benefited from the exceptions or exceptions of scholars. Extensive and accurate grammatical explanations in their works, and discussions on the issue of the work of letters in Arabic secondly, and the opinions and explanations they proved on the subject of introduction and delay third. On the one hand, and on the other hand, we do not neglect some of those rhetorical and semantic references that they have spread here and there about the style of the exceptionnism, starting with Sibawayh, the author of the first book that compiles the rules of Arabic, and passing through to the grammarians who came after him;

12- The one who examines the rhetoricians' treatment of the subject of the palace will find that it has been characterized by several characteristics and features, we can say that it has completed the mighty grammarians' effort in refining the subject and controlling its major origins on the one hand, and added to the study of the subject that rhetorical touch based on what Abd al-Bayah especially proved on the one hand. Al-Qaher Al-Jurjani through his linguistic theory of systems, in addition to the studies that came after him and which benefited from him and the inheritance of grammarians in this section on the other hand;

13- In any case, these points, together, are the most important characteristic of the study of the rhetoric of rhetoric on the subject of minors:

A-form:

* As for the limits of the phenomenon, it seems that the rhetoricians have been very concerned with treating the style of the exceptionnism; Their study was intended for its own sake. This explains their allotment of chapters of varying size and length between

them, within the topics of the science of meanings under which the palace falls;

1- As for the term used by rhetoricians to express this precise linguistic meaning, three are known to them: qasr, husr, and specialization - or specification - in addition to their use at times of what their grammatical counterparts agreed upon in this regard, such as the exclusion and the exclusion. ;

2- As for the rhetorical terms (minor, husr, and specialization) that are most closely related to their studies, and are the most common in their works, some of the scholars saw that they lead to one meaning, while there were those who argued that there are differences between them, and they are our sayings, as much as possible. And opinions and explanations, as his statement follows:

- Qasr – exceptionnism- in the language: imprisonment, and in the language it is also: non-excess. Technically, it is defined as allocating something to something, i.e. allocating an attribute or an attribute to an attribute in a specific way out of the four ways. And the meaning of singling out a thing with a thing: to tell the second thing to be true of the first thing without any other thing.

As for the restriction in language, it is imprisonment and narrowing. Technically, it is the affirmation of the ruling for the aforementioned and its negation of everything else, and it is also known as shortening. What a number of scholars go to is that there is no difference between the terms qasr and husr in their linguistic meaning, except for what some of them mentioned, such as al-Desouqi (d. 696 AH), for example, that qasr is taken from non-transcendence, not from confinement;

Also, linguistically, competence is to single out a thing for something without another. As for the terminology, it is intended by

the scholars of the statement to specify an order with an order in a specific way.

* To sum up in this issue, there are no major differences between the terms “Qasr, Hasr, and Takhssis” from the point of view of convention, as their meanings are very close, and that the linguistic meaning is closely related to the idiomatic sense.

b- Guaranteed:

1- The style of the exceptionnism -“Qasr” has rhetorical purposes and benefits in speech that are understood from its context, perhaps the most important of which are: enabling speech and its decision in the mind, exaggeration in meaning, and exposure, in addition to the fact that shortening is a great chapter of rhetoric because of its conciseness and determination, and it is one of the most important pillars of rhetoric; The sentence of minors takes the exceptionnism of two sentences: affirmative and negative.

2- The shortening is an affirmation, and its tool on which it is based is the negation and the exception, and the purpose performed by the shorter style is an essential purpose related to the meanings of the sentences, and the meaning may differ completely to introduce or delay a word depending on the context;

3- The study of rhetoricians of the style of the palace ranged between tasting texts and examples, as in the owners of the artistic or literary school such as Al-Jarjani, Al-Zamakhshari, and others, and between reliance on the division of its issues in order to control its rules, and to specify its origins, as it was proven with the followers of the speech school such as Al-Sakaki and Minhaj;

4- As for the sheikh of Arabic rhetoric, Abd al-Qaher al-Jurjani, what was noticeable in his study is his reliance in a remarkable way, in his talk on this subject, and the way he explained his discussions on the way he presented his ideas in a linguistic, careful, simple, beautiful

way, based in many times on the budget Or, the contrast, between some of the rules of the first three methods of shortening and their linguistic uses, which are: the form of negation and exception, “but” and kindness by means of “no”; A simplification of what governs each of them on the one hand, and an investigation of the semantic and aesthetic differences between them on the other hand;

5- It is clear from Abdul-Qaher’s rhetorical study of the subject of the exceptionnism as a model, that he is indeed a man of well-versed grammar who has benefited in his rhetorical research in general from his knowledge of grammar and its rules first, and that he has benefited from his previous studies in this field, starting with the great efforts of Sibawayh, such as Sibawayh’s great efforts. For the meaning of shortening, as well as some issues of introduction and delay, for example;

6- As for the general rhetoric who came after him and after Zamakhshari, the rhetorical lesson has witnessed a transformation in the way texts are treated from prose, poetry and others; As their studies moved little by little from tasting the texts and trying to lay hands on the beauty and magic in them to clarify their meanings and highlight the subtleties of their clear and hidden connotations, especially after the advent of Abu Ya’qub al-Sakaki, the owner of the Muftah al-Ulum, who turned to the rhetorical study in the direction of codification and scientific repetition in order to control its origins of its sciences and its detailed statement, meanings, and badi. Thus, their studies became dry, almost devoid of the magic of rhetoric and the beauty of their semantic analyzes of the meanings of their texts, which is noticeable in their study of the subject of the palace as an example; As they singled out a chapter based on its head in which they studied its various aspects and explained the ways to achieve it in Arabic speech, and they also came up with some details on the issue of the rhetorical term used in dealing with shortness, which they identified types for it with precision and care according to the case of the

addressee who is addressed to the speech, such as shortness of the heart, individuals, and specification as well. In our theoretical study in this research;

7- The rhetoricians divide the style of the palace into several divisions according to some considerations, which are as follows:

A- According to the truth and reality: it is real and additional. As for the real one, it is for the limited to be restricted to the limited according to reality and reality by not going beyond it to anyone else in the first place, such as: “There is no god but God.” Whereas, the additional is meant to single out the limited to the limited according to the addition, and in relation to a specific other thing, not to everything else;

B - Considering its two sides: the exceptionnism is divided into two types, with regard to its two sides (the limited and the limited), whether the palace is real or additional. The first is: limiting an adjective to a descriptive one, and its example is from the true: “There is no sustenance but God,” and its example is from the additional: “There is no poet but Imru’ al-Qays.” And the second: limiting what is described to an attribute, and its example from the real one is: “Zayd is none but a writer,” if it is intended that he is not characterized by other than that, i.e. writing is one of the attributes and it is hardly found due to the impossibility of comprehending the attributes of a thing so that something other than me can be proven, but in all of them. It is impossible, because the negative character has an opposite, and it is one of the qualities that cannot be denied the necessity of refraining from the rise of the two opposites;

C - Considering the case of the addressee: it is divided into three sections identified by the rhetoricians, which are:

* Individual limitation: We mean to allocate something without something who believes the company, that is, a company of

two qualities in one descriptive by limiting the descriptive to the descriptor, or a company of two descriptors in one descriptor in limiting the adjective to the descriptive. An example of the first is: “Zayd is none but a writer,” for those who believe that he is characterized by poetry and writing, and an example of the second: “There is no writer but Zaid,” for those who believe that (Zayd and Amr) participated in writing, and this palace is called the Ifrad exceptionnism; to cut off the company that the addressee thought;

Shortness of heart: This speech is directed to the addressee who believed the opposite of the ruling confirmed by the speaker. For example, the addressee with our words: “There is nothing more than one who stands” is the one who believes that he is described as sitting without standing;

* Limiting the specification: the speech that includes shortening should be directed to the one whose hesitation and doubt is removed.

8- The difference between real shortening in the face of exaggeration and pretense, and additional shortening in the face of reality is very subtle, and one of them is often confused with the other, and the difference between them lies in two things:

The first: The real pretend palace is based on exaggeration and honesty. The palace was also an additional fact;

The second: In the real, it is absolutely not required that the addressee believes in one of the three aspects in singular, heart, and specificity.

9- With regard to the four ways of shortening well-known among the rhetoricians, they are the negation and the exception (what else), but, and the path of kindness with the three letters: (Wabul, but, but, and no), and shortening by presenting what is the right of delay. Although the four ways to shorten the aforementioned share the

meaning of shortening, they differ in some respects, perhaps the most important of which are:

10- The “negation and exception” is used in a sentence that the addressee denies and doubts, such as: we say, for example: “He is nothing but Zayd”, since such words are only said by the addressee with these words illusion that Zaid is not a person, and he believes that Zaid is another person. It is either limiting a description to an adjective, or limiting an adjective to a descriptive.

11- The realization of the point of the palace in the first of them, that when it is said: “No more”; The negation is directed to His attribute, not to His essence, because the selves of beings are prevented from negating, but their attributes are denied. And since there is no dispute about his length or shortness and the like, but the dispute is over whether he is a poet or a writer, both of which are denied. If it is said: “Except for a poet,” the palace will come. And in the second, when it is said: “What a poet” is to include the negation in the given description of its evidence, i.e. poetry here, the negation is directed by reason to prove it to the claimant like Zaid and Amr, for example.

12- The condition of the majority of the rhetoricians for the validity of the hollow exception or shortening, that the speech is not positive, i.e. preceded by a negation, or similarity, which is what is extrapolated from the nature of the Qur’anic evidence, and others that they cited in their treatment of this topic, and which did not come out anywhere from this The intrusive and moral restriction, except for what Bahaa al-Din al-Ssubaki (d. 755 AH) said, for example, regarding the enumeration of exceptions in general, whether it is with a negation or an affirmative, such as when we say: “People rose up except for Zayd,” for it is a limitation for not standing on “Zayd.” Because the meaning is to limit the lack of standing in relation to the people to “Zayd”;

13- The negation by means of the emotion “no” does not combine negation and exception; It is not correct to say, for example:

“There is nothing but one who stands, not one who sits.” Because the condition of the negator with the “no” of the emotion is that the negator should not be a negator before it with other negation tools, and this condition is missing in the negation and the exception;

14- The tool “but” is used in the exceptionnism style for a piece of news that the addressee does not know and does not advance its validity, towards: “God is but one”, or when this status is revealed, towards: “He is your brother” and “Indeed, they will be with you.” Such words are not said to someone who is ignorant of this and defends its validity, but to someone who knows it and acknowledges it, except that the intention is to warn the addressee of what is required of him from the right of the brother and the sanctity of the companion;

15- Regarding the statement (but) the meaning of the exceptionnism, a number of scholars, such as Ibn Hisham (d. 761 AH), Shihab al-Khafaji (d. 466 AH), Al-Alusi (d. 1270 AH), and others such as Al-Subki and his father, have transmitted that Imam Abu Hayyan al-Tawhidi (d. 414 AH) believes that this tool does not benefit the exceptionnism, but is merely an assertion;

16- On the other hand, there are scholars of rhetoric such as Abd al-Qaher al-Jurjani (d. 471 AH) and Al-Sakkaki (d. 626 AH), who responded to al-Tawhidi’s opinion, and inferred that with evidence that they relied on in The issue of their belief in the statement (only) restricting it to the condition, just because it is useful for the meaning of shortening because it includes the meaning of (what is the only thing), as the saying of some companions such as Ibn Masoud (d. 32 AH), and Ibn Abbas (d. 68 AH), - may God be pleased with them - in the interpretation of some noble verses from On the one hand, and the validity of the separation of the pronoun in the style of the exceptionnism with this tool, with the possibility of its connection

without having a connection from the citizen known in the grammar on the other hand;

17- The shortening by means of the letter (but) has several connotations, including: it is a letter with its timbre, its song, its strength and its significance, and it is only in soft, calm situations without noise or chaos. Its use is in the clear matter, meaning that it is acceptable in itself, and acceptable to the speaker, as if it should not be the subject of controversy, disagreement or denial between the speaker and the addressee. It is also used in the hidden revealed command the status of the manifest;

18- If the limitation is with the way of negation and the exception is the reality after (except) immediately, towards: “Zayd is nothing but a poet”; The denotation of shortening by letter differs by introduction and delay between grammatical practices, as between the subject and predicate, the subject and the object, the adverb and its owner, and other established practices. The emphasis is on the latter after (but), in our saying, for example: “Only Zaid is a poet,” the limitation to him is “a poet.” And if we say, for example: “The poet is only Zaid,” the emphasis shifts to him being shortened to “Zayd.”

19- The advantage of the exceptionnism is that it has two sides. The first of them: it affirms the action of a specific thing first, and denies it for everything else secondly. And the second: He made it a matter that is limited to speech apparent in which his ruling is that.

20- With regard to the strength of the indication of the meaning of shortening, we find that (but) has an advantage over the two paths of negation, exception, and sympathy in that it makes sense of the two judgments, means: affirmation for the aforementioned, and negation of everything else at once, unlike (otherwise), in which there is a negation, Likewise, sympathy is understood from it first affirmation and then negation, towards: “Zayd is standing, not sitting,” or vice versa, towards: “what is added is standing rather than sitting”;

21- The indication of the introduction to the short is in the content, that is, in the concept of speech, not in the situation;

22- The indication of the method of introduction and delay on the meaning of shortening may be in:

A- Proven speech: by presenting the predicate that is defined on the actual predicate, towards: “Zayd did, and I did,” for example, or by introducing the predicate (the indefinite) over the actual predicate in such as: “Evil is the one who is a slanderer”; Because in the meaning of: “The one who has a disgrace does nothing but evil,” or by submitting the predicate, towards: “to God our return,” or by leaving some of the verb’s related items, such as the object, the adverb, the adverb, the accusative, and other things from their preserved ranks in the Arabic and the preceding;

B - In negative speech: This is in some grammatical structures in particular, such as: “What I did”, and its meaning is that the speaker denies himself an act that has not been proven to be an object, in the manner of: “What I did”, and here it is with the intention of negating the speaker from himself. Indeed, it proves that it is an effect and a reality;

23- Ahmad Shawqi (d. 1932 AH) is considered one of the glorified and educated poets due to the diversity of the sources of his Arab, Turkish and French culture;

24- Shawqi's literary works varied from a huge poetry book, novels, book, and theatrical poetry;

25- The poetry of Ahmad Shawqi was distinguished by the strength of styles, the strength of structures, the beauty of the graphic image, and its good position in the soul. Also, among its characteristics: He organized it in many different and varied fields, where he wrote in political and patriotic poetry, in addition to poetry of lamentation, praise, spinning, description, and wisdom, and his

abundance of morals in poetry in view of the strong influence of the poet on the Islamic poet Ahmad, his longing. Especially his influence on the Holy Qur'an, and his possession of a rich linguistic wealth, which had a profound impact on his poetry.

26- Among the factors of renewal in his poetry: his association with the palace, and his extensive Western culture;

27- Diwan Al-Shawqiyat is considered one of the most important, if not the most important, poems of Shawqi's poetry. It has four parts that include many poems and stanzas with different purposes in praise, politics, lamentation, description, spinning, children's poetry, proverbs, and fable;

28- Shawqi's Diwan was filled with many linguistic and rhetorical methods, the most prominent of which are the methods of exceptionnism and privatization, with the contents of these methods of goals and rhetorical secrets rich in abundance and variety. The elements of forming the artistic image and their intertwining with other rhetorical arts, and from the way these methods are presented in an effective presentation in an Attractive beautiful shape ;

29- After a comprehensive survey of the methods of exceptionnism style mentioned in this book, the research concluded that these methods are distributed according to the following numbers mentioned, according to their number and percentages of popularity, from largest to smallest:

* The number of exceptionnism styles in all their four ways in Ahmad Shawqi's Diwan: Eighty-four and three hundred (384) grammatical witnesses:

These methods are distributed according to the shortening methods that have been implemented, as explained below:

First: The method of the exceptionnism by way of denial and exception (Maa+Illa): two hundred six (206) witnesses, including:

a- three (03) in the form of the expressive oath;

B- Thirty-five (35) examples of the sentence limited to (except) in the empty exception method;

* The percentage of exceptionnism styles with (except) and their number: (206) in Diwan al-Shawqiyat, in relation to their entirety, is: **53.64%**;

Second: The connotation of Qasr –Exceptionnism- is fulfilled with “only” in sixty-seven (67) times. Including one witness to limit the tool (only); An estimated percentage: **17.44%**;

Third: As for the number of methods of introduction and delay that benefited the meaning of limiting something to something without going beyond it to another matter, it is fifty-four (54) methods. With an estimated percentage: **14.06%**;

Fourth: The presence of the shortening – coordination- method by way of sympathy in twenty-four (24) grammatical witnesses. Including: Twenty-three witnesses to the exceptionnism with “no” emotion, and one witness to the palace with “bel”. (There is no example of a palace with “but”); An estimated percentage: **6.25%**;

Fifth: The number of useful methods. The meaning of the exceptionnism by the noun “other” is nineteen (19) grammatical witnesses; An estimated percentage: **4.94%**;

Sixth: The occurrence of the noun "Siwa" in the position of (except) in the style of empty exception or shortening in fourteen (14) linguistic structures; An estimated percentage: **2.86%**;

30 - The presence of the exceptionnism methods in the poet Ahmed Shawqi's diwan and its great and subtle diversity, from

exceptionnism by way of negation and exception, and methods limited to but, and others with the three letters of coordination, and by presenting what is right for delay, which gave some poetic images wonderful meaning, brevity, and clarity Stronger, more aesthetic in expression, and wonderful in depicting meanings, than if these expressions had been devoid of the style of the exceptionnism, which is known to include words with many meanings in a remarkable brevity and a dazzling linguistic economy that indicates the beauty of the methods of Arabic and the magic of its statement;

31- The poet Ahmed Shawqi represented most of the grammatical rules of this topic, and its rhetorical controls in the theoretical part of this research, from the previous speech of (except) to work after it as a nominative, accusative and dative according to the need of the grammatical factor in the established manifestations of the sentence, and from In the theoretical study, it is confined to the mediation of (except) such as the subject and predicate, subject and object, adverb, semi-sentence, adverb of time, and other things that have been proven to be mentioned in their place in this research;

32- The method of restriction and shortness in the linguistic structures used in the Diwan of “Al-Shawqiyat” had a stylistic feature that had a great impact on knowing the properties of speech structures, and depicting the characters of the scene in a clear, presentable image that shows their strength, softness, mercy, anger, or turmoil. , and so on.

33- The exceptionnism style in “Al-Shawqiyat” was able to address both the mind and the conscience at the same time, and it had the ability to make the reader and listener picture the situation, and sense what it contains of meanings, whether they are confirmed or denied, known or unknown.

This is the sum of my humble effort, and my ultimate hope is that I will be successful in giving this subject its due right of research

and study to the extent that is easy for me. He is the guardian of that and the Almighty is able to do it, glory be to Him.

• **Search suggestions:**

The researcher suggests the following:

First: The use of the shortening method in the field of calling to God, and in the field of public discourse;

Second: Conducting similar studies to limit and shorten these four well-known methods, (with the addition of the method of shortening by defining the two parties, and with the pronoun of separation), in the Holy Qur'an more broadly in every context in which it was mentioned in the Holy Qur'an, and in Arab poetry and their ancient and modern prose;

Third: Conducting studies that highlight the educational and aesthetic values deduced from each of the exceptionnism roads separately.

Finally, I beseech the One and Only God, Blessed and Exalted be He, to make this research fully beneficial for us; Its performer, its supervisor, and the participants in correcting it and discussing its ideas linguistically, methodically and formally. I also ask Him, Glory be to Him, to grant us a good understanding on this subject and to increase us in knowledge and understanding, and to make it a purely deed for His Noble Face, Glory be to Him, and to benefit everyone who reads it or looks at parts of it according to need and position.

Praise be to God first and foremost, and there is no power or strength except in God, the Most High, the Great, and may God's prayers, peace and blessings be upon our master Muhammad, the Noble Prophet sent as a mercy to the worlds, and upon his family, and his good and pure companions until the Day of Judgment.



جامعة الوادي
كلية الآداب واللغات



القفارى

للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية
مفلة علمية محكمة



المفلة الرابع

العدد الثالث

سبفمفر 2021

الفرء الثاني



ISSN: 2602-8018

مجلة القارئ

لِلدِّرَاسَاتِ الْأَدَبِيَّةِ وَالنَّقْدِيَّةِ وَاللُّغَوِيَّةِ

دَوْرِيَّةٌ أَكَادِمِيَّةٌ، مُحَكَّمَةٌ تَصْدُرُ عَنْ كُلِّيَّةِ الْأَدَابِ وَاللُّغَاتِ
بِجَامِعَةِ الْوَادِي

ISSN: 2602-8018

المجلد: الرابع * العدد الثالث

سبتمبر 2021م

الجزء الثاني



الرئيس الشرفي للمجلة

أ. د. عمر فرحاتي مدير الجامعة

مدير المجلة

أ. د. يوسف العايب



كلية الآداب واللغات

جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي

مجلة القارئ

للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية

رئيس التحرير

د. علي كرباع

مساعدو رئيس التحرير

محمد شوشاني عبيد	دلال وشن	عبد الكريم خليل	فؤاد عطالله
ضياء غني العبودي	جعفر يايوش	محمد فتحي الأعصر	خضر محمد
عبد الحميد بوفاس	محمد جواد البدراني	علي عبد الامير عباس	فهد الغاني
سالمه العمامي	أحمد علي لقم	سيدي محمد ابنو	الشريف حمدي
ناصر يوسف	حسام محمد عزمي	خالد محمد موسى	سالم العميرات
عواطف عبد المنعم	القوصي الهمام	سليمان عبد الواحد	عامر صلال العرضي
النعمان بوقرة	عبد القادر فيدوح	محمد آيت مهبوب	فليح مضحي
العبيدي علي خلف	مليكه ناعيم	غفور دلدار	خالد التوزاني
هناء محمود	محمد حاج هني	وفاء مناصري	محمد الداه
عبد الله بن صفية	فاتحة تمزاتي	وجدان فريق	يعي نشاط
سيد أحمد دح الحكيم	السافي يوسف	عبد الزاق علا	أسامة محمد سليم

الهيئة العلمية للمجلة

د. بشير تاويرت بسكرة	د. نور الدين مهري الوادي	أ.د. لزهركرشو الوادي
د. نجاح مدلل الوادي	د. المتقدم الجابري باتنة	د. هناء سعداني الوادي
د. العيد حنكة الوادي	أ.د. عادل محلو الوادي	د. علي ملاحي الجزائر
د. عمار ربيع بسكرة	أ.د. البشير مناعي الوادي	د. شفيقة العلوي الجزائر 02
د. حرزولي العزوي الوادي	د. عبد الزاق بن سبع باتنة	أ.د. يوسف العايب الوادي
د. أحمد قيطون ورقلة	د. هاجر مدقن ورقلة	عيساني عبد المجيد ورقلة
أ.د. عمار سامي البليدة	د. ناصر بركة المسيلة	أ. د علي حميداتو البليدة
د. لزهرة فارس تبسة	أ.د. طارق ثابت باتنة	د. فطيمة برهيني س بلعباس
د. كمال بن عمر الوادي	د. عمار لعويجي بركة	د. عبد الزاق علاين تومشن

نوصيات وقواعد عامة للنشر



"القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية" مجلة علمية أكاديمية محكمة تُعنى بنشر الدراسات والبحوث في ميدان الأدب والنقد واللغة، باللغات الثلاث: العربية والانجليزية والفرنسية على أن يلتزم أصحابها بالقواعد الآتية:

- أن تكون المادة المرسلّة للنشر أصيلة، لم ترسل للنشر إلى أي جهة أخرى.
- أن لا يتجاوز المقال ستة عشر صفحة، بما في ذلك المراجع والجداول والأشكال والصور.
- أن يتّبع المؤلف الأصول المتعارف عليها في إعداد وكتابة البحوث وخاصة فيما يتعلق بإثبات مصادر المعلومات وتوثيق الاقتباس.
- يجب أن تتضمن الورقة الأولى البيانات الآتية:
 - ✓ العنوان الكامل للمقال باللغة العربية.
 - ✓ ترجمة عنوان المقال باللغة الانجليزية
 - ✓ اسم الباحث ورتبته العلمية والمؤسسة التابع لها.
 - ✓ الهاتف الفاكس والبريد الإلكتروني للباحث.
- ملخصين في حدود مائتي كلمة للملخصين مجتمعين أحدهما بلغة المقال والثاني باللغة الإنجليزية على أن يكون أحدهما باللغة العربية.
- يرقم التهميش والإحالات بطريقة آلية في آخر المقال.
- المقالات المرسلّة لا تعاد إلى أصحابها سواء أُنشرت أم لم تُنشر.
- المقالات المنشورة في المجلة لا تعبر إلا على رأي أصحابها.
- كل مقال لا تتوفر فيه الشروط لن يُؤخذ بعين الاعتبار ولن يُنشر مهما كانت قيمته العلمية.
- يحق لهيئة التحرير إجراء بعض التعديلات الشكلية على المادة المقدمة متى لزم الأمر دون المساس بالموضوع.
- تخضع جميع المقالات المرسلّة إلى المجلة للتحكيم من قبل أعضاء اللجنة العلمية للمجلة ويبلغ الباحث إلكترونياً بنتيجة التقييم.
- ترسل المقالات وجوباً إلى حساب المجلة على منصة المجلات الجزائرية.

<https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/498>



افتتاحية العدد

تحية طيبة لكل الباحثين والقراء . .

يسر هيئة التحرير لمجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية أن تضع بين أيدي جميع الباحثين العدد الثالث من المجلد الرابع ضمن إصداراتها كما وعدتكم ملتزمة بنشر الأعمال العلمية الجادة وبصفة منتظمة كما عهدتموها سابقا. يصدر هذا العدد للمرة الثانية بعد صدور قرار المجلات المصنفة، وكانت مجلة القارئ إحدى تلك المجلات، لما عرف عنها من الانضباط والإلتزام بقواعد النشر ومواعيده دون الإخلال بأي شرط من الشروط التي تتقيد بها.

جاء هذا العدد في جزئين، إذ يحتوي على خمسة وأربعين (45) مقالا ضمن تخصص: الأدب، النقد، واللغة، بين دراسات قديمة وحديثة ولذلك كما ترون تنوعا ثريا في تلك البحوث المقدمة للقراء، مهتمة بالشعر والنثر والدراسات القديمة والحديثة والمعاصرة

هذه المجلة فصلية تعنى بالبحوث الأكاديمية في حقل اللغة والأدب والنقد مواكبة تطور الحركة الأدبية والنقدية، تصدر أربع مرات في السنة، عددها الأول شهر مارس، الثاني شهر جوان، الثالث شهر سبتمبر، والأخير نهاية السنة شهر ديسمبر، هذا كله خدمة للعلم والبحث.

نشكركم على الثقة التي وضعتموهها في هذه المجلة والطاغم العامل بها، ونجدد دعوتنا في كل عدد لجميع الباحثين، إذ نرحب بكل أعمالهم الجادة التي تتوافق وشروط المجلة؛ مما يدور في فلك الأدب والنقد واللغة ونضمنها من أجل تقديم الإضافة للباحثين والمهتمين.

والله من وراء القصد

رئيس التحرير

د. علي كرباع

فهرس المحتويات

الصفحة	عنوان المقال	
327-313	النزوع الفلسفي الجمالي في رواية "روح البعد المفقود" لإبراهيم الكوني	01
335-328	المُعْتَبَانِ الإِحَايَ وَالْجَمَالِيَّ فِي الْخُطَابِ الْقُرْآنِي: الْمَفْهُومُ، وَالْيَاتُ الْإِنْتِاجِ	02
346-336	المنهج الأسلوبى وآليات تحليله – أسلوبية البنى الصوتية في قصيدة "في القدس" لتميم البرغوتي أنموذجاً.	03
358-347	المرجعيات الفكرية وأثرها في بناء الخطاب النقدي عند "حبيب مونسي"	04
371-359	المبادئ اللسانية وتطبيقاتها في التحليل الأسلوبى لديوان الأطفال لكامل كيلاني	05
381-372	اللسانيات المعاصرة وأثرها على الدرس الصرفي العربي القديم	06
392-382	الغربة المكانية في نماذج من شعرا بن الأبارالبلنسي	07
406-393	السِّمَاتُ الصَّوْتِيَّةُ لصوت القاف وعلاقتها بالمعنى في النص القرآني	08
422-407	السياق والأساليب الإنشائية الطلبية -أساليب الأمر والنهي والاستفهام أنموذجاً-	09
437-423	الرؤية الفكرية والتشكيل الجمالي في شعرا بن مُجبر الأندلسي	10
448-438	الروابط والعوامل الحجاجية في قصيدة (هذه قمة الفتوة) لمحمد العيد آل خليفة	11
462-449	الروابط الحجاجية في شعرا بن رشيق: قصيدة "رثاء القيروان" أنموذجاً	12
472-463	التوثيق والتخييل في سيرة المنتهى –عشتها كما اشتتهني- لواسيني الأعرج	13
485-473	البعد التواصلي عند ابن رشيق	14
493-486	البعد التداولي لقضية التعريف والتنكير	15
509-494	الإشارات التداولية في ديوان مقام البوح للشاعر عبد الله العشي	16
522-510	الأنا بين الواقع الحقيقي والمتخيل السردى في رواية "الممنوعة" لمليكة مقدم	17

534-523	التشكيل البصري في القصيدة الجزائرية المعاصرة: الأبعاد والدلالات	18
548-535	أُسْلُوبُ الْقَصْرِ بِالنَّفْيِ وَالِاسْتِثْنَاءِ - دراسةٌ دَلَالِيَّةٌ بِلَاغِيَّةٌ	19
560-549	أثر الإبدال في تيسير اللغة العربية	20

أُسْلُوبُ الْقَصْرِ بِالنَّفْيِ وَالْإِسْتِثْنَاءِ - دراسةٌ دَلَالِيَّةٌ بِلَاغِيَّةٌ

style of exceptionism through negation and exclusion-
a Semantic and rhetorical Study

عبد النّور حميدي، ¹، *، عبد القادر سَلَامِي ²

¹ مركز البحث العلمي والتّقني لتطوير اللّغة العربيّة،

بوزريعة- الجزائر العاصمة/ وحدة البحث بتلمسان- الجزائر، ha.tlemcen@gmail.com

² جامعة أبي بكر بلقايد بتلمسان، الجزائر، skaderaminaanes@gmail.com

تاريخ النشر: 2021/09/30

تاريخ المراجعة: 2021/07/18

تاريخ الإيداع: 2021/06/01

ملخص:

تهدف هذه الدّراسة إلى بحثِ موضوعٍ لغويّ دقيق، وهو تحقُّقُ معنى القصر في الجملة العربيّة بطريقة النّفي والاستثناء عند علماء البلاغة محاولَةً منّا إلى إبانة أهمّ قواعده الجامعة والضّابطة لأصوله من جهة، وإبانةً لبعض ما تجلّى من دَلالاتِهِ البلاغيّة وصُوره المعنويّة اللّطيفة، مُعتمِدِينَ المنهج الوصفيّ الذي يليقُ بمقام الدّراسة، ومُسْتَعِينِينَ بِبَعْضِ الوسائل المنهجية كالموازنة والتّحليل والاستنتاج. الكلمات المفتاحية: البلاغة- القصر- التّخصيص - النّفي والاستثناء.

Abstract:

This study aims to examine a precise linguistic subject, which achieves the meaning of the palace in the Arabic sentence in the manner of negation and exclusion among the scholars of rhetoric in an attempt to reflect the most important rules of the university and controlling its origins on the one hand, and to show some of its rhetorical connotations and gentle moral images, adopting the descriptive approach that suits the course of the study, and using some methodological means such as budgeting, analysis and conclusion.

Key words: Rhetoric – exceptionism- Customization- Denial and exception.

* المؤلف المراسل.

تمهيد: نشير بادئ ذي بدءٍ إلى أَنَّ مادّة هذا الموضوع اللّغوي العلميّة تتناثر «شأنها شأن مباحث البلاغة العربيّة، وبخاصّة علم المعاني، في كتب الأصوليّين، والمفسّرين، واللّغويّين، والنّحاة، والبلاغيّين. وتتقاسمها تحديدات مفهوم القصر، وطرقه وأساليبه، وتحليلات نماذجه في القرآن والحديث، وشعر الشعراء، ونثر الأدباء». ¹ كما نذكر ثانياً لفتاً للانتباه، أنّ أحداً من البلاغيّين قبل الجرجاني لم يتناول هذا الأسلوب تفصيلاً؛ إذ إنّنا قد «نجد شدّراتٍ يسيرةً منه لدى بعض اللّغويّين تتعلّق بدلالة اجتماع "ما وإلا" في جملة واحدة، أو توضّح معنى "إنّما" في الكلام. لكنّ المعالجة الموسّعة والتّابعة من منطلقٍ فكريّ معيّن هي الّتي

نجدها عند عبد القاهر. فدراسته لدلالة النّفْيِ والاستثناء في الأسلوب ودلالة "إنّما"، وما قد يكون من كلا النوعين من الأساليب من تشابه واختلاف. كلّ ذلك كان في إطار نظريته العامّة في "النّظم" الّتي جاءت تطبيقاتها دراسةً تفصيليّةً لخصائص التعبير في العربيّة، ودلالاتها في شتىّ المواقع». ²

والمعلوم أنّ عبد القاهر الجرجاني هو مؤسّس علم المعاني الأوّل ³ من جهة، و ثابتٌ أيضاً من جهة أخرى أنّه بفضل انفتاح ذهنه النّير عن أهمّ ابتكار لغويّ، المتمثّل أساساً في فكرة النّظم الّتي تركز في بنائها على الاهتمام بمسألة اللفظ والمعنى معاً، فُتِحَ المجال على مصراعيه لعهد جديد في شأن الدّراسات اللّغويّة، والبلاغيّة من حيث تجاوز النّظر إلى الكلمة المفردة، كما هو شائعٌ عند فقهاء اللّغة، وكذا تجاوز المبنى الصّرفي والجملة الفريدة إلى كلام متّصل وسياق أطول تتحد فيه الجمل، وتترابط فيه الجمل بالعلاقات؛ فيكون فيه تصحيح الأقسام، وحسن ترتيب النّظام، والإجمال ثم التّفصيل، والفصل والوصل والتّقديم والتّأخير؛ فتمخّض عن هذا أنّ صارت الدّراسة اللّغويّة عموماً قائمة على الذّوق والإحساس الجمالي المرتبطين ببعض الضّوابط الشّكلية غير الممكن الانتحاء بها ناحية الضّبط والصّناعة، ولا الاقتراب بها من التّعقيد؛ بسبب أنّ عبد القاهر نظّر فكريّاً وتطبيقيّاً إلى التّحو العربي من زاوية علم المعاني، أو من زاوية "الجمال البياني"، بعرضه للجمال الحادث عن التّغيير لتراكيب العبارات وسياقاتها المختلفة الحاصلة بتقدم خبرها مثلاً، أو حذف المبدل منه، إلخ ⁴... فالسّؤال المطروح هاهنا، هو: ما كان أثرُ هذه النّظرة اللّغويّة الثّاقبة الّتي أرسى الجرجاني قواعدَها، وثبّت أصولَها في دراسته لموضوع أسلوب القصر، باعتباره واحداً من المواضيع الّتي يشترك في معالجتها النّحويّ والبلاغيّ من ناحية، وعلى عدّ عبد القاهر رجلاً نحو ⁵ وبلاغة من ناحية أخرى؟ ثمّ: ما أبرز مظاهر تفرّد صاحب "الدّلائل" في دراسته هذا الموضوع؟ وهل دراسته له جاءت وافيةً شافية من كلّ جوانبه المختلفة، أم أنّ المعالجة البلاغيّة لعلماء هذا الفنّ المتأخّرين عنه كانت أوفى وأتمّ؟ وفي الأخير، هل يمكننا رصد أهمّ النّقاط الّتي فاق بها عبد القاهر أقرانه في دراستهم لأسلوب القصر من خلال محاولتنا تلمّس تلك الفروق البلاغيّة، والدّلالات المعنويّة والجماليّة الملحوظة بين طرق القصر الأربعة عند عموم البلاغيّين، وعلى رأسهم عبد القاهر الجرجاني؟

أولاً: حدُّ القصر: المعروف، أنّ الأصل في الجملة العربيّة الواحدة أن تؤدّي حكماً واحداً مقصوداً، نحو قولنا: "أناي زَيْدٌ" إذ معناها: الإخبارُ بمجيء "زيد" فحسب. غير أنّ الجملة الواحدة قد تؤدّي حكمتين مقصودتين مختلفتين، وذلك إذا حُكِمَ فيها بثبوت شيء لآخر على جهة الاختصاص، فتصدّر الجملة بنفي، أو شبهه، ثمّ يُنقض

الأخير بـ "إلا" أو بما يكون في معناها، متضمناً عملها كـ "غير" و "سوى"، ومثال ذلك أن نقول: "مَا أَتَانِي إِلَّا زَيْدٌ". وهذا ما اصطاح علماء البلاغة على تسميته بأسلوب القصص.⁶ فما هو القصص؟

1- القصص في اللغة: الحبس، يقال: قَصَرَ الشَّيْءُ، أي: حَبَسَهُ، وهو في اللغة أيضاً: عدم المجاوزة. نقول: قَصَرَ الشَّيْءُ، على كذا إذا لم يجاوز به إلى غيره، وقَصَرَ الشَّيْءُ: ضَدَّ طَالَ، يَقْصُرُ قِصْرًا بوزن عَنَب، وقولهم: قَصْرُكَ أَنْ تَفْعَلَ كَذَا، وَقَصَارَاكَ بفتح القاف فيها، وَقَصَارَاكَ بضمها، أي: غَايْتُكَ وَآخِرُ أَمْرِكَ، والقَصْرَةُ بفتحين: أَصْلُ الْعُنُقِ، والجمع: قُصُرٌ.⁷ ومنه قرأ ابن عباس، رضي الله عنهما، قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾⁸، بضم القاف والصاد، وفسره بأسفل الشجر العظام، أي: قُصِرَ النَّخْلُ، ويعني أعناقها.⁹ وأَقْصَرَ عنه: كَفَّ وَنَزَعَ مع القدرة عليه، فإن عجز، قلت قَصَرَ عنه بلا ألف مع فتح الصاد. وأَقْصَرَت المرأة: إذا ولدت أولادا قصاراً.

وامرأة مَقْصُورَةٌ، وقَصِيرَةٌ وقَصُورَةٌ: محبوسة في البيت لا تترك أن تخرج.¹⁰ ومنه قوله، تعالى: ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾¹¹، أي محبوسة فيها. قال كثير:¹²

وَأَنْتِ الَّتِي حَبَبْتَ كُلَّ قَصِيرَةٍ . . . إِلَيَّ وَمَا تَدْرِي بِذَلِكَ الْقَصَائِرِ

عَنَيْتُ قَصِيرَاتِ الْجِجَالِ، وَلَمْ أَرِدْ . . . قِصَارَ الْخُطَى شَرُّ النِّسَاءِ الْبَحَائِرِ

وقصرتنا، وأقصرتنا: دَخَلْنَا فِيهِ، وَتَقَوَّصَرَ: دخل بعضه في بعض، وسورة النساء القصصى: سورة الطلاق، وهي مدنية كلها، وامرأة قاصرة الطرف: لا تمتدّه إلى غير بعلمها.¹³ أما القصص من البناء معروف، وهو المنزل، وقيل: كل منزل من حجر سبي بذلك؛ لأنه تُقَصَّرُ فيه الحُرُمُ، أي تُحَبَسُ، وجمعه: قُصُورٌ، وقَصِرَ الرَّجُلُ: عُرف بالنسب القصير.¹⁴

2- معنى القصص اصطلاحاً: وإذا عرّجنا على معنى "القصص" في الإصلاح، فهو: «تخصيص شيء بشيء، أي تخصيص موصوف بصفة أو صفة بموصوف بطريق مخصوص من الطرق الأربعة الآتية من النفي والاستثناء، وغير ذلك».¹⁵ وإنما جاء بقوله: "بطريق مخصوص": احترازاً من نحو: «خَصَّصْتُ زَيْدًا بِالْعِلْمِ، فَلَا يُسَمَّى تخصيصاً اصطلاحاً، وإنما قلنا: أحد الشئيين موصوف، والآخر صفة؛ لأنَّ التَّخْصِصَ يتضمّن مطلق النسبة المستلزمة لمنسوب ومنسوب إليه. فإن كان المخصّص منسوباً فهو الصّفة، وإن كان منسوباً إليه فهو الموصوف».¹⁶

والقصد من قوله: "تخصيص شيء بشيء"، أي: تخصيص موصوف بصفة، أو صفة بموصوف. فالبناء داخل على المقصود، والشئ الأول إن أُريدَ به الموصوف كان المراد بالشئ الثاني الصّفة والعكس صحيح. ومعنى تخصيص الشئ بالشئ: الإخبار بثبوت الشئ الثاني للشئ الأول دون غيره، فالقصص مطلقاً يستلزم النفي والإثبات.¹⁷ ومثال ذلك تخصيص "زيد" بصفة الكتابة، في نحو: "مَا زَيْدٌ إِلَّا كَاتِبٌ"، وتخصيص الكتابة بزيد نحو: "مَا كَاتِبٌ إِلَّا زَيْدٌ"، أو لنقل: قصر "زيد" على الكتابة في الأول، وقصر الكتابة على "زيد" في الثاني.¹⁸

هذا، وإذا كان القصر أو التخصيص؛ هو ثبوت الشيء الثاني للأول فقط دون غيره، فمعنى ذلك في: "مَا زَيْدٌ إِلَّا كَاتِبٌ" قصر "زيد" على "الكتابة" وحدها، مِنْ دون أن يتجاوزها إلى غيرها من الصفات، هذا مع جواز اتّصاف غيره بالكتابة. وأمّا في "مَا كَاتِبٌ إِلَّا زَيْدٌ"، فالمعنى هاهنا، على قصر صفة الكتابة على "زَيْدٍ" وحده، وإن كان هو يتجاوزها إلى صفات أُخَر. وبناء عليه، يسمّى الأمر الأول مقصوراً، والثاني مقصوراً عليه، كما في قولنا: "إِنَّمَا زَيْدٌ قَائِمٌ"، و"مَا ضَرَبْتُ إِلَّا زَيْدًا".¹⁹

ولعلّه ممّا يحسن بنا، أن نشير إليه هاهنا هو أنّ فائدة القصر في أنّه يجعل الجملة الواحدة في مقام الجملتين، أي أنّه ضربٌ من ضروب الإيجاز الذي هو أعظم ركن من أركان البلاغة؛ كما يتّضح ذلك من قولنا: "مَا كَامِلٌ إِلَّا اللَّهُ"، فهو في موضع: "الكَمَالُ لِلَّهِ وَلَيْسَ كَامِلًا غَيْرُهُ"، وأيضا بوساطته تُحدّد المعاني تحديداً كاملاً دقيقاً، ويكثر ذلك في المسائل العلميّة، وما يماثلها، كما أنّه يمكن الكلام في الدّهن ويقرّره، وينفي عنه كلّ شكّ وإنكار، وهو يدلّ على بدائع التعبير الفني في لغتنا الجميلة.²⁰

ولعلّه ممّا يتبادر إلى الدّهن الآن بعد العرض إيجاز لمسألة وجوه بلاغة القصر بإيجاز، هو إبانة تحقّقه بالطّرق الأربعة المشهورة عند عموم البلاغيّين.

أولاً: أسلوب القصر بالآ عند علماء البلاغة: إنّ ما يجب علينا لفت الانتباه إليه في دراستنا لهذه المسألة عند البلاغيّين، هو الإشارة إلى أنّه ارتكازاً على أنّ الجرجاني كثيراً ما يعتمد في بسطه الكلام حول مسألة إفادة القصر بالنفي والاستثناء، موازنة لها بمعنى القصر المتحقّق بوساطة الأداة "إنّما" إبانة لأهمّ الفروق البلاغيّة والدلاليّة الكامنة بينهما؛ فلعلّه يكون جديراً بنا أن نشير بادئ ذي بدء، وقبل الخوض في عرض أبرز ملامح دراسة البلاغيّين وعلى رأسهم عبد القاهر لموضوع القصر بوساطة "مَا وَإِلَّا"، إلى أنّ مذهب صاحب الدلائل في قضية إفادة "إنّما" هذا المعنى اللّغوي، المعروف بالقصر²¹، أنّها إنّما «تجيء لخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحّته، أو لما يُنزل هذه المنزلة. وتفسير ذلك أنّك تقول للرجل: "إنّما هو أخوك"، و"إنّما هو صاخبك القديم": لا تقول له لمن يجهل ذلك ويدفع صحّته، ولكن لمن يعلمه ويُقرّ به. إلّا أنّك تريد أن تنبّه للذي يجب عليه من حقّ الأخ، وحرمة الصّاحب».²² ومثل ذلك قول المتنبي:²³

إِنَّمَا أَنْتَ وَالِدٌ، وَالْأَبُّ الْقَا .: طُعْ أَخَى مِنْ وَاصِلِ الْأَوْلَادِ

فأبو الطّيب المتنبي هنا «لم يُرد أن يُعلّم كافوراً أنّه والدٌ، ولا ذاك ممّا يحتاج كافورٌ فيه إلى الإعلام، ولكنّه أراد أن يذكره منه بالأمر ليبيّن عليه استدعاء ما يوجب كونه بمنزلة الوالد».²⁴ وهو ما يفهم منه، أنّ المتنبي قصّد إلى مدح كافور، كأنّه قال فيه: «إنّما أنت في تربيتك ابن الإخشيد وقومتك عليك كالوالد، والوالد القاطع أبرُّ بالولد الواصل بأبيه وأخى منه عليه. يريد: أنّك ربّيت ابن سيّدك وأنّك أشفق عليه من كلّ أحد».²⁵

ونلاحظ هنا، أنّ الأداة "إنّما" في مثل هذه الأنماط قد «أثبتت إثباتاً لما ذكر بعدها ونفياً لما سواها. فنلاحظ هذا التأثير النفسي لطابع التعبير وتذوّق المدلول الحيويّ للسياق الكلامي، حيث نلاحظ في نمط الإثبات أنّ التأثير النفسيّ يلعب دوراً في التّركيب، ويرجع ذلك إلى تشكيل المدلول اللّغوي حسب بنية الإثبات النمط

المقصود الذي لا يجب أن ينفصل فيه معنى الدلالة عن مبناها. فمثل هذه الأنماط نرى الخبر فيها خبراً بأمر يعلمه المخاطب ولا ينكره بحال».²⁶

وبعد هذه التوطئة الذهنية لوجه بناء القصر بـ "إنّما" بإيجاز، وصلاً له بما سيأتي من كلام، عن "إلا" وتحقيقاً للتساوق الفكري والمعنوي المطلوبين. فما حال مجيء جملة القصر بالنفي والإثبات بـ "إلا" معنى ودلالة؟ وما مزايا هذا الطريق في إفادته معنى الحصر، من حيث تركيبه، وبلاغته، وجماليته؟

1- كنه القصر بالـ "إلا":

كما رأينا سابق، فقد ورد معنا أنّ استعمال "إنّما" يكون في الإخبار عن شيء معلوم لدى السامع، أو لما نُزِلَ هذه المنزلة من جهة أخرى، نحو قول ابن قيس الرقيات:²⁷

إِنَّمَا مُصْعَبٌ شَهَابٌ مِنَ اللَّهِ . . . ه تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاءُ

الذي «ادّعى في كون الممدوح بهذه الصّفة، أنّه أمرٌ ظاهرٌ معلومٌ للجميع على عادة الشعراء إذا مدحوا أنّ يدّعوا في الأوصاف التي يذكرون بها الممدوحين أنّها ثابتةٌ لهم، وأنهم قد شهروا بها، وأنهم لم يصفوها إلا بالمعلوم الظاهر الذي لا يدفعه أحد».²⁸ فإذا كان هذا عن "إنّما" الحاصرة عند الجرجاني، فهو يرى أنّ «الخبر بالنفي والإثبات نحو: "مَا هَذَا إِلَّا كَذَا"، و: "إِنْ هُوَ إِلَّا كَذَا"، فيكون للأمر ينكره المخاطب ويشكّ فيه. فإذا قلت: "مَا هُوَ إِلَّا مُصِيبٌ"، أو: "مَا هُوَ إِلَّا مُخْطِئٌ"، قلته لمن يدفع أنّ يكون الأمر على ما قلت. وإذا رأيت شخصاً من بعيد فقلت: "ما هو إلا زيد"، لم تقله إلا وصاحبك يتوهم أنّه ليس بزيد، وأنّه إنسان آخر ويجدّ في الإنكار أن يكون زيداً».²⁹

والجدير بالذكر في هذا الموضع، هو أنّه إذا كان مرجع القصر كلّ، إمّا على قصر موصوف على صفة أو على قصر صفة على موصوف؛ فإنّ تحقيق وجه القصر في الأول أنّه متى قيل: "مَا زَيْدٌ" توجّه النفي إلى صفته لا إلى ذاته، لأنّ أنفُس الدّوات يُمتنعُ نفياً وإنّما تُنفى صفاتها. وحيث إنّ لا نزاع في طوله وقصره وما شاكل ذلك، وإنّما التّزاع في كونه شاعراً أو كاتباً تناولهما النفي. فإذا قيل: "إِلَّا شَاعِرٌ" جاء القصر وفي الثاني أنّه متى قيل: "مَا شَاعِرٌ" بادّخال النفي على الوصف المسلّم ثبوته، أي الشّعْر هنا، توجّه النفي بحكم العقل إلى ثبوته للمدّعي كزيد وعمرو مثلاً، فإذا قيل: "إِلَّا زَيْدٌ" مثلاً، أفاد التّركيب معنى القصر.³⁰

ويوضّح الجرجاني وجه استعمال طريق القصر بـ "مَا وَإِلَّا"، مؤكّداً مذهبه في ذلك بقوله إنّّه: «إذا كان الأمر ظاهراً كالذي مضى، لم تقله كذلك؛ فلا تقول للرجل ترقّقه على أخيه وتنبّهه للذي يجب عليه من صلة الرّحم ومن حُسْن التّحاب: "مَا هُوَ إِلَّا أَخْوَكٌ". وكذلك لا يصلح في "إِنَّمَا أَنْتَ وَالِدٌ": "مَا أَنْتَ إِلَّا وَالِدٌ". فأما نحو: "إِنَّمَا مُصْعَبٌ شَهَابٌ"، فيصلح فيه أن تقول: "مَا مُصْعَبٌ إِلَّا شَهَابٌ"؛ لأنّه ليس من المعلوم على الصّحة، وإنّما ادّعى الشّاعر فيه أنّه كذلك. وإذا كان هذا هكذا، جاز أن تقوله بالنفي والإثبات، إلّا أنّك تُخرِج المدح حينئذ عن أن يكون عن حدّ المبالغة، من حيث لا تكون قد ادّعت فيه أنّه معلوم، وأنّه بحيث لا ينكره مُنكرٌ، ولا يخالف فيه مخالِفٌ».³¹

ووجه إيراد القصر بالنفي والإثبات أنّه قد يُعبّرُ بوساطته على شيء معلومٍ ظاهرٍ خلافاً لأصل ذلك كقوله الله جلّ ثناؤه: ﴿قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾³²، إذ يعلّق عليه بقوله إنّ

سبحانه وتعالى: «إِنَّمَا جَاء، والله أعلم، "بِإِنْ وَإِلَّا" دون "إِنَّمَا"، فلم يقل: و"إِنَّمَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا"; لأَنَّهُمْ جعلوا الرِّسْلَ كَأَنَّهُمْ بادَّعائِهِم النَّبُوَّةَ قد أخرجوا أنفسهم عن أن يكونوا بشرا مثلهم، وادَّعوا أمرا لا يجوز أن يكون لمن هو بشر. ولما كان الأمر كذلك أُخْرِجَ اللَّفْظُ مُخْرَجَهُ، حيث يُراد إثبات أمر يدفعه المخاطب ويدَّعي خلافه، ثم جاء الجواب من الرِّسْل الذي هو قوله تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾³³، كذلك بـ "إِنْ" و"إِلَّا" من دون "إِنَّمَا"; لأنَّ مِنْ حُكْمٍ مَنْ ادَّعى عليه خصمه الخلاف في أمر هو لا يخالف فيه، أن يعيد كلام الخصم على وجهه، ويحيى به على هيئته ويحكيه كما هو. فإذا قلت للرجل: "أَنْتَ مِنْ شَأْنِكَ كَيْتَ وَكَيْتَ"، قال: "نَعَمْ، أَنَا مِنْ شَأْنِي كَيْتَ وَكَيْتَ"، وَلَكِنْ لَا ضَيْرَ عَلَيَّ وَلَا يَلْزَمُنِي مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَا ظَنَنْتَ أَنَّهُ يَلْزَمُ. فالرِّسْل، صلوات الله عليهم، كَأَنَّهُمْ قالوا: "إِنَّ مَا قُلْتُمْ مِنْ أَنَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ كما قلْتُمْ، لسنا ننكر ذلك ولا نجعله، ولكن ذلك لا يمنعنا من أن يكون الله تعالى قد مَنَّ علينا وأكرمنا بالرسالة".³⁴

وفي هذا السياق، فقد أوردَ الزَّمَخْشَرِيُّ شرحاً لطيفاً في هذا المقام؛ إذ يرى أن قول الكفار في خطابهم للرِّسْل: ﴿قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾³⁵، أنه في معنى لو قيل إنه: «لا فضل بيننا وبينكم، ولا فضل لكم علينا، فَلِمَ تُخَصُّونَ بِالنَّبُوَّةِ دُونَنَا؟ ولو أرسل الله إلى البشر رسلاً لجعلهم من جنس أفضل منهم وهم الملائكة».³⁶ ثم جاء ردُّ المرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم، في قوله عزَّ من قائل: ﴿إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾³⁷ مجازةً لكلام مخاطبيهم، وتسليماً «لقولهم وأَنَّهُمْ بَشَرٌ مِثْلُهُمْ؛ يعنون أَنَّهُمْ مِثْلُهُمْ في البشريَّة وحدها، فأما ما وراء ذلك فما كانوا مثله، ولكنهم لم يذكروا فضلهم تواضعا منهم، واقتصروا على قولهم: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾³⁸ بالنبوَّة لأنَّه قد عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَخْتَصُّهُمْ بِتِلْكَ الْكِرَامَةِ إِلَّا وَهُمْ أَهْلٌ لِاخْتِصَاصِهِمْ بِهَا لَخِصَائِصٍ فِيهِمْ قَدْ اسْتَوْثَرُوا بِهَا عَلَى أَبْنَاءِ جَنَسِهِمْ».³⁹

ومما صادفنا في بحثنا من شواهد داعمة لصحَّة المذهب في وجه استعمال الخبر بالنفي والإثبات قصراً لشيء على آخر إذا كان المخاطب بالكلام جاهلاً بالحكم فيه غير منكر لمقتضاه من جهة، وجواز توظيف طريق القصر هذا لخبر معلوم منزَّل منزلة المجهول من جهة أخرى، قول الخالق، جلَّ في علاه: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾⁴⁰، حيث يعلِّل الجرجاني مجيء الكلام مبنياً على "إِنَّمَا"; بأنه «ابتداء كلام قد أمر النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِأَنْ يَبْلَغَهُ إِتَاهُمْ ويقولوه معهم، وليس هو جواباً لكلام سابق قد قيل فيه: "إِنْ أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا"، فيجب أَنْ يُؤْتَى بِهِ عَلَى وَفْق ذَلِكَ الْكَلَامِ، وَيُرَاعَى فِيهِ حَذْوُهُ، كَمَا كَانَ ذَلِكَ فِي الْآيَةِ الْأُولَى».⁴¹

ويزيد صاحب "الدلائل" رأيه هذا دعماً وتقويةً، بقوله إنه «متى رَأَيْتَ شَيْئاً مِنَ الْمَعْلُومِ الَّذِي لَا يُشَكُّ فِيهِ قَدْ جَاءَ بِالنَّفْيِ، فَذَلِكَ لِتَقْدِيرِ مَعْنَى صَارَ بِهِ فِي حُكْمِ الْمَشْكُوكِ فِيهِ. فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾⁴² إِنَّمَا جَاءَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، بِالنَّفْيِ وَالِإِثْبَاتِ، لِأَنَّهُ لَمَّا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾⁴³، وَكَانَ الْمَعْنَى فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ لِلنَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ أَنْ تُحَوِّلَ قُلُوبَهُمْ عَمَّا هِيَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِبَاءِ، وَلَا تَمْلِكُ أَنْ تُوَقِّعَ الْإِيمَانَ فِي نَفُوسِهِمْ، مَعَ إِصْرَارِهِمْ عَلَى كُفْرِهِمْ، وَاسْتِمْرَارِهِمْ عَلَى جَهْلِهِمْ، وَصِدَّتْهُمُ بِأَسْمَاعِهِمْ عَمَّا يَقُولُهُ لَهُمْ وَتَتْلُوهُ عَلَيْهِمْ؛ كَانَ اللَّائِقُ بِهَذَا أَنْ يُجْعَلَ حَالُ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَال مَنْ قَدْ ظَنَّ أَنْ يَمْلِكَ ذَلِكَ، وَمَنْ لَا يَعْلَمُ يَقِيناً أَنَّهُ لَيْسَ فِي وَسْعِهِ شَيْءٌ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُنْذِرَ أَوْ يَحْذَرُ؛ فَأُخْرِجَ

اللفظ مخرجه إذ كان الخطاب مع من يشكّ، فقيل: ﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾⁴⁴. ويبين ذلك أنك تقول للرجل يطيل مناظرة الجاهل ومقاولته: "إنك لا تستطيع أن تُسمع الميت، وأن تُفهم الجماد، وأن تحوّل الأعمى بصيرا، وليس بيدك إلا أن تُبين وتحتجّ، ولست تملك أكثر من ذلك، لا تقول هاهنا: "فإنما الذي بيدك أن تبين وتحتجّ"; ذلك لأنك لم تقل له: "إنك لا تستطيع أن تُسمع الميت"، حتى جعلته بمثابة من يظنّ أنه يملك وراء الاحتجاج والبيان شيئا، وهذا واضح، فاعرفه»⁴⁵.

ولا يفوتنا في هذا الموضوع أن نورد لأبي يعقوب السكاكي في هذا المعنى كلاماً طويلاً جميلاً، مفاده أنّه «ما من موضع يأتي فيه النفي والاستثناء إلا والمخاطب عند المتكلم مرتكب للخطأ مع إصرار إمّا تحقيقا إذا أُخرج الكلام على مقتضى الظاهر، وإمّا تقديراً إذا أُخرج لا على مقتضى الظاهر، كقوله: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَن فِي الْقُبُورِ إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾⁴⁶، لما كان النبيّ، صلى الله عليه وسلّم، شديد الحرص على هداية الخلق، وما كان متمناه شيئا سوى أن يرجعوا عن الكفر، فيملكوا زمام السعادة عاجلاً أو آجلاً، ومتى رآهم لم يؤمنوا تداخلة، عليه السلام، من الوجد والكآبة ما كاد يبزع له حتى قيل له: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾⁴⁷، ويتساقط عليه السلام، حسرات على توليهم وإعراضهم عن الحقّ، وما كانت شفقتة عليهم تدعه يلقي حبلهم على غارهم ليهيموا في أودية الضلال، بل كانت تدعوه، عليه السلام، أن يرجع إلى تزيين الإيمان لهم عودُهُ على بدئه عسى أن يسمعوا ويعوا راكباً في ذلك كلّ صعب وذلول؛ فأبرز لذلك في معرض من ظنّ أنّه يملك غرس الإيمان في قلوبهم مع إصرارهم على الكفر، فقيل له: لست هناك ﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾»⁴⁸.

وإذا كان واضحاً بعد الذي سبق، تقرير أصلية استخدام طريق القصر بالنفي والاستثناء لما كان فيه السامع، جاهلاً بحكم الخبر، أو منكراً إياه، أو شاكاً في حقيقته خلافاً للحرف "إنما" الذي يجيء لخبر غير مجهول، ولا مدفوع صحته عند المخاطب؛ فإنّ عبد القاهر يتوسّع في شأن إيراد جملة الحصر بما وإلا، إذ يذكر أنّ قولنا: "ما جاءني إلا زيد" يحتمل أمرين اثنين:

«أحدهما: أن تريد اختصاص "زيد" بالمجيء وأن تنفيه عمّن عداه، وأن يكون كلاماً تقوله، لا لأنّ بالمخاطب حاجة إلى أن يُعلم أنّ "زيداً" قد جاءك، ولكن لأنّ به حاجة إلى أن يعلم أنّه لم يجئ إليك غيره.

والثاني: أن تريد الذي ذكرناه في إنّما»⁴⁹، ويكون كلاماً تقوله ليعلم أنّ الجائي "زيد" لا غيره. فمن ذلك قولك للرجل يدعي أنّك قلت قولاً ثم قلت خلافاً: "ما قلت اليوم إلا ما قلته أمس بعينه". ويقول: "لم تر زيدا، وإنما رأيت فلانا"، فتقول: "بل لم أر إلا زيدا". وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾⁵⁰؛ لأنه ليس المعنى: إني لم أزد على ما أمرتني به شيئا، ولكن المعنى: "إني لم أَدع ما أمرتني به لأن أقوله لهم وقُلْتُ خلافاً»⁵¹.

والمراد هاهنا، هو بيان القول في مسألة وقوع أسلوب القصر مع مراعاة حال المخاطب به، ودليل ذلك قوله إن المراد بجملة: "ما جاءني إلا زيد" قد يأتي بمعنى قصر فعل "المجيء" على زيد مع انتفائه عن جميع الناس؛ بياناً لهذا المخاطب أنّه لم يجيء إلى المتكلم غيره. وهو ما عبّر عنه عبد القاهر بعبارة: "ولكنّ لأنّ به حاجة إلى أن يُعلم أنّه لم يجيء إليك غيره". وهو ما يمكن لنا حمله على أنّ القصر هاهنا، من قبيل قصر الصفة على الموصوف

قصر إفراد؛ لإفراده "زيداً" بصفة "المجيء" من دون مشاركة أحد له فيها، تماماً كما لو قلنا: "مَا شَاعِرٌ إِلَّا عَمْرُو"، في جعل صفة "نظم الشعر" مختصاً بها "عمرو" فقط.

أما في حال إرادة حمل قولنا: "مَا جَاءَنِي إِلَّا زَيْدٌ" على ما في "إنّما" من المعنى لو أنّه قيل: "إنّما جَاءَنِي زَيْدٌ"، حيث يقصد به تخصيص زيد وحده بأنّه الجائي، لا أحد غيره كما اعتقد المخاطب قبل. وهو ما نستدلّ عليه من كلام الجرجاني القائل فيه أنّه "يكون كلاماً تقوله ليُعلم أنّ الجائي "زيد" لا غيره"، مبيّناً أنّ الغرض في هذا الموضع إفادة معنى قصر القلب بأمثلة ثلاثة، بيّنها أنّ:

1- جملة: "ما قلت اليوم إلا ما قلته أمس بعينه" متضمنة معنى قصر القلب، لا لأنّ ذلك يُفهم من تركيبها، بل لأنّ المخاطب قد ادّعى على المتكلم قوله كلاماً مخالفاً لما كان قد صدر منه قبل ذلك؛

2- عبارة "بل لم أرَ إلا زيداً"، هي الأخرى من هذا النوع المذكور؛ لقلبها اعتقاد المخاطب على أنّ فعل الرؤية لم يقع على الشخص فلان، الذي قصده السامع، ولكن على شخص آخر هو "زيد"؛

3- قوله تعالى حكاية على لسان عيسى، عليه السلام: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ عِبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾⁵² ممّا ورد مندرجاً تحت مُسَمَّى قصر القلب؛ لأنّه في «مقامٍ اشتمل على معنى: إنَّكَ يا عيسى لم تقل للناس ما أَمَرْتُكَ، لأنّي أَمَرْتُكَ أَنْ تَدْعُو النَّاسَ إِلَى أَنْ يَعْبُدُونِي، ثُمَّ إِنَّكَ دَعَوْتَهُمْ إِلَى أَنْ يَعْبُدُوا مَنْ هُوَ دُونِي. أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَبْلَهُ»⁵³ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ⁵⁴.

وممّا يُحْمَلُ على هذا الذي مضى، مِنْ تَضَمُّنِ القصر بالنفي والاستثناء لما هو مستفادٌ من المعنى إن جاء الكلام بـ "إنّما"، قول الشاعر وهو عمرو بن معد يكرب:⁵⁵

قَدْ عَلِمْتُ سَلْمَى وَجَارَاتِهَا .: مَا قَطَرَ الْفَارِسَ إِلَّا أَنَا

إذ يعلّق عليه الجرجاني قائلاً إنّ معناه: «أَنَا الَّذِي قَطَرَ الْفَارِسَ، وليس المعنى على أنّه يريد أن يزعم أنّه انفراد بأن قَطَرَهُ، وأنّه لم يُشْرِكْهُ فيه غيره»⁵⁶.

وظاهرٌ هنا، أنّ صاحب "الدلائل" يقصد بكلامه هذا النّصّ على بُعد كون القصر في بيت الشّاعر السّابق من قبيل قصر الإفراد، بدليل قوله: إنّّه لا "يريد أن يزعم أنّه انفراد بأن قَطَرَهُ، وأنّه لم يُشْرِكْهُ فيه غيره"، وهو ما يُفهم منه أنّ المعنى فيه هو حمله على قصر القلب؛ لأنّه ردٌّ من الشّاعر على من ظنَّ أنّه قتل شخصاً آخر غير الذي عناه هو نفسه، وهو رُستم قائد المشركين في وقعة القادسية، والصّحيح حسب تفسير أحدهم، أنّ عمرو بن معد يكرب كان قد أخطأ التقدير؛ لأنّه إنّما حَمَلَ يَوْمَهَا على رجل اسمه "مَرْزُبَان"، وهو يرى أنّه رستم.⁵⁷

2- هل يقع أسلوب القصر في الكلام الموجب؟ وجوابٌ هذا، أنّ ليس كلّ علماء البلاغة قد عرضوا لهذه

المسألة في تناولهم بالدراسة لموضوع أسلوب القصر؛ فمثلاً إذا نحن بدأنا بعبد القاهر الجرجاني، فالذي ظهر لنا أنّه من خلال دراسته هذا المبحث اللّغوي البلاغي في الباب الذي خصّه به من "دلائل إعجازه" المعنون بـ "في مسائل إنّما" نجد أنّه لم يبسط القول صراحةً في شأن وقوع أسلوب القصر في الكلام الموجب من عدمه. غير أنّ هذا لا يعني إطلاقاً عدم إمكانية تبين ملامح هذا الأمر من مصنّفه "الدلائل"؛ إذ نستطيع الحكم على ذلك، باشتراط الجرجاني لصحّة وقوع الاستثناء المفرّع أو القصر، كون الكلام غير موجب، أي مسبقاً بنفي، أو شبهه

ولو ضمنياً، وهو ما يُستقرأ من طبيعة الشواهد القرآنية، وغيرها التي أوردها في معالجته لهذا الموضوع، والتي لم تخرج في أي موضع من المواضع عن هذا القيد الإعرابي والمعنوي، وهو ما يذهب إليه جمهور البلاغيين الذين يرون أن «السبب في إفادة النفي والاستثناء القصر فيما بين المبتدأ والخبر، والفاعل والمفعول، وغير ذلك، أن النفي في الاستثناء المفرغ، الذي حذف فيه المستثنى منه، وأُعرب ما بعد إلا بحسب العوامل، يتوجّه إلى مُقدّر هو مستثنى منه، لأنّ "إلا" للإخراج، والإخراج يقتضي مُخرِجاً منه عامّاً ليتناول المستثنى وغيره فيتحقق الإخراج».⁵⁸ غير أنّهم يشترطون لذلك مناسبة هذا المقدّر العامّ للمستثنى منه في جنسه وصفته. أمّا مناسبتُهُ له في جنسه بأن يقدر في نحو: "ما كَسَوْتُهُ إِلَّا جَبَةً": "مَا كَسَوْتُهُ لِبَاساً"، وفي نحو: "مَا أَكَلْتُ إِلَّا تَمْرًا": "مَا أَكَلْتُ مَاكُولًا"، إلخ.⁵⁹ كما يجب أن يوافقه في صفته (أي في إعرابه) من فاعليّة، ومفعوليّة، وحاليّة، ونحو ذلك. وشرطُ تحقق القصر هاهنا، أن يكون «النفي متوجّهاً إلى هذا المقدّر العامّ المناسب للمستثنى في جنسه وصفته، فإذا أوجب منه (أي من ذلك المقدّر) شيءٌ بـ "إلا" جاء القصر، ضرورةً بقاء ما عداه على صفة الانتفاء».⁶⁰

أمّا بهاء الدين السبكي⁶¹ (ت755هـ)، فيذهب إلى عدّ الاستثناء على وجه العموم قصراً سواءً أكان مع النفي أم الإيجاب، نحو قولنا: "قامَ النَّاسُ إِلَّا زَيْدًا"، فإنّ فيه قصراً لعدم القيام على "زيد"، لأنّ المعنى هو قصر عدم القيام بالنسبة إلى النَّاسِ على "زيد". وكذلك الحال إذا قلنا: "ما قامَ النَّاسُ إِلَّا زَيْدًا"، إذ ليس فيه قصرٌ للقيام على "زيد" مطلقاً، بل المعنى: قصر صفة "القيام" على زيد بالنسبة إلى النَّاسِ. وبناءً على هذا، فإنّ قول البلاغيين أنّ من طرق القصر النفي والاستثناء ليس فيه تعرّضٌ صريحٌ لوجوب النفي.⁶²

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، يوجد من البلاغيين من يمنع إفادة الاستثناء المثبت للقصر، في نحو: "جاءَ القَوْمُ إِلَّا زَيْدًا". فليس في هذا المثال تضمناً لمعنى القصر؛ لأنّ الغرض منه الإثبات، والاستثناء قيدٌ مُصَحِّحٌ له، فكأنّه قيل: "جاءَ القَوْمُ الصّالِحُونَ"، ولكنهم في الوقت نفسه، يُجيزون وقوعه في الاستثناء المنفي، سواءً أذكر المستثنى منه أم لا⁶³، نحو: "مَا جَاءَنِي زَيْدٌ"؛ إذ غرضه النفي ثمّ الإثبات المحقّقان للقصر، وليس الغرض منه تحصيل الحكم فقط، وإلا قيل: "جاءَني زَيْدٌ"، والحكم في ذلك الاستعمال والدّوق السليم. ولهذا السبب يُستعمل النفي ثمّ الاستثناء عند الإنكار دون الإثبات ثمّ الاستثناء.⁶⁴

وفي الأخير نجمل، فنقول: إنّ جمهور البلاغيين، وعلى رأسهم عبد القاهر الجرجاني⁶⁵، على منع إفادة القصر في الكلام الموجب، ولو أنّهم اختلفوا في مسألة إفادة الاستثناء التامّ لمعنى الحصر، إذ يقصرون ذلك على ما كان بعد نفي، إذ يلاحظ أنّ الاستثناء المفرغ هو البناء الوحيد، الذي عدّ من طرق القصر، وهم في هذه القضية على وفاق شبه كامل مع رأي النحويين.⁶⁶

الخاتمة: وفي ختام بحثنا هذا، نُوجِزُ أهمّ النتائج المتوصل إليها، وهي كما يأتي ذكره:

- 1- سبّق الجرجاني نظراً للبلاغيين إلى دراسة أسلوب القصر تفصيلاً؛ بالتطرق إلى أهمّ دقائق جوانبه، وشرح أهمّ مناحيه البلاغية والدلالية، ولطائفه المعنوية؛
- 2- إنّ معنى "القصر" هو تخصيص شيءٍ بشيءٍ، أي موصوف بصفةٍ أو صفةٍ بموصوف؛
- 3- إنّ فائدة القصر هي جعلُ الجملة الواحدة في مقام الجملتين، بمعنى أنّه ضربٌ من ضروب الإيجاز

الَّذِي يُعَدُّ أَعْظَمَ أَرْكَانِ الْبَلَاغِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ؛

- 4- إذا كانت الاداة "إنما" تجيء لخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته، أو لما يُنَزَّلُ هذه المنزلة؛ فإنَّ الخبر بالنفي والاستثناء فإنَّما يكون للخبر يُنَكِّرُهُ المخاطب ويشكُّ فيه؛
- 5- يذهب علماء البلاغة بصفة عامة أنَّ شرط إفادة الكلام معنى القصر بـ (مَا وَإِلَّا) هو وُزُودُهُ غيرَ موجبٍ، أي بكونه مسبوقاً بنفي أو نهي أو شبهه، والسبب هنا أنَّه في الاستثناء المفرغ يُحذفُ المستثنى منه من تركيب الجملة، ويُعَرَّبُ ما بعد (إِلَّا) حسب العوامل التحوّية.

هوامش وإحالات المقال

- ¹ المعاني- علم الأسلوب، لمصطفى الصّاوي الجويني، دار المعرفة الجامعية، د.ط، 1993م: 86.
- ² البحث البلاغي عند العرب- تأصيل وتقييم، لشفيق السيد، دار الفكر العربي- مدينة نصر، ط2، 1416هـ-1996م: 187.
- ³ نشير هنا، أنَّه على الرّغم من اتفاق الدارسين على نسبة تأسيس علم البلاغة العربية، في نموّه وارتقائه، بشقيّه: "البيان والمعاني" إلى العلامة عبد القاهر الجرجاني؛ فإنَّ الحسَن ذكّره في هذا الموضع هو غُضُّ ابن خلدون (ت808هـ) الطرفَ عن ذكر الجرجاني حين عرض لحال البلاغة عند المتقدمين من البلغاء والمحدثين، كالجاحظ، وقدامة بن جعفر (ت337هـ) عازياً (ناسباً) فضل اكتمال مسائل هذا الفنّ إلى أبي يعقوب السّكاكي (ت626هـ) في كتاب مفتاح العلوم. ينظر: تاريخ العلامة ابن خلدون، لعبد الرّحمان بن خلدون، دار الكتاب اللّبناني- بيروت، د.ط، 1981: 1066-1067/2.
- ⁴ ينظر: الأصول، لتمام حسان، دار الثقافة، الدّار البيضاء-المغرب، ط1، 1401هـ-1981م: 300-301، وعلم المعاني- الأسلوب: 72.
- ⁵ الثّابت، أنَّ لعبد القاهر الجرجاني جذورا نحويّة متأصّلة؛ إذ يورد كثير من المترجمين له تسمية "عبد القاهر الإمام النّحوي المشهور"، إذ وضع في هذا العلم عند مؤلّفات نذكر منها: "المغني في شرح الإيضاح"، و"الجمال"، و"العوامل المائة"، و"العُمدة في التّصريف". ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنّحاة، لجلال الدّين السيوطي، ت: محمّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريّة- بيروت، د.ط، د.ت: 310-311.
- ⁶ القصر مصطلحٌ يدور أكثر في بيئة البلاغيّين. أمّا الحَصْرُ، فيدور في بيئتي المفسّرين والأصوليّين، والمصطلحان معاً يُستخدَمان عند بعض النّحاة من المتأخّرين. وأمّا الاختصاصُ، أو التّخصيصُ، فليسا بمصطلحين، وإنّما هما مَعْنَيَانِ يُستفادان عن التّراكيب. ينظر: المعاني- علم الأسلوب: 88.
- ⁷ ينظر: إصلاح المنطق، ليعقوب بن السّكّيت، ت: أحمد محمّد شاكرو عبد السلام هارون، دار المعارف بمصر، د.ط، 1970: 41، والصّحاح: تاج اللّغة وصحاح العربيّة، لإسماعيل بن حمّاد الجوهري. ت: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين- بيروت، ط2، 1399هـ-1979م: مادّة (قَصَرَ) (795-793/2).
- ⁸ المرسلات: 32.
- ⁹ ينظر: تنوير المقياس من تفسير ابن عبّاس، للفيروز آبادي، ت: عبد العزيز سيّد الأهل. مكتبة ومطبعة المشهد الحسني- القاهرة، ط2، د.ت: 467.
- ¹⁰ ينظر: إصلاح المنطق: 184، ولسان العرب، لجمال الدّين بن منظور، دار صادر- بيروت، ط1، 1968م: مادّة قَصَرَ (97/5).
- ¹¹ الرّحمن: 72.
- ¹² البيت في ديوان كثير عزة. ت: إحسان عباس، دار الثقافة -بيروت، د.ط، 1391هـ-1971م: 369. والبخاتر: القِصَارُ: جمع يُحْتَرُّ بالضمّ، وهو القصير المُجْتَمِعُ الخُلُقِ، وكذلك الحَبَّتَرُ بالفتح، وهو مقلوب منه. ينظر: إصلاح المنطق: 184، والصّحاح: باب الرّاء فصل الباء (586/2).
- ¹³ ينظر: القاموس المحيط، لمجد الدّين الفيروز آبادي، المطبعة المصريّة، ط3، 1352هـ-1933م: "مادّة قَصَرَ".
- ¹⁴ ينظر: معجم متن اللّغة، لمحمّد رضا العاملي، منشورات دار ومكتبة الحياة- بيروت، د.ط، 1960م: مادّة "قَصَرَ".
- ¹⁵ (شروح التّليخيص: وبه أربعة كتب: حاشية الدّسوقي، للدّسوقي، وعروس الأفراح، ليهاء الدّين السّبكي، ومختصر التّفّتاازاني، للتّفّتاازاني، ومواهب الفّتاح، لابن يعقوب المغربي. طبع مطبعة مصطفى البابي الحلبي، د.ط، د.ت): "مواهب الفّتاح"، لابن يعقوب المغربي. 1960م: 166/2.
- ¹⁶ نفسه: 166/2.

ونشير هنا، أن القصد بكلمة "صفة" في قولنا مثلاً: "قصر صفة على موصوف أو عكسه"، هو الصفة المعنوية، أي المعنى القائم بالغير، وهو ما يقابل الذات، ولا يُزاد بالصفة النعت النحوي أي التابع الذي يدل على معنى في متبوعه غير الشمول، كصفة "العالم" في قولنا: "جاءني زَيْدُ العالمِ"؛ فقد دل "العالم" على معنى "العِلْم" في متبوعه، وهو "زيد". والمقصود بعبارة "غير الشمول" هو الاحتراز عن نحو قولنا: "كلهم" وهو التأكيد كما في: "جاء القومُ كلهم"، إذ خرج بالدلالة على المعنى في المتبوع البديل، وعطف البيان، والتأكيد الذي ليس للشمول؛ لأنها كلها لا تدل على المعنى في المتبوع لأنها نفسها. ينظر: التلخيص في علوم البلاغة، للخطيب القزويني. ت: عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، د.ط، د.ت: 137، (وشروح التلخيص): "مختصر التفتازاني"، للتفتازاني: 170-169/2، (ومواهب الفتح): 171-169/2، و"حاشية الدسوقي"، للدسوقي: 171-169/2.

¹⁷ ينظر: (شروح التلخيص) حاشية الدسوقي: 166/2.

¹⁸ ينظر: التلخيص في علوم البلاغة: 137.

¹⁹ ينظر: (شروح التلخيص): "عروس الأفراح"، لبهاء الدين السبكي: 168/2، والتعريفات، للرجزاني علي بن محمد بن علي. ت: إبراهيم الأبياري. دار الريان للتراث، د.ط، د.ت: 225.

²⁰ ينظر: المعجم المفصل في علوم البلاغة، لإنعام فوال عكاوي. ت: أحمد شمس الدين. دار الكتب العلمية- بيروت، ط2، 1418 هـ-1997 م: 622، والمعاني- علم الأسلوب: 40.

²¹ وذلك توطئة لما سيأتي.

²² دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني. ت: أبو فهر محمد شاكر، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر ودار المديني بجدة، ط3، 1413 هـ-1992 م: 330. فطريق "إنما" يُسَلِّكُ إذاً مع مخاطب في مقام لا يصِرُّ على خطئه، أو يجب عليه أن لا يصِرَّ على خطئه، إذ لا يقال مثلاً: "إنما زَيْدٌ يَجِيئُ"، و"إنما يَجِيئُ زَيْدٌ" إِلَّا وَالسَّامِعُ مُتَلَقٍّ هَذَا الْكَلَامَ بِالْقَبُولِ. ينظر: مفتاح العلوم، لأبي يعقوب السكاكي، دار الكتب العلمية- بيروت، د.ط، د.ت: 128، والطراز، لليميني. دار الكتب العلمية- بيروت، د.ط، 1400 هـ-1980 م: 201/2، والإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني. ت: عماد بسيوني زغلول، مؤسسة الكتب الثقافية- بيروت، ط3، 1419 هـ-1998 م: 77.

²³ البيت في شرح ديوان المتنبي، لعبد الرحمن البرقوقي. دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ط2، 1400 هـ-1980: 133/2، وهذا البيت من قصيدة نظمها شاعرنا بمناسبة اصطلاحه مع كافور بعد وحشة وقعت بينهما، ومطلعها:

حَسَمَ الصِّلُحُ مَا اشْتَهَتْهُ الْأَعَادِي .: وَأَذَاعَتْهُ أَلْسُنُ الْحُسَادِ

²⁴ دلائل الإعجاز: 330.

²⁵ شرح ديوان المتنبي: 133/2، الحاشية رقم: 05.

²⁶ التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند عبد القاهر الجرجاني، لصالح بلعيد. ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر، د.ط، 1415 هـ-1994 م: 151.

²⁷ البيت في ديوان عبيد الله بن قيس الرُّقَيَات. ت: محمد يوسف: 91، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت، وفي الأغاني، لأبي الفرج الأصبهاني. مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر- بيروت، د.ط، د.ت: 157/4. وهو بيت من قصيدة يمدح بها مصعب بن الزبير، ويفخر بقريش. ينظر: الديوان: 87.

²⁸ دلائل الإعجاز: 331. وينظر: مفتاح العلوم: 128، والطراز: لليميني، دار الكتب العلمية- بيروت، د.ط، 1400 هـ-1980 م: 201/2-202.

²⁹ دلائل الإعجاز: 332.

³⁰ ينظر: مفتاح العلوم: 126، والإيضاح في علوم البلاغة: 75.

³¹ الإيضاح في علم البلاغة: 332.

³² إبراهيم: 10.

³³ إبراهيم: 11.

³⁴ دلائل الإعجاز: 333. وينظر: مفتاح العلوم: 128.

³⁵ إبراهيم: 10.

³⁶ الكشف عن حقائق التزييل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لمحمود بن عمر الزمخشري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، د.ت: 370-369/2.

³⁷ إبراهيم: 11.

³⁸ إبراهيم: 11.

³⁹ الكشّاف: 370/2. وينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: 77.

⁴⁰ الكهف: 110.

⁴¹ دلائل الإعجاز: 333.

⁴² فاطر: 22، 23.

⁴³ فاطر: 22.

⁴⁴ فاطر: 23.

⁴⁵ دلائل الإعجاز: 333-334. وعلى هذا يَحْمِلُ الجرجاني قول الله تعالى في الآية الثامنة والثمانين بعد المائة من سورة الأعراف: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾. ينظر: نفسه: 334، ومفتاح العلوم: 125.

⁴⁶ فاطر: 22، 23.

⁴⁷ الكهف: 6.

⁴⁸ مفتاح العلوم: 128. وينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: 77.

⁴⁹ يقصد بذلك حمل إنفّا في دلالتها على القصر على ما يُستفاد من استعمال "لا" العاطفة من قلب لاعتقاد المخاطب بجملة القصر.

⁵⁰ المائدة: 117.

⁵¹ دلائل الإعجاز: 337.

⁵² المائدة: 117.

⁵³ المائدة: 116.

⁵⁴ مفتاح العلوم: 126. وينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: 79.

⁵⁵ سبق إيراد هذا البيت في: 43 من هذا البحث، وما بعدها.

⁵⁶ دلائل الإعجاز: 338.

⁵⁷ ينظر: دلائل الإعجاز: 337، الحاشية رقم: 01.

⁵⁸ مختصر التّفْتَازاني: 230-231/2. وينظر: الإتقان في علوم القرآن: 49/2.

⁵⁹ ينظر: مختصر التّفْتَازاني: 231-232/2، ومواهب الفتّاح: 232/2.

⁶⁰ مختصر التّفْتَازاني: 232/2. وينظر: مفتاح العلوم: 129.

⁶¹ هو علي بن عبد الكافي بن تمام السبكي الفقيه الشافعي، وُلِدَ مسهل صفر عام 683هـ، له حوالي مائة وخمسون كتاباً مطوّلاً ومختصراً، منها: "تفسير القرآن"، و"نيل الغلا في العطف بلا"، و"شرح المنهاج في الفقه"، و"كشف القناع في إفادة لؤلا الامتناع"، وغيرها. توفي بمصر عام 755هـ. ينظر: بغية الوعاة: 652-653/1.

⁶² ينظر: (شروح التلخيص) عروس الأفراح: 191/2.

⁶³ وجملة: "سواء أ ذكر المُسْتَثْنَى مِنْهُ أَمْ لَا" دليلُ إفادة الاستثناء التّام للقصر عند هؤلاء، غير أنّه مشروط بمجيء الكلام منفياً قبل أداة الاستثناء.

⁶⁴ ينظر: (شروح التلخيص) عروس الأفراح: 191/2، و(شروح التلخيص) حاشية الدسوقي: 191/2.

⁶⁵ وإن كان ذلك أقلّ ظهوراً عند الجرجاني، إلّا باستقراء ما ورد في دراسته من أمثلة، كما سبق.

⁶⁶ إلّا جهاء الدّين السبكي في حدود أطلّاعنا كما رأينا، وقد يكون هناك غيره بطبيعة الحال. ونشير هنا أنّ جمهور النّحاة - وعلى رأسهم سيبويه - يذهبون إلى أنّ شرط تحقّق معنى القصر هو وجوب كون الكلام فيه مسبوqاً بنفي أو نهي أو شبهه. ينظر على سبيل التّمثيل والاستئناس: الكتاب، لسبويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر. ت: محمد عبد السلام هارون، دار الجيل-بيروت، د.ط، 1991م: 331/2، و: أسرار العربية، لأبي البركات الأنباري. ت: فخر صالح قدّارة، دار الجيل- بيروت، ط1، 1415هـ. 1995م: 188، والجني الدّاني، في حروف المعاني، للحسين بن القاسم المرادي. ت: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1413هـ-1992م: 518، وشرح جمل سيبويه، لمحمد سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية، د.ط، 1992م: 499/2.

قائمة المصادر والمراجع:

- * القرآن الكريم برواية الإمام ورش عن نافع، دار المصحف- بيروت.
- 1- أسرار العربية، لأبي البركات الأنباري . ت: فخر صالح قدارة، دار الجيل- بيروت، ط1، 1415هـ، 1995م.
 - 2- الأصول لتمام حسن، دار الثقافة، الدار البيضاء-المغرب، ط1، 1401هـ-1981م.
 - 3- إصلاح المنطق، ليعقوب بن السكيت. ت: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف بمصر، د.ط، 1970.
 - 4- الأغاني، لأبي الفرج الأصبهاني. مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر- بيروت، د.ط، د.ت.
 - والطراز: لليميني، دار الكتب العلمية-بيروت، د.ط، 1400هـ-1980م.
 - 5- الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني. ت: عماد بسيوني زغلول. مؤسسة الكتب الثقافية- بيروت، ط3، 1419هـ-1998م.
 - 6- البحث البلاغي عند العرب-تأصيل وتقييم، لشفيق السيد. دار الفكر العربي- مدينة نصر، ط2، 1416هـ-1996م: 187.
 - 7- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لجلال الدين السيوطي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم. المكتبة العصرية- بيروت، د.ط، د.ت.
 - 8- تاريخ العلامة ابن خلدون، لعبد الرحمن بن خلدون، دار الكتاب اللبناني- بيروت، د.ط، 1981.
 - 9- التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند عبد القاهر الجرجاني، لصالح بلعيد. ديوان المطبوعات الجامعية-الجزائر، د.ط، 1415هـ-1994م.
 - 10- التلخيص في علوم البلاغة، للخطيب القزويني. ت: عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، د.ط، د.ت.
 - 11- تنوير المقياس من تفسير ابن عباس، للفيروز آبادي، ت: عبد العزيز سيد الأهل. مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني- القاهرة، ط2، د.ت.
 - 12- التعريفات، للجرجاني علي بن محمد بن علي. ت: إبراهيم الأبياري. دار الريان للتراث، د.ط، د.ت.
 - 13- والجني الداني، في حروف المعاني، للحسين بن القاسم المرادي. ت: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1413هـ-1992م.
 - 14- دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني. ت: أبو فهر محمد شاكر، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر ودار المدني بجدة، ط3، 1413هـ-1992م.
 - 15- ديوان عبيد الله بن قيس الرُّقِيَّات، ت: محمد يوسف. دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت.
 - 16- ديوان كثير عزة. ت: إحسان عباس، دار الثقافة -بيروت، د.ط، 1391هـ-1971م.
 - 17- شرح جمل سيبويه، لمحمد سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية، د.ط، 1992م.
 - 18- شرح ديوان المتنبي، لعبد الرحمن البرقوقي. دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ط2، 1400هـ-1980.
 - 19- شروح التلخيص: وبه أربعة كتب: حاشية الدسوقي، للدسوقي، وعروس الأفراح، لهما الدين السبكي، ومختصر التفتازاني، للتفتازاني، ومواهب الفتاح، لابن يعقوب المغربي. طبع مطبعة مصطفى البابي الحلبي، د.ط، د.ت: "مواهب الفتاح"، لابن يعقوب المغربي. 1960م.
 - 20- الصِّحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري. ت: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين-بيروت، ط2، 1399هـ-1979م.
 - 21- الطراز، لليميني. دار الكتب العلمية- بيروت، د.ط، 1400هـ-1980م.
 - 22- الكتاب، لسبويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر. ت: محمد عبد السلام هارون، دار الجيل-بيروت، د.ط، 1991م.
 - 23- لسان العرب، لجمال الدين بن منظور. دار صادر- بيروت، ط1، 1968م.
 - 19- المعاني- علم الأسلوب، لمصطفى الصاوي الجويني، دار المعرفة الجامعية، د.ط، 1993م.
 - 24- المعجم المفصل في علوم البلاغة، لإنعام فوال عكاوي. ت: أحمد شمس الدين. دار الكتب العلمية- بيروت، ط2، 1418هـ-1997م.
 - 25- معجم متن اللغة، لمحمد رضا العاملي. منشورات دار ومكتبة الحياة- بيروت، د.ط، 1960م.
 - 26- مفتاح العلوم، لأبي يعقوب السكاكي، دار الكتب العلمية-بيروت، د.ط، د.ت.
 - 27- القاموس المحيط، لمجد الدين الفيروزآبادي. المطبعة المصرية، ط3، 1352هـ-1933م.
 - 28- الكشف عن حقائق التزويل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لمحمود بن عمر الزمخشري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، د.ت.